الجزء الثاني من كتاب المدخل للعارف

بربه سيدي محمد العبدري

الشهير بابن الحاج

نفعنا الله به

آمين

(فهرست الجزء الثانى من كتاب المدخل لابن الحاج)

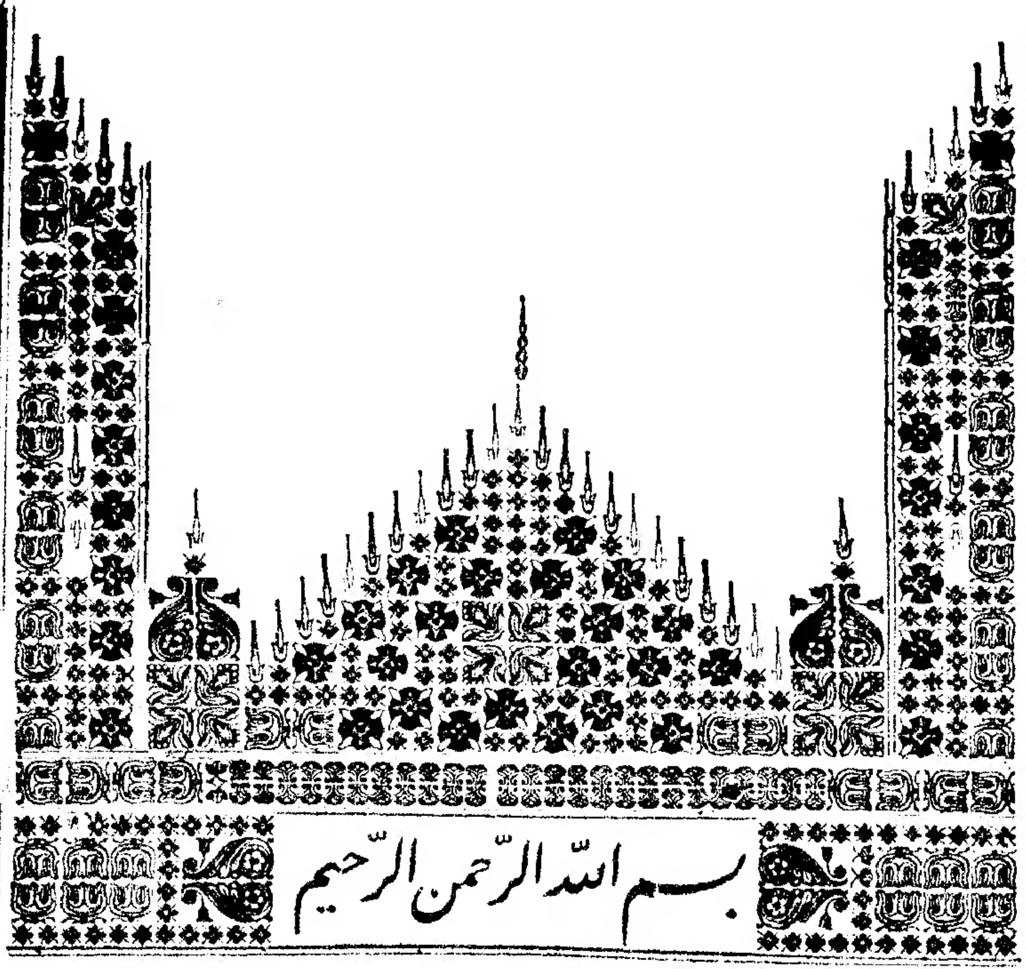
صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة



(فصل في آداب المتعلم) قد تقدم رحمنا الله تعالى وإياك ذكر بعض
آداب العالم وفي ذكره غنية عن ذكر آداب المتعلم اذ أن الغالب فيما ذكر
اشتراكهما في ذلك (لكن) قد يختص المتعلم ببعض نبذ يسيرة ينبغي التنبيه
عليها (وقد) تقدم في العالم أن تكون نيته في التعليم لله تعالى وان يظهر الحق
على نفسه وعلى غيره على ما تقدم ذكره (ثم) هو في حق المتعلم آكد لأنه في
أول أمره متصف بالجهل فيحرص على تخليص نيته من الشوائب في نفسه
وهو أن يقصد بذلك وجه الله تعالى لا لأجل أن يرتفع قدره عند الناس
أو يعرف بالعلم أو لمعلوم يأخذه به أو لأن يرأس به على الجهال أو لأن
يشار اليه أو لأن يسمع قوله الى غير ذلك من الحظوظ المذمومة شرعا التي
تخرجه عن أن يكون لله تعالى بل يفعل ذلك خالصا لوجه الله عز وجل
لا يريد غير ذلك (ألا ترى) الى ما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام
اخبارا عن ربه عز وجل حيث يقول سبحانه وتعالى ان اتصف ببعض ما ذكر

أنا أغنى الشركاء اذهب فخذ الاجر من غيري (ولا) تختلف العلماء أن العلم أفضل الاعمال بعد الايمان بالله عز وجل واذا كان أفضل الاعمال فيتعين خلاصه لله تعالى فيبتدئه أولا بالاخلاص المحض حتى يكون الاصل طيبا فتأتي الفروع على هذا الاصل الطيب فيرجى خيره وتكثر بركته والقليل من العلم مع حسن النية فيه أنفع وأعظم بركة من الكثير منه مع ترك المبالاة بالاخلاص فيه (ومن) مراقي الزلفى للقاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى قال بعض السلف من طلب العلم لوجه الله لم يزل معانا ومن طلبه لغير الله لم يزل معانا اه (هذا) اذا كان هو الداخل بنفسه لطلب العلم فان كان وليه هو الذي يرشده لذلك فيتعين على الولي ان يعلمه النية فيه ويحذر أن يرشده لطلب العلم بسبب ان يرأس به أو يأخذ معلوما عليه الى غير ذلك مما تقدم ذكره فان هذا سم قاتل يخرج العلم عن ان يكون لله تعالى بل يقرأ ويجتهد لله تعالى خالصا كما تقدم ذكره فان جاء شيء من غيب الله تعالى قبله على سبيل انه فتوح من الله تعالى ساقه الله اليه لا لاجل اجارة أو مقابلة على ما هو بصدده اذ ان أعمال الآخرة لا يؤخذ عليها عوض (وقد) روى ان يحيى بن يحيى راوي الموطأ لما ان جاء الى مالك ليقرأ عليه فقال له مالك اجتهد يا بني فانه قد جاء شاب في سنك فقرأ على ربيعة فما كان الا أيام وتوفي الشاب فحضر جنازته علماء المدينة ولحده ربيعة بيده ثم رآه بعد ذلك بعض علماء المدينة في النوم وهو في حالة حسنة فسأله عن حاله فقال غفر الله لي وقال للملائكة هذا عبدي فلان كانت نيته ان يبلغ درجة العلماء فبلغوه درجتهم فأنا معهم أنتظر ما ينتظرون قال فقلت وما ينتظرون قال الشفاعة يوم القيامة في العصاة من امة محمد صلى الله عليه وسلم (واذا كان) ذلك كذلك فينبغي له أن لا يسعى لطلب العلوم ولا في زيادته ولا في تنزيله في المدارس ولا في الوقوف على أبواب من يرجى ذلك منهم فان فعل شيئا مما ذكر كان ذلك قدحا في نيته ووقع عليه الذم بنص كتاب الله تعالى حيث يقول سبحانه يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (ولا) يخرج من المدرسة الى غيرها ولا من المسجد الى غيره الا لفائدة من زيادة العلم اما الا أن يكون مدرس المدرسة الاخرى أعلم أو أفيد أو أصلح

من الاول أولا أن تتكرر عليه مسائل العلم وتثبت وان كان الثانى أقل علما من الاول لا لاجل معلوم فانه اذا فعل غير ماذكر كان قدحا فى نيته كما تقدم والمبتدى يحتاج الى تخليص نيته أكثر من المنتهى لان المنتهى عارف بالدسائس التى تدخل عليه ان حصل له التوفيق له بخلاف المبتدى (واذا) كان ذلك كذلك فلا يضره أخذ المعلوم مع اشتغاله بالعلم لوجه الله تعالى على ماسبق (اللهم) الا أن لا يقدر على تخليص نيته لله تعالى لبقاء تعلق خاطره بالاسباب وبأخذ المعلوم فان كان كذلك فترك العلم والتعليم أولى به لانه ان فعل ذلك وقع فى بحر مخوف والغالب فيه العطب (لما) ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث يقول من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقد تقدم ان أفضل الاعمال بعد الايمان بالله تعالى تعلم العلم فيخاف عليه فتركه أولى به فان اضطر الى مسألة فليسأل عنها أهل العلم وحينئذ يقدم عليها (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى اذا علمت علما فلير عليك أثره وسمته وسكينته ووقاره وحلمه لقوله عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء ومن ابن يونس وذكر أيضا عن مالك انه قال لم يكونوا يهذرون الكلام هكذا ومن الناس من يتكلم بكلام شهر فى ساعة واحدة (ولا) حجة لاحد فى قول من قال من العلماء طلبنا العلم لغير الله تعالى فأبى العلم ان يكون الا لله (والجواب) عنه من وجهين (أحدهما) وهو الظاهر انه كان أولا جاهلا لا يعرف ما يلزمه من الوظائف الشرعية فلما ان قرأ العلم وجد قواعده ماشية على خمسة أقسام واجب ومندوب ومباح ومكروه ومحرم فلما ان علم الواجب لم يسعه الا فعله وكذلك المحرم عكسه والمندوب ماله فى فعله ثواب وليس عليه فى تركه عقاب والمكروه ضده والمباح ما استوى طرفاه فالمكلف مخير فى فعله وفى تركه فاتبع العلم وباتباعه صار لله تعالى لان نيته كانت محرمة عليه أولا فوجد العلم ينهاه فتركها وقد نقل معنى هذا القاضى أبو بكر بن العربى رحمه الله تعالى فى مراقى الزلفى له فقال قال بعض العلماء العلم من الله والعمل لله وان الرجل ليطلب العلم لغير الله فيرده العلم الى الله فان العلم يأبى ان يكون الا لله اه هذا وجه (الوجه الثانى) ان هذا

انسان غرفسلم ولا يمكن لعاقل ان يغر بنفسه ويرجو أن يسلم (فان) قال قائل قد تدعو الضرورة وهو الغالب الى طلب العلوم والى الجمع بين مدارس جملة لاجل قيام البنية وضرورات البشرية (فالجواب) ان هذا الباب منه وقع الخلل ورجعت أعمال الآخرة لمجرد الدنيا وهو عطب عظيم اذ أن الدنيا لا تطلب بعمل الآخرة (واذا كان) ذلك كذلك فلا يخلو طالب العلم من أحد أمرين اما أن يكون قويا في دينه واثقا بربه أو لا يكون كذلك (فان) كان الاول فاشتغاله بالعلم واقباله عليه أولى به من أن يدور على المدارس أو غيرها الا ان الله تعالى قد تكفل برزقه خصوصا كما تقدم (فان) احتج محتج بقوله تعالى فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه فجعل المشي سببا للرزق (فالجواب) انك اذا نظرت الى تمام الآية من قوله تعالى واليه النشور بان لك ان آخر الآية الكريمة فيه التنبيه للمتسببين على التحفظ فيما يتناولونه من الاسباب كلها اذ ان يوم النشور فيه الحساب ففي ذلك اشارة الى الورع في السبب خيفة من الحساب والمناقشة يوم النشور ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه اه (وقد) ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير في جو السماء تغدو خماصا وتروح بطانا اه فارشدنا صلى الله عليه وسلم بقوله هذا الى ترك الاسباب الدنيوية والاشتغال بالاعمال الاخروية ثقة بالله تعالى وبكفايته فانه العليم الخبير الكريم (فان) احتج محتج بقول من غلب عليه الشغف بالاسباب فقال طيران الطائر سبب في رزقه (فالجواب) ان طيران الطائر في الهواء لا يماثل التسبب في الرزق لان الهواء ليس فيه حب يلتقط ولا جهة تقصد (ألا ترى) انه ينزل في مواضع شتى ليس فيها شيء ولا عقل له يدرك به فدل على ان طيرانه في الهواء ليس هو من باب طلب الرزق وانما هو من باب حركة يد المرتعش لا حكم لها فتردد في الهواء حتى يؤتى برزقه اليه أو يؤتى به الى رزقه وهذا الذي يتعين حمل طيران الطائر عليه أعني في أنه لا حكم له في الرزق ولا ينسب اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم سماه متوكلا

مع علمه انه ولذلك مثل به والعاقل المكلف أولى بالتوكل منه سيما من دخل في باب الاشتغال بأفضل الاعمال بعد الايمان بالله تعالى وهو طلب العلم كما تقدم (وان) كان من القسم الثاني وهو العاجز عن التوكل لعدم قوة اليقين عنده فالاسباب عليه متسعة فيتسبب في شئ يستعين به على طلب العلم وهو أولى به بل أوجب من أن يأخذ أوساخ الناس يستعين بها على طلب العلم الشريف ويكفيه مع ذلك القليل من العلم وقد يبارك له فيه فيصير كثيرا وعلى هذا كان حال السلف رضوان الله عليهم أجمعين في كونهم لم يكن لهم معلوم على سبب من أسباب الآخرة وانما حدثت الارزاق على أعمال الآخرة بعد ذلك ومنه دخل الفساد على كثير ممن تعاطى اسباب الآخرة (ومن) كتاب سير السلف الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني رحمه الله تعالى قال ذو النون المصري رحمه الله كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق ماله على العلم واليوم يكتسب الرجل بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة اصلاح في باطنه وظاهره فاليوم ترى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر انتهى (فان) قال قائل انه لا يمكن طالب العلم التسبب في الصنائع لانه قد يخرج به عن سمته ووقاره وزيه (فالجواب) ان هذا أيضا من البدع التي أحدثت لان السلف رضوان الله عليهم أجمعين لم يكن عندهم فرق في الزي ولا الملبس لفقيه ولا لغيره (ومن) كتاب القوت قال علي رضي الله عنه ان الله أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره (وعوتب) رضي الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من الكرابيس قيمة قميصه ثلاثة دراهم الى خمسة ويقطع ما فضل عن أطراف أصابعه فقال هذا أدنى الى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلمون (ونهى) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ألا ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين (وقال) بعض العلماء من رق ثوبه رق دينه (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام اه (ألا ترى) الى قصة عمر بن الخطاب رضي الله

عنه

عنه في ثوبه الذي كان فيه احدى عشرة رقعة احداها من أديم هذا وهو أمير المؤمنين فما بالك بغيره (فان) قال قائل كان ذلك في زمان لائق بهم وهذا زمان لا يليق به ما ذكرتم (فالجواب) ان الزمانين بالنسبة الى الشريعة المطهرة سواء اذ ان الكل عموم الخطاب وتناولتهم الاحكام الشرعية كما تقدم وقد تجد كثيرا من أهل هذا الزمان متصفا بتلك الاوصاف الجليلة شرعا و نجاها وقد مضت حكاية الشيخ الجليل ابن عبد السلام رحمة الله عليه في تواضعه في تصرفه وكذلك حكاية الشيخ الجليل المعروف بالزيات رحمه الله وماجرى له وكان من أكابر العلماء والصلحاء في وقته وفي هذا الوقت ببلاد المغرب بعض العلماء اذا جلس الى الدرس يجتمع له نحو من أربعمائة اوستمائة من الفقهاء يحضرون عليه فاذا فرغ من مجلسه قام ودخل بيته وأخرج مايحتاج اليه على رأسه اوفي يده من قمح يطحنه أو عجين يخبزه أوشراء خضرة أو حاجة من السوق أو حصاد لزرعه بيده أو غسل ثياب الى غير ذلك من الحوائج وله من الهيبة بحيث لا يتجاسر أحد من الطلبة اوغيرهم أن يعاف عليه فالخير والحمد لله باق ان أراده وتحصيله ممكن وانما بقي التوفيق فمن وفق وترك العوائد الرديئة والطبائع النفسانية فقد أرشد وجاءه العون قال عليه الصلاة والسلام لا تزال هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وفي رواية أخرى طائفة بالمغرب اه مع ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام أمتي مثل المطر لا يدرى أيه انفع اوله او آخره او كما قال عليه الصلاة والسلام فلا يقطع المرء المسلم الاياس من هذا الخير العظيم فانه والحمد لله باق الى يوم القيامة بفضل الله تعالى وكرمه وقد رأيت و باشرت بعض طلبة العلم بالمغرب يأخذون المسحاة و يأتون الى موقف البنائين فان حصل لهم سبب شئ في يومهم ذلك والا رجعوا الى الدرس والاشتغال الى غير ذلك مما قد يطول ذكره (فالحاصل) من هذا أن يدخل المتعلم الى تعلم العلم بجد واجتهاد وحسن نية وترك الالتفات الى العوارض والاسباب والعوائد التي اتصلت في هذا الزمان وهو مخير في الاسباب الشرعية هل يقدم عليها أو يتركها ثقة بربه عز وجل كما سبق (وقد) تقدم في العالم ان من صفاته التواضع ان يعلمه واذا كان ذلك مطلوبا في العالم فمن

باب أولى فى المتعلم المحتاج الى التعليم فينبغى له أن يكون تواضعه أكثر حتى لو صار أرضا توطأ كان قليلا بالنسبة الى ما هو بطالبه ولأن بالتواضع يقبل بالقلوب عليه وينشط من يعلمه لتعليمه وارشاده والتواضع أصل كل خير وبركة كل شئ فاذا اتصف المتعلم بما ذكر انتفت عنه هذه المفاسد التى عمت بها البلوى فى الوقت من نظر بعضهم لبعض فى العلوم وقول بعضهم كيف يأخذ فلان كذا وكذا وانا أكثر منه بحثا وقد حفظت الكتاب الفلانى والكتاب الفلانى ويقع بسبب ذلك بينهم شنآن واتصاف بالحسد وما شاكله وخرج ذلك الى باب الاسباب الدنيوية ووقعوا بسببه فى الوعيد الذى تقدم فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من عمل من هذه الاعمال الخ أسال الله السلامة منه والغالب ان المتعلم لا يتصف بما ذكر من الاخلاق الحميدة الا أن يبنى أمره على أصل صحيح اذ أن البناء اذا طلع على غير أصل لا ينتفع به فلا بد من أساس صحيح جيد يعمل ثم بعد ذلك يبنى عليه والاساس الذى يحتاج اليه المبتدى فى هذا الفن اتباع السلف رضوان الله عليهم أجمعين فيما أخذ بسبيله وكانت أحوالهم رضى الله عنهم الهرب من الدنيا وأسبابها فان فتح عليهم بشئ منها قالوا ذنب عجلت عقوبته وان أصابهم ضيق سروا بذلك وفرحوا به وكان ذلك غنيمتهم ولاجل ذلك جعلهم الله أئمة يقتدى بهم ويرجع الى أقوالهم وأحوالهم (وقد) أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ما معناه يا موسى اذا رأيت الدنيا أقبلت فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيتها أدبرت فقل أهلا بشعار الصالحين (وقد) دعا موسى عليه الصلاة والسلام وطلب من ربه ان يغنيه عن الناس فأوحى الله تعالى اليه ياموسى أما تريد أن أعتق بغداء ثلث رقبة من النار وبعشاء ثلث رقبة من النار قال بلى يارب قال هو كذلك أو كما قال فكان موسى عليه الصلاة والسلام يتغدى عند رجل من بنى اسرائيل ويتعشى عند آخر وكان ذلك رفعة فى حقه لتعدى النفع الى عتق من منّ الله عليه بعتق رقبته من النار (فان) قال قائل قد كان فى السلف رضوان الله عليهم أكابر لهم أموال وأسباب (فالجواب) أن اتخاذهم الاموال والعمل على الاسباب لا يمنع اذا دخل فيهما على ما كان عليه السلف رضى الله عنهم فى عدم تعلق القلب بها اذ هم كانوا فيها سواء أقبلت أو أدبرت فان اقبلت قابلوها

بالايثار والبذل لله وان أدبرت قابلوها بالصبر والرضى والتسليم لان الامر بيده وهمتهم وبغيتهم انما كان تحصيل زادهم لمعادهم فى الفقر والغنى والحركة والسكون (وقدكان) سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله يقول هذه الحالة اختص بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عجز غيرهم عنها اه يعنى فى الغالب فقل أن تجد من اشتغل بأحد الشيئين الا اضر بالآخر يعنى من اشتغل بالدنيا أضر بالآخرة ومن اشتغل بالآخرة اضر بالدنيا (وقد) قال بعضهم وجمعك بين الحالتين عجيب فاذا اتصف الطالب بهذه الصفات المتقدم ذكرها لم يبق عنده التفات لمن زيد لهم فى العلوم أو نقص (وكذلك) يتساوى عنده مواضع الجلوس فى الارتفاع والانخفاض كل ذلك عنده سواء فحيث أجلسه الله جلس وما ساقه الله اليه رضيه وشكره ومامنعه منه حمده على ذلك ورآه من ربه عز وجل عطاء (فاذا) تقرر هذا من حاله انتفت عنه الشوائب المذمومة وبقى العلم خالصا لوجه الله تعالى واذا صار العلم كذلك وصحبه العمل به جاء ميراثه العاجل وهو الخشية قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واذا حصلت الخشية قوى الرجاء فى القبول وانه ماش على منهاج السلامة والغنيمة فيما أخذ بسبيله وعكس هذا الحال فى النقيض والعياذ بالله فمن أراد السلامة فلينسج على منوال من مضى فالخير بحذافيره فى الاقتداء بهم وبأحوالهم فى القليل والكثير نسأل الله الكريم من فضله ان يمن علينا بما من به عليهم فانه أهل لذلك والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (واصل) ماينبنى عليه فى تعلمه وهو آكد من كل ماذكر تقوى الله تعالى فان الله عز وجل يقول فى كتابه العزيز واتقوا الله ويعلمكم الله فاذا اتصف المتعلم بالتقوى كان الله عز وجل معلمه وهاديه ومن كان الله تعالى معلمه وهاديه فلا تسأل عن حاله قال الله تعالى فى كتابه العزيز فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وهذا لفظ عام فقد يحصل للتعلم نفائس من المسائل لاتؤخذ بالدرس ولا بالشيوخ لاجل ماحصل من قوله ويعلمكم الله (وآكد) ماعليه فى التقوى اجتناب المحارم لقوله عليه الصلاة والسلام اتق المحارم تكن أعبد الناس وقوله عليه الصلاة والسلام ومانهيتكم عنه فلا تقربوا فاذا اتصف بهذه الصفة كان أعبد

الناس وان لم يكن له كثير من العمل (ومن) آكد الامور عليه تخليص ذمته من اخوانه وجلسائه ومعارفه وغيرهم اذ تخليص الذمة هو المطلوب والمقصود الاعظم فليحذر من هذين الامرين الخطرين اللذين قد عمت بهما البلوى الكثيرة ووقوعهما على الالسن وهما الغيبة والنميمة فالنميمة ان تنقل حديث قوم الى آخرين والغيبة ان تقول فى غيبة الشخص ما يكرهه وان كان حقا واما ان كان ذلك القول باطلا فهو البهتان بعينه (الا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع أى بلد هذا الى ان قال فان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم ويسألكم عن أعمالكم الى ان قال ألا هل بلغت الا هل بلغت مرتين أو ثلاثا فأ كد الامر فى الثلاث كما ترى (والناس) فى ذلك ينقسمون على اربعة أقسام لا خامس لها (القسم الاول) السالم من الجميع أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والسابقون السابقون أولئك المقربون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (القسم الثانى) عكس الاول وهو من كانت له القدرة والجدة ووقع الجميع أولئك حزب الشيطان أسأل الله السلامة منه (القسم الثالث) من عجز عن سفك الدماء وكانت له القدرة على أخذ الاموال والوقيعة فى الاعراض ووقعهما فقد لحقه الاثم فى فعله والتحق بالاول بنيته اذ لولا عجزه عنه لفعله (القسم الرابع) من عجز عن الدماء واخذ الاموال ووقع فى الاعراض لقدرته عليها فيكون آثما فى الثالث لفعله له ملحقا بأصحاب الدماء والاموال بنيته لقوله عليه الصلاة والسلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه اه (واذا) كان ذلك كذلك فيكون عنوان الصدق فيمن ادعى الورع عن الدماء والاموال استعفافه عن الاعراض فان استعف عنها كان دليلا على صدقه فى ترك الفعلين المتقدمين وان تعاطى الثالث أو بعضه كان ذلك دليلا على كذبه فى الاول والثانى فيخاف عليه ان يلحق بهما أسأل الله السلامة منه (واعلم) ان غيبة كل انسان بحسب حاله قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله غيبة الصالحين فى ثلاث منها أن يذكر شخص بين أيديهم فيقولون

اللهم تب عليه وكذلك يقعون بسبب غيرتهم في الدين يقولون فلان فعل كذا وكذا على سبيل الغيرة منهم في دين الله تعالى وكذلك شفقتهم ورحمتهم على بعض الناس فيقولون مسكين فلان واقع كذا وكذا مما يكره ذكره المقول فيه فاذا تقرر هذا وعلم فيحتاج العالم والمتعلم أن يكونا متيقظين لهذه الامور وماشابهها كلها ويتحفظان منها اذ ان يتحفظا مما يتحفظ كل من رآهما أو علم حالهما لانهما قدوة للمهتدين

(فصل في أوراد طالب العلم) وينبغي له أن لا يخلي نفسه من العبادات وان يكون له ورد من كل شئ منها اذ انها سبب الاعانة على ما أخذ بسبيله لقوله عليه الصلاة والسلام واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة انتهى وما يستعان به لا يترك فانظر) رحمنا الله تعالى واياك لحكمة الشرع في قوله عليه الصلاة والسلام واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة فعم الطرفين وجعل من الثالث جزءا والغدوة هو ما كان من طلوع الشمس الى الزوال والروحة ما كان من الزوال الى الغروب والمكلف لا يخلو حاله من أحد أمرين اما أن يشتغل في غدوته أو في روحته بشئ من أعمال الآخرة أو بشئ من أسباب الدنيا (فان) كان من أعمال الآخرة فهي الاستعانة الحقيقية (القصة) معاذ بن جبل وأبي موسى الاشعري رضي الله عنهما لما أن بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن يعلمان الناس الدين فافترقا لذلك ثم اجتمعا فقال معاذ لأبي موسى كيف تقرأ القرآن قال أقرأه قائما وقاعدا ومضطجعا وأتفوقه تفوقا ولا أنام فقال معاذ رضي الله عنه أما أنا فأقوم وأنام وأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي فلم يسلم أحدهما للآخر حتى أتيا الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا له ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لابي موسى الاشعري رضي الله عنه هو أفقه منك يعني معاذا الذي كان يحتسب نومه كقيامه لكن هذا بشرط يشترط فيه وهو أن يكون ماشيا على منهاجهم في تصرفاتهم ولأي شئ كانوا يتصرفون وحسن نياتهم في ذلك كله (والقول) عمر رضي الله عنه ما من حسنة الا ولها أخوات (وان) كان في سبب من أسباب الدنيا فذلك عون له على الطاعة (وقد) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن أموت بين شعبتي رحلي أبتغي من فضل الله أحب الي من أن أموت على

فراشى (وقد) كان بنو اسرائيل اذا أراد أحدهم أن يتعلم العلم انقطع للعبادة أربعين سنة حتى يصفو بها قلبه وينشرح صدره فحينئذ يأخذ فى تعلم العلم وذلك لطول أعمارهم وأما هذه الامة فقد قال مالك رحمه الله أدركت الناس وهم يتعلمون العلم الى أن يصل أحدهم أربعين سنة فينقطع للعبادة ويطوى الفراش انتهى ومعنى طى الفراش مثل ما كان عليه الصلاة والسلام يفعل فى العشر الاواخر من شهر رمضان وكان صلى الله عليه وسلم يطوى فراشه ويشد مئزره ويوقظ أهله ويقوم الليل كله (واذا) كان ذلك كذلك فيحتاج فى أول طلبه العلم أن يمزجه بالتعبد اذ انه ليس ثم عمر طويل فى الغالب فى هذا الزمان حتى يترك له برهة منه فيخشى عليه أن يموت وهو فى السبب قبل وصوله للمقصود (وقد) قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه تعلموا ما شئتم أن تعلموا فان يأجركم الله عليه حتى تعملوا (ولان) العلم كالشجرة والتعبد كالثمرة فاذا كانت الشجرة لا ثمر لها فليس لها فائدة كلية وان كانت حسنة المنظر ناعمة وقد ينتفع بها الظل وغيره ولكن الذى عليه المعول قد عدم منها (وقال) ابن مسعود أيضا رضى الله عنه تكلموا بالحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله اه (وليحذر) أن يتكلف من العمل ما عليه فيه مشقة أو يخل باشتغاله بالعلم اذ أن اشتغاله بالعلم أفضل كما تقدم وهذا باب كثيرا ما يدخل منه الشيطان على المشتغلين بالعلم اذ يعجزهن تركهم له فيأمرهم بكثرة الاوراد حتى ينقص اشتغالهم لان العلم هو العمدة التى يتلقى بها ويحذر منه بها فاذا عجز عن الترك رجع الى باب النقص وهو باب قد يغمض على كثير من طلبة العلم لانه باب خير وعادة الشيطان لا يأمر بخير فيلتبس الامر على الطالب فيخل بحاله (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى يقول ينبغى لطالب العلم أن يكون عمله فى علمه مثل الملح فى العجين ان عدم منه لم ينتفع به والقليل منه يصلحه (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى له أن يشد يده على مداومته على فعل السنن والرواتب وما كان منها تبعا للفرض قبله أو بعده فاظهارها فى المسجد أفضل من فعلها فى بيته كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل ما عدا موضعين فانه عليه السلام كان لا يفعلهما الا فى بيته وهما الركوع بعد صلاة الجمعة والركوع بعد صلاة المغرب أما الجمعة فقد

تبين ذلك فى قصة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أن قام بعض الناس يركع
بعد الجمعة فأقعده عمر وقال له اجلس تشبه الجمعة بمن فاتته ركعتان من
الظهر والنبى صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فلم يعب ذلك عليه ولأنها لو صليت
فى المسجد لكان ذلك ذريعة لاهل البدع الذين لا يرون صحة صلاة الجمعة
الا خلف امام معصوم (وأما) المغرب فمن باب اللطف والرحمة والشفقة على
الامة لان الغالب منهم انهم كانوا صواما وان من كان فى البيت من النساء
والصبيان ينتظرون صاحب البيت حتى يأتى فيأكلون معه فلو ركع فى
المسجد لتشوفوا الى مجيئه (ألا ترى) انه عليه الصلاة والسلام كان اذا سمع
وهو فى الصلاة بكاء الصبى يخفف مخافة أن تفتتن أمه سيما فى حق العالم
والمتعلم لانهما قدوة كما تقدم وهذا كله بعد تحصيل الفرائض وكذلك
قضاء الفوائت ان كانت عليه لانه لا يفعل السنن وعليه شئ من ذلك
(وكذلك) لا يخلى نفسه من ركوع الضحى لقول عائشة رضى الله عنها لو نشر
لى أبواى ما تركتها ومعناه لو أحييا لى وقاما من قبريهما ما اشتغلت بهما عنها
(وكذلك) يحافظ على قيام الليل ولا يخلى نفسه منه وهو خمس تسليمات غير
الوتر ويقرأ فيها بما خف من القرآن يكون له فى تلك الركعات حزب معلوم
من حزبين الى ثلاثة لان احب العمل الى الله ادومه وان قل كما جاء فى الحديث
فان كان الحزب على هذا المقدار فالغالب انه قل أن يفوت لقلة المشقة فيه
وان كان حافظا للقرآن فهذا المقدار من التلاوة يكفيه مع اشتغاله بالعلم ولا
ينسى الختمة فى الغالب اذا دام على ذلك (وقد) ذكر الباجى رحمه الله فى شرح
الموطأ ما معناه انه لم يزل الناس يقومون فى بيوتهم طول السنة بهذا المقدار
الذى يقومون به فى شهر رمضان فى المساجد لكن لما أن كان فى الناس من
لم يجمع القرآن كله جعل لهم شهر رمضان فى السنة يجمعون فيه فى المساجد
ليسمع من لم يجمع الختمة كلام ربه فان قام من الليل ووجد معه الكسل
وثقل النوم فاذا كان الحزب على ما وصفناه سهل عليه أمره وأتى به ورجع
الى النوم ان لم يطلع عليه الفجر وعلى هذا درج من مضى ألا ترى انهم قد
قالوا فيمن فاته ورده من الليل ان له ان يصليه ما بين طلوع الفجر وصلاة الصبح
وقد كانوا يغلسون بصلاة الصبح كما هو فى الحديث مشهور معلوم وذلك أدل

دليل على خفة الورد (وهذا) الذى تقدم ذكره انما هو مع عدم وجود الجد والاجتهاد وامامع النشاط وقوة العزم فيأخذ من ذلك مااستطاع وما وجد اليه السبيل فان وجد حلاوة المناجاة فى التلاوة فليمض فيها ولا يقتصر على حزبه المعتاد ولو ختم الختمة وابتدأها ثانيا وثالثا وهكذا الاترى انه لو قرأ مثلا فى الركعة الاولى بحزب فالمشروع فى الثانية أن يقرأ فيها بمثل الاولى أو أقل فلو وجد الحلاوة فى الثانية فليمض لسبيله مادام يجد ذلك ولو طال الامر فان طلع عليه الفجر فليرجع عما هو بصدده الى الاشتغال بفرض الوقت لكن يكمل خمس تسليمات مخففة كما لو نام فى حزبه فانه يوقعه ما بين طلوع الفجر وصلاة الصبح كما تقدم (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ما ينبغى للمرء اذا وجد الحلاوة فى شئ أن ينتقل عنه مثل أن يجد الحلاوة فى الدعاء فى غير الصلاة فلا يقطعه ولا ينظر الى غيره من الاوراد وكذلك ان وجد الحلاوة فى الركوع فلا يرفع وكذلك ان وجدها فى السجود اللهم الا أن يخاف على فوات الفرائض فى الجماعة فليقطع ذلك لاجلها وقد كان السلف رضوان الله عليهم يغلسون بصلاة الصبح ولم يكن لهم غير جماعة واحدة لان المقصود الاعظم بطلب العلم وقيام الليل وغيرهما مما يقرب من الله تعالى انما ذلك كله لعل ان يحصل له شئ مما تقدم ذكره من الحلاوة فى المناجاة فى ورده أو الدعاء أو غيرهما الا أن يعرض الفرض فيفعل كما سبق (وقد) ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه مر فى ورده بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فبقى عليه الصلاة والسلام يكررها حتى طلع الفجر (وقد) حكى عن أبى يزيد البسطامى رحمه الله ونفعنا به أنه خرج ليلة من المسجد وقد صلى العشاء فخرج خلفه بعض اخوانه وهو لم يشعر به فاذا هو قد رفع رجله اليمنى فوضعها على ركبته اليسرى وقبض على لحيته بيده ورفع رأسه شاخصا الى السماء فوقف الرجل خلفه ينتظره الى أن طلع الفجر فلما ان طلع الفجر رجع ابو يزيد الى المسجد لصلاة الصبح فرجع الرجل خلفه (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى الحالة التى كان فيها أبو يزيد والى تركه ما كان فيه واتيانه الى الفرض فى جماعة مع انهم قد قالوا فمن كان القرآن ينفلت منه لقلة حفظه فليقم به فى الليل فى الصلاة فان ذلك

يثيبه له وماذاك الا لبركة امتثال السنة فى قيام الليل سيما ان كان فى الثلث الآخر منه لما ورد فى ذلك من البركات والخيرات (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فى الثلث الآخر من الليل فيقول هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له الحديث الخ (ومعنى) النزول ههنا نزول طول ومن وتفضل وكرم على عباده لانزول انتقال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وفى) قيام الليل من الفوائد جملة فلا ينبغى لطالب العلم ان يفوته منها شئ (فمنها) انه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة (الثانى) انه ينوّر القلب (الثالث) انه يحسن الوجه (الرابع) انه يذهب الكسل وينشط البدن (الخامس) ان موضعه تراه الملائكة من السماء كما يتراءى الكوكب الدرى لنا فى السماء (وقد) روى الترمذى عن بلال وابى امامة قالا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى الله تعالى ومنهاة عن الاثم وتكفير للسيآت ومطردة للداء عن الجسد (وروى) ابوداود فى سننه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بالف آية كتب من المقنطرين (واعلم) تقرل ان طالب العلم ان فعل ما ذكرتموه تعطلت عليه وظائفه من الدرس والمطالعة والبحث (فالجواب) ان نفحة من هذه النفحات تعود على طالب العلم بالبركات والانوار والتحف ما قد يعجز الواصف عن وصفه وببركة ذلك يحصل له اضعاف ذلك فيما بعد مع ان هذا امر عزيز قل ان يقع الا للمعتنى به والعلم والعمل اغا هما وسيلتان لمثل هذه النفحات (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله اهـ (وما) تقدم ذكره فيما حكاه الباجى وغيره من ان عادة السلف مضت على فعل هذه الصلاة اعنى صلاة السنة فى البيوت يؤخذ منه الدليل الواضح على ان ذلك لا يفعل فى المساجد ولا فى المواضع المشهورة الا فى قيام رمضان وحده (واذا كان) ذلك كذلك ففعل القيام فى غير رمضان فى غير البيوت بدعة (وقد) تقدم غير مرة ان البدعة لاتأتى الا بشر والخير كله فى الاتباع (وقد) نص علماؤنا رحمه

الطول بفتح الطاء وسكون اللام بمعنى ما بعده اهـ

الارض بوابل المطر فتنشرح بهم الصدور الصابه وتهون برؤيتهم الامور الصعبه اذهم وقوف على باب الكريم المنان فلا يرد قاصدهم ولا يخيب مجالسهم ولا معارفهم ولا محبهم اذهم باب الله المفتوح لعباده ومن كان كذلك فتتعين المبادرة الى رؤيتهم واغتنام بركتهم ولانه برؤية بعض هؤلاء يحصل له من الفهم والحفظ وغيرهما ما قد يعجز الواصف عن وصفه ولاجل هذا المعنى ترى كثيرا ممن اتصف بما ذكر له البركة العظيمة في علمه وفي حاله فلا يخلي نفسه من هذا الخير العظيم لكن بشرط أن يكون محافظا على اتباع السنة في ذلك كله (فليحذر) أن يزور أحدا من أهل البدع وممن لا خطر له في الدين الا بالتمويه وبعض الاشارات والعبارات مع انه قد قل في هذا الزمان من يضطر الى ذلك من المدعين بل قد تجد بعض من ينتسب الى العلم يقعد بين يدي بعض من يدعي الفقر والولاية وهو مكشوف العورة وقد تذهب عليه أوقات الصلاة وهو لم يصل ويعتذرون عنه بأنه مخرب على نفسه (وقد) رأيت بعض الفقراء الصلحاء رحل الى زيارة شخص من هذا الجنس نحو ثلاثة أيام أو أربعة حتى اجتمع به وهو عريان ليس عليه شيء يستره وبين يديه بعض قضاة البلد ورؤسائها وهذا أمر شنيع في الدين وقلة حياء من عمل الذنوب وارتكاب مخالفة السنة وترك الفرائض اذ ان كشف العورة محرم وكذلك النظر اليها واخراج الصلاة عن وقتها محرم اتفاقا فتكون محرمات جملة وهذا انما هو تمثيل ما والا فالمفاسد التي تعتورهم في ذلك أكثر من أن تحصر أو ترجع الى قانون معروف في الغالب فينبغي لطالب العلم بل يتعين عليه أن تكون السنة عنده أعظم مطلوب ويغار عليها ان تغيرت معالمها بأن ينسب اليها ما ليس منها فاذا تعارض لطالب العلم المحافظة على السنة وزيارة من يخالف شيئا منها فالترك لزيارته متعين عليه ولا يجوز له غير ذلك وتحسين الظن به مخالف مع عدم الاجتماع به وأما مع الاجتماع فقد يضيق عليه التأويل ويخاف عليه أن يخل بجانب السنة أو بعضها فالهرب الهرب من الاجتماع بشخص يحتاج أن يعتذر عنه أو يتأول له (وهذا) أمر قد عمت به البلوى في هذا الزمان وكثرت الطرق واختلفت الاحوال وتشعبت السبل ولو قلت لأحدهم مثلا السنة كذا وكذا قابلك بما لا يليق

الأرض بوابل المطر فتنشرح بهم الصدور الصابة وتهون برؤيتهم الأمور
الصعبة إذ هم وقوف على باب الكريم المنان فلا يرد قاصدهم ولا يخيب
مجالسهم ولا معارفهم ولا محبهم إذ هم باب الله المفتوح لعباده ومن كان
كذلك فتتعين المبادرة إلى رؤيتهم واغتنام بركتهم ولأنه برؤية بعض هؤلاء
يحصل له من الفهم والحفظ وغيرهما ما قد يعجز الوصف عن وصفه
ولأجل هذا المعنى ترى كثيرا ممن اتصف بذلك له البركة العظيمة في علمه وفي
حاله فلا يخلي نفسه من هذا الخير العظيم لكن بشرط أن يكون محافظا على
اتباع السنة في ذلك كله (فليحذر) أن يزور أحدا من أهل البدع وممن
لا خطر له في الدين إلا بالتمويه وبعض الإشارات والعبارات مع أنه قد قل في
هذا الزمان من يضطر إلى ذلك من المدعين بل قد تجد بعض من ينتسب إلى
العلم يقعد بين يدي بعض من يدعي الفقر والولاية وهو مكشوف العورة وقد
تذهب عليه أوقات الصلاة وهو لم يصل ويعتذرون عنه بأنه مجذوب عن نفسه
(وقد) رأيت بعض الفقراء الصلحاء رحل إلى زيارة شخص من هذا الجنس
نحو ثلاثة أيام أو أربعة حتى اجتمع به وهو عريان ليس عليه شيء يستره وبين
يديه بعض قضاة البلد ورؤسائها وهذا أمر شنيع في الدين وقلة حياء من عمل
الذنوب وارتكاب لمخالفة السنة وترك للأمر إذ أن كشف العورة محرم
وكذلك النظر إليها وإخراج الصلاة عن وقتها محرم اتفاقا فارتكب من
محرمات جملة وهذا أقله وتقليله وإلا فالمفاسد التي تعتورهم في ذلك أكثر
من أن تحصر أو ترجع إلى قانون معروف في الغالب فينبغي لطالب العلم
بل يتعين عليه أن تكون السنة عنده أعظم مطلوب ويغار عليها أن تغيرت
معالمها أو أن ينسب إليها ما ليس منها فإذا تعارض لطالب العلم المحافظة على
السنة وزيارة من يخالف شيئا منها فالترك لزيارته متعين عليه ولا يجوز له
غير ذلك ويحسن الظن به بخلاف مع عدم الاجتماع به وأما مع الاجتماع فقد
يضيق عليه التأويل ويخاف عليه أن يميل بجانب السنة أو ببعضها فالهرب
الهرب من الاجتماع بشخص يحتاج أن يعتذر عنه أو يتأول له (وهذا) أمر
قد عمت به البلوى في هذا الزمان وكثرت الطرق واختلفت الأحوال
وتشعبت السبل ولو قلت لأحدهم مثلا السنة كذا وكذا قابلك بما لا يليق

فيقول كان شيخي يفعل كذا وكذا وما هذا طريق شيخي وكان شيخي يقول كذا وكذا ويصادم بذلك كله السنة الواضحة والطريقة الناجحة (ياليتهم) لو وقفوا عند هذا الحد لو كان سائغا بل زادوا على ذلك الامر المخوف وهو ما بلغني ممن أثق به ان بعض من ينسب الى العلم تكلم في مسئلة ونقل فيها عن بعض شيوخه نقلا تأباه الشريعة فقال له بعض من حضره حديث النبي صلى الله عليه وسلم يرد هذا فأجابه بأن قال حديث النبي صلى الله عليه وسلم انما يراد للتبرك والشيوخ هم الذين يقتدى بهم وهذا ان كان معتقدا لما قاله كان كافرا حلال الدم وان لم يعتقده فهو مرتكب الكبيرة عظمى يجب عليه ان يتوب منها مع الادب الموجع (وبعضهم) يفعل فعلا قبيحا شنيعا وهو ما احدثوه من اعتقاد بعض النسوة وزيارتهن وهن على ما يعلم من قلة العلم بالسنة المطهرة بل عدم ذلك في أكثرهن سيما اذا انضاف اليه ما يفعله بعض من يتسمى بالشيخة من الذكر جماعة بأصوات النسوة وفي أصواتهن من العورات ما لا ينحصر بسبب ترخيم أصواتهن وندائها سيما وبعض الشيخات على زعمهن من شعارهن لباس الصوف ان تابت على يدها ودخلت في طريقتها (وقد سئل) مالك رحمه الله عن لباس الصوف للرجال فقال لا خير في الشهرة ومن غليظ القطن ما هو في مثل ثمنه وأبعد من الشهرة اه (فاذا كان) الامر على هذا في حق الرجال فما بالك به في حق النساء بل لباس ذلك لهن مثلة وشهرة وفيه تشبه بنساء النصارى في كنائسهن أعني في لباسهن الصوف والتخلي عن الازواج وذلك كله ضد مراد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول جهاد المرأة حسن التبعل انتهى ومن حسن التبعل لبس الحسن من الثياب والتحلي والتزين لزوجها (فاذا) علم ذلك تحصل منه ان فاعل هذا مصادم للسنة مخالف لها فينبغي زجره وهجره فكيف يعتقد وانت ترى كثيرا من الناس ممن له رياسة وممن ليست له رياسة يتحدثون بفضائل من هذا حالها ويثنون عليها بذلك ويطرزون بذكرها مجالسهم ويزورونها في بيتها او يستعملون خطاهم الى زيارتها او تأتي هي اليهم ويعظمونها ويكرمونها ومن لا يلبس الصوف من الشيخات لهن عورات أخرا كثر واشنع يطول تتبعها مما تتنزه الالسن عن ذكرها والاقلام

عن كتمها (وقد) قال عليه الصلاة والسلام اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء قيل بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل يكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط (وقد) قال عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم ومريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وعائشة انتهى (وقد) قال صاحب الانوار رحمه الله احذروا الاغترار بالنساء وان كن نساء كالصالحات فانهن يركن الى كل بلية ولا يستوحشن من كل فتنة (وقد) قال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه ونفعنا به ليس للنساء نصيب فى الاسلام (والرجل) الصالح فى هذا الزمان فى الغالب انما شعاره لزوم بيته لقوله عليه الصلاة والسلام عند ظهور الفتن كن حلسا من أحلاس بيتك انتهى فكيف تخرج المراة التى لم يشرع لها الخروج الا لضرورة وقد تقدمت واعتقاد الشيخات يستدعى خروج ربات الخدور وغيرهن وفى خروجهن من الفتنة ما قد علم (ولا) يظن ظان ان هذا الكلام يشعر بأنه ليس فى النساء صالحات ولا عابدات وانما وقع الكلام على الغالب من أحوالهن والنادر لا حكم له (ثم) العجب العجب فى اعتقاد بعضهن فى هؤلاء الشيخات من النسوة وهن كما قد علم فى هذا الزمان لا يحضرن لموضع يعملن فيه الا بعد اطلاقهن من ضامنة المغانى فمفاسد مركبة على مفسدة عظيمة (ثم) العجب أيضا من بعض الرجال ممن له الحشمة او المشيخة يتورعون عن سماع المغانى ويعوضون عن ذلك الشيخة المتقدم ذكرها فتجىء بعد اطلاقها من الضامنة ومعها جوقتها ويرفعن عقيرتهن بالقراءة والذكر جماعة وقد تقدم ما فى القراءة والذكر جماعة للرجال (فان) لم يكن من فعل السلف الماضين رضوان الله عليهم أجمعين وانكر مالك ذلك فى حق الرجال وان ذلك بدعة ممن يفعله فما بالك به فى حق النساء وفى أصواتهن من النداوة والترخيم والفتنة ما قد علم (ألا ترى) الى قول مالك رحمه الله تعالى فى كلام المتجالة أما التى كلامها أحلى من الرطب فلا انتهى يعنى انه ممنوع وان كانت متجالة فكيف به فى الشابة وقد قال الشافعى رحمه الله تعالى ما من ساقطة الا ولها لاقطة (وسبب) هذه المفاسد كلها قراءة الرجال جماعة

وذكرهم جماعة فجر ذلك الى هذا المحرم الذى يفعله النسوة فى الفرح والمولد وغيرهما وزدن على ذلك قيامهن يرقصن ويعيطن وتأخذهن الاحوال على زعمهن وفى رقصهن من العورات مالاخفاء فيه من وقوع الفتن وفساد القلوب والتشويش على من فيه دين أو خير مّا فانا لله وانا اليه راجعون على خسف القلوب واتباع الهوى واستعمال العوائد الرديئة وقلة الحياء من عمل الذنوب وقلب الحقائق وانقلاب المقاصد وترك الالتفات للمفاسد ولا يمكن حصرها ولا عدها فاللبيب من ترك هذا كله اذ أن العالم الذى عنده يحرمه ويأمره بتغييره فان لم يقدر فأقل ما يمكن فى حقه التغيير بالقلب وأقل ما يمكن فى التغيير بالقلب أن لا يشهد هذه المواضع ولا يترك أحدا يشهدها ولا يرضى بفعلها ولا يذكرها سيما بحضرته بل يعيب ذلك ويبين أمر الشرع فيه (وقد) روى الامام أبو الحسن رزين رحمه الله فى كتابه عن حذيفة وابن مسعود رضى الله عنهما انهما قالا لا يكن أحدكم امعة يقول أنا مع الناس ان أحسن الناس احسنت وان أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا الا تظلموا انتهى (واذا) كان ذلك كذلك فلا ينبغى له أن يزهد فى زيارة الاكابر والاولياء والصالحين اذ أنهم معروفون بسيماهم (قال) الله تعالى فى كتابه العزيز تعرفهم بسيماهم (وقال) تعالى سيماهم فى وجوههم (وقال) عليه الصلاة والسلام رب اشعث أغبر مدفوع بالابواب لا يؤبه له لو اقسم على الله لأبرّه انتهى (فان) خفى على طالب العلم أمر أحد ممن يراه فلينظر فى تصرفه فان كان على السنة فليشد يده عليه وان واقع غير ذلك فليهرب منه فانه لص (وقد) حكى عن بعض السلف رضى الله عنه أنه أثنى عنده على شخص كان فى وقته فخرج هو ومن أثنى عليه الى زيارته ودخلا المسجد الذى كان يصلى فيه فلم يجداه فجلسا ينتظرانه فلما ان جاء ودخل المسجد تنخم وبصق فيه فخرج هذا السيد ولم يسلم عليه وخرج معه الشخص الذى كان أثنى عليه فقال له لم خرجت ولم تسلم عليه فقال له اذا كان انسان لم يأتمنه الله على أدب من آداب الشريعة فكيف يأتمنه على سر من أسراره (ونقلت) من القوت هكذا ينبغى أن تكون المحافظة على السنة وترفيعها وتعظيم قدرها اذ أنها أول باب فى الخير وهى آخره فشديدك

قوله امعة بكسر الهمزة وفتح الميم مشددة اه

عليها

علمها ان كنت من أهلها أسأل الله الكريم أن لا يحرمنا ذلك بمنه آمين بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم والحمد لله رب العالمين

(فصل فى الاشتغال بالعلم يوم الجمعة) وينبغى لطالب العلم أن يكون مواظبا على الاشتغال به فان الترك مضر ولو قل (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله ينقل عن شيخه أبى الحسن الزيات ما معناه اذا ترك الطالب الاشتغال يوما كأنه ترك سنة وان تركه يومين كأنه ترك سنتين وان تركه ثلاثا لايجىء منه شئ انتهى وما قاله بين ألا ترى ان الكاتب خطه فى يوم الخميس أحسن منه فى يوم السبت وما ذلك الا لترك الكتب يوم الجمعة (واذا) كان ذلك كذلك فلا ينبغى أن يترك الاشتغال الا لضرورة شرعية تتعين عليه (فان) كان يوم جمعة فلا ينبغى له أن يترك الاشتغال فيه لانه يوم فضل عظيم فينبغى له أن يبادر الى أفضل الاعمال فيعملها فيه وأفضل الاعمال طلب العلم كما تقدم لكن ان اشتغل بذلك فى أول النهار قد يخشى أن يفوته بسببه شئ من وظائف الجمعة مثل الغسل وقص الشارب والاظافر وغير ذلك واذا كان ذلك كذلك فينبغى له أن يكون اشتغاله بعد انصرافه من صلاة الجمعة فيحضر مجالس العلم فى الجامع أو غيره (وأعنى) بمجالس العلم المجالس الذى يذكر فيه الحلال والحرام واتباع السلف رضى الله عنهم لا مجالس القصاص والوعاظ اذ أن ذلك بدعة (وقد) سئل مالك رحمه الله عن الجلوس الى القصاص فقال ما أرى أن يجلس اليهم وان القصص لبدعة (قال) ابن رشد رحمه الله كراهة القصص معلوم من مذهب مالك رحمه الله (روى) عن يحيى ابن يحيى قال خرج معنا فتى من طرابلس الى المدينة فكنا لا ننزل منزلا الا وعظنا فيه حتى بلغنا المدينة فكنا نعجب من ذلك منه فلما أتينا المدينة اذ هو قد أراد أن يفعل بهم ما كان يفعل بنا فرأيته فى سماط أصحاب التيقظ وهو قائم يحدثهم وقد لهوا عنه والصبيان يحصبونه ويقولون له اسكت يا جاهل فوقفت متعجبا مما رأيت فدخلنا على مالك رحمه الله تعالى فكان أول شئ سألناه عنه بعد أن سلمنا عليه ما رأيناه من الفتى فقال مالك أصاب الرجال اذ لهوا عنه وأصاب الصبيان اذ أنكروا عليه باطله (وقال) يحيى وسمعت مالكا يكره القصص فقيل له يا أبا عبد الله فاذا تكره مثل هذا فعلام كان

يجتمع من مضى فقال على الفقه وكان يأمرهم وينهاهم انتهى (وقول) مالك رحمه الله أصاب الرجال اذ لهوا عنه وأصاب الصبيان اذ أنكروا عليه باطله المغصوب فعل الرجال لكون الصبيان قد كفوهم مؤنة التغيير فلو لم يغير الصبيان لبادروا الى التغيير (ومن) كتاب الجامع للشيخ أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله وأنكر مالك القصص في المسجد (وقد) قال تميم الداري لعمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني أدعو الله وأقص وأذكر الناس فقال عمر لا فأعاد عليه فقال أنت تريد تقول أنا تميم الداري فاعرفوني (وقال) الامام الطرطوشي قال مالك ونهيت ابا قدامة أن يقوم بعد الصلاة فيقول افعلوا كذا وكذا (وقال) أبو ادريس لأن أرى في ناحية المسجد نارا تأجج أحب الى من أن أرى في ناحيته قاصا يقص (قال) علماؤنا رحمة الله عليهم لم يقص في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ولا في زمان أبي بكر ولا في زمان عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص (ولما) دخل على رضي الله عنه مسجد البصرة أخرج القصاص منه وقال لا يقص في المسجد حتى انتهى الى الحسن البصري في علوم الاعمال فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه (وجاء) ابن عمر الى مجلسه من المسجد فوجد قاصا يقص فوجه الى صاحب الشرطة ان أخرجه من المسجد فأخرجه (وقيل) لابن سيرين لو قصصت على اخوانك فقال قد قيل لا يتكلم على الناس الا أميرا ومأمورا وأحمق ولست بأمير ولا مأمور وأكره ان أكون الثالث انتهى (وقد) روى أبو داود في سننه عن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقص الا أميرا ومأمورا ومختال انتهى (وقال) الطرطوشي أيضا قال أبو عمرو رأيت يسارا أبا الحكم يستاك على باب المسجد وقاصا يقص في المسجد فقلت له يا أبا الحكم الناس ينظرون اليك فقال الذي أنا فيه خير مما هم فيه أنا في سنة وهم في بدعة (ولما) ان دخل سليمان بن مهران الاعمش البصرة نظر الى قاص يقص في المسجد فقال حدثنا الاعمش عن أبي اسحق عن أبي وائل قال فتوسط الاعمش الحلقة وجعل ينتف شعر ابطه فقال له القاص يا شيخ الا تستحي نحن في علم وأنت تفعل مثل هذا فقال له الاعمش الذي أنا فيه خير من الذي أنت فيه قال كيف فقال لاني في سنة وأنت في

كذب أنا الاعمش وما حدثتك بمائة ولا شيئا فلما سمع الناس ذكر الاعمش انفضوا عن القاص واجتمعوا حوله وقالوا حدثنا يا أبا محمد (وقال) أحمد بن حنبل أكذب الناس القصاص والسؤال وما أحوج الناس الى قاص صدوق لانهم يذكرون الموت وعذاب القبر قيل له أكنت تحضر مجالسهم قال لا (وقال) الامام أبو طالب المكي رحمه الله فى كتابه وحضور الرجل مجالس الذكر أفضل من صلاته وصلاته أفضل من حضوره مجالس القصاص (وروينا) من حديث أبى ذر رضى الله عنه حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وفى الخبر لأن يتعلم أحدكم بابا من العلم أو يعلمه خير له من صلاة ألف ركعة (وفى خبر) قيل يارسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بعلم فالصلاة اذا عدم مجالس العلم بالله والتفقه فى دين الله أزكى من حضور مجالس القصص ومن الاستماع الى القصاص فان القصص كان عندهم بدعة وكانوا يخرجون القصاص (وعن) الفضل بن مهران قال قلت ليحيى بن معين أخ لى يقعد الى القصاص قال انهه قلت لا يقبل قال عظه قلت لا يقبل قال اهجره قلت نعم قال فأتيت أحمد بن حنبل فذكرت له نحو ذلك فقال قل له يقرأ فى المصحف ويذكر الله فى نفسه ويطلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فان لم يفعل قال بل ان شاء الله قلت فان لم يقبل أهجره قال فتبسم وسكت انتهى (وكذلك) لا يحضر الكتب التى تقرأ وفيها الاحاديث المشكلة على السامع فى الظاهر وليس ثم من يبين أحكامها ومعناها ويحل مشكلها ولو كان ثم من يحل المشكل فيشترط أن يكون صوته يعم من حضر المجلس كما يعمهم صوت القارى لانه اذا لم يعمهم فالغالب ان بعضهم يقوم وعنده الريبة فى اعتقاده (ومن العتبية) سئل مالك رحمه الله عن الحديث فى جنازة سعد بن معاذ فى اهتزاز العرش وعن حديث ان الله خلق آدم على صورته وعن الحديث فى الساق فقال رحمه الله لا يتحدثن به وما يدعو الانسان أن يتحدث به وهو يرى ما فيه من التغرير قال ابن القاسم لا ينبغى ان يتقى الله ويخافه أن يحدث بمثل هذا قيل له فالحديث ان الله تبارك وتعالى يضحك فلم يره من هذا وأجازه انتهى (قال) ابن رشد رحمه الله حديث سعد بن معاذ فى اهتزاز العرش الذى أشار اليه هو

ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اهتز العرش لموت سعد بن معاذ وانه قال اهتزله عرش الرحمن وما روى من ان أمه بكت وصاحت لما أخرجت جنازته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ايرقأ دمعك ويذهب حزنك فان ولدك أول من ضحك الله عز وجل له واهتز له العرش وما روى من ان جبريل عليه السلام جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذا العبد الصالح الذى مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سعد بن معاذ قدمات (والحديث) فى الساق الذى أشار اليه هو ما روى انه سبحانه يتجلى للخلق فيقول من تعبدون فيقولون ربنا فيقول وهل تعرفون ربكم فيقولون اذا تعرف الينا سبحانه عرفناه قال فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن الا خرلله سبحانه وتعالى ساجدا (وانما) نهى مالك رحمه الله أن يتحدث بهذين الحديثين وبالحديث الذى جاء ان الله خلق آدم على صورته ونحوه من الاحاديث لان ظاهرها يقتضى التشبيه (وسبيلها) اذا صحت الروايات بها ان تتأول على مايصح مما ينتفى به التشبيه عن الله عز وجل بشئ من خلقه (كما) يصنع بما جاء فى القرآن مما يقتضى ظاهره التشبيه وهو كثير كالاتيان فى قوله عز وجل هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة والمجىء فى قوله عز وجل وجاء ربك والملك صفا صفا انتهى (وذلك) يحتمل وجهين (احدهما) ان يكون المراد بقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله أى عذابه ونقمته ان كفر به والحد فى آياته وكذلك المعنى فى قوله وجاء ربك (الوجه الثانى) أن يكون المراد الظهور اذ لا فرق بين الدنيا والآخرة بالنسبة اليه سبحانه وتعالى وانما الحجاب منا فاذا كشف سبحانه وتعالى الحجاب عنا ظهر لنا سبحانه وتعالى من غير حد ولا تكييف جل جلاله عن الصورة والكيفية (قال) ابن رشد رحمه الله والاستواء فى قوله تعالى ثم استوى على العرش معناه استولى قاله الواحدى وقيل معناه القهر والغلبة تقول العرب استوى زيد على أرض كذا أى ملكهم وقهرهم قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

ولما ان كان العرش أعظم المخلوقات المهولة اكتفى بذكره عما دونه اذ ان

ما دونه تبع له وفى حكمه (قال) ابن رشد رحمه الله كما يفعل أيضا بما جاء من ذلك فى السنن المتواترة كالضحك والنزول وشبه ذلك مما لم تكره روايتها لتواتر الآثار بها اه (أما الضحك) فهو عبارة عما يصدر من المتصف بذلك منا من الرضى والاحسان (وأما النزول) فقد تقدم بيانه (قال) ابن رشد رحمه الله لان سبيلها كلها فى اقتضاء ظاهرها التشبيه وامكان تأويلها كلها على ما ينتفى به تشبيه الله عز وجل بشئ من خلقه (وأقربها) كلها أن عرش الرحمن قد اهتز لموت سعد لان العرش خلق من خلق الله عز وجل فلا تستحيل عليه الحركة والاهتزاز واضافته الى الله تعالى انما هو بمعنى التشريف له كما يقال بيت الله وحرمه لا انه محل له وموضع لاستقراره اذ ليس فى مكان فقد كان قبل أن يخلق المكان فلا يلحقه عز وجل باهتزاز عرشه ما يلحق من اهتز عرشه من المخلوقين وهو جالس عليه من تحركه بحركته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (ويحتمل) أن يكون الكلام مجازا فيكون المراد بتحريك العرش حركة حملته استبشارا وفرحا بقدوم روحه وهذا جائز فى كلام العرب أن يقال اهتز المجلس بقدوم فلان عليه أى اهتز أهله لقدومه مثل قوله عز وجل واسأل القرية يريد أهلها ومثل قول النبى صلى الله عليه وسلم أحد هذا جبل يحبنا ونحبه أى يحبنا أهله ونحبهم (وأما حديث الساق) فلم يضف الساق فيها الى أحد ومعناه عن شدة لان مثل هذا الكلام مستعمل فى اللغة على معنى شدة الامر كما قال الشاعر * وقامت الحرب على ساق * وقال ابن عباس فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق أى عن شدة من الامر وقال الحسن فى قوله تعالى والتفت الساق بالساق أى التفت ساق الدنيا بساق الآخرة وقال الضحاك معناه أمر الدنيا بامر الآخرة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اعمال الدنيا بمحاسبة الاخرة وذلك أمر عظيم (وأما) قوله ان الله خلق آدم على صورته فانه حديث يروى على وجهين أحدهما ان الله خلق آدم على صورته والثانى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فاما رواية ان الله خلق آدم على صورته فلا خلاف بين أهل النقل فى صحتها لاشتهار نقلها من غير منكر لها ولا طاعن فيها (وأما) الرواية الأخرى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فمن مصحح لها ومن طاعن فيها وأكثر أهل النقل

على انكار ذلك وعلى انه غلط وقع من طريق التأويل لبعض النقلة توهم ان الهاء ترجع الى الله تعالى فنقل الحديث بمعناه (فأما) الرواية المحفوظة فهي ان الله خلق آدم على صورته والهاء عائدة على رجل مر النبي صلى الله عليه وسلم عليه وابوه أو مولاه يضرب وجهه لطما ويقول قبح الله وجهك فقال اذا ضرب أحدكم عبده فليتق الوجه فان الله خلق آدم على صورته وقد روى انه سمعه يقول قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فزجره النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله ذلك وأعلمه انه قد سب آدم لأنه مخلوق على صفته ومن دونه من الانبياء أيضا (ومنها) ان الكناية في قوله على صورته ترجع الى آدم عليه السلام ولذلك ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون معنى الحديث وفائدته الاعلام بأن الله لم يشوه خلقه حين أهبط الى الارض (والثاني) أن يكون معناه وفائدته ابطال قول أهل الزيغ الذين يقولون انه لا انسان الا من نطفة ولا نطفة الا من انسان ولا دجاجة الا من بيضة ولا بيضة الا من دجاجة لا الى أول (والثالث) معناه وفائدته ابطال قول أهل الزيغ والمنجمين الذين يزعمون أن الاشياء بتأثير العنصر والفلك والليل والنهار فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث ان الله تعالى هو المنفرد بخلق آدم على ما كان عليه من الصورة والتركيب والهيئة لم يشاركه في شيء من ذلك فعل طبع ولا تأثير فلك وخص آدم بالذكر من سائر المخلوقات لانه أشرفها فاذا كان الله هو المنفرد بخلقه دون مشاركة فعل طبع أو تأثير فلك فولده ومن سواهم على حكمه كذلك (وقد) قيل في ذلك وجه رابع وهو أن فائدة الحديث تكذيب القدرية فيما زعمت من ان صفات آدم منها ما خلقها الله تعالى ومنها ما خلقها آدم عليه السلام لنفسه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم وان الله خلق آدم على جميع صورته وصفته ومعانيه وأعراضه وهذا كما تقول عرفني هذا الامر على صورته اذا أردت أن تعرفه على الاستيفاء والاستقصاء دون الاستثناء (وأما) الرواية الثانية التي جاءت وهي ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فقد ذكرنا ان اكثر أهل النقل لا يصحح الرواية بذلك وان الراوي ساق الحديث على ما ظنه من معناه وعلى تقدير الصحة فتكون الاضافة اضافة تشريف على طريق التنويه بذكر المضاف

وذلك

وذلك نحو قوله تعالى ناقة الله وسقياها فانها اضافة تخصيص وتشريف تفيد التحذير والردع من التعرض لها ومن ذلك قوله عز وجل ونفخت فيه من روحي وقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقول الناس الكعبة بيت الله والمساجد بيوت الله فشرفت صورة آدم من أجل ان الله اخترعها وخلقها على غير مثال سبق انتهى ومن ذلك ما خرجه مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة تبارك وتعالى فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك وينزوي بعضها الى بعض (ذكر) العلماء في معناه وجوها عدة (فمنها) ان الكفر عند العرب يسمى قدما والنار موعودة بهم فان لم تحصل لهم في جوفها بقيت لها وفقة عليهم كما هي الام حين تفقد أولادها فاذا حصلوا في جوفها تقول قط قط أي حسبي حسبي لانها قد أخذت أولادها قال الله تعالى في كتابه العزيز فأمه هاوية والهاوية اسم لاحدى طبقات النار أعاذنا الله من جميع دركاتها بنور وجهه الكريم انه ولي ذلك والقادر عليه (الوجه الثاني) ان ذلك محمول على ما يفهم عندنا من ان الشئ الحقير التافه الذي لا يبالي به يدحرج بالقدم اما من جهة الغضب عليه واما من جهة الحقارة له كما الامر في ضد ذلك وهو أن الاشياء الرفيعة والطاهرة تتناول باليمين ويشهد لذلك ما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث يقول في الحجر الاسود يمين الله في الارض وهو حجر مرئي محسوس فهذا دليل واضح على انه لم يرد الجارحة وانما أراد المادة فيما يصدر من جهة اليمين كما سبق ألا ترى ان الحجر الاسود يشهد للامس يوم القيامة ومن شهد له رحم وغفر له فضد ذلك في ذكر القدم سواء بسواء اذ انه سبحانه تعالى عن الصورة والكيفية الى غير ذلك من الوجوه (وقد) حصل بما تقدم ذكره من المثال في الآي والاحاديث التي ظاهرها الاشكال على من يعرف العلم والمحامل التي تحمل عليها مقنع وكفاية (واذا كان) ذلك كذلك فالامر فيه على ثلاثة أقسام (القسم الاول) وهو الاولى والاحسن بل الذي لا ينبغي ان يعرج عنه هو الرجوع الى قول مالك رحمه الله من انه لا يحدث بهذه الاحاديث خيفة منه رحمه الله على الضعفاء أن

يدخلهم شيء من الفتنة في عقيدتهم فكيف بقية أذلك على رءوس العوام والنساء حضور يسمعن فالغالب والحالة هذه أنهم يدخلون وهم مؤمنون فيخرجون وهم مفتتنون (القسم الثاني) انه ان كان ولابد من ذكر الاحاديث التي توقع في القلب معنى من التشبيه فلابد من شيخ عارف عالم بالسنة ومعاني ما احتوى عليه كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون مع ذلك جهير الصوت يسمعه القريب والبعيد فيحل مشكلها ويبين معناها وينبغي على هذا التعليل أن يكون الشيخ جالسا على موضع مرتفع عنهم ليعمهم صوته الجميع كما تقدم بخلاف ماهم يفعلون في هذا الزمان فان القاري يجلس على كرسي فيعم صوته الجميع في الغالب والشيخ جالس على الارض وصوته خفي فلا يعرف ماقال الا من كان قريبا منه (القسم الثالث) انه ان عدم هذا القسم الثاني فتمنع قراءة الكتب والمواعيد التي تفعل فان فعلها أحد أدب على ذلك وزجر وأخرج من المسجد (واذا كان) الامر كذلك فطالب العلم قدوة فاذا رآه أحد من العوام يحضر هذا المجلس يقتدى به في حضوره فقد يجلس فيه وهو مؤمن فيقوم وعنده شك وريب في اعتقاده كما تقدم فيكون طالب العلم يحذر من هذا وأشباهه (هذا) وجه في الكراهة (ووجه ثان) وهو أن العلماء قد كرهوا ترك الشغل يوم الجمعة وأن يخص يوم الجمعة بذلك خيفة من التشبه باليهود في السبت وبالنصارى في الاحد كما تقدم فيحذر من هذا كله (قال) مالك رحمه الله كان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكرهون أن يترك العمل يوم الجمعة لئلا يصنعوا فيه كما صنعت اليهود والنصارى في السبت والاحد (قال) ابن رشد رحمه الله وهذا المروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بمخالفة أهل الكتاب وينهى عن التشبه بهم (روى) عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ألحدوا ولا تشقوا فان اللحد لنا والشق لغيرنا أى لاهل الكتاب (وانه) قال فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور ومثل هذا كثير

(فصل في تحفظ طالب العلم من العمل على المناصب أو التشوف اليها)

قد تقدم رحمنا الله واياك انه لا ينبغي له أن يطلب التدريس ولا أن يعمل عليه حتى يطلب له ويجده على وجهه السائغ شرعا من غير أن يدل هو

عليه

عليه لان ذلك يدخل عليه الخلل فى نيته المتقدم ذكرها (واذا كان) ذلك كذلك فى أخذ الدرس فمن باب الاولى والاحرى فى الاحكام بل ذلك فى الاحكام أشد (الماوردى) فى الحديث من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين انتهى (ومن ذلك) ماذكره مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان صبيين جاءاه يتخايران فى خطيهما فنظر فى الخطين ثم قال لولا انه حكم لفات ان أحدهما أحسن من الآخر ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الحاكم ويداه مغلولتان الى عنقه لا يفكهما الا عدله وأنا أكره أن احشر مغلول اليدين أوكما قال (ولم) يزل السلف رضى الله عنهم أجمعين يهربون منه الهرب الكلى حتى قد حكى عن بعضهم انه تواله فى الظاهر حتى رفع عنه ذلك (وقد) جرى للامام أبى حنيفة رحمه الله حين طلب للقضاء فقال انى لا أصلح فقيل له لابد من ذلك فقال لهم هذا لا يحل لكم قالوا لم قال لانى بين أحد امرين اما أن اكون صادقا فيما قلته فلا يحل لكم ان تولوا من لا يصلح وان كنت كاذبا فلا يحل لكم أن تولوا كاذبا فتركوه (وحكاياتهم) فى هذا اكثر من أن تحصر واشهر من أن تذكر وكانوا يعدون تولية القضاء من الابتلاء ويستعيذون من ذلك حتى انهم قد يحذرون بعض من تولى من معارفهم (وقد جرى) لسيدى الشيخ أبى الحسن الزيات رحمه الله تعالى لما ان طلب للقضاء ماقد ذكر (وقد جرى) لسيدى أبى محمد رحمه الله تعالى فى افريقية لما ان طلب للقضاء وأجبر عليه طلب منهم ان يجعلوا من بين يديه من الرجال لاستخلاص الحقوق الشرعية مايقوم بكفايتهم من بيت المال قالوا ولم ذلك قال لان على السلطان أن يوصل لكل ذى حق حقه وليس على صاحب الحق ان يعطى من حقه شيئا وهذه المسئلة منصوصة فى المذهب قد ذكرها ابن رشد رحمه الله تعالى فى البيان والتحصيل له فلما ان طلب منهم ذلك عملوا حساب مايخرج منهم فوجدوه مالا كثيرا فشحوا باخراجه فتركوه (وقد قال) بعضهم ينبغى لمن ولى اى خطة ان ينظر الى نفسه فى يوم عزله منها ولا ينظر الى يوم توليته اه وماذاك الا لانه اذا نظر الى يوم توليته هلك فى الغالب الا من عصم الله وقليل ماهم واذا نظر الى يوم عزله سلم فى الغالب (وقد) جرى بمدينة فاس ان السلطان جبر الشيخ الجليل أبا

عبد الله بن عمران على القضاء فاستشار بعض الاكابر فاختلفوا عليه فقال له بعضهم لا تتول وان توقعت الموت وقال له آخرون ان توقعت الموت تول واحكم بالعدل وهم يعزلونك فسمع من الثاني فتولى وحكم بالعدل فلم يبق الا اياما يسيرة وعزلوه في حكاية يطول ذكرها (فيتعين) عليه الهرب الكلي من الولاية واسبابها اذ انها احتوت سيما في هذا الزمان على حظوظ النفوس من الرياسة الموجودة فيها الا ترى ان المال الذي هو معلق بالقلوب في الغالب يبذل في المناصب ولا تبذل المناصب فيه فدل ذلك على انه اعظم ولاجل هذا قال بعض الاكابر الزهد في الرياسة افضل واعظم من الف زهد في المال (وليحذر) من ان يميل الى خاطر النفس والعوائد الرديئة والالزام المعينة للشيطان عليه فقد تسول له نفسه او احد ممن ذكر انه من الصنف الذين يتعين عليهم الولاية الشرعية فيقع بالقضاء في القضاء الا ترى ان ذلك آفة عليه عاجلة لانه يقطع عليه ما هو بصدده من الاشتغال لكثرة الاشتغال ان كان شابا اذ انه يحرم عليه اذا جاءه الخصمان ان يشتغل بمطالعة المسائل او غيرها (ويتعين) عليه اذ ذاك ترك الضرورات كلها الا ما استثنى شرعا (لما ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لا يقضي القاضي وهو غضبان اه وعداه الفقهاء الى غير ذلك وان كان ذا سن فاشد من الاول لما تقدم ذكره من انهم كانوا اذا بلغ احدهم الاربعين طوى الفراش واعتزل عن الناس وتبتل للعبادة وترك الاشتغال بالعلم اذ ذاك فما بالك بالدخول في القضاء وهذا هو الغالب فيه اعني ان القضاء لا يجيء للانسان الا بعد الطعن في السن حين توقع هجوم الموت عليه غالبا لما جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث يقول معترك منايا امتي ما بين الستين الى السبعين (ويكفي) من التنفير عنه ما حكي ان بعض القضاة كان اذا جلس للاحكام جلس الى جانبه رجل اسود الوجه ابيض البدن فكان اذا اراد ان يفصل الحكم بين الخصمين نظر الى وجهه ثم يفصل الحكم بعد ذلك فسئل عن موجب ذلك فقال اسألوه فسألوه فاخبرهم انه كان ينبش القبور فمات قاضي البلد قال فذهبت اليه ليلا فنبشت عليه حتى وصلت اليه وجئت آخذ الكفن واذا بشخصين قد دخلا فرعبت منهما فرجعت في ناحية من القبر فقال احدهما

للآخر تقدّم فجاء الى قدميه فشمهما فقال هاتان قدمان ماعصتا الله قط فقال له تقدم فجاء الى فرجه فشمه فقال هذا فرج ماعصى الله قط فقال له تقدّم فجاء الى بطنه فشمها فقال هذه بطن ما اكلت الحرام قط فقال له تقدم فجاء الى يديه فشمهما وقال هاتان يدان ماعصتا الله قط فقال له تقدم فجاء الى فيه فشمه وقال هذا اللسان ماعصى الله قط فقال له تقدم فجاء الى عينيه فشمهما فقال هاتان عينان ماعصتا الله قط فقال له تقدم فجاء الى أذنيه فشمهما فسكت فقال له مابالك فقال له هاتان أذنان جاءه يوما خصمان فأصغى الى احدهما اكثر من الآخر فارتفعا يضربانه فهربت فحصل لى هذا من هوى القمة فأصبح وجهى كما ترون اه (فانظر) رحمنا الله واياك الى هذه الحكاية ماأعجبها فأين الحاكم الذى يكون على مثل ماكان عليه هذا السيد هو والله أعز شئ يكون ومن له عقل ينظر الى كل موضع يضطر فيه الى الصبر فيهرب منه لان البشرية فى الغالب عاجزة عن الصبر فان وقع فيه من غير أن يختاره و يضطر اليه فالاستغاثة اذ ذاك بربه لعل أن يصبره على ما ابتلاه به فيعده من باب الابتلاء فاذا فعل ذلك يرجى له ان يعان وان يسلم من الآفات المنوطة به يشهد لذلك ماورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لاتسأل الامارة فانك اذا أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان أعطيتها عن غير مسئلة أعنت عليها وقد قال عليه الصلاة والسلام انا لانولى أمرنا هذا من طلبه اه (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى الغالب من احوال الناس اليوم فى تولية المناصب والعمل عليها بل يبذل بعضنا المال فى تحصيلها فأى نسبة بين هذا الحال و بين ماتقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام انا لانولى أمرنا هذا من طلبه وقوله عليه الصلاة والسلام لاتسأل الامارة الحديث فاذا تقرر ذلك تبين به قبح تعاطيهم لذلك (فان) زعم بعضهم انه يتعين عليه البذل فى ذلك لما يراه من ان فيه اهلية للمنصب دون غيره (فالجواب) عنه من وجهين (الاول) ان فى هذا تزكية للنفس وقد نهى الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك (الثانى) ان التعرض للاحكام فيه اشغال الذمة بأمر لايعلم هل يتخلص منه أم لا وخلاص الذمّة متعين (فان احتج) بما حكاه الله تعالى فى كتابه عن نبيه يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم حيث قال اجعلنى على خزائن الارض

انى حفيظ عليم (فلا) حجة له فيه لان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون وليس كذلك غيرهم (ألا ترى) الى ما احتوت عليه قصة نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام حيث طلب ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وذلك منه عليه الصلاة والسلام على سبيل الرحمة والشفقة على غيره لما أعلمه الله تعالى من أنه لا يكون فى الانبياء بعده نبى ملك فلما ان علم صلى الله عليه وسلم ذلك خاف على غيره ان أعطى ذلك يهلك بسببه وهو عليه الصلاة والسلام قد أمن ذلك من جهة عصمته هذا وجه (الوجه الثانى) ان نبى الله يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم لما ان علم أنه سيقع بالناس شدة وغلاء خاف عليهم ان تولى غيره ذلك أن يهلكوا هلاك استئصال فاشفق عليهم من ذلك فطلب ما طلب (الثالث) انه عليه الصلاة والسلام خشى عليهم أن يقصروا فى حقه والتقصير فى حق الانبياء كفر اذ أنه رسول من رب العالمين قال الله عز وجل فى كتابه العزيز ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات (واذا كان) ذلك كذلك فلا يحتج به على طلب الولاية وقد قال بعضهم لا أعدل بالسلامة شيئا والسلامة غالبا انما تقع فى ترك الولايات فكيف تبذل فيها الاموال لا جرم انه لما رجع الامر فيها الى بذل الاموال صار يطلبها من ليس فيه أهلية لها ولا يعرف الاحكام فضاعت أمور المسلمين بسبب طلبها ودخول الاموال فيها وصارت التولية لمن لا يستحقها (فاذا) فهم ذلك فيتعين الهرب من الولاية مهما أمكن والعمل على البراءة منها وهو أبرأ للذمة وأخلص من التبعات عاجلا وآجلا ولو لم يكن فيها الا التفرقة عن الاشتغال بالعلم والاقبال عليه والانقطاع الى الله تعالى ان كان بعد الاربعين كما تقدم (وهذه) مسئلة قد عمت بها البلوى فى هذا الزمان بسبب الاقتداء بفتوى من وهم وألحق الرشوة التى هى من باب السحت والحرام بباب الجعالة وألحاقها بباب الجعالة لا يجوز لفقد شروط الجعالة فيها اذ أن الجعالة عند العلماء لها شروط أربعة أحدها أن يكون الجعل معلوما والثانى أن لا ينقده والثالث أن لا يكون فيه منفعة للجاعل الا بتمامه والرابع أن لا يضرب للعمل المجعول فيه أجل فتى انخرم احد هذه الشروط لم تجز وقد فقد فى الرشوة أكثر هذه الشروط (ومن) كتاب القوت كان ابن عباس رضى الله عنه

يقول ويل للعالم من الاتباع يزل الزلة فتحمل عنه في الآفاق (وقال آخر) زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق الخلق اه (ولاحجة) لمن يقول ان التحريم انما هو في حق الآخذ للرشوة ليس الا لان المعطي قد تسبب في وقوع أخيه المسلم في هذا المحرم فصار شريكا له في اثم ذلك (وقد ورد) ان الظلمة يحشرون وأعوانهم حتى من مد لهم مدة فاذا كان من مد لهم مدة يحشر معهم فما بالك بمن أخذ مالا من أخيه المسلم على شئ هو مأمور بأن ينفعه به من غير عوض (وقد روى) أبو داود في سننه عن أبي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شفع لأحد شفاعة فاهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا (ومن) كتاب التفسير للامام أبي عبد الله محمد بن ظفر الحموي رحمه الله تعالى لما أن تكلم على قوله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت قال الحسن هم حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يأتيهم برشوة (وقال) عمر رضي الله عنه رشوة الحاكم من السحت (وقال) ابن مسعود من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمة فاهدى اليه هدية فقبلها فذلك السحت فقيل له كنا نرى ان السحت الرشوة في القضاء فقال ذلك الكفر وتلا قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وانما أراد أن من أكل الرشوة في القضاء أكل السحت وكفر (وروى) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن الراشي والمرتشي والرائش فالرائش هو الذي يرشي المرتشي من مال الراشي فيأخذ له الرشوة منه فكل مال كسبه ذو الوجاهة عند السلطان من ذوي الحوائج اليه بجاهه فهو عند مالك رحمه الله سحت والقضاء فيه ان يرد الى أصحابه فان لم يعلموا ارتجعه السلطان الى بيت مال المسلمين (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هدايا العمال من السحت (وقال) عمر رضي الله عنه هدايا الامراء غلول اه

(فصل في العدالة) فاذا تقرر ما ذكر من الهرب من المناصب فآكدها الهرب من العدالة وترك التشوف اليها اذ أن الخطر فيها أعظم مما تقدم في القضاء اذ أن القاضي ليس له أمر ولا نهي في الغالب الا بشهادتهم فكأنه أسيرهم لانه بحسب ما قالوه حكم فهم الباعثون له على الحكم وآمروه ما

متشعبة مشغلة من الاشتغال بالعلم وغيره فى الغالب حتى انه قد يضيع بعضهم حاله لاجلها وفيها من المفاسد أشياء عديدة فى هذا الزمان لا يمكن تتبعها لان ذلك يطول وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام انا لا نولى أمرنا هذا من طلبه اه (فعلى) هذا كل من طلب العدالة فهو قدح فى عدالته سيما فى هذا الزمان خصوصا لما احتوت عليه من الامور القطيعة ولو لم يكن فيها من القبائح الا ما أحدثوه من بذل المال فيها وان كان ذلك ليس خاصا بها بل هى وغيرها من المناصب الدينية رجعت الى بذل المال والاستعانة معه بمن لا يرضى حاله فى الشرع الشريف فكان ذلك سببا قويا فى أن يأخذ المناصب من لا يستحقها ويحرمها من يستحقها فى الغالب فآل الامر فى ذلك الى أشياء فظيعة من ابطال الانكحة والعقود وغير ذلك من أمور المسلمين اذ أن الربط والحل انما هو بالعدول لكن أكثر العدول فى هذا الزمان حالهم معلوم فلا حاجة الى شرحه ولاجل هذا المعنى كثرت شهادات الزور اذ أنه لو اخذ العدالة وغيرها من المناصب الدينية أهلها لقلت المفاسد بل تعدم بالكلية (وقد) ذكرت لبعض المباركين شخصا وأثنيت عليه عنده وقلت له ان والده يطلب له العدالة فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هو الآن عدل كيف يجرحون فقلت له العدالة تجريح فقال نعم فى هذا الزمان ترك العدالة هى العدالة (وما) ذكره بين (الا ترى) الى حال بعضهم فى المكتوب اذا كتبه يطلب عليه ما لا يستحقه ويتشاح فى ذلك ولسان العلم ينعه (اذ) أن الجالس لا يخلو حاله من أربع مراتب (أولها) وهى أعلاها أن يجلس لقضاء حوائج المسلمين والتفريج عنهم وارشادهم وتصحيح عقودهم طالبا بذلك الثواب من الله تعالى لا لدنيا يصيبها ولا لثناء وغيره امتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه اه فاذا اعطى شيئا تبرم منه واغلظ على فاعله وهذا عزيز الوجود فان وجد كان ما يفعله من ذلك افضل من صلاته النافلة فى بيته وانقطاعه للتعبد اذ انه خير متعد لاخوانه المسلمين ولا يختلف ان النفع المتعدى افضل من القاصر على المرء نفسه بشرط السلامة من الآفات التى تعتوره فى ذلك (المرتبة الثانية) ان يجلس للشهادة فاذا جاءه شغل اخذ

عليه أجرة نسخه للورقة أو أقل منه ليس الا فان زاده على ذلك شيئا رده عليه ولم يقبله وهذا قريب من المرتبة الاولى فى عزة وجوده (وقد) كان سيدى أبو عبد الله بن عمران رحمه الله تعالى بمدينة فاس جالسا فى العدول وجاءه انسان فكتب عنده حجة وأعطاه درهما فرده عليه وقال لا أستحقه فقال له ماعندى غير الدرهم فقال لا آخذ مالا أستحقه فقال له فكم نعطيك قال ربع درهم قال ماعندى ربع قال هات أربعة من البيض ثم جاءه مرة أخرى لاداء الشهادة فنزل من دكانه لادائها فأعطاه شيئا فانتهره وزجره وقال تطعمون الناس الحرام ومع هذا الحال من التحرز والاحتياط لدينه تبرم من ذلك وقام من المجلس وانعزل فى بيته فعلى منواله فانسج ان أردت الخلاص (المرتبة الثالثة) أن يجلس فاذا جاءه شغل عمله ولا يطلب عليه شيئا فان أعطاه قليلا رضى به وان أعطاه كثيرا عن طيب نفس منه لم يرده وهذه المرتبة أدنى من المرتبتين المتقدمتين مع كونها جائزة شرعا وقد قل وجودها فى هذا الوقت (المرتبة الرابعة) مايتعاطونه فى هذا الزمان وهو محرم اتفاقا وهو أن يطلب الشاهد مالا يستحقه ويمنع الحجة لاجله حتى يأخذ أكثر من ذلك حتى أدى الامر الى أن يترك بعض الناس الاشهاد على حقوقه لاجل الاجحاف به وخوفا من اعانتهم على أكل الحرام (وأقبح) من هذا انه اذا طلب من بعضهم أو أكثرهم اليوم أداء الشهادة عند الاضطرار اليها يتناساها كأنه لا يعلمها حتى اذا أعطى شيئا تذكرها اذ ذاك من غير ارتياب (سيما) فى صدقات النساء يفعل بعضهم فيها فعلا قبيحا وهو أن يمسك الصداق عنده فاذا طلب منه يقول حتى أفتش فلا يزال يماطل حتى اذا اضطرت المرأة اليه بموت زوجها أو طلاقه اياها أو تطلب حقها المذكور فى صداقها فيطلب منها اذ ذاك مايختاره وان كانت ضعيفة الحال وخشيت منه أيضا ان كان الصداق عندها أن تقضى ماتريده عند غيره (وكذلك) يفعلون بالمباراة وأفعالهم من هذا وماشا كله أقبح من أن تذكر وتنزه الكتب عن ذكرها والاقلام عن كتبها (وقد) ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح المرء مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا اه ولاشك ان من أخذ مالا يستحقه فقد باع

دينه بعرض من الدنيا (فان) قال قائل قد يضطر طالب العلم الى العدالة والجلوس لاجل العائلة ومايعتوره من الضرورات الشرعية لقلة ذات يده مما يحوجه الى ذلك (فالجواب) ما تقدم قبل هذا وهو ان ما كان من أمور الدين لا تستؤكل به الدنيا فمن اضطر الى ذلك فله فى غيره من الاسباب الشرعية اتساع وهى كثيرة متعددة وأمور الدين والآخرة بمعزل عن أسباب الدنيا فلاضرورة تدعو الى التسبب فى العدالة والجلوس لما ذكر اللهم الا أن يدخل عليه ذلك من غير ان يقصده ويجلس بقصد أحد الوجوه الثلاثة المتقدم ذكرها فلا بأس اذن ويرجى له أنه فى طاعة لضرورة الناس اليه وضرورته شرعية (تنبيه) وليحذر اذا جلس أن يفعل ماجرت به عادة بعض أهل الوقت وهو ما يسقط العدالة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن السرف وعن اضاعة المال ولاشك ان كتب الصداق فى خرقة الحرير من باب السرف واضاعة المال وان كانت المرأة يجوز لها لبس الحرير والتحلى بالذهب لكن فيما يكون لبسا وتحليا شرعيا وأما الصداق فمن باب الفخر والخيلاء والمباهاة والمخالفة وقريب من هذا كتبهم لذلك فى النصافى وان كان مباحا لبسه للرجال والنساء وهذا ليس بلبس والسرف فيه موجود وذلك منهى عنه كما تقدم ولهم فى الرق وغيره من المباح اتساع (ثم) كذلك يحذر من هذه البدعة الاخرى وهو ان يكتب سطرا أو سطرين ثم يترك بياضا خارجا عن العادة فهو أيضا من باب اضاعة المال والسرف والخيلاء وان كان فى رق أو ورق ولو لم يكن فيه الا مخالفة السلف الماضين رضى الله عنهم لكان فعلهم لذلك قبيحا فكيف به مع مصادمة النصوص الشرعية المانعة من السرف (تنبيه آخر) وليحذر ان يحضر كتب صداق فى موضع مفروش بحرير على ما يفعلونه فى الغالب أو يجلس على حرير أو يستند اليه أو الى وسادة مطرزة بحرير على ما يفعلونه فى هذا الوقت من وسع الطراز بالحرير وقد تقدم القدر الذى يباح ويتسامح فى اباحته من الحرير للرجال (وكذلك) يمتنع من الدخول تحت السقف المذهب ومن المواضع التى فيها تماثيل أو صور ممنوعة شرعا (وكذلك) لا يجوز ان يحضر الكتب فى موضع فيه منكر بين أو مع من يتعاطى ذلك جهرا مثل أن يكون ثم شرب خمر أو مغان على ما يعلم من حضورهن بآلات الطرب وكشف الوجوه

والمعاصم أو يكون ثم نساء متبرجات سواء اختلطن بالرجال أم لا (وكذلك) لا يحضره وضعا فيه مغاني الرجال بالآلات الممنوعة المتقدم ذكرها وان كان مكروها دونها ولا في مكان تحضره الشيخة على الصفة المتقدم ذكرها (وكذلك) يتعين على من هو منسوب الى الخير والصلاح والعلم أو أحدها أن لا يجيب الى موضع فيه شيء مما ذكر وما أشبهه فان ذلك قدح في خيره وصلاحه وعلمه لانه يجب عليه تغيير ذلك وأقل ما يمكن في حقه من التغيير أن لا يجيب لموضع فيه شيء من ذلك بعد أن يعرفهم أن امتناعه من أجل كذا وكذا فان ذلك كله ممنوع شرعا وان كان هذا في حق الناس كلهم ممنوعا في النكاح وغيره لكن في حق العدل آكد لانه اذا حضر شيئا من هذا وما شاكله ترتب عليه مفسدتان عظيمتان احداهما وهي أشدهما سقوط عدالته في نفسه واذا سقطت عدالته بطلت العقود التي يشهد فيها ان كان النصاب لم يكمل الا به والثانية أنه قدوة فيقع العوام بسبب تعاطيه ذلك في اعتقاد جوازه في الشرع فيكون ذلك سببا للاحداث في الدين بزيادة ما ليس منه فيدخل تحت ذم الشرع حيث قال ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء اه وهذا أمر قد تساهل فيه أكثرهم اليوم وفيه من الخطر ما تقدم ذكره (تنبيه آخر) وكذلك يحترز الشاهد على نفسه مما اعتاده بعضهم في هذا الزمان وهو أن القاضي اذا أشهد على نفسه في امضاء الحكم قام الشهود له اذ ذاك وانحنوا حتى يقرب بعضهم من الركوع الممنوع لغير الله تعالى وتكلموا مع ذلك بألفاظ مفخمة ممنوعة في الشرع لما فيها من التزكية والتملق بالباطل ولا شك أن ذلك الفعل قدح فيمن فعل ذلك وفيمن رضي به (وكذلك) يحترز من قيامه عند مطاس القاضي ومن تشميته بألفاظهم التي اعتادوها اليوم ولم ترد في الشرع (وقد) وقع بهذا الذي ذكر التنبيه بالاقل على الاكثر وبالاصغر على الاكبر فليتنبه لذلك من يتنبه والله تعالى يوفقنا واياك لما فيه رضاه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم *(تنبيه آخر)* وينبغي له اذا جاءه الخصمان ليشهد عليهما بتقييد ألفاظهما وما أشبه ذلك مما يقع بينهما حين المشاجرة أو الرجل وزوجته يريدان الفراق أن يكسر على كل واحد

قوله ان يكسر الخ ملخصه كما في القاموس محاولة تسوية الحمل على البعير اهـ

منهما مهما أمكنه ويشير عليهما بالصلح جهده ويذكر لهما ما في الصلح من الخير والبركة (قال) الله تعالى في كتابه العزيز لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس (وقال) الله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير (فلا) يجعل الشاهد عليهما بالشهادة الا بعد الاياس من صلحهما ويرى ان الفرقة خير لهما والشهادة أوجب عليهما لما يراه من حسم باب النزاع بينهما ويخبرهما بما في التقاطع والتدابر من الآثام فاذا فعل ذلك كان له الثواب الجزيل لامتثال الكتاب والسنة في ذلك وفيه ترك الاستشراف لما في أيدي الناس من الحطام وبه تحصل البركة (لما) ورد في الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (وقد) أدركت بعض الشهود بمدينة فاس اذا جاءهم من ذكر من المتخاصمين لا يعملون عليهم بالاشهاد حتى ييأسوا من صلحهم كما تقدم وكان لهم مع ذلك الخير والبركة ولم يكن لهم سبب غير ما هم فيه ثم مع ذلك كان حالهم أجل حال في اليسار والسعة فظهرت عليهم بركات الامتثال لما قاله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم اذ البركة هي المقصودة فاذا حصلت فلا يلتفت الى الاسباب قلت أو كثرت (ولاجل) ترك النظر الى هذا المعنى كثرت اليوم الاشغال والشهادات وامحقت البركات سيما ان حصلت شهادته على ما يفعلونه اليوم من هذه الصفة المذمومة في التحليل فانها كالترياق المجرب قد علمت بالعادة الماضية فيه وهو أن من فعل ذلك وتمالأه من الزوجين والولي والشهود سلط عليه الفقر ولاجل هذا تجد الواحد منهم يحصل له عليه في اليوم جملة من الفضة ومع ذلك حاله ضيق وتجد عليه الدين ويشتكي بالفقر والفاقة الكثيرة وهذا حال الكثير منهم كل ذلك سببه الاستشراف كما تقدم ذمه في الحديث (فان) قال قائل ان الشاهد اذا فعل ما ذكرتموه يقل عليه الشغل وقد ينعدم في أكثر الاوقات فيضيع حاله وحال عياله (فالجواب) ان الشغل القليل مع امتثال السنة أبرك من الكثير مع مخالفتها بل ما مع المخالفة بركة أصلا (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ان تموت نفس

حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب اه (فارشد) عليه الصلاة والسلام لما فيه صلاح أمته دينا ودنيا فمن حاول الراحة فى غيره فقد رام شططا وتعب وأتعب (فليحذر) العاقل من هذا الامر فانه خطر (ثم) مع تنزهه عن الاشغال الكثيرة يحصل له البركة وفراغ السر وقد يجد السبيل الى المطالعة والدرس وهو فى دكانه بخلاف حاله مع كثرة الاشغال المكروهة شرعا فان البركة تمحق منها ويتعوق بها عن الاشتغال بالعلم وقد تقدم ان الاشتغال بالعلم أفضل الاعمال وأزكاها وأبركها فليشد على ذلك يده لانه لاشئ أبرك مما هو فيه (الاترى) الى ما فى الحديث الذى خرجه صاحب الحلية وصححه السمرقندى رحمه الله تعالى فى فضل العلم والثناء على حامله وبركته والتنويه بقدره (وهو) ماروى عن معاذ يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل أهل الجنة والانس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والمعين على الضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة تقتفى آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى الى رأيهم ترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى الحيتان فى البحر وهوامه وسباع الطير وأنعامه لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصباح الابصار من الظلمة بالعلم تبلغ منازل الاخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته القيام وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء اه

(فصل فى آداب العالم والمتعلم فى بيته مع أهله) قد تقدم انهما قدوة للمقتدى فاذا فعلت زوجة أحدهما شيئا نسب ذلك الشرع وصارحجة فى الدين غالبا فيتعين على كل منهما أن يتحفظ على تصرف أهله كما يحفظ على تصرفه فى نفسه كما تقدم (وقد) ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال النساء شقائق الرجال يعنى فى امتثال الاوامر والنواهى (فاذا) تقرر هذا فقد تقدم ما فى النعوت من الذم فى حق النساء والرجال وما فى قيام

الرجال بعضهم لبعض من الذم وقيام المرأة للمرأة أشنع اذ أنها عورة وحركتها
زيادة في ظهور العورة لأن في قيامها يرى منها ما لا حاجة تدعو الى رؤيته
(وبالجملة) فان القيام في حقها أشد من قيام الرجل وان كان ذلك ممنوعا له
الا فيما استثنى كما تقدم (وليحذر) أن يفاحشها (وقد) منع مالك رحمه الله
تعالى من ذلك في حق غير العالم والمتعلم فكيف به في حقهم الائمة القدوة
(قال) ابن رشد رحمه الله انما كره مالك رحمه الله ذلك لانه لم يكن من عمل
الناس اهـ وله في الانبساط بما يجوز شرعا اتساع فلا ضرورة تدعو الى غيره
(وليحذر) ان تتزين زوجته بالذهب والفضة في غير ما أبيح لها اذ أن الشرع
انما أجاز لهن لباس الحرير والتحلي بالذهب على أبدانهن (واذا كان) ذلك
كذلك فلا يجوز له أن يتركها تتخذ المكحلة أو الميل أو المرآة من ذهب أو فضة
اذ أن ذلك ليس بزينة شرعية (وكذلك) يمنعها مما عمت به البلوى في هذا الزمان
حتى صار كأنه شعيرة بينهم وهو أن الزوجة لا تدخل على زوجها في الغالب
الا بثلاث دكك دكة فضة ودكتي نحاس ابيض واصفر وهذا لا قائل به من
المسلمين أعني ما كان من ذلك فضة اذ أن ذلك محرم على الرجال والنساء وان
كان قد اختلف في اتخاذ الاناء الصغير للمرأة لكنه قول لا يعول عليه وهو آثم
في فعله وادخاره وتجب الزكاة عليه كل سنة تمضي عليه (ويتعين على الزوج أو
الولي أن يمنع ما احدثه النساء من تزيينهن للحواجب بما يمنع وصول الماء الى
البشرة سيما ان كان نجسا اذ أن ذلك محرم اتفاقا (وأما) النقش والتكتيب
فلا شك في منعه لانه نجس وحائل ويزيد على ما ذكر بكشف العورة لاجله
اذ أن المرأة الحرة كلها عورة الا وجهها وكفيها (واختلف) في حالها مع
النساء مثلها من المسلمات فقيل كالرجل مع المرأة الاجنبية وقيل كالرجل
مع الرجل وفيه من التشويه أعني في النقش والتكتيب انهن يغيرن به
البدن ويكسبه ذلك خشونة وذلك مما ينغص على الرجل في الاستمتاع وقد
يؤول ذلك الى وقوع البغضاء بينهما وان غفلت المرأة عن نفسها قليلا بقي
بدنها كأنه ضرب بالسياط والغالب ان بدنها يدمى فتزيد النجاسة ويكثر ضد
مراد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في التباعد عنها وأما هي فالغالب انها
تقاسي من ذلك شدة حتى تبرأ فاذا برئت بقي اثره في بدنها حفرا حفرا بعد أن

كان مستورا محجوبا سالما من العيوب (وليحذر) من هذه البدعة التي اتخذها
بعض النساء في الغالب وهي انها اذا ارادت الخروج لبست احسن ثيابها
وتزينت وتعطرت ولبست من الحلي ماقدرت عليه من سوار وخلخال
وتضيف الى ذلك فعلا قبيحا شنيعا وهو أن تجعل الخلخال فوق السراويل
لكي يظهر وقد تضرب برجلها في الغالب فيسمع له حس وهذا خلاف
مانطق به الكتاب العزيز حيث يقول سبحانه وتعالى ولا يبدين زينتهن
الا ماظهر منها الى قوله تعالى ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن
(وكذلك) مايفعلنه من لبس هذا الازار الرفيع الذي لو جعل على عود لافتتن
بعض الرجال في الغالب بحسن منظره وصقالته ورقة قماشه وقد تقدم ان
السنة في حق المرأة اذا أرادت الخروج ان تلبس حشيف ثيابها ومع ذلك
فالسنة في حقها ان تجر مرطها خلفها سائر وامن شبرالى ذراع وان تمشي مع
الجدران وتترك وسط الطريق وهذا في حق سائر الناس (واما) في حق العالم
والمتعلم فيجل حالهما ان يرضيا بشئ من ذلك وقد تقدم انهما قدوة للمقتدين
فاذا رأى احد زوجة العالم أو المتعلم تعمل شيئا مما ذكر ينسب ذلك الى
الشرع كما تقدم وهذه مفسدة عظيمة فكيف تنسب الى من له علم معاذ الله
(وقد) تقدم أن المرأة لها ثلاث خرجات فان كان ولابد من الزيادة على هذه
الثلاث فليكن على ماينبغي من لسان الشرع في ذلك (وبعلمها) السنة في
الخروج وفي الاقامة في بيتها اذ انها اذا كانت في بيتها فيستحب لها ان تفعل
ماتقدم انها تفعله في خروجها لقوله عليه الصلاة والسلام جهاد المرأة حسن
التبعل ومن حسن التبعل التزين والتحلي والتعطر في بيتها لزوجها مع حسن
الخلق والتأني له ولها في ذلك اسوة بالسلف والخلف الماضين رضي الله عنهم
أجمعين (وكذلك) يحذر من هذه البدعة التي اعتادها بعضهم من انهم
ينامون في ثيابهم والسنة الفراش والتجريد من الثياب المعهود لا ربعين
على ما تقدم (وقد) جاء في الحديث على ما ذكره مسلم ماهو صريح في الدلالة
على التجريد والفراش (وفيه) عن عائشة رضي الله عنها انها قامت من
فراشها قالت فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت ازاري الى ان قال
فان جبريل عليه السلام اتاني حين رأيت فناداني فاخفيته منك ولم يكن

يدخل عليك وقد وضعت ثيابك (وليحذر) من هذه البدعة الاخرى التى يفعلها بعضهم وهى قبيحة مستهجنة وهى ان الزوجة اذا جاءت الى الفراش تأخذ شيئا يعطيه لها زوجها فى الغالب غير نفقتها بحسب حاله وحالها تحت الفراش على ما يزعمن وهذا منكر بين (وقد) وقع بمدينة فاس انهم أحدثوا ان الرجل اذا دخل على زوجته يعطى فضة عند حل السراويل فبلغ ذلك العلماء فقالوا هو شبيه بالزنا ومنعوه وهذا انما كان فى أول ليلة فما بالك به فى كل ليلة (وليحذر) من هذه البدعة الاخرى بل المحرم وهو ان الرجل يغفل عن زوجته فى الغالب ولا يسألها عن صلاتها ولا عما يلزمها فى الشرع وذلك محرم لقوله عليه الصلاة والسلام والرجل راع فى بيته وهو مسؤل عن رعيته فهو مسؤل عن صلاتها وقد تقدمت حكاية سيدى أبى محمد رحمه الله مع أهله والغالب فى هذا الزمان ان الرجل يراعى حق نفسه اذا كانت له عناية بدينه فيطأ ويخرج الى الحمام ويترك أهله وهن جنب وليس عندهن موضع للغسل ولا آلة تعين عليه وقد يستحى بعضهن وهو الغالب أن يخرجن الى الحمام فى كل أوان فكان ذلك سببا لترك الصلاة وهو يعتقد انه برىء الذمة من جهة أهله فى تركهن الصلاة وليس الامر كذلك وان امرهن بها أمرا مطلقا اذ لا يفكر لهن فى تحصيل الغسل من غير مضرة تلحقهن والغالب ان ترك صلاة الزوجة انما هو من جهته لا من جهتها وقد يجتمعان فى الغالب أعنى الغفلة عنها وايثارها لترك الصلاة وقد يكون لها فى البيت ما يمكنها الغسل فيه لكن تستحى من العائلة التى فى البيت أن تغتسل وهم يشعرون بها فتترك الصلاة لاجل ذلك وهذا كله من المحرمات المتفق عليها ولا حياء فى الدين وانما هى عوائد جرت واستحكمت وصار يستحى فى الغالب من فعل الواجبات ولا يستحى من فعل المحرمات عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه (والعجب) من أكثرهم ان الواحد منهم يشترى الدار بالالاف أو يبنيها ابتداء ثم يتوضأ فى طشت ولا يعمل موضعا للوضوء فضلا عن موضع الغسل وما ذاك الا لاجل العوائد الرديئة المستهجنة القبيحة وهو انهم لا فكرة لهم فى الغالب الا فى صلاح دنياهم وما كان من امر الدين فلا يفكرون فيه حتى يفجأهم ان كانوا متقين فى هذا الزمان فان أصابت الجنابة بعض

المتحفظين منهم على دينه خرج الى الحمام وترك أهله كما تقدم وفي الحمام من
كشف العورات ومالا يجوز أشياء متعددة (وكذلك) نجد بعضهم يعطي في
صداق المرأة المئين أو الآلاف ولا يعد موضعا للغسل بشيء يسير من ذلك
وكذلك المرأة تساعده على ترك ذلك فكأنهم اصطلحوا على فعل الاسباب التي
تترك الصلاة لاجلها والصلاة لا تسقط بشيء من ذلك لاجرم أن التوفيق بينهما
قل أن يقع وان دامت الالفة بينهما فعلى دخن وان قدر بينهما مولود فالغالب
عليه ان نشأ العقوق وارتكاب مالا ينبغي كل ذلك بسبب ترك مراعاة ما يجب
من حق الله تعالى منهما معا (وقد) تقدم ان المرأة لو طلبت من القاضي أن
يعمل لها زوجها موضعا للغسل يحكم لها بذلك عليه (ألا ترى) ان مالكا رحمه
الله لما ان سئل عن الغسل من ماء الحمام فقيل له أيما أحب اليك الغسل من ماء
الحمام أو الغسل بالماء البارد فقال والله ما دخول الحمام بصواب فكيف
يغتسل من مائه (فهذا) دليل واضح على ان غسلهم كان في بيوتهم بل ان
أهل الحجاز ما كانوا يعرفون الحمام (ألا ترى) الى ما رواه أبو داود في سننه عن
عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ستفتح لكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها
الرجال الا بازار وامنعوها النساء الا مريضة أو نفساء (وروى) أبو داود
والترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
الرجال والنساء عن دخول الحمام قالت ثم رخص للرجال أن يدخلوه بالمئزر
(وقال) دخل على عائشة نسوة من نساء أهل الشام فقالت لعلكن من
الكورة التي يدخل نساؤها الحمامات قلن نعم قالت أما اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها الا هتكت
ما بينها وبين الله تعالى من حجاب (وروى) أبو داود عن جابر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا
يدخل الحمام بغير ازار ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته
الحمام الا من عذر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة
يدار عليها الخمر اه (وقد) كان سيدي أبو محمد المرجاني رحمه الله كثيرا ما
يحافظ على ما نحن بسبيله وذلك انه كان اذا عزم عليه أحد من المعتقدين له أن

يدخل بيته سأله هل عندك حمام في بيتك أم لا فان قال نعم مضى اليه وان قال لا امتنع من المضي اليه فكان ذلك سببا الى تيسير الطهارة على كل من عرفه في الغالب (وقد) قال الامام القرشي رحمه الله اذا أراد الله بعبد خيرا يسر عليه أسباب الطهارة ولا شك ان من كان في بيته موضع للغسل والوضوء فقد تيسرت عليه الطهارة اذ أن ذلك من أعظم أسباب التيسير لها

(فصل في دخول المرأة الحمام) وينبغي له أن لا يأذن لزوجته في دخول الحمام لما اشتمل عليه في هذا الزمان من المفاسد الدينية والعوائد الرديئة لان علماءنا رحمة الله عليهم اختلفوا في المرأة مع المرأة هل حكمها حكم الرجل مع الرجل أو حكم الرجل مع المرأة الاجنبية أو حكم الرجل مع ذوات محارمه وهن قد تركن ذلك كله وخرقن اجماع الامة بدخولهن الحمامات باديات العورات وان قدرنا ان امرأة منهن سترت من سرتها الى ركبتها عبن ذلك عليها وأسمعنها من الكلام ما لا ينبغي حتى تزيل السترة عنها ثم ينضاف الى ذلك محرم آخر وهو أن اليهودية والنصرانية لا يجوز لها أن ترى بدن الحرة المسلمة وهن يجتمعن في الحمامات مسلمات ونصرانيات ويهوديات فيكشف بعضهن على عورات بعض فكيف يأذن أحد لأهله في دخولها فان قال انه يأخذ لاهله الخلوة فما ذكر من المفاسد لا تذهب الخلوة اذ أنهن حين الدخول فيها والخروج منها والجلوس في المقطع يكشفن على عورات غيرهن ويكشف عليهن اللهم الا أن تكون الخلوة خارجة عن الحمام فكأنها حمام مستقل بنفسه فهذا جائز بشرط أن يكون كل من دخل يستتر السترة الشرعية ولا يمكن البلانة من الدخول على أهله وهي منكشفة حتى تستتر السترة الشرعية فهذا للضرورة لا بأس به (وكذلك) لو أخلى لاهله الحمام بليل واستترن فلا بأس اذن على ما تقدم في الخلوة لكن لا أعدل بالسلامة شيئا اذ أن الغسل في البيت فيه ستر حصين وسد لباب الذريعة الى المفاسد ألا ترى ان الواحدة منهن اذا ارادت الحمام استصحبت معها أنفر ثيابها وأنفس حليها فتلبسه حين فراغها من الغسل في الحمام حتى يراها غيرها فتقع بذلك المفاخرة والمباهاة وقل ان تقنع المرأة التي ترى ذلك على غيرها من

المقطع الحوض الذي ملئ نصفه ثم قطع عنه الماء اه

زوجها الابمثل ذلك أو مايقاربه وقد لايكون لزوجها قدرة على ذلك فتنشأ
المفاسد وربما كان ذلك سببا للفراق أو الاقامة على شنآن بينهما طول المدة
هذا حال غالبهن وذلك ضد مقصود الشرع الشريف في الالفة والودّ الذي
جعله الله تعالى بين الزوجين بقوله عزوجل في كتابه العزيز ومن آياته أن
خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة وفي
دخول الحمام مفاسد جملة وفيما ذكر غنية عن ذكر باقيها وهي بينة عند المتأمل
ان عرض ذلك على لسان العلم فيتبين له مافيه من القبح (فان) قال مثلا الغسل
في البيت يصعب عليه (فقد) تقدم انه لو انفق في خلوة يعملها في البيت من
بعض مايعطي من الصداق او من ثمن الملك لانسدت هذه الثلمة (فلو) قال
ايضا ان الغسل في البيت لايكون كالحمام سيما في ايام البرد (فالجواب) ان
ايام البرد يمكن المرأة ان تستغني فيها عن الغسل بالسدر وماشاكله اذ أن
ايام البرد لايجتمع فيها الوسخ ولا الغبار كثيرا فاذا فرغت ايام البرد كان
الغسل في البيت في الموضع المهيأ له لامشقة فيه ويكفيها في تلك المدة انها
تغتسل من الحيض كما تغتسل من الجنابة لكن بشرط ان يعلم زوجته سرعة
الغسل فان ذلك آمن مما يتوقع من الضرر بها وذلك من السنة الماضية (الا
ترى) الى ماخرجه البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقيمت الصلاة عليه
يوما فسوى الناس صفوفهم ثم ذكر انه جنب فقال على رسلكم ثم دخل بيته
وخرج وراسه يقطر ماء فصلى بهم فهذا دليل واضح على سرعة غسله صلى الله
عليه وسلم اذ أنه عليه الصلاة والسلام ارحم الخلق بامته واشفقهم عليها فلو
كان زمان الغسل فيه طول لامرهم بالجلوس حين ذكرها وقد يكون فيهم
الضعيف والشيخ الكبير ولنا في فعله صلى الله عليه وسلم اسوة (وكذلك)
يعلمها اذا اغتسلت في البيت ان تترك راسها مغطى لاتكشفه حتى اذا جاءت
الى غسله كشفته وخللت شعر راسها وافاضت الماء عليه ثم نشفته في الوقت
وغطته ثم بعد ذلك تغسل سائر بدنها وانما يامرها بذلك خيفة ان يصيبها في
راسها الم ان تركته مكشوفا حتى تفرغ من غسل جميع بدنها ولها ان تترك
راسها مغطى حتى تفرغ من غسل جميع بدنها ثم تغسل راسها على ماتقدم
ذكره وليس في ذلك الا ترك الترتيب فيه وهو في الغسل ليس بواجب ولو كان

المغتسل به ألم فى رأسه لا يقدر على كشفه رجلا كان أو امرأة فانه يغسل جميع بدنه ويتيمم على رأسه من غير حائل فلو كان يضره المسح عليه مسح على العمامة أو الخمار ويجزيه ذلك مادام به الاذى وكذلك ان كان الالم فى غير رأسه وليس عليه تيمم عند مالك رحمه الله ومذهب الشافعى رحمه الله يجمع بين الغسل والتيمم ولو كان لا يقدر على استعمال الماء فى شئ من بدنه لمرض به أو جرح أو لما يخشى أن ينزل به من مرض فله أن يتيمم وان طال به ذلك (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم فى المرأة اذا طهرت من حيضتها وهى فى سفر مع زوجها ولم يكن معهما من الماء ما يكفيهما لغسلهما من الجنابة بعد غسلها من حيضتها فليس لزوجها أن يطأها بعد الغسل من حيضتها حتى يكون معهما من الماء ما يكفيهما اللهم الا أن يطول السفر بهما مع عدم الماء فيجوز لزوجها أن يطأها ويتيمما من جنابتهما (وكذلك) فيما نحن بسبيله ان كانت المدة قصيرة لا يتضرر بها الزوج فلا يجوز له وطؤها لعجزها عن استعمال الماء وان طالت المدة وأضر ذلك بالزوج فذلك جائز (وقد) قال عليه الصلاة والسلام الصعيد وضوء المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين فاذا وجده فليمسه بدنه أو كما قال عليه الصلاة والسلام ولا فرق بين أن يعدم الماء أو يتعذر عليه استعماله بوجه من الوجوه الشرعية والله الموفق وهذا كله جار على الامتثال (واذا كان) ذلك كذلك فلا عذر له فى دخول الحمام على الصفة المذمومة شرعا (فلو) قال مثلا الغالب على الناس عدم الجدة والسكنى بالكراء فلا يتأتى لاكثرهم عمل موضع فى البيت للاغتسال فيه (فالجواب) ان الغالب فى البيوت ان يكون فيها خزانة أو موضع كنين فيتخذه للغسل فيجعل فيه اناء يقعد فيه مثل الماجور وغيره والمقصود أن من كان همه صلاح دينه عمل الحيلة فى صلاحه ودرأ المفاسد عنه وهذا متعين عليه والله أعلم

(فصل فى تعليم الزوجة أحكام الغسل وما تحتاج اليه فيه) ويتعين على الزوج أو غيره ممن يلى أمر المرأة ان يعلمها أحكام الغسل وما يجب وما فيه من الفرائض والسنن والفضائل وان كان هذا موجودا فى كتب الفقه لكن تمس الحاجة الى ذكره هنا كما تقدم فى أول الكتاب من ذكر فرائض

الوضوء

الوضوء وسننه وفضائله لتتم الآداب في ذلك كله ان شاء الله تعالى فيعلها
ان الغسل يجب من أحد اربعة اشياء من الانزال وان لم يكن جماع ومن
التقاء الختانين وان لم يكن انزال ومن دم الحيض ومن دم النفاس
وفرائضه المتفق عليها في المذهب وهي النية والماء المطلق وتعميم
الجسد بالماء واختلف في ثمان الفور والتدليك والبدن الطاهر ونقل
الماء وامرار اليد مع الماء ودوام النية والخشوع والتخليل وسننه خمس
غسل اليدين قبل ادخالهما في الاناء والمضمضة والاستنشاق والاستنثار
ومسح الصماخين وفضائله تسع التسمية والسواك والموضع الطاهر
والبداءة بغسل اعضاء الوضوء والبداءة بالأعلى فالأعلى والبداءة بالايمن
فالأيمن والصمت الا عن ذكر الله تعالى والتشهد والدعاء بعد الغسل
واختلف في الخاتم في الغسل والوضوء هل يحركه ليصل الماء الى ما تحته أم لا
على ثلاثة أقوال يفرق في الثالث بين ان يكون ضيقا فيحركه او واسعا فيتركه
وليحذر ان يستنجي وهو في يده ان كان عليه اسم من اسماء الله تعالى او اسم
من اسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كان قد روي عن مالك اجازة
ذلك لكن هي رواية منكرة عند أهل المذهب عن آخرهم فينبغي ان لا يعرج
عليها ولا يلتفت اليها لان مثل هذا لا ينبغي أن ينسب الى آحاد العلماء فضلا
عن الامام مالك رحمه الله تعالى لما كان عنده من التعظيم لجانب الله تعالى
وجانب نبيه عليه الصلاة والسلام كما هو مشهور معروف عنه (فان كانت)
المرأة في السمن بحيث لا تصل يدها الى موضع النجاسة منها فلا يجوز لها أن
تترك غيرها يغسل لها ذلك من جارية او غيرها ولا يجوز أن يكشف عليها غير
زوجها فان أمكن زوجها ان يغسل لها ذلك فيها ونعمت وله الاجر في ذلك
والثواب الجزيل وان أبي فليس عليه ذلك واجبا وتصلي هي بالنجاسة
ولا يكشف عليها احد لان ستر العورة واجب وكشفها محرم اتفاقا وازالة
النجاسة في الصلاة مختلف فيها على اربعة اقوال احدها ان ازالتها مستحبة
وما اختلف فيه فارتكابه ايسر من الذي لم يختلف فيه (واما الرجل) فان كان
لا يصل الى ذلك بيده فانه يتعين عليه ان قدر أن يشتري جارية تلي ذلك منه
وان تطوعت الزوجة بغسله لم يجب عليه شراء الجارية ولا يحل له ان يكشف

عورته على غيره من ذكرفان لم يعد فصلاته بالنجاسة أخف من كشف عورته وهذا كله على مذهب مالك رحمه الله تعالى (وكذلك) اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فى المرأة البدنة او الرجل يكون مثلها فى الموضع الذى لا يصلان اليه بأيديهما من ظهورهما اذا اغتسلا على أربعة أقوال (احدها) أن يستنيب من يلى ذلك منه (الثانى) انه يتخذ خرقة أو غيرها يعالج ذلك بها (الثالث) انه يغمره بالماء ولا يجب عليه غير ذلك وهذا هو المشهور (الرابع) الفرق بين القليل والكثير (ثم يعلمها) الشروط التى يسقط بها عنها الوضوء والغسل ويجب عليها التيمم وهى ست أن تعدم الماء أو تعدم بعضه أو يتعذر استعماله مع وجوده ووجود الحدث ووجود الصعيد ودخول الوقت وأن يكون متصلا بالصلاة (ثم) يعلمها فرائض التيمم وهى خمس النية والفور والضربة الاولى بالارض ومسح الوجه ومسح اليدين الى الكوعين وسننه ثلاث الضربة الثانية بالارض والمسح من الكوعين الى المرفقين والترتيب وفضائله أربعة التسمية والسواك والصمت وذكر الله تعالى (ويعلمها) موانع الحيض والنفاس على ماتقدم بيانه وانما وقع التنبيه على التعليم لاهله لما يتعين عليه لقوله عليه الصلاة والسلام والرجل راع فى بيته وهو مسئول عن رعيته وأيضا فانه يقبح بالمتعلم أو العالم ان تسئل زوجته عن شئ مما يحتاج اليه النساء فى الدين فلا يكون عندها علم بذلك مع كونه متعينا عليها فهذا من أقبح الاشياء وأرذلها اذ انه قدوة للمقتدين كما تقدم

(فصل فى دخول الرجل الحمام) وليحذر وأيضا من دخول الحمام مهما استطاع تركه كان به علة أو لا بل أوجب اذ العلة التى تقدم ذكرها فى حمام النساء موجودة فى الغالب فى حمام الرجال وان كانوا فى الستر أوجد من النساء (الاترى) ان بعضهم اذا دخل الحمام استتر بالفوطة فاذا استقر فيه نزعها وبقى مكشوف العورة وكذلك اذا خرج الى المسلخ التى ماعليه وبقى مكشوفا حتى يتنشف (وقد قال) علماؤنا رحمة الله عليهم انه لا يجوز ان يجتمع مستور العورة مع مكشوف العورة تحت سقف واحد (وقال) ابن رشد رحمه الله تعالى فى معنى كراهة مالك للغسل من ماء الحمام ثلاث معان

(أحدها) ما نحن بسبيله وهو أنه لا يأمن أن تنكشف عورته فيراها غيره أو تنكشف عورة غيره فيراها وإذا لا يكاد يسلم من ذلك من دخله مع الناس إلا قلة تحفظهم وهذا إذا دخل مستترا مع مستترين وأما من دخل غير مستتر أو مع من لا يستتر فلا يحل ذلك ومن فعله فذلك جرحة في حقه وقدح في شهادته (المعنى الثاني) ان ماء الحمام غير مصان عن الايدي والغالب أن يدخل يده فيه من لا يتحفظ من النجاسات مثل الصبي الصغير والكبير الذي لا يعرف ما يلزمه من الاحكام فيصير الماء مضافا فتسلبه الطهورية (الثالث) ان ماء الحمام يوقد عليه بالنجاسات والاقذار فقد يصير الماء مضافا من دخانها فتسلبه الطهورية أيضا كما تقدم اه وهذا حال أهل وقتنا في الغالب وهو أن يدخل مستور العورة مع مكشوف العورة كما هو مشاهد معلوم (مع) أنه قد ذكر بعض الناس انه يجوز دخول الحمام وان كان فيه من هو مكشوف العورة ويصون نظره وسمعه كما انه يجوز له الاغتسال في النهر وان كان يجد ذلك فيه كما يجوز له أن يدخل المساجد وفيها ما فيها (وهذا) الذي ذكره رحمه الله تعالى محمول على زمنه الذي كان فيه وأما زماننا هذا فمعاذ الله ان يجيزه هو أو غيره لما تقدم ذكره من ان النساء بادبات العورات كلهن ليس فيهن من تستتر والسترة الشرعية عيب عندهن كما تقدم وحمام الرجال قريب منه فيتعين على المكلف أن يتركه ما استطاع جهده (وما ذكره) من الغسل في النهر والدخول في المساجد وفيها ما فيها فغير وارد لان المكلف يكره له أن يدخلها ابتداء الا أن يضطر اليها على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى مع ان الغالب في هذا الوقت ان شاطئ النهر فيه من كشف العورات ما هو مثل الحمام أو أعظم منه على ما هو مشاهد مرئي من كشف عورات النواتي ومن يفعل كفعلهم سيما ان كان في غير زمن البرد فذلك أكثر وأشنع لورود الناس للغسل وغيره وقل من يستتر فلا حاجة تدعو الى الكلام على ذلك لشاهدته عيانا وما أتي على بعض المتأخرين الا انهم يحملون ألفاظ العلماء على عرفهم في زمانهم وليس الامر كذلك بل كل زمان يختص بعرفه وعادته والله الموفق (وكذلك) يجري هذا المعنى في الفساقي التي في المدارس والرباطات اذ انها محل كشف العورات في هذا الزمان ومن ذلك

ماتجده فى الحمام فى الغالب من الصور التى على بابه والتى فى جدرانه وأقل ما يجب عليه من التغيير ازالة رؤسها فيتعين عليه انكار ذلك والأخذ على يد فاعله فكيف يدخله العالم أو المتعلم ويسكتان الى غير ذلك من المفاسد وهى بينة (وان) كان قد أجاز علماؤنا رحمة الله عليهم دخول الحمام (لكن) بشروط وهى أن لا يدخلها أحد من الرجال والنساء الا للتداوى (الثانى) أن يتعمد أوقات الخلوة وقلة الناس (الثالث) أن يستر عورته بازار صفيق (الرابع) أن يطرح بصره الى الارض أو يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور (الخامس) أن يغير ما رأى من منكر برفق يقول استتر سترك الله (السادس) ان دلكه أحد لا يمكنه من عورته من سرته الى ركبته الا امرأته او جاريته (السابع) ان يدخله باجرة معلومة (الثامن) ان يصب الماء على قدر الحاجة (التاسع) ان لم يقدر على دخوله وحده اتفق مع قوم يحفظون دينهم على كراهة فى ذلك لما يختشى (العاشر) ان يتذكر به عذاب جهنم (وينبغى) انه مهما استطاع ان يعلم اهله بالفعل كان اولى اذ أنه ابلغ فى الثبوت فى نفس المتعلم (وقد) كان صلى الله عليه وسلم يغتسل هو وزوجته من اناء واحد حتى انها تقول دع لى دع لى فكل شئ يمكن تعلمه بالفعل للمتعلم كان ذلك اولى من القول كما تقدم من انه اثبت فى النفوس (وينبغى) له او يتعين عليه ان يعلم اهله كل ما يحتاجون اليه من الاحكام غير ما تقدم اذ أن ما ذكرناه هو تنبيه على سائر ما يعتورهم لان النساء فى الغالب يتعلمن منهن الاحكام فيما يقع لهن فاذا كن جاهلات بما يسألن عنه فقد يكون ذلك من باب كتم العلم (ثم) اذا دخل بيته فهو بين احد امرين (اما) أن يكون مقبلا على العلم لا يسعه غيره فيا حبذا فيشتغل بما هو بصدده ولا يعرج على غيره (كما حكى) عن القاضى عبد الوهاب رحمه الله انه لما ان دخل مصر وتأهل بها وقعد مع زوجته سنين ثم مات رحمه الله تعالى اراد اهلها ان يزوجوها فقالت لهم اذا عزمتم فزوجونى على انى بكر فقالوا كيف وقد اقمت سنين معه فقالت أول ليلة دخل على صلى ركعتين وجلس ينظر فى كتبه ولم يرفع راسه ثم كذلك فى سائر ايامه فقمت يوما ولبست وتزينت ولعبت بين يديه فرفع راسه ونظر الى وتبسم واخذ القلم الذى بيده يجره على وجهى وافسد

به زبنتي ثم أكب رأسه على كتبه لم يرفعه بعد ذلك حتى انتقل الى ربه عز
وجل فمن كانت له همة سنية فلينسج على منواله (وقد) قال العلماء ان طالب
العلم يحتاج الى ستة أشياء لابد له منها فان نقص منها شئ نقص من علمه بقدر
ذلك وهي همة باعثة وذهن ثاقب وصبر وجدة وشيخ فتاح وعمر طويل
(فان) أراد أن يستريح فكيفية النية في ذلك أن ينوي بتلك الاستراحة
امتثال السنة لقوله عليه الصلاة والسلام روحوا القلوب ساعة بعد ساعة
(وينوي) بذلك ادخال السرور على أهله بالاقبال عليهن والتحدث معهن
(وينبغي) له أن يكون مع أهله وولده كواحد منهم لامزية له عليهم أعني
بذلك في بسطه لهم والتواضع معهم وينوي بذلك كله امتثال السنة (وذلك)
كله جائز بشرط أن يكون لا يعارضه مخالفة أمر ولا ارتكاب نهي لان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول الا حقا وقد تقدم ان الفراش
والتعري من السنة (وقد) كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل بيته بعد صلاة
العشاء وفرغ من ركوعه في بيته جلس يتحدث مع أهله ساعة (ثم) اذا عزم
على الدخول في الفراش فالمستحب له أن يتوضأ للنوم وان كان على وضوء
ثم يركع في الموضع الذي ينام فيه وهذا ما لم يوتر فان كان قد أوتر فالاولى أن
لا يصلي بعد الوتر الا بعد أن يقوم من نومه على المشهور رجاء ان تستغفر له
الملائكة مادام في مصلاه وان كان نائما لقوله عليه الصلاة والسلام
الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول
اللهم اغفر له اللهم ارحمه وان كان عند ارادته النوم محدثا فلينو بوضوئه رفع
الحدث لكي يستبيح به الصلاة اتفاقا (والحكمة) في وضوئه عند ارادته
النوم هي ان النوم تارة يكون من باب الاضطرار وتارة يكون من باب
الاختيار كالأكل والشرب منه ما هو اضطرار ومنه ما هو اختيار ورأس
مال المؤمن انما هو عمره فان عمره بالعمل الصالح ربح عمره وزكا فشرع له
الشارع صلوات الله عليه وسلامه الوضوء عند ارادة النوم لكي يعتبر به
النوم من أي جهة هو فان كان من باب ضرورة البشرية فهو لا يذهبه
الوضوء وان كان من باب الاختيار والراحة فالوضوء يذهبه (وفيه) وجه
آخر وهو أن النوم هو الموت الاصغر فشرع له نوع من الطهارة كالميت

(وفيه) وجه آخر وهو أنه قد يموت في ذلك النوم فتشرع له الطهارة لكي يكون على أكمل الحالات (وفيه) وجه رابع وهو أن النوم اذا وقع عقب طهارة اجتزأ المكلف منه بالقليل لاجل بركة الاتباع فتوفر عليه رأس ماله وهو عمره كما تقدم (ثم) يقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين في كفيه وينفث فيهما ويمسح بهما على سائر جسده ثم يتعرى كما سبق ويدخل في فراشه فيضطجع على جنبه الايمن بعد تسمية الله تعالى وليس من شرطه أن يبقى على الايمن بل نفس الدخول هو الذي يطلب فيه التيمن ثم بعد ذلك ينتقل الى ما هو أيسر عليه فان كان به ضعف يتعذر عليه أن يدخل على الايمن فالاولى أن يتحمل المشقة في الدخول على الايمن ثم يرجع عن ذلك من حينه وان تعذر عليه ذلك فيدخل على الجنب الآخر للضرورة الداعية الى ذلك (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى اشتكى مرة بنزلة نزلت له في الجانب الايمن وحصل له من ذلك شدة فلما ان جاء الى الفراش ليضطجع صعب عليه أن يضطجع على تلك الجهة فأراد أن يضطجع على الايسر لاجل الضرورة ثم وقع له أنه يتحمل المشقة في تلك اللحظة لتحصل له بركة الامتثال ثم ينقلب الى الجانب الايسر في الوقت قال فاضطجعت على الايمن بعزيمة فوالله ما أعلم هل الألم ارتفع قبل وصول رأسي الى الوسادة أو بعد وصوله انتهى وما ذاك الا بركة امتثال السنة اذ أنها لا تدخل في شيء الا وحلت البركة فيه (ثم) يقرأ آية الكرسي ثم يسبح الله ثلاثا وثلاثين ويحمد الله ثلاثا وثلاثين ويكبر الله أربعا وثلاثين ويجعل يده اليمنى تحت خده الايمن ويده اليسرى على وركه الايسر ثم يقول باسمك اللهم وضعت جنبي وباسمك ارفعه اللهم ان أمسكت نفسي فاغفر لها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم انى أسلمت نفسي اليك وفوضت امرى اليك والجأت ظهرى اليك ووجهت وجهى اليك رهبة منك ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك استغفرك وأتوب اليك آمنت بكتابك الذى انزلت ورسولك الذى ارسلت فاغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت الهى لا اله الا انت رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك انتهى (ثم) يقول اللهم اشفنى بالقليل من النوم واجعله لى عونا على طاعتك وينوى بنومه العون على طاعة الله تعالى مطلقا من طلب علم او صلاة

وغيرهما

وغيرهما اذ أنه اذلم يعط نفسه حظها من النوم قل أن يتأتى له منها التوفية بالمأمورات على أنواعها سيما وهو مطلوب بالحضور فى الطاعات سيما ان كانت صلاة اذ الحضور مع النوم متعذر (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام اذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه (ثم) يشعر نفسه حين الدخول فى الفراش بالدخول فى قبره لان النوم هو الموت الاصغر فشرع له نوع من حالة الموتى وهو التجريد من ثياب الاحياء والدخول فى ثياب تشبه ثياب الموتى اذ أنها شبيهة بالكفن (فاذا) أشعر المرء نفسه بذلك قل منه الاستغراق فى النوم وخاف الفوات (اذ) أن قيام الليل فيه فوائد منها أنه ينور القبر لان وقت الليل شبيه بظلمة القبر فكان الثواب مناسبا القيامه فى ظلمة الليل (وفى التعرى) حكم أخرى وهى أنه يريح البدن من حرارة حركة النهار ويسهل عليه التقليب يمينا وشمالا (وفيه) ادخال السرور على أهله (وفيه) زيادة التمتع بالاهل بخلاف ما يفعله أكثر الناس اليوم لان التمتع عندهم اغماه وفى المحل ليس الا ذان الرجل ثيابه عليه والمرأة مثله (وفيه) التواضع (وفيه) امتثال السنة كما تقدم (وفيه) امتثال الامر لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة المال والنوم فى الثوب هو من ذلك الباب فان الثوب الذى عمره سنة اذا نام فيه نقص عن ذلك (وفيه) قلة الدواب (وفيه) قاعدة من قواعد السنة وهى النظافة اذ أن الثوب الذى ينام فيه يكثر فيه هوام بدنه ويتقذر الى غير ذلك من الفوائد وهى جملة (وينبغى له) أن يعتبر فى النوم وحالته فيه اذ أنه بينما هو حاضر العقل والحس متكلم سميع بصير آمر ناه مدبر الى غير ذلك من الامور ثم تأتى عليه عاهة النوم لا يشعر بها من أين أتته ولا بكيفها فيترك الملك ملكه وتدبيره وسياسته فيه والعالم علمه والمحترف حرفته وكل من كان فى شئ وعزم على فعله تركه قهر الاجل هذه العاهة التى أتت عليه جبرا على ذلك ليس له سبيل الى الامتناع منه ولا دفعه عنه فسبحان من قهر عباده بالموت وهذا متكرر عليه فى كل ليلة وفى بعض الايام وهو المذكر بالموت والدال عليه قال الله تعالى فى كتابه العزيز الله يتوفى الانفس حين موتها

والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون كل ذلك تذكرة وعبرة لمن ينظر ويعتبر قال عز وجل في كتابه العزيز وفي أنفسكم أفلا تبصرون بينما هو مستيقظ مدع للقوة والسطوة اذ أتاه ما لم يقدر على دفعه كما تقدم فيسيل لعابه وتنحل أعضاؤه ويحدث وهو لا يشعر بنفسه والغالب على بعضهم انه يبقى مثله اذ ذاك ولاجل هذا المعنى كان من الادب في النوم أن لا ينام بين مستيقظين قال الله تعالى في كتابه العزيز لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين قال العلماء رحمهم الله سلط عليهم النوم والنسيان (ثم) يتذكر به ما أنعم الله تعالى عليه بسببه اذ أن اليقظة فيها حرارة فلو تمادت على البشرية لأهلكتها سيما وكثير من الناس لهم الرغبة فيما هم بصدده من طلب دنيا والعمل في أسبابها أو علم أو عمل الى غير ذلك فلو وكل الامر اليه فيه لحرم نفسه النوم البتة لقوة الحرص على ما هو بسبيله فجعل الله تعالى النوم يأتيه قهرا رحمة به هذا وجه (الوجه الثاني) أن التصرف فيه حرارة والنوم فيه سكون وبرودة فيعتدل مزاجه بذلك (قال) الله تعالى في كتابه العزيز ومن كل شئ خلقنا زوجين وهذه منه يقظة ونوم وحرارة وبرودة ذكر وأنثى صحيح ومريض طائع وعاص مؤمن وكافر شقي وسعيد الى غير ذلك (والمقصود) ان الله تعالى جعل ذلك رحمة للعبد بفضله حرسه مع ذلك في نومه كما حفظه في حال يقظته (قال) الله تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن (وقال) الله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فسبحان المنعم المنان

(فصل في آدابه في الاجتماع بأهله) فان كانت له حاجة الى أهله فالسنة الماضية في ذلك أنه لا يكون معه أحد في البيت غير زوجته أو جاريته اذ ذاك (وقد كان) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اذا كانت له حاجة الى أهله أخرج الرضيع من البيت (وقد) قالوا لا ينبغي أن يفعل ذلك وهر في البيت وذكر الهر منهم تنبيه على غيره والمقصود انه يكون سالما من عينين تنظران اليه اذ أن ذلك عورة والعورة يتعين سترها (وهو) مخير في فعل

ذلك

ذلك أوّل الليل أو آخره لكن أوّل الليل أولى لانّ وقت الغسل يبقى زمنه متسعا بخلاف آخر الليل فانه قد يضيق عليه وقد يؤول الى تفويت الصبح في جماعة أو الى اخراج الصلاة عن وقتها المختار (ووجه آخر) وهو أن آخر الليل اذا فعل ذلك فيه كان عقيب نوم وقد يتعلق بالفم والانف شيء من بخار المعدة مما يغير رائحة الفم أو الانف فاذا شمها أحدهما كان ذلك سببا لكراهة أحدهما في صاحبه ومراد الشارع صلوات الله عليه وسلامه دوام الالفة والمحبة وذلك ينافيها (ألا ترى) الى نهيه عليه الصلاة والسلام عن أن يأتي الرجل أهله طروقا قال لئلا يدخل عليهن قبل ان يتأهبن للقائه فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك لكي تمتشط الشعثة وتدهن وتتطيب وتتأهب فيكون ذلك أدعى الى بقاء العصمة والالفة والمودّة (ألا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام انه كان اذا قدم من سفر يبدأ بالمسجد فصلى فيه وذلك لفوائد (أحدها) ان يبدأ بزيارة بيت ربه وبالخضوع له فيه بالركوع والسجود (ومنها) ان يفضل ما هو منسوب الى ربه ليبين لأمّته صلى الله عليه وسلم على تقديم ما هو لله على ما لانفسهم فيه حظ مّا (ومنها) ان أصحابه ومعارفه يأخذون حظهم من رؤيته عليه الصلاة والسلام حين قدومه فاذا فرغوا ودخل بيته لم يكن ثم من يحوجه الى الخروج في الغالب (ومنها) ما تقدم ذكره من أن أهله يأخذون الاهبة للقائه (ومنها) ان لقاء الاحبة بغتة قد يؤول الى ذهاب النفوس عند اللقاء لقوّة ما يتوالى على النفس اذ ذاك من الفرح والسرور (وقد) حكى عن كثير من الناس انهم ماتوا بسبب ذلك فاجأهم السرور فماتوا من شدة الفرح وقوم فجأتهم المصائب فماتوا من شدّة الهم والغم (ومن) هذا الباب ما فعله يوسف الصدّيق صلى الله عليه وسلم في التلطف بالاجتماع بأبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام في انه أرسل اليه البشير أوّلا حتى علم أنه موجود في الاحياء ثم أرسل اليه ثانيا القميص ليجد ريحه كما أخبر به عز وجل في كتابه العزيز فزاد أنسه بشم رائحته وأثره ثم بعد ذلك وقع الاجتماع (وينبغي) له اذا عزم على الاجتماع بأهله ان يتحرز عما يفعله بعض العوام وهو ممنوع منهي عنه وهو أن يأتي زوجته وهي على غفلة بل حتى يلاعبها ويمازحها بما هو مباح مثل الجسة والقبلة وما أشبه ذلك حتى اذا رأى انها قد

انبعث لما هو يريد منها وانشرحت لذلك واقبلت عليه فحينئذ يأتيها
(وحكمة) الشرع في ذلك بينة وذلك ان المرأة تحب من الرجل ما يحب منها
فاذا أتاها على غفلة قد يقضي هو حاجته وتبقى هي فقد يشوش عليها ذلك وقد
لا ينصان دينها فاذا فعل ما ذكر تيسر عليها الامر وانصان دينها (ثم) اذا أتاها
فيمتثل السنة في ذلك وهو أن يقول ما جاء في الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة
والسلام حيث قال لو ان أحدكم اذا أتى الى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا
الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان ولم يسلط
عليه اه (ولاشك) ان من امتثل السنة في ذلك خرج ولده كما ذكره عليه الصلاة
والسلام (فان) قال قائل قد نجد كثيرا من أولاد المباركين يخرجون على
صفة من الصفات الذميمة (فالجواب) ان والده لو امتثل السنة فيما تقدم
ذكره ما حصل شيء من ذلك والقليل من الناس من يثبت لامتثال السنة في
ذلك الوقت لغلبة قوة باعث النفس على تحصيل لذاتها وشهواتها (وينبغي)
له ان يراعي حق زوجته في الجماع وان يأتيها لتصون دينها ويكون قضاء
حاجته تبعا لغرضها فيحصل اذ ذاك في عموم قوله عليه الصلاة والسلام والله
في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه اه (وكثير) من الناس من لا يعرف
السنة في ذلك يأتي زوجته على غفلة فيقضي حاجته منها وهي لم تقض منه
وطرا كما تفعل البهائم فيكون ذلك سببا لاحد شيئين اما فساد دينها واما
تبقى متشوشة متشوفة لغيره (وينبغي) له ان لا يجامعها وهما مكشوفان
بحيث لا يكون عليهما شيء يسترهما (لان) النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن
ذلك وعابه وقال فيه كما يفعل العيران (وقد كان) الصديق رضي الله عنه
يغطي رأسه اذ ذاك حياء من الله تعالى (وان كان) في برية أو على سطح فلا
يجامع مستقبل القبلة ولا مستدبرها (وان كان) في بيت فيختلف فيه بالجواز
والكراهة والمشهور الجواز (وينبغي) له اذا قضى وطره أن لا يعجل بالقيام
لان ذلك مما يشوش عليها بل يبقى هنيهة حتى يعلم انها قد انقضت حاجتها
والمقصود مراعاة أمرها الا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي عليهن ويحض
على الاحسان اليهن وهذا موضع لا يمكن الاحسان اليها من غيره فليجتهد في
ذلك جهده والله المسئول في التجاوز عما يعجز المرء عنه (وينبغي) له أن

يتجنب ما يفعله بعض الناس (وقد) سئل مالك رحمه الله عنه فانكره وعابه
وهو النخير والكلام السقط (قال) ابن رشد رحمه الله وانما انكر مالك رحمه
الله ذلك لانه لم يكن من عمل السلف (ثم) اذا فرغ من قضاء اربه فهو مخير
بين احد امرين اما ان يغتسل لينام على اكمل الحالات واما ان يتوضأ لينام
على احدى الطهارتين (واختلف) اذا تعذر عليه الغسل او الوضوء هل يتيمم
ام لا (قال) ابن حبيب لا ينام الجنب حتى يتوضأ فان تعذر عليه فليتيمم ولا
ينام الا بوضوء او تيمم (وينبغى) له ان ينوى عند الجماع رجاء ان يكون بينهما
ولد يكثر به الاسلام ويكون من العلماء الصالحين (وقد) قال عمر بن الخطاب
رضى الله عنه انى لأتزوج النساء ومالى اليهن حاجة واطأهن ومالى اليهن
شهوة قيل له ولم ذلك يا امير المؤمنين قال رجاء ان يخرج الله من ظهرى من
يكاثر به محمد صلى الله عليه وسلم الامم يوم القيامة (وينبغى) له اذا نوى
ما تقدم وفعل ما ذكر ان يكل ذلك الى مشيئة ربه عز وجل وان يفتقر اليه
فيه ويتبرأ من مشيئة نفسه وتدبيره وحوله وقوته وان يكون اذ ذاك
متواضعا متذللا لعل ان تقضى حاجته (وقد) جاء فى الحديث الصحيح عن
نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام انه قال لأطوفن الليلة على مائة
امرأة كلهن تاتى بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله
فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة
جاءت بشق رجل (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا اجمعون فالحاصل من هذا
ان يتعلق المرء بمشيئة الله تعالى ويكل الامر اليه ويتبرأ من مشيئته كما
تقدم (ثم) ان بدا له ان يعود الى الاجتماع باهله فان كان بعد الغسل
او الوضوء فيفعل كما تقدم اولا وان كان قبل ذلك فليغسل ذكره قبل ان
يعود (لأن) النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ذلك غسل ذكره ثم عاد
(قال) القاضى عياض رحمه الله تعالى وانما فعل ذلك لان غسل الذكر
يقوى العضو وينشطه وكثرة هذا كان من شان العرب ان يتمدحوا به
ويفتخروا به لانه دليل على قوة الرجل وصحة بدنه ومزاجه (ولهذا) اعطى
اعطى النبى صلى الله عليه وسلم ماء اربعين رجلا حتى خرج عن مالوفهم وعاد ثم

(فان) قال قائل فاذا كان ذلك على ما قررتم ان كثرة هذا ممدوح والنبى صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء والمرسلين فا الجواب عن نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام فى كونه أعطى ماءمائة رجل (فالجواب) أن كلا منهما صلوات الله عليهما وسلامه أعطى مقصده ومطلبه فنبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام طلب ملكا لا ينبغى لاحد من بعده ومن شان الملوك الزيادة فى هذا الشان وكثرة النساء فاعطى ما يفوق به سائر الملوك لان الملوك وان وجدوا القدرة على تحصيل كثرة النساء فهم عاجزون عن ماء رجل واحد فضلا عن ماء مائة رجل والنبى صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فاعطى صلى الله عليه وسلم ما يفضلهم به وان كان النبى صلى الله عليه وسلم اعطى ماء اربعين رجلا فحاله فى ذلك كما قالت عائشة رضى الله عنها لما سئلت عن القبلة للصائم وايكم املك لاربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على انه عليه الصلاة والسلام كان لا ياتى لاحوال البشرية لاجل نفسه المكرمة بل ذلك منه عليه الصلاة والسلام على طريق تانيس البشرية لاجل الاقتداء به عليه الصلاة والسلام (الاترى) الى قول عمر المتقدم ذكره انى لاتزوج النساء ومالى اليهن حاجة (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة انتهى (فانظر) الى حكمة قوله عليه الصلاة والسلام حبب ولم يقل احببت وقال من دنياكم فاضافها اليهم دونه عليه الصلاة والسلام فدل على انه عليه الصلاة والسلام كان حبه خاصا بمولاه عز وجل يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة وماذاك الا لما اشتملت عليه من المعانى العلية الشريفة فكان عليه الصلاة والسلام بشرى الظاهر ملكى الباطن فكان عليه الصلاة والسلام لا ياتى الى شئ من أحوال البشرية الا تانيسا لامته وتشريعا لها لا انه محتاج الى شئ من ذلك كما تقدم وللجهل بهذه الاوصاف الجليلة والخصال الحميدة قال الجاهل المسكين مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق (الاترى) الى قوله تعالى فى كتابه العزيز قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك فقال لكم انى ملك ولم يقل انى ملك

فلم

فلم يتف الملكية عنه الا بالنسبة اليهم أعنى فى معانيه عليه الصلاة والسلام
لا فى ذاته الكريمة اذ انه عليه الصلاة والسلام يلحق بشريته ما يلحق البشر
(ولهذا) قال سيدى الشيخ الجليل أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى فى
صفته عليه الصلاة والسلام هو بشر ليس كالابشار كما ان الياقوت حجر ليس
كالاحجار (وهذا) منه رحمه الله على سبيل التقريب للافهام (فدل) على
أنه عليه الصلاة والسلام كان ملكى الباطن ومن كان ملكى الباطن ملك
نفسه (ومن) ههنا يفهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام أخرجنى الذى
أخرجكما لان هذا وما أشبهه من باب التأنيس للامة (ومن) ذلك قوله
عليه الصلاة والسلام فى مرضه الذى مات فيه ان للموت لسكرات قال بعض
العلماء فيه ان ذلك من باب شدة الآلام والأوجاع لرفعة منازل المرسلين
ومثله قوله عليه الصلاة والسلام انى أوعك كما يوعك الرجلان منكم الحديث
انتهى وهذا من باب تأنيس البشرية كما تقدم (وقد) كان سيدى أبو محمد
المرجانى رحمه الله يقول فى قوله عليه الصلاة والسلام ان للموت لسكرات ان
تلك السكرات سكرات الطرب (ألا ترى) الى قول بلال رضى الله عنه حين
قال له أهله وهو فى السياق واكرباه ففتح عينيه وقال واطرباه غدا ألقى
الأحبه محمدا وحزبه انتهى فاذا كان هذا طربه فى هذا الحال بلقاء محبوبه
وهو النبى صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقاء النبى صلى الله عليه وسلم
المولى الكريم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وهذا) موضع تقصر
العبارة عن وصف بعضه (فالحاصل) من هذا أن احوال البشرية وما يطرأ
عليها من الامراض والأعراض انما ذلك على الظاهر فى الظاهر وهو عليه
الصلاة والسلام مشغول بربه مقبل على آخرته ظاهره مع الخلق وباطنه مع
رب الخلق ومن كان كذلك فهو غائب عن ألم الظاهر (وهذا) تجده محسوسا
فى بعض الأولياء فكيف بسيد الاولين والآخرين صلوات الله عليه
وسلامه (ألا ترى) الى ما حكى عن بعض السلف وهو عروة بن الزبير رضى
الله عنه لما أصابته الاكلة فى رجله فارادوا أن يقطعوا القدم التى خرجت
فيه لئلا تتعدى لجميع بدنه فكان يأبى عليهم ذلك فقالت لهم زوجته
انكم لا تقدرون على ذلك الا أن يكون فى الصلاة فلما ان كان فى الصلاة حضروا

فقطعوها له فلما فرغ من صلاته رآهم محدقين به فقال لهم أتريدون أن تقطعوا الى غير هذه المرة ان شاء الله تعالى فقالوا له ها هو ذا فقال والله ما شعرت بكم (وكذلك) ما حكى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه كان فى المسجد يصلى وانهدمت اسطوانة فيه فهرع الناس من أسواقهم ينظرون الخبر اشدة انزعاجهم عند وقوعها وتأثيرهم وهو فى الصلاة لم يشعر بشئ من ذلك (وقد) تقدمت حكاية بعض المتأخرين أنه اذا كان فى بيته لا يتكلم أحد فى حضرته فاذا دخل فى الصلاة تكلموا ولغطوا فسئل أهله عن ذلك فقالوا انه اذا كان فى الصلاة لا يشعر بشئ (وظاهر) ما حكى عنهم فى ذلك مشكل وبيان اشكاله انه اذا لم يشعر بشئ مما ذكر فكيف يتأتى منه التوفية باركان الصلاة (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يزيل هذا الاشكال فيفرق بين الفرض والنفل ويقول ان كان فرضا فلا بد من ابقاء بعض حال البشرية عليه لتوفية أركان الفرض وان كان فى النفل فحقيقة الحضور فيه أن يفنى الذاكر فى المذكور

(فصل) وقد تقدم فى الحديث الوارد فى ان المؤمن يأكل بشهوة عياله فاذا كان فى الاكل بهذه المثابة فما بالك به فى الجماع اذ انه من أكبر الملذوذات والشهوات فيعمل على أن يوفى لها ذلك اذا أرادته وهو لا يطلع على ارادتها لانها لا تطلب ذلك فى الغالب وان كان قد ركب فيها من الشهوة أضعاف ما فى الرجل لكن أعطاها الله تعالى من الحياء ما يغمر ذلك كله فاذا رأى منها أمارات الطلب لذلك فليرضها وذلك مثل أن تتزين وتتعطر وتلبس الى غير ذلك (فالحاصل) انه يكون غرضه تابعا لغرضها فيتصف اذ ذاك بما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن يأكل بشهوة عياله وقوله عليه الصلاة والسلام والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه الى غير ذلك وهو كثير (وهذا) اذا لم تكن ثم ضرورة أكيدة للجماع فى وقته ذلك مثل ان يكون قد رأى امرأة أعجبته فيريد أن يمتثل السنة لقوله عليه الصلاة والسلام من رأى منكم امرأة تعجبه فليأت أهله فان الذى عندها هذه عندها هذه فان كان كذلك فلا ينتظر أمارات طلبها (لكن) ينبغى له أن لا يترك الملاعبة قبل الفعل مع الآداب المتقدم ذكرها

(وقد ورد) عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن لم يكن له أهل ورأى امرأة أعجبته فليقل اللهم أبدل لي عوضها حورية فان الله تعالى يبدل له عوضها حورية أو كما قال عليه الصلاة والسلام

(فصل) وليحذر ان يفعل مع زوجته أو جاريته هذا الفعل القبيح الشنيع الذي أحدثه بعض السفهاء وهو اتيان المرأة في دبرها وهي مسئلة معضلة في الاسلام (وليتهم) لو اقتصروا على ذلك لكنهم نسبوا ذلك الى الجواز ويقولون انه مروى عن مالك رحمه الله وهي رواية منكرة عنه لا أصل لها الان من نسبها الى مالك انما نسبها الكتاب السر وان وجد ذلك في غيره فهو متقول عليه وأصحاب مالك رحمه الله متفقون على أن مالكا لم يكن له كتاب سر وفيه من غير هذا أشياء كثيرة منكرة يجل غير مالك عن اباحتها فكيف بمنصبه وما عرف مالك الا بنقيض ما نقلوا عنه من أن يخص الخليفة برخص دون غيره بل كان يشدد عليهم ويأخذهم بالسياسة حتى ينزلهم عن درجاتهم الى درجات غيرهم من سائر المسلمين مثل ما جرى له مع الخليفة في اقراء الموطأ عليه كما تقدم (وقد) قال له الخليفة مرة يا مالك مازلت تذل الامراء فهذا هو المعروف والمعهود من حاله معهم (وقد) سئل مالك رحمه الله في الكتب المشهورة المروية عنه أيجوز وطء المرأة في دبرها فقال أما أنتم قوم عرب ألم تسمعوا قول الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم أيكون الزرع حيث لا نبات (وقوله) تعالى انى شئتم قيل معناه كيف شئتم مقبلة أو مدبرة أو باركة في موضع الزرع (وقيل) معناه متى شئتم من ليل أو نهار روى عن ابن عباس وروى عنه أيضا انه قال معناه فأتوا حرثكم كيف شئتم ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا (وقد) روى عن عبد الله بن عمر انه سئل عن جواز ذلك فقال اف اف أيفعل ذلك مؤمن أو قال مسلم (وقد) خرج ابو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة في دبرها (ومن) البيان والتحصيل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في محاشهن ملعون من أتى النساء في غير مخرج الاولاد (وقد) قيل لمالك رحمه الله في الكتب المروية عنه انت تبيح ذلك فقال

قوله في محاشهن اى ادبارهن كما في رواية اهـ

كذب من قاله وقال مرة اخرى كذبوا على وقال فى اخرى كذبوا على عافاك الله اما تسمع الله تعالى يقول نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم هل يكون الحرث الا فى موضع الزرع ولا يكون الوطء الا فى موضع الولد (ومن) كتاب التفسير لابن عطية رحمه الله وفى مصنف النسائى قد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اتيان النساء فى أدبارهن حرام (وروى) عنه أنه قال من اتى امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد (قال) رحمه الله وهذا هو الحق المتبع ولا ينبغى لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج فى هذه النازلة على زلة عالم لم تصح عنه والله المرشد لا رب غيره (ومن) التفسير للقرطبى رحمه الله وقد روى عن ابن عمر تكفير من فعله قال وروى الترمذى فى مسنده عن سعيد بن يسار بن الحباب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من اتى امرأة فى دبرها لم ينظر الله اليه يوم القيامة (وروى) ابوداود الطيالسى فى مسنده عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تلك اللوطية الصغرى أعنى اتيان المراة فى دبرها (وروى) عن طاوس انه قال كان بدء عمل قوم لوط اتيان النساء فى ادبارهن (قال) ابن المنذر واذا ثبت الشئ عن النبى صلى الله عليه وسلم استغنى به عما سواه (ومن) كتاب الشيخ الامام الجليل ابى عبد الله محمد المعروف بابن ظفر روى ان عليا كرم الله وجهه سئل عن ذلك فقال اما علمتم انها اللوطية الصغرى (وروى) عبد الرحمن بن القاسم ان شرطى المدينة دخل على مالك بن انس رحمه الله فسأله عن رجل رفع اليه انه قد اتى امرأته فى دبرها فقال له مالك بن انس أرى ان توجعه ضربا فان عاد الى ذلك ففرق بينهما (واما) ما حكى ان قوما من السلف اجازوا ذلك فلا يصلح مع ما ذكرا ضافته اليهم بل يحمل على سوء ضبط النقلة والاشتباه عليهم فان الدبر اسم للظهر قال الله تعالى ويولون الدبر وقال ومن يولهم يومئذ دبره اى ظهره والمراة تؤتى من قبل ومن دبر انتهى يعنى انها تؤتى من جهة ظهرها فى قبلها (وسبب) نزول الآية ان رجلا من المهاجرين تزوج امراة من الانصار فذهب يصنع بها ما اعتاده المهاجرون من انهم كانوا يتلذذون من نسائهم مقبلات ومدبرات ومستلقيات فأنكرته عليه وقالت كانؤتى

على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك في موضع الولد (وروى) ان اليهود كانوا يقولون اذا جامع الرجل أهله في فرجها من ورائها كان ولده أحول فانزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اه من السنن لابي داود وقد اخرجه البخاري أيضا (هذا) ما هو من طريق النقل (وأما) طريق النظر فقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم اذا منع الوطء في الفرج في حال الحيض من اجل الأذى لقوله تعالى ويسألونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن وهي أيام يسيرة من الشهر غالبا فما بالك بموضع لا تفارقه النجاسة التي هي أشد من دم الحيض (وقد) قالوا أيضا ان المرأة كلها محل للاستمتاع الا ما كان من الوطء في الدبر فهو محرم مطلقا أو فيما تحت الازار في أيام الحيض (وقد) تقدم أن شهوة الرجل ينبغي ان تكون تابعة لشهوة المرأة ووطؤها في الدبر لا منفعة لها فيه بل تتضرر به من وجهين أحدهما تحريك باعث شهوتها من غير أن تنال غرضها والثاني ان الوطء في ذلك المحل يضرها

(فصل) ويتعين عليه أن يتحفظ في نفسه بالفعل وفي غيره بالقول من هذه الخصلة القبيحة التي عمت بها البلوى في الغالب وهي أن الرجل اذا رأى امرأة أعجبته وأتى أهله جعل بين عينيه تلك المرأة التي رآها وهذا نوع من الزنا لما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن أخذ كوزا يشرب منه الماء فصوّر بين عينيه أنه خمر يشربه ان ذلك الماء يصير عليه حراما وهذا مما عمت به البلوى (حتى) لقد قال لي من اثق به انه استفتي في ذلك من ينسب الى العلم فأفتى بان قال اذا جعل من رآها بين عينيه عند جماع زوجته فانه يؤجر على ذلك وعلله بأن قال اذا فعل ذلك صان دينه فانا لله وانا اليه راجعون على وجود الجهل والجهل بالجهل (وما) ذكر لا يختص بالرجل وحده بل المرأة داخلة فيه بل هي أشد لان الغالب عليها في هذا الزمان الخروج أو النظر من الطاق فاذا رأت من يعجبها تعلق بخاطرها فاذا كانت عند الاجتماع بزوجها جعلت تلك الصورة التي رأتها بين عينيها فيكون كل

واحد منهما في معنى الزاني نسأل الله السلامة بمنه (ولا) يقتصر على اجتناب ذلك ليس الا بل ينبه عليه أهله وغيرهم ويخبرهم بان ذلك حرام لا يجوز (وقد) ذكر الطرطوشي رحمه الله في ذلك حديثا عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما

(فصل) وينبغي له أنه اذا اجتمع باهله وكان بينهما ما كان فلا يذكر شيئا من ذلك لغيرها وكثيرا ما يفعل بعض السفهاء هذا المعنى فيذكر بين اصحابه وغيرهم ما كان بينه وبين زوجته أو جاريته وهذا قبيح من الفعل كفى به انه لم يكن من فعل من مضى والخير كله في الاتباع لهم في المصادر والموارد كما تقدم وكما لا يحدث أحدا من الناس بما ذكر فكذلك لا يحدث أهله بشئ يجري بينه وبين غيرهم كائنا ما كان وهذا النوع أيضا مما يتساهل فيه كثير من الناس وهو قبيح اذ أن ذلك يحدث بين الرجال الاجانب والنساء المودة والمحبة فيأتي الرجل الى أهله فينبغي لهم على من يخطر بباله ويسلم عليهن من جهته والسلام يحدث المودة والمحبة (وقد) قال بعض السلف رضي الله عنهم ليس للنساء في السلام نصيب (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول كيف يمكن أن يبلغ الانسان لهن السلام فانه يحدث لهن المودة في القلوب ودخول وسواس النفس والهوى والشيطان ونزغاته فليحذر من هذه العادة فانها شنيعة (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان السلام ليس بمشروع على المرأة الشابة في الابتداء به اللهم الا أن يحدث المرء بما جرى له مع شيخه أو من يعتقده في مسائل العلم أو ما يحتاج اليه المكلف في دينه من الآداب فهذا مندوب اليه وقد يجب في بعض المواطن (وقد) تقدم الكلام على آدابه في تصرفه في بيته لكن بقي من ذلك أول ليلة تدخل عليه الزوجة او الجارية فانه يتصرف في ذلك كما تقدم لكن يستحب له أن يضع يده على ناصيتها والناصية مقدم الراس زوجة كانت او جارية بكرا كانت أو ثيبا فيثني على الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم اني اسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ثم يمضي لسبيله

فصل

(فصل) فاذا استيقظ من نومه فليمر يده على وجهه ثم يتشهد ثم يرجع الى الجانب الايمن ان لم يكن عليه ثم يسمى الله تعالى ويلبس ثوبه ويدخل يده اليمنى فى الكم قبل اليسرى فاذا لبس ثوبه فان كان على غير جنابة قرا ان فى خلق السموات والارض الى آخر سورة آل عمران ويداه تحرك النوم عن عينيه كذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ثم يسمى الله تعالى ويقوم من الفراش فينظر الى السماء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيام السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت رب السموات والارض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت الهى لا اله الا أنت رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك هكذا ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم (وكان) أبو الدرداء رضى الله عنه يقول اذا قام من الليل نامت العيون وغارت النجوم وانت الحى القيوم (فان) كان جنبا فلا يقرا شيئا من القرآن ويقتصر على الذكر المذكور وقد تقدم ما يفعل فى ورده بالليل وغيره وكذلك تقدم بأى نية يلبس ثوبه وكم له فيه من نية فى اول الكتاب فأغنى عن اعادته (وما) تقدم ذكره من الذكر عند الاستفاقة من النوم الى غير ذلك مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان اه وكسل النفس فى الغالب اغماه ولاجل العقد الثلاث فان هو ذكر الله عز وجل انحلت عقدة كما قال عليه الصلاة والسلام فيذهب من الكسل بقدر ذلك ثم ان توضأ انحلت العقدة الثانية فيذهب معها من الكسل بقدر ذلك ثم ان صلى ذهب الكسل كله وبقى كما قال عليه الصلاة والسلام نشيطا طيب النفس (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى حكمة الشرع فى كونه شرع انه اذا فعل المرء ما ذكر يصلى ركعتين خفيفتين

ثم بعد ذلك يصلي ركعتين طويلتين ثم يتدرج الى أقل من ذلك على ما جاء فى الحديث فشرع له عليه الصلاة والسلام أولا ركعتين خفيفتين حتى تذهب عقد الشيطان كلها ويذهب اثرها مرة واحدة فيجد بسبب النشاط الذى يحصل له ما يقدر به على طول القيام الذى شرعه عليه الصلاة والسلام فى قيام الليل وما تقدم ذكره من أنه يدخل يده اليمنى فى كمه اليمين أولا مأخوذ من قول عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع فى شأنه كله فى طهوره وترجله وتنعله فعمت الافعال كلها بقولها فى شأنه كله ثم فصلت ذلك كله على القاعدة الشرعية لان المكلف لا يخلو فعله من احدى ثلاث اما واجب أو مندوب أو مباح فذكرت الطهور لتشير به الى جنس الواجبات والترجل لجنس المندوبات والتنعل لجنس المباحات واذا كان ذلك كذلك فى اللبس فينبغى أن يكون عكسه فى النزع فاذا نزع ثوبه فيبدأ بنزع الكم من اليد اليسرى قبل اليمنى على ما تقدم من نزع النعل عند دخول المسجد والخروج منه

(فصل) وينبغى أن يكون الطالب مع شيخه أعنى فى الاجتماع به مختارا للاوقات التى يعلم أن الاجتماع به فيها يخف عليه ضرر زاحمن أن يعد للاجتماع به كافة فيحرم العلم بسبب ذلك أو بركته لاجل أنه قد يكون الشيخ عنده فى ذلك الوقت ما هو أهم عليه من الاجتماع بالناس وهذا النوع كثيرا ما يفعله بعض الناس فى هذا الزمان تجدهم يعتقدون الشخص ويقولون ببركته ثم انهم يختارون الاوقات الفاضلة فيأتون فيها الى زيارته فيشغلونه عن اغتنام بركة تلك الاوقات فيصيرهو وهم بالسواء أعنى فى بطالة تلك الاوقات الشريفة ولا شك ان الشيطان ألقى اليهم ذلك فتجدهم مخالفين لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم (ألا ترى) الى ما كان عليه حالهم فى شهر رمضان اذ أنه اذا دخل عليهم تناكر بعضهم من بعض ونفر كل واحد منهم من صاحبه حتى اذا فرغ اجتمعوا وأقبل بعضهم على بعض بخلاف ما الحال عليه اليوم فانه اذا دخل عليهم شهر رمضان كثر اجتماعهم وزيارتهم فيه فمن لم يأت منهم الى قريبه او صاحبه او معلمه يجدون عليه ويقع التشويش بينهم فانا لله وانا اليه راجعون على عكس

الامور وارتكاب مالا ينبغى مع رؤية النفس انها على الخير والدين فيرون أن اجتماعهم فى هذه الايام الشريفة قربة الى الله تعالى يتقربون بها اليه

(فصل فى نبذ بعيت لم تذكر بعد) فمنها ان طالب العلم اذا كان ساكنا فى المدرسة او الرباط فينبغى له أن يتحفظ من أمور منها أن لا يدع الوضوء من ماء الفسقية أو البئر ولا يتوضأ من ماء الصهريج أو الزير المعدّين للشرب لان ذلك اعما جعل للشرب لا للوضوء والغسل وقد تقدم أنه قدوة لغيره فقد يقتدى به فيكون ذلك ذريعة الى فعل مالا يجوز وبعض الناس يفعل ما ذكر وهو لا يجوز لما تقدم (وينبغى) له أن لا يتوضأ على البلاط الذى على السقوف لان ذلك يضر بالبلاط والخشب وهما وقف (وينبغى) له أن لا يستجمر بالحجارة ويدعها فى الموضع لان القيم اذا وجدها هنالك رماها فى السرب فيمتلئ بالحجارة وذلك ضرر بالوقف (ويحرم) عليه أن يستجمر بحائط الوقف أو باصبعه ويمسح ما أصابه فى الحائط وهذا النوع قد كثر وهو محرم (وينبغى) له اذا لم يتوضأ فى الفسقية ان يكون له وعاء يتوضأ فيه وكذلك اذا احتاج الى الغسل يكون له وعاء يغتسل فيه لئلا يضر بالسقف كما تقدم (وينبغى) له اذا صعد أو نزل أن يمشى برفق اذ أن المشى بقوة يضر بالبلاط والسقوف وهما وقف سيما اذا كان بقبقاب فيحذر من هذا جهده فهذا منتهى الكلام على سبيل الايجاز والاختصار على آداب العالم والمتعلم ليتنبه بما ذكر على ما لم يذكر والله الموفق

(فصل فى نية الامام والمؤذن وآدابهما) والكلام عليهما مشترك مثل ما تقدم فى العالم والمتعلم فالامام له آداب تخصه فمنها ما هو واجب ومنها ما هو مندوب ومثله المؤذن (فالواجب) على الامام على ما ذكره العلماء أن يكون فيه ثمانية أوصاف وهى أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا عدلا متكلما قارئا للقرآن أو لأم القرآن فقيها باحكام الصلاة (والمؤذن) شرطوا فيه أيضا ثمانية أوصاف وهى أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا عدلا متكلما عارفا بالاوقات سالما من اللحن فى الاذان (وينبغى) للامام أن ينوى الامامة فى خمسة مواضع وهى كل صلاة لا تصح الا فى جماعة حتى تحصل له فضيلتها ولا يلزمه ان ينوى الامامة فى غيرها وهى صلاة

الجمعة وصلاة الخوف والجمع للمطر وصلاة الجنازة واذا كان ماموما واستخلف
هذا الذى يجب فيه نية الامامة وما عدا ذلك فلا يجب لكن اذا لم ينو
الامامة لا تحصل له فضيلة من نواها واذا نواها فينبغى له أن يستصحب مع
ذلك نية الايمان والاحتساب كما تقدم فى حق العالم (وأما) المأموم فيلزمه
أن ينوى أنه مأموم فان لم ينو ذلك لم تصح صلاته (والامامة) فرض على
الكفاية فاذا عزم عليها فلينو بذلك أنه يقوم بفرض الكفاية حتى يسقط
ذلك عن اخوانه المسلمين (وينبغى) له أن لا يتسارع اليها ولا يتركها رغبة
عنها (وقد ورد) أن جماعة تراد والامامة بينهم تخفف بهم وكثير من الناس
من يتورع عن الامامة وهو خطأ وكثير منهم من يبادر اليها وهو خطأ أيضا
(وأما) فى زماننا هذا أعنى فى الديار المصرية وما أشبهها فينبغى ان فيه أهلية
أن يبادر اليها اذا كان لا يعرف حال الامام وأما مع معرفته فيعمل على
ما يعلم من ذلك (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول اذا أخذك وقت
الصلاة بمسجد من المساجد فان كنت فى بلاد المغرب فصل حيث كنت
وليس عليك اعادة وان كنت فى الديار المصرية وما أشبهها فيقع التفصيل
بين ان تعلم حال الامام أم لا فتعمل على ما تعلم من حاله فان كان فيه أهلية
مضت صلاتك والا فتعيدها (وكان) رحمه الله يعلل ذلك فيقول ان بلاد
المغرب لا يتولى الامامة فى المسجد الاعظم الا من أجمع أهل تلك البلد على
فضيلته وتقدمته فى العلم والخير والصلاح وسائر المساجد لا يتولى الامامة
فيها الا من اجمع اهل تلك الناحية على فضيلته عليهم واما الديار المصرية وما
اشبهها فان الامامة فيها بالدراهم غالبا وهى اذا كانت كذلك لا يتولاها الا
صاحب جاه او شوكة ومن اتصف بذلك فالغالب عليه رقة الدين فاذا صلى
خلفه وهو لا يعرف حاله أعاد صلاته لقوله عليه الصلاة والسلام أئمتكم
شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون (وينبغى) له اذا تولى الامامة ان يكون
ذلك منه بنية صالحة صادقة لله تعالى لا يطالب بذلك عوضا من ثناء ولا راحة
دنيوية ولا صورة مميزة بين الناس بل يجعل ذلك لوجه ربه خالصا لان الامامة
من اكبر مهمات الدين (وقد ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام
انه قال من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف

الجنة وعرفها يوجد من مسيرة خمسمائة عام انتهى فيحذر من هذا الخطر العظيم (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة يغبطهم الاولون والآخرون عبد أدى حق الله تعالى وحق مواليه ورجل أم قوما وهم به راضون ورجل ينادي بالصلوات الخمس كل يوم وليلة اه (فان) خاف أن يكون في الجماعة من يكره امامته فتركها اذ ذاك أفضل له وذلك بشرط أن تكون الكراهة على موجب شرعي حذرا أن يكره أحد امامته لحظ دنيوي أو نفساني أو ما أشبه ذلك فان كانت الكراهة شرعية فلا يتقدم (لما) ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن ثلاثا رجل أم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع حي على الفلاح فلم يجب (فان) كان له على الامامة معلوم فلا يأخذه بنية الاجارة بل يأخذه على نية الفتوح من الله تعالى لا على أنه عوض على فعل الامامة (واذا) كان ذلك كذلك فعلامته أن لا يطالبه ولا يجد القلق حين قطعه عنه ولا يتضجر ولا يترك ما هو بصدده فان طالب أو تضجر فقد خرج عن باب المندوب الى باب المكروه أو المحرم كما تقدم في امر العالم ولو تكلم في ذلك بنية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وارشاد المسلمين لصالح دينهم فذلك سائغ ما لم يصحبه حظ ما فان صحبه فيكره أو يمنع بحسب الحال (وينبغي) له أن يحفظ على الاوقات أكثر من تحفظ المؤذن عليها اذ أنه قد يخطئ المؤذن في بعض الاوقات فيكون ذلك سببا لايقاع الصلاة في غير وقتها والمؤمن كفيل لأخيه فاذا كان الامام يحفظ على الاوقات فقل ان يتأتى خطأهما معا بل اذا أخطأ هذا أصاب هذا في الغالب ومذهب مالك رحمه الله ان معرفة الاوقات فرض في حق كل مكلف (واذا) كان ذلك كذلك فما بالك بمن له الامامة اذ به الحل والربط في الصلاة (وينبغي) له أن يتحفظ على منصب الامامة مما يتعاطاه بعض الناس من الاشياء التي تزري بصاحبها من المزاح وكثرة الضحك سيما مع الاجانب والمشي في الاسواق لغير ضرورة شرعية وما أشبه ذلك من الاشياء التي تزري بصاحبها وليس ذلك من منصب الامامة في شئ (وقد) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على الطرقات كما تقدم (وبعضهم) يقعد على دكان البياع لا لحاجة وذلك جلوس على

الطرقات وهو موضع النهي كما تقدم (وينبغي) له أن يكون أعظم الجماعة قلقا وخوفا وأكثرهم علما وخشية ورقة (وقد ورد) ان الصلاة ترفع على اتقى قلب رجل من الجماعة فينبغي أن يكون الامام هو المتصف بذلك حتى يحصل لجميع من خلفه في صحيفته وفي خفارته (وينبغي) له أن لا يرى لنفسه على من تقدمهم فضلا ويرى الفضل لهم عليه ويتخوف على ذمته لقوله عليه الصلاة والسلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وينبغي) له بل يتعين عليه أن يكون أكبر مهماته التحفظ من العوائد المتخذة والبدع المحدثة التي أحدثها كثير من الناس حتى صارت كأنها من السنن المعمول بها عندهم حتى لو تركها أحد اليوم لوجدوا عليه وقالوا ترك السنة فظهر بذلك ما أخبر به عليه الصلاة والسلام حيث قال كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة فيتحفظ من هذا الامر الخطر جهده اذ انه علم للعامة في المسجد في الاقتداء به في الغالب

(فصل في ذكر بعض البدع التي أحدثت في المسجد والامر بتغييرها) قال الرسول عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا شك ان المسجد وما يفعل فيه من رعية الامام والمؤذن والقيم الى غير ذلك ممن له التصرف (ألا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام حين رأى نخامة في القبلة فحكها بيده ورؤى منه كراهية أو رؤى كراهيته لذلك وشدته عليه وقال ان أحدكم اذا قام يصلي فانما يناجي ربه أو ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ورد بعضه على بعض وقال أو يفعل هكذا فنظره عليه الصلاة والسلام لذلك من بعض فوائد أن المسجد من جملة رعيته وقوله عليه الصلاة والسلام ولكن عن يساره أو تحت قدمه انما ذلك في مثل مسجده عليه الصلاة والسلام الذي هو مفروش بالرمل وأما غيره مما هو مفروش بالحصر أو بالرخام أو بالبلاط فيكره ذلك فيه فلم يبق الا الثالث الذي ذكره عليه الصلاة والسلام وهو أن يبزق في طرف ردائه ويحكها (فان) قال قائل انه يبصق تحت طرف الحصير ويرد الحصير عليها وذلك نوع من الدفن لها كما هو المذهب (فالجواب) ان ذلك محمول على ما كان عليه الصدر الاول من كثرة تعظيمهم للمساجد

واحترامها وان مساجدهم كانت يمكن الدفن فيها غالبا وقل من يقع منه ذلك لشدة التعظيم بخلاف ما عليه الحال اليوم فتعاطى القليل منه يؤدى الى الكثير (وذلك) لا ينبغى لوجوه (الاول) ان فيه استقذارا للمسجد (الثانى) ان الذباب يجتمع بسبب ذلك فيشوش على من فى المسجد فان لم يكن فى المسجد احد فيمنع لان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم (الثالث) ان الخشاش يكثر بسببها لانه يتغذى بها (الرابع) ان هذا يسمى تغطية ولا يسمى دفنا (الخامس) انه لم يكن من فعل من مضى (السادس) ان فيه نوعا من اضاعة المال لان الحصير اذا فعل ذلك تحته مرة بعد اخرى آل الى تقطيعه (السابع) ان ذلك تصرف فى الوقف فى غير ما جعل له لانها انما جعلت للصلاة عليها (الثامن) ان ذلك يكسب الرائحة الكريهة فى المسجد وقد أمرنا بتطييبه وهذا ضده (التاسع) أنه يخاف ان يخرج مع البصاق شئ من الدم وهو نجس أو غيره من قيح وصديد ممن به مرض (وهذا) مثل ما قالوه فيمن بقى بين أسنانه شئ من أثر ما أكل اذ أنه اذا عالجه وأزاله فلا يبتلعه لان الغالب مخالطته لشئ من دم اللثات (وكذلك) السواك لا يستاك به قبل أن يغسله من المرة الاولى لوجهين (أحدهما) خيفة أن يكون قد خالطه شئ من النجاسة (الثانى) انه اذا سلم من النجاسة ففعله ذلك مكروه لانه يرد بصاقه الى فيه وذلك مستقذر وانما أمر بالسواك لاجل النظافة وهذا ضده (هذا) اذا كان فى المسجد حصير فان كان فيه رخام أو بلاط أو غيرهما مما لا يمكن الدفن فيه وليس عليه شئ فيمنع البصاق فيه أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ودفنها لا يمكن فلم يبق الا أن تكون خطيئة (فاذا) تقرر أن المسجد من رعية الامام فيحتاج ان يتفقده فما كان فيه على منهاج السلف الماضين أبقاه وما كان من غير ذلك أزاله برفق وتلطف ان قدر على ذلك كما تقدم من فعله عليه الصلاة والسلام فى النخامة (فالمسجد) من صفته أن لا يكون فيه حائل يحول بين الناس من رؤية بعضهم لبعض (ألا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام حين اعتكف فى المسجد انه اتخذ حجرة من حصير والحصير مما لا يتأبد (وقد) نقل عبد الحق فى الاحكام الصغرى له قال مسلم عن عائشة قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم

مباحة غير ممنوعة فالصف الاول هو الملاصق بجدار القبلة فى داخلها روى ذلك عن مالك (وقوله) وجعل فيها تشبيكا يريد تخرج بما يرى منه الناس ركوعه وسجوده للاقتداء به انتهى (ثم) كثر استعمال ذلك حتى صارت تعمل لغير ضرورة فصارت كأنها من زى المسجد وكثر هذا حتى صار الامر الى ان من أراد أن يعمل مدرسة ويقف لها وقفا يأخذ من الجامع ناحية حيث يختار فيه فيديرها بالدرابزين ويجعلها الاخذ الدرس فيها فسرى الامر الى انه لو جاء أحد من المسلمين من غير الفقهاء يدخل ذلك الموضع لضرورة التى تقصد لها المساجد فيمنع من ذلك ويطرد فى وقت الدرس وهذا غصب واحداث وتصرف فى الوقف لاشك فيه

(فصل) ومن هذا الباب الكرسى الكبير الذى يعملونه فى الجامع ويؤبدونه وعليه المصحف لكى يقرأ على الناس ولا ضرورة تدعو الى ذلك لوجهين (الاول) انه يمسك به من المسجد موضع كبير وهو وقف على المصلين لصلاتهم (الثانى) انهم يقرءون عند اجتماع الناس لانتظار الصلاة فمنهم المصلى ومنهم التالى ومنهم الذاكر ومنهم المفكر فاذا قرأ القارى اذ ذاك قطع عليهم ماهم فيه (وقد) نهى عليه الصلاة والسلام عن رفع الصوت بالقراءة فى المسجد بقوله عليه الصلاة والسلام لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن وهو نص فى عين المسئلة ولا التفات الى من فرق بين أن يكون المستمعون أكثر ممن يتشوش من المشتغلين بالصلاة وغيرها مما تقدم ذكره فان شوش على واحد منهم منع من ذلك لوجود الضرر (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لاضرر ولا ضرار (وقال) عليه الصلاة والسلام من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه (وقال) عليه الصلاة والسلام ملعون من ضار مؤمنا رواها الترمذى (واول) من أحدث هذه البدعة فى المسجد الحجاج أعنى القراءة فى المصحف ولم يكن ذلك من عمل من مضى (فان) قال قائل قد ارسل عثمان رضى الله عنه المصاحف الى الامصار توضع فى الجوامع (فالجواب) ان ذلك انما كان ليجمع الناس على ما أثبت فى المصحف الذى أجمع عليه خاصة ليذهب التنازع فى القرآن ويرجع لهذا المصحف اذا اختلف فى شئ من القرآن ويترك ما عداه لانه امام المصاحف وقد أمن الاختلاف فيه والحمد

مباحة غير ممنوعة فالصف الاول هو اللاصق بجدار القبلة فى داخلها روى ذلك عن مالك (وقوله) وجعل فيها تشبيكا يريد تخريما يرى منه الناس ركوعه وسجوده للاقتداء به انتهى (ثم) كثر استعمال ذلك حتى صارت تعمل لغير ضرورة فصارت كأنها من زى المسجد وكثر هذا حتى صار الامر الى أن من أراد أن يعمل مدرسة ويقف لها وقفا يأخذ من الجامع ناحية حيث يختار فيه فيديرها بالدرابزين ويجعلها لأخذ الدرس فيها فسرى الامر الى أنه لو جاء أحد من المسلمين من غير الفقهاء يدخل ذلك الموضع للضرورة التى تقصد لها المساجد فيمنع من ذلك ويطرد فى وقت الدرس وهذا غصب واحداث وتصرف فى الوقف لاشك فيه

(فصل) ومن هذا الباب الكرسى الكبير الذى يعملونه فى الجامع ويؤبدونه وعليه المصحف لكى يقرأ على الناس ولا ضرورة تدعو الى ذلك لوجهين (الاول) انه يمسك به من المسجد موضع كبير وهو وقف على المصلين لصلاتهم (الثانى) انهم يقرؤون عند اجتماع الناس لانتظار الصلاة فمنهم المصلى ومنهم التالى ومنهم الذاكر ومنهم المفكر فاذا قرأ القارئ اذ ذاك قطع عليهم ماهم فيه (وقد) نهى عليه الصلاة والسلام عن رفع الصوت بالقراءة فى المسجد بقوله عليه الصلاة والسلام لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن وهو نص فى عين المسئلة ولا التفات الى من فرق بين أن يكون المستمعون أكثر ممن يتشوش من المشتغلين بالصلاة وغيرها مما تقدم ذكره فان شوش على واحد منهم منع من ذلك لوجود الضرر (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لاضرر ولا ضرار (وقال) عليه الصلاة والسلام من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه (وقال) عليه الصلاة والسلام ملعون من ضار مؤمنا رواها الترمذى (واول) من أحدث هذه البدعة فى المسجد الحجاج أعنى القراءة فى المصحف ولم يكن ذلك من عمل من مضى (فان) قال قائل قد أرسل عثمان رضى الله عنه المصاحف الى الامصار توضع فى الجوامع (فالجواب) ان ذلك انما كان لتجميع الناس على ما أثبت فى المصحف الذى أجمع عليه خاصة ليذهب التنازع فى القرآن ويرجع لهذا المصحف اذا اختلف فى شئ من القرآن ويترك ما عداه لانه امام المصاحف وقد أمن الاختلاف فيه والحمد

لله فلا يكتب مصحف و يجعل في المسجد (ومن) هذا الباب أيضا ما أحدثوه في المسجد من الصناديق المؤبدة التي يجعل فيها بعض الناس أقدامهم وغيرها من اثاثهم وذلك غصب لموضع مصلى المسلمين كما تقدم (قال) الطرطوشي وقد كره مالك رحمه الله التابوت الذي يجعل في المسجد للصدقات ورآه من حرث الدنيا اه (ومن) التصرفات في الوقف والتغيير لما له لغير ضرورة شرعية دعت الى ذلك ما يفعله بعضهم من حفر جدار المسجد حتى يعمل فيه موضعا كالخزانة الصغيرة يعمل فيها ما يختاره من ختمة أو كتاب أو غيرهما فعلى ماذكر فقس كل ما يرد عليك مما أحدثوه في المسجد (ومن) هذا الباب الدكة التي يصعد عليها المؤذنون للاذان يوم الجمعة ولا ضرورة تدعو الى الاذان عليها بل هي أشد من الصناديق اذ يمكن نقل الصناديق ولا يمكن نقلها اذ أن السنة في أذان الجمعة اذا صعد الامام على المنبر أن يكون المؤذن على المنار كذلك كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وصدرا من خلافة عثمان رضي الله عنهم وكان المؤذنون ثلاثة يؤذنون واحدا بعد واحد ثم زاد عثمان بن عفان رضي الله عنه أذانا آخر بالزوراء وهو موضع بالسوق لما أن كثر الناس وأبقى الاذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنار والخطيب على المنبر اذ ذاك (ثم انه) لما أن تولى هشام ابن عبد الملك أخذ الاذان الذي فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه بالزوراء وجعله على المنار وكان المؤذن واحدا يؤذن عند الزوال ثم نقل الاذان الذي كان على المنار حين صعود الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وصدرا من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهم بين يديه وكانوا يؤذنون ثلاثة فجعلهم يؤذنون جماعة ويسترجعون قال علماؤنا رحمة الله عليهم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم أولى أن تتبع (فقد بان) ان فعل ذلك في المسجد بين يدي الخطيب بدعة وان أذانهم جماعة أيضا بدعة أخرى فتمسك بعض الناس بهاتين البدعتين وهما مما أحدثه هشام بن عبد الملك كما تقدم (ثم) تطاول الامر على ذلك حتى صار بين الناس كأنه سنة معمول بها فزادوا على الثلاثة المؤذنين أكثر من ثلاثة وثلاثة كما هو مشاهد فهذه بدعة ثالثة ثم أحدثوا الدكة التي يصعدون عليها و يؤذنون فهذه بدعة رابعة

وكل ذلك ليس له أصل فى الشرع (هذا) ماهو من طريق النقل (وأما) ماهو من طريق المعنى فلأن الاذان انما هو نداء الى الصلاة ومن هو فى المسجد لامعنى لندائه اذ هو حاضر ومن هو خارج المسجد لا يسمع النداء اذا كان النداء فى المسجد (هذا) وجه (الثانى) ان الدكة التى أحدثوها ضيقة من غير حظير فقد تلتوى رجل أحدهم أو يعثر فيقع فتنكسر وقد جرى ذلك فيكون مسئولا عن نفسه مع وجود آلمه (الثالث) انه لامعنى لما اذ المراد انما هو اسماع الحاضرين وهم لو اذنوا فى الارض لأسمعوا من فى المسجد وانما هى عوائد وقع الاستئناس بها فصار المنكر لها كأنه يأتى ببدعة على زعمهم فانا لله وانا اليه راجعون على قلب الحقائق لانهم يعتقدون ان ماهم عليه هو الصواب والأفضل ولو فعلوا ذلك مع اعتقادهم انه بدعة لكان أخف أن يرجى لأحدهم أن يتوب

(فصل) ثم انظر رحمنا الله تعالى واياك الى هذه البدعة كيف جرت الى أمر مخوف وهو وقوع الخلل فى الصلاة (ألا ترى) انهم لما ان فعلوا الاذان فى جماعة مضوا على ذلك فى التبليغ فى الصلاة والجماعة اذا بلغوا مشى بعضهم على صوت بعض مع رفع أصواتهم بالتكبير فى الصلاة على مايعلم من زعقات المؤذنين وذلك يذهب الحضور والخشوع او بعضه ويذهب السكينة والوقار أيضا (وقد) اختلف العلماء رحمة الله عليهم فى صحة صلاة المسمع الواحد والصلاة به وبطلانها على أربعة أقوال تصح لاتصح الفرق بين ان يأذن الامام فتصح أولا يأذن فلاتصح والفرق بين أن يكون صوت الامام يعمهم فلاتصح أولا يعمهم فتصح (فاذا) كان هذا فى تبليغ الواحد فما بالك فى تبليغ الجماعة على صوت واحد كما سبق فأولى بجريان الخلاف فى صحة صلاتهم وبطلانها بتبليغهم (وهذا) انما هو اذا أتوا كلهم بالتكبير كاملا فى جميع الصلاة فلو كبر واحد من المسمعين التكبير كاملا فى جميع الصلاة جرى فى صلاته والصلاة به الخلاف السابق فى المسمع الواحد الذى ليس معه غيره (هذا) مالم يتعمد أن يمشى على صوت غيره فان مشى على صوت غيره فهى المسئلة الاولى (وأما) على مايفعلونه اليوم من كونهم يتوا كلون فى التكبير ويديرونه بينهم ويقطعونه ويوصلونه وذلك ان بعضهم يبتدى التكبير فيقول

الله ويمد صوته ثم يبتدى الآخر من أثناء الكلمة نفسها واصلا صوته بصوت صاحبه قبل انقطاعه مبالغا فى رفع صوته على سبيل العمد وفاعل هذا المرات بالتكبير على وجهه (واذا) كان ذلك كذلك فهو شغل فى الصلاة بزيادة غير شرعية ولا ضرورة شرعية فتبطل صلاتهم والحالة هذه من غير جريان الخلاف السابق (ويقع أيضا) بذلك التهويش والتشويش والتخليط سيما وهم لو أتوا به من غير توا كل أو توصيل وترديد لأبطل صلاتهم أيضا من غير خلاف وذلك انهم يغيرون وضع التكبير لانهم يقولون آلله فيزيدون على الهمزة مدة وكذلك يصنعون فى أكبر وبعضهم يزيد بعد الباء من أكبر الفا الى غير ذلك من صنيعهم (وان) أتى بعضهم بالتكبير كاملا فانه لا يفعل ذلك فى جميع تكبيرات الصلاة (واذا) كان ذلك فحكمه حكم المسئلة المذكورة آنفا وهو البطلان (واذا) علم ذلك فيسرى الخلل الى صلاة من صلى بتبليغهم لان من يريد أن يصلى خلف الامام لا يجوز له أن يقتدى الا بأحد اربعة أشياء أولها وهو أعلاها أن يرى أفعال الامام فان تعذر ذلك فسماع أقواله فان تعذر ذلك فرؤية أفعال المأمومين فان تعذر ذلك فسماع أقوالهم فان تعذر فلا امامة (وفى هذا) نكتة أخرى وهى ان الامام اذا دخل فى الصلاة بتكبيرة الاحرام كبروا خلفه اذ ذاك قبل أن يدخلوا فى الصلاة ليسمعوا الناس بذلك فيعلموا بتكبيرهم ان الامام قد أحرم بالصلاة فمن أحرم من الناس حينئذ سرى الخلل الى صلاته من هذا الوجه أيضا لما تقدم ان الاقتداء لا يجوز الا باحد أربعة أشياء وهذا ليس بواحد منها (ثم) ان تبليغهم فى الصلاة جماعة أدى الى مخالفة السنة لان السنة فى الصلاة أن يكون المأموم تبعا للامام وفى حكمه وفى هذا الفعل يصير الامام فى حكم المأموم لان المكبرين يطولون فى التكبير ويمططونه والامام ينتظر فراغهم منه وحينئذ ينتقل الى الركن الذى يليه (وأفضى) تسميعهم جماعات أيضا الى مفسدة أخرى وهى ان الامام يكبر للركوع فى بعض الاحيان ويركع فيكبرون خلفه ويطولون برفع أصواتهم عليه فيرفع رأسه من الركوع قبل أن ينقضى تكبيرهم ويأتى المسبوق فيكبر تكبيرة الاحرام ويركع ظنا منه ان الامام فى الركوع بعد لكونه يسمع صوت المكبرين فى الركوع فتفسد عليه صلاته وهو لا يشعر اذ

لو علم

لوعلم ذلك لتدارك ما وقع لان تلك الركعة لم تصح له

(فصل) ومن هذا الباب أيضا الدكة التي تحت هذه الدكة التي يؤذنون عليها للجمعة والتهليل فيها ماتقدم في المقاصير والصناديق وكذلك الدكة التي يسمعون عليها في الصلوات الخمس والتهليل فيها كذلك (ثم العجب) كيف غاب عنهم أصل موضع الصلاة اذ ان الصلاة صلة بين العبد وربه واذا كانت صلة فمن شأنها كثرة التواضع وتمريغ الوجه على الارض والتراب ان أمكن ذلك فهو أفضل وأعلى فان تعذر ذلك فليكن على الحصير الغليظ (ومذهب مالك) رحمه الله ان الصلاة على الثوب الكتان لغير ضرورة مكروهة مع وجود الحصير وبهذه النسبة تكون الصلاة على ثوب القطن مكروهة اذا وجد الكتان والصلاة على الثوب الصوف مكروهة ان وجد القطن (فالحاصل) ان أعلى المراتب مباشرة الارض بالسجود ثم يليها الحصير الغليظ ثم ما هو أرفع منه ثم الكتان الغليظ كذلك ثم القطن مثله ثم الصوف والمقصود أن المحل محل تواضع وتصاغر وذلة وخشوع وخضوع وفعل الدكة ينافي ذلك كله لان المصلي عليها يرتفع بها عن الارض ارتفاعا كثيرا ويصلي على الخشب وليس من جنس الارض فانا لله وانا اليه راجعون (فان) قال قائل انما جعلت الدكة للاذان للجمعة وللخمس ليسمع الناس (فالجواب) ان من كان خارج المسجد لا يسمع تبليغهم في الغالب ومن كان في المسجد فسواء كان المؤذنون على الدكة أو بالارض هم يسمعونهم غالبا (فان) قال قائل قد يكون الجامع كبيرا وفيه الجمع الكثير ولا يسمعهم المؤذن الواحد (فالجواب) انه لا فرق بين صوت الواحد والجماعة بل صوت الواحد في الاسماع أبلغ لكونه يصوت أكثر ما يقدر عليه بخلاف ما اذا كان في جماعة يبلغ معهم فانه يحتاج ان يوافقهم على أصواتهم (ولاجل) هذا المعنى يسمع المؤذن الواحد في الشاهد على بعد ولا تسمع الجماعة الا فيما هو أقرب من ذلك في الغالب (وفي) جوامع المغرب تجد في الجامع الواحد أربعة مؤذنين واحد خلف الامام والثاني حيث ينتهي اليه صوت الاول والثالث حيث ينتهي اليه صوت الثاني ثم الرابع كذلك على هذا الترتيب وهؤلاء الاربعة حكمهم حكم المبلغ الواحد الذي وقع الخلاف المتقدم فيه والمشهور جوازه

وصحة صلاته والله تعالى أعلم

(فصل) ومن هذا الباب أيضا أعنى فى امساك مواضع فى المسجد وتقطيع الصفوف بها اتخاذ هذا المنبر العالى فانه أخذ من المسجد جزءا جيدا وهو وقف على صلاة المسلمين كفى به انه لم يكن من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا من فعل الخلفاء بعده واذا كان ذلك كذلك فهو من جملة ما احدث فى المساجد وفيه تقطيع الصفوف كما هو مشاهد فى هذه البلاد (قال) الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه كان عندهم ان تقدمة الصفوف الى فناء المنبر بدعة (وكان) الثورى رحمه الله يقول ان الصف الاول هو الخارج بين يدى المنبر انتهى (وأما) بلاد المغرب فقد سلموا من تقطيع الصفوف لكن بقيت عندهم بدعتان احداهما كبر المنبر على ما هو هنا والثانية انهم يدخلون المنبر فى بيت اذا فرغ الخطيب من الخطبة وهذه بدعة الحجاج (ومنبر السنة) غير هذا كله كان ثلاث درجات لا غير والثلاث درجات لا تشغل مواضع المصلين (فان) قال قائل بل تشغل ولو موضعا واحدا (فالجواب) ان هذا مستثنى بفعل صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الحالات وما عداه فبدعة لانه لا ضرورة تدعو اليه (فان) قال قائل قد كثر الناس واتسع الجامع فاذا صعد الخطيب على المنبر وهو ثلاث درجات قل ان يسمع الخطبة الجميع أو اكثرهم فى الغالب (فالجواب) ان من كان على منبر عال هو الذى لا يسمعهم لكونه بعيدا عنهم فكأنه فى سطح وحده فلا يسمع من تحته وهذا مشاهد (الاترى) ان الخطيب يخطب على هذا المنبر العالى وكثير من الناس لا يسمعونه واذا دخل فى الصلاة سمعوا قراءته أكثر من خطبته وما ذاك الا لكونه فى الصلاة واقفا معهم على الارض وفى حال الخطبة لم يكن معهم كذلك ولا يرد على هذا علو المنار للاذان وسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى

(فصل) ومن هذا الباب أيضا البئر التى فى المسجد لانه سبب لأن يجعل المسجد طريقا بسببها حتى يدخل النساء اليها وقد يكون فيهن الحيض والمرأة الشابة وان كانت طاهرة والصغار ومن ينزه المسجد عن امثالهم ممن لم يتحفظ وقد امتنع بسببها مواضع فى المسجد للمصلين فيه كما تقدم فى غيره ولا ضرورة دعت الى البئر هنالك لانها ليست بحلوة فينتفع بالشرب منها ولو كانت

كذلك لا ننتفع الناس بالشرب من غير أن يتخذ المسجد طريقا (واذا) كان
كذلك فلم يبق النفع بها الا للطهارة وغسل النجاسة وذلك ممنوع منه فى
المسجد وقد وسع الله تعالى على الناس بالآبار حتى فى بعض الطرق فى غير
المسجد فاما الآبار التى فى المساجد فلا ينقل الماء منها الى غيرها لان ذلك
ذريعة الى اتخاذ المساجد طريقا كما تقدم اللهم الا أن تكون البئر قديمة
وجاء من بنى المسجد هناك وترك البئر فى وسطه فان كان ذلك كذلك فالطريق
الى البئر ليس بمسجد ولا يصح فيه الاعتكاف

* (فصل) * ومن هذا الباب موضع الفسقية والحظير الذى عليها وما عليها
من الطبقة (وهى) لا تخلو اما أن تكون من المسجد أم لا فان كانت من
المسجد فيمنع الوضوء منها وقد تقدم منع كشف العورة عند الفسقية
فى المدارس وغيرها واذا كان ذلك كذلك فكشف العورة هنا أعظم
فى المنع لحرمة هذا الموضع لكونه من المسجد سيما وبعض الناس يبول
هناك ويستنجى (وان لم تكن) من المسجد فيمنع الوضوء أيضا لانهم
يتوضؤن هنالك فتمتلئ أقدامهم ويخرجون فيلوثون بها المسجد بيقين
وذلك يمنع (وأما الطبقة) فان لم تكن من المسجد فالاعتكاف لا يصح فيها
وان كانت من المسجد فلا تصح الجمعة فيها لكونها محجورة (وفى) موضع
الفسقية مفسدة اخرى أكثر مما تقدم ذكره فى المقاصير لان بعض من
لا خير فيه يصل بسبب ذلك الى ما يريده من أغراضه الخسيسة اذ انها أكثر
سترا من المقاصير لانها فى مؤخر المسجد والغالب من الناس انهم يأتون الصف
الاول وما قاربه فيبقى مؤخر المسجد فى الغالب خاليا سيما ان كان ليلا وهم
لا يقعدون فى تلك الناحية الا قليلا

* (فصل) * وأما موضع الديوان فلا يخلو أيضا اما أن يكون من المسجد أم لا
فان كان من المسجد فلا يجوز غلقه ولا تحجيره ولا جلوس أهل الديوان فيه
وان كان من غير المسجد فلا يصح فيه الاعتكاف اذ أن من شرطه المسجد
كما تقدم

* (فصل) * وينبغى له أن يغير ما أحدثوه من الزخرفة فى المحراب وغيره فان
ذلك من البدع وهو من اشراط الساعة (ومن الطرطوشى) قال ابن القاسم

وسمعت مالكا يذكر مسجد المدينة وما عمل من التزويق في قبلته فقال كره الناس ذلك حين فعله لانه يشغلهم بالنظر اليه (وسئل مالك) عن المساجد هل يكره أن يكتب في قبلتها بالصبغ مثل آية الكرسي وقل هو الله أحد والمعوذتين ونحوها فقال اكره أن يكتب في قبلة المسجد شئ من القرآن والتزويق وقال ان ذلك يشغل المصلي انتهى (وكذلك) ينبغي له أن يغير ما أحدثوه من الصاق العمد في جدار القبلة وفي الاعمدة أو ما يلصقونه أو يكتبونه في الجدران والاعمدة (وكذلك) يغير ما يعلقونه من خرق كسوة الكعبة في المحراب وغيره فان ذلك كله من البدع لانه لم يكن من فعل من مضى (واما التخليق) بالزعفران في المسجد فهو جائز اذ أنه من الطيب لكن قد قال مالك رحمه الله ان الصدقة بثمن ذلك أفضل ويجوز تخليقه بشرط أن لا يفعل ذلك الا من يجوز له دخول المسجد حذرا من أن تدخله حائض بسبب ذلك أو امرأة طاهرة تخالط الناس في موضع مصلاهم وهي ممنوعة من ذلك

(فصل) وينبغي له أن يغير ما أحدثوه من التازير في جدران المسجد لانه من باب الزخرفة أيضا ولانه لا يمكن ذلك الا بمسامير أو ما يقوم مقامها من أوتاد وغيرها وذلك لا يجوز في الوقف الا لضرورة شرعية مثل أن يكون جدار المسجد فيه سباخ أو شئ يلوث ثياب المصلين فيغتفر ذلك لاجل هذه الضرورة (ومنع) دق المسامير وما تقدم لا يختص بالمسجد وحده بل هو حكم شائع في كل وقف (ولاجل) هذا المعنى كان كثير من الفقهاء اذا دخلت لاحدهم بيته في المدرسة تجد كل ماله من كتب واثاث بالارض خشية مما ذكر من تسمير مسامير يضع عليها شيأ من عمامة أو غيرها (وكذلك) يمنع مما ذكر من كان ساكنا في موضع وقف بكراء وغيره فلا يجوز له شئ من ذلك فيه ولو اذن له الناظر في ذلك فلو كان البيت ملكا لغيره جاز له ذلك بعد الاذن فيه من المالك فان لم يأذن له لم يجز

(فصل) فانظر رحمنا الله واياك الى مقتضى ما تقدم ذكره فكيف يمكن ان يسمر في المسجد المسامير الكبار والاوتاد ويقتطعون من المسجد مواضع يمنعونها من غيرهم ويسكنون فيها دائما وينامون فيها ويقومون وقد يجنب

أحدهم ليلا فلا يمكنه الخروج من المسجد فيجلس فى المسجد وهو جنب وذلك محرم ولا نكير فى ذلك ولا من يخبر بعضه فانا لله وانا اليه راجعون وفاعل ما ذكر مصر على معصية مقيم عليها ولو تاب بقلبه ولفظه حتى يفارقها فكيف يزار أو يتبرك به مع هذه الجرحة لانه غاصب لمواضع المصلين فى كل وقت مادام مقيما على ذلك حتى ان بعضهم اذا خرج من المقصورة أغلقها على متاعه وأخذ المفتاح معه حتى كأنها بيت أبيه أو جده (وقد) اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فى المبيت فى المسجد للغرباء اذا اضطروا اليه فذهب مالك رحمه الله الى أن ذلك يجوز فى البادية ولا يجوز فى الحاضرة وأعنى بالبادية التى ليس فيها بناء يأوى اليه وأما بلاد الريف فانه يوجد فيها مواضع غير المسجد فلم تدع الضرورة الى المبيت فى المسجد

(فصل) فان قال قائل ان المسجد لا يمتلئ بالناس حتى يحتاجوا الى تلك المواضع التى أحدثوا فيها ما احدثوا (فالجواب) ان ما أجمع عليه المسلمون من المساجد المعمورة لا يجوز سكناها ولا اجارتها ولا احتكارها فاذا كان ذلك كذلك فالذى نحن بسبيله من باب أولى والله الموفق

(فصل) ومن هذا الباب أيضا ما أحدثوه فى سطوح المسجد من البيوت وذلك غصب لمواضع المسلمين فى المسجد واحتكار لها واحداث فى الوقف لغير ضرورة شرعية وفيه من المفاسد ما تقدم ذكره من أمر المقيمين فى المسجد وغصبهم لتلك المواضع التى سكنوها بل هذا أشد لان تلك البيوت التى فى السطوح مؤبدة للسكنى بخلاف ما تقدم ذكره وفيه مع ما ذكر من المفاسد الاقامة فى المسجد وقد يكون جنبا كما سبق فى حق من تقدم ذكره (وقد كان) بعض القضاة لما ان تولى وهو والله اعلم المعروف بابن بنت لاعز جاء الى سطوح الجامع بمصر فى جماعة وهدم البيوت المحدثة عن آخرها ولم يسأل لمن هذا البيت ولا لمن هذه الثياب بل أخذ ما وجد من ذلك وغيره ورماه فى صحن الجامع ومشى الامر على ذلك مدة من الزمان طويلة ثم أحدثوها أيضا لما لم يجدوا من ينهاهم عن ذلك ولا من يتكلم فيه (وصلاة) الجمعة فيها وفى غيرها من سطوح المسجد لا تصح على مذهب مالك رحمه الله لان من شرط الجمعة الجامع المسقوف ومن صفة المسجد أن يدخل بغير اذن وأن

يكون جميع الناس فيه سواء وسطوح المسجد ليس كذلك فانه محجور على
بعض الناس ولا تصح الجمعة فيما هو كذلك كما لا تصح في بيت القناديل
لاشتراكهما في التحجير على بعض الناس دون بعض كما تقدم ولو قدرنا أن
السطوح ليست بمحجورة على أحد فالحكم في مذهب مالك رحمه الله للغالب
والغالب أنها محجورة على بعض الناس دون بعض كما تقدم بيانه

(فصل) وقد منع علماؤنا رحمة الله عليهم الوضوء في سطح المسجد ومن كان
ساكنا في سطوحه فانه يتوضأ فيه للضرورة كما يشاهد من عوائدهم فيه
وذلك ممنوع لا شك فيه كما لا يتوضأ في داخل المسجد لان حرمة سطحه كحرمته
(وقد اختلف) علماؤنا رحمة الله عليهم في الخطيب اذا أحدث في أثناء خطبته
او بعد فراغه منها هل يجوز له أن يتوضأ في المسجد فروى عن ابن القاسم أنه
لا بأس أن يتوضأ في صحنه وضوءا طاهرا وكره مالك رحمه الله ذلك وان
كان في طشت ومن يتوضأ في السطوح او في البيوت التي فيها فانما يتوضأ
فيما هو داخل المسجد وذلك كله ممنوع (وقد ترتبت) على بناء البيوت في
سطوح المسجد مفاسد جملة (فمنها) ان بعض الناس ممن يعتكف في البيوت
التي فوق سطوح المسجد تجدهم أول شهر رمضان أو في آخر شعبان يتقدمه
الفرش والغطاء والوطاء وما يحتاج اليه في بيته مما يمنع فعله في المسجد (وقد)
منع مالك رحمه الله أن يأتي الرجل بوسادة في المسجد يتكئ عليها أو بفروة
يجلس عليها وأنكر ذلك وقال تشبه المساجد بالبيوت

(فصل) وقد منع علماؤنا رحمة الله عليهم المراوح اذ أن اتخاذها في
المسجد بدعة ثم ان بعضهم الغالب عليهم اليوم زيارة المعتكف في معتكفه
وكثرة الكلام في المسجد واللغط فيه (وقد ورد) ان ذلك يأكل الحسنات كما
تأكل النار الحطب (و[illegible]) السلف رضوان الله عليهم اذا اعتكفوا
لا يأتيهم أحد حتى يخرجوا من اعتكافهم اذ أن حال المعتكف يدور بين
صلاة وتلاوة وفكر وذكر وغير ذلك فليس بمشروع له كالصلاة على الجنازة
ومدارسة العلم ان كان يمشي اليه وأما ان غشيه في مجلسه وهو يسمعه فلا
بأس به هذا على مذهب مالك رحمه الله (وأما) النوم الخفيف فهو مستثنى
ضرورة البشرية (وكذلك) ينبغي ان يمنع ما أحدثوه فيما يأتون به لفطورهم

فتجد الروائح التى لا طعم تتم يشمها الفقراء والمساكين حين يؤتون بها عند الغروب والناس اذ ذاك فى المسجد ينتظرون صلاة المغرب فتبقى نفوسهم اذ ذاك مشتهية لذلك الطعام وأعينهم فيه سيما اذا دخلوا به من باب السطوح الذى فى القبلة فانه أكثر فى هذا الباب من غيره ثم مع ذلك فى سطوح المسجد من الفقراء المحتاجين كثير و يتأذون بتلك الروائح كثيرا ويخاف على فاعل ذلك اما عاجلا واما آجلا والاعتكاف انما دخل لاعتكافه لزيادة الفضل وهذا ضده فليتحفظ من هذا كله والله الموفق (فهذا الكلام) على بعض المواضع التى وقعت فيها مخالفة السنة كما تقدم ذكره ثم نرجع الآن الى بقية ما أحدثوه فى بعض الجوامع (فمن ذلك) السبحة التى أحدثوها وعملوا لها سنة وقانا تكون فيه وجامكية لقيمها وخادمها والذاكرين عليها وهذا كله مخالف للسنة المطهرة ولما كان عليه السلف رضى الله عنهم وقد تقدم ذكر حالهم فى الذكر كيف كان ثم ان بعض من اقتدى بمن أحدثها زاد فيها حدثا آخر وهو أن جعل لها شيخا يعرف بشيخ السبحة وخادما يعرف بخادم السبحة الى غير ذلك وهى بدعة قريبة العهد بالحدوث فينبغى لامام المسجد أن يتقدم الى ازالة كل ما تقدم ذكره على قدر استطاعته مع ان هذا متعين على سائر المسلمين لكن فى حق الامام آكد لان المسجد من رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والله الموفق

مطلب السبحة

(فصل) وقد تقدم فى آداب المتعلم انه لا يجالس القاص ولا السماع قراءة الكتب التى تقرأ وليس هناك شيخ يبين ما يشكل على السامع منها ويتعين عليه بيان ذلك وان لم يسئل عنه وهذا فى حق امام المسجد آكد اذ انه راع عليه كما تقدم فيمنع من ذلك جهده سيما اذا انضاف الى ذلك ما يفعله بعض الناس فى هذا الوقت وهو أن يجتمع اليه الناس لسماع الكتب فيه ثم تأتى النساء أيضا لسماعها فيقعد الرجال بمكان والنساء قبالتهم سيما وقد حدث فى هذا الوقت ان بعض النساء يأخذهن الحال على ما يزعمن فتقوم المرأة وتقعد وتصيح بصوت ندى وتظهر منها عورات لو كانت فى بيتها لمنعت فكيف بها فى الجامع بحضرة الرجال فنشأ عن هذا مفاسد جملة وتشويشات القلوب بعض الحاضرين بخباء والبرهجوا وفساد عليهم بالقص أسأل الله

السلامة عنه

(فصل) وينبغي له أن يمنع ما أحدثوه من المصافحة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبعد صلاة الجمعة بل زاد بعضهم في هذا الوقت فعل ذلك بعد الصلوات الخمس وذلك كله من البدع وموضع المصافحة في الشرع انما هو عند لقاء المسلم لاخيه لا في ادبار الصلوات الخمس وذلك كله من البدع فحيث وضعها الشرع نضعها فينهى عن ذلك ويزجر فاعله لما اتى من خلاف السنة

(فصل) وينبغي له أن يمنع ما يدخل به بعض الناس الى المسجد حين اتيانهم بالميت الى الصلاة عليه فيه من القراء والفقراء الذاكرين والمكبرين والمريدين اذ أن ذلك كله من البدع في غير المسجد فكيف به في المسجد ولان ذلك يشوش على المتنفل والتالي والذاكر والمفكر والمسجد انما بني لهؤلاء دون غيرهم (وقد استفتي) الامام النووي رحمه الله فقيل له هذه القراءة التي يقرؤها بعض الجهال على الجنائز بدمشق بالتمطيط الفاحش والتغني الزائد وادخال حروف زائدة وكلمات ونحو ذلك مما هو مشاهد منهم هل هو مذموم أم لا (فاجاب) بما هذا لفظه هذا منكر ظاهر مذموم فاحش وهو حرام باجماع العلماء وقد نقل الاجماع فيه الماوردي وغير واحد وعلى ولي الامر وفقه الله زجرهم عنه وتعزيرهم واستتابتهم ويجب انكاره على كل مكلف تمكن من انكاره انتهى (واذا) كان كذلك فيتعين منع ذلك كله مع ان الصلاة على الميت في المسجد تمتنع في مذهب الامام مالك رحمه الله لو كانت سالمة لقوله عليه الصلاة والسلام من صلى على ميت في المسجد فلا شيء له أخرجه أبو داود في سننه وهذا الذي خرجه أبو داود يقويه عمل السلف المتصل بل لو انفرد العمل لكان كافيا في منعه في المسجد والله الموفق (ثم انهم) يؤخرون الصلاة على الميت ودفنه حتى يفرغ الامام من خطبته وصلاته ان كان في الجمعة وان كان في غيرها فينتظرون به انقضاء تلك الصلاة التي تكون (وقد) وردت السنة ان من اكرام الميت تعجيل الصلاة عليه ودفنه (وقد كان) بعض العلماء رحمه الله ممن كان يحافظ على السنة اذا جاءوا بالميت الى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويأمر أهله أن يخرجوا الى دفنه ويعلمهم أن الجمعة ساقطة عنهم ان لم يدركوها بعد دفنه

فجزاه الله خيرا عن نفسه على محافظته على السنة والتنبيه على البدعة فلو كان العلماء ماشين على ما مشى عليه هذا السيد لانسدت هذه الثلمة التي وقعت وهي ان من احدث شيئا سكت له عليه فتزايد الامر بذلك فانا لله وانا اليه راجعون (ثم) ان مع ماذكر ترتبت مفاسد على كون الميت يصلى عليه في المسجد (الاترى) ان الغالب على بعضهم يأتون بالميت الى المسجد في زحام من الوقت فيجدون المسجد قد امتلأ بالناس فيدخل الحاملون له وهم حفاة قد مشوا باقدامهم على النجاسات على ما يعلم في الطرقات في هذا الوقت ثم يدخلون المسجد على تلك الحال من غير ان يمسحوا اقدامهم او يحكوها بالارض فيتخطون رقاب الناس بتلك الاقدام ويمشون بها على ثيابهم وقد يتنجس بعض المسجد وثياب من مشوا عليه بذلك (وهذا الموضع) مما وقع عليه النص من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه في فاعل ذلك أنه مؤذ قال عليه الصلاة والسلام للذي تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اجلس فقد آذيت هذا وجه (الوجه الثاني) ان الغالب على بعضهم انه يكون قدمه في حجزته فاذا تحرك تحرك القدم بحركته وينحك بعضه في بعض فان كانت فيه نجاسة وهو الغالب وقعت في المسجد فيصلي الناس عليها فتبطل صلاتهم بذلك (الوجه الثالث) ان موضع سرير الميت يمسك موضع للمصلين وذلك غصب لهم لان الموضع وقف على المصلين وهم لا حاجة لهم به كلية الا في وقت الصلاة المكتوبة سيما اذا كانت صلاة الجمعة فيتأكد تعيين الغصب في ذلك (الوجه الرابع) ان الغالب على بعض الموتى أن يبقى فيهم شيء من الفضلات والميت لا يمسك ذلك وقد تخرج في المسجد والنجاسة في المسجد ممنوعة (الوجه الخامس) رفع صوت الحاملين على ما يعلم منهم عند ارادة الصلاة على الميت وبعدها حين خروجهم مما لم يرد به الشرع فينتهكون بذلك حرمة المسجد الى غير ذلك وهو كثير متعدد لان مخالفة السنة لا تأتي بخير والخير كله في الاتباع له عليه الصلاة والسلام في الدقيق والجليل (وسئل مالك) عن الجنائز يؤذن بها على أبواب المساجد فكره ذلك وكره أن يصاح خلفه باستغفروا له يغفر الله لكم وافتوا في ذلك بالكراهة (قال) ابن القاسم سألت مالكا عن الجنازة يؤذن بها في المسجد بصياح قال لا خير فيه

وكرهه وقال لا أرى بأساً أن يدار في الحلق و يؤذن الناس بها ولا يرفع بذلك صوت (قال القاضي) أبو الوليد بن رشد رحمه الله في البيان والتحصيل أما النداء بالجنائز في داخل المسجد فلا ينبغي ولا يجوز باتفاق لكراهة رفع الصوت في المسجد فقد كره ذلك حتى في العلم وأما النداء بها على أبواب المسجد فكرهه مالك ورآه من النعي المنهي عنه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والنعي فان النعي من عمل الجاهلية والنعي عندهم أن ينادي في الناس ألا ان فلانا قد مات فاشهدوا جنازته وأما الايذان بها والاعلام من غير نداء فذلك جائز باجماع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرأة التي توفيت ليلا أفلا آذنتموني بها وقد روى عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه أنه قال اذا أنا مت فلا تؤذنوا بي أحدا اني أخاف أن يكون نعيا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي وبالله التوفيق اه (فان) قال قائل ان النجاسة لا تخرج من الميت في المسجد لما يفعلونه من سد مخارجه وارسال القطن معه (فالجواب) أن في فعل هذا محرمات أخر منها انتهاك حرمة المؤمن بعد موته ولا فرق في ذلك بين حياته وموته لانهم يرسلون معه القطن في فمه ويدخلونه الى حلقه ويرسلونه معه بعود أو غيره حتى يملؤا حلقه بالقطن وينزل ذقنه الى أسفل ويطلع انفه الى فوق ويملؤن فمه ويشدقيه بالقطن فيبقى مثلة للناظر وكذلك يفعلون في أنفه فيرسلون فيه القطن حتى يتعاظم أنفه ثم يفعلون فعلا قبيحا فيرسلون القطن في دبره بعود أو غيره وهذا فعل قبيح شنيع لان ذلك حرام في حياته فكذلك بعد موته (ووجه آخر) وهو أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه أمرنا بغسل الميت اكراما للقاء الملائكة في القبر وهم يفعلون به ما ذكر فاذا جاء وا به الى القبر اخرجوا ذلك منه فيخرج القطن وهو ملوث بالفضلات في الغالب ويبقى الفم مفتوحا لا يمكن غلقه ثم ان ما يخرج منه في الغالب له رائحة كريهة والملائكة تتاذى مما يتاذى منه بنو آدم وهم يبقون ذلك معه في قبره في الغالب فذهب بذلك المعنى الذي لاجله أمرنا الشارع عليه الصلاة والسلام بفعله وهو الاكرام بغسله للقاء الملائكة (ثم العجب) في كونهم يأتون بماء الورد فيسكبون ذلك عليه في القبر وهذه أيضا بدعة أخرى

لان

لان الطيب انما شرع فى حق الميت بعد الغسل لا فى القبر فكيف يجتمع طيب ونجاسة

(فصل) وينبغى له أن يمنع من يرفع صوته فى حال الخطبة وغيرها فى المسجد لان رفع الصوت فى المسجد بدعة (الوارد) عنه عليه الصلاة والسلام انه قال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم وبيعكم وشراءكم وسل سيوفكم ورفع أصواتكم واقامة حدودكم وجمروها أيام جمعكم واجعلوا مطاهركم على أبواب مساجدكم اه (وقد كثر) رفع الاصوات والخصومات فى المساجد فى هذا الزمان حتى ان الخطيب لا يسمع منه ما يقول لكثرة غوغائهم اذ ذاك (وكذلك) ينبغى له أن يغير عليهم ما أحدثوه من التصفيق فى حال الخطبة اذ ان ذلك فعل قبيح وليس ذلك من فعل الرجال لقوله عليه الصلاة والسلام وانما التصفيق للنساء وهذا كله سببه السكوت عما احدث فى الدين (وقد روى) أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر الجمعة ثلاث نفر فرجل حضرها بلغو فذلك حظه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله ان شاء أعطاه وان شاء منعه ورجل حضرها بانصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهى كفارة الى الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك ان الله يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها اه (وينبغى له) أن يغير ما أحدثوه من تفريق الربعة حين اجتماع الناس لصلاة الجمعة فاذا كان عند الاذان قام الذى فرقها يجمع ما فرق من تلك الاجزاء فيتخطى رقاب الناس بسبب أخذه اياها منهم (وهذا) فيه محذورات جملة (منها) ان ذلك مخالف للسلف رضوان الله عليهم اذ انه لم يرد عن أحد منهم انه فعل ذلك (الوجه الثانى) ان فيه تخطى رقاب الناس حين ارتصاصهم لانتظار صلاة الجمعة لغير ضرورة شرعية وقد تقدم النهى عن ذلك وان فاعله مؤذ وقد ورد ان كل مؤذ فى النار (الوجه الثالث) أنه قد يعطى الختمة لمن لا يحسن أن يقرأ فقد يحصل له خجل بسبب ذلك وهذه أذية وصلت على يده لمسلم كان عنها فى غنى (الوجه الرابع) أنه قد ينسى بعض الاجزاء فلا يأخذه فيضيع على الوقف (الوجه الخامس) انه قد يأخذه بعض الناس ويكتمه

مطلب التصفيق

مطلب تفريق الربعة

لتساهلهم فى الوقف فقد يخفى ويختار أن يختص هو بمنفعته فى بيته اما لنفسه اولولده اوغير ذلك فيذهب على الوقف (الوجه السادس) انه قد يأتى عليه فى بعض الاحيان انه يكون مشغولا فى جمع تلك الاجزاء والخطيب اذ ذاك يخطب فيقع الكلام والمراجعة بسبب جمعها فى حال الخطبة (وينبغى له) أن ينهى الناس أن يقفوا تحت اللوح الاخضر للدعاء وكذلك عند أركان المسجد اذ أن ذلك بدعة ممن فعله (وينبغى له) أن ينهى الناس عما احدثوه من ارسال البسط والسجادات وغيرها قبل أن يأتى أصحابها (وقد تقدم) ما فى ذلك من القبح ومخالفة السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين فأغنى ذلك عن اعادته والله الموفق (وينبغى له) أن ينهى من يقرأ الاعشار وغيرها بالجهر والناس ينتظرون صلاة الجمعة أوغيرها من الفرائض لانه موضع النهى لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن انتهى (ولا) يظن ظان ان هذا انكار لقراءة القرآن بل ذلك مندوب اليه بشرط أن يسلم من التشويش على غيره من المصلين والذاكرين والتالين والمتفكرين وكل من كان فى عبادة (والحاصل) أن ذلك يمنع فى المسجد المطروق مطلقا وان لم يكن فيه أحد لانه معد ومعرض لما تقدم ذكره من العبادات المقصود بها واما ان كان فى مسجد مهجور وليس فيه غير السامعين اوفى مدرسة اورباط اوبيت فذلك مندوب اليه بحسب الحال بشرط ان لا يكون ثم غير السامعين كما تقدم فان كان ثم غيرهم فيمنع لاحتمال ان يكون ثم من يدرس اويطالع اويصلى اويأخذ راحة لنفسه فيقطع عليه ما هو بصدده وقد تقدم ما ورد فى الحديث لا ضرر ولا ضرار اه (هذا) اذا سلم من الزيادة اوالنقصان مثل أن يمد المقصور او يقصر الممدود او يشدد موضع التخفيف اوعكسه او يظهر موضع الادغام اوعكسه او يظهر موضع الاخفاء الى غير ذلك وان لا يصل بالعشر آية اخرى غير متصلة به لان ذلك تغيير للقرآن فى الظاهر عن نظمه الذى اجمعت عليه الامة (وينبغى له) ان ينهى عن قراءة الاسباع سيما التى فى المسجد لما تقدم من ان المسجد انما بنى للمصلين والذاكرين وقراءة الاسباع فى المسجد مما يشوشون بها لما ورد فى الحديث لا ضرر ولا ضرار فأى شئ كان فيه تشويش منع والله

مطلب
ارسال البسط والسجادات

مطلب
قراءة الاعشار

مطلب
قراءة الاسباع

مطلب الذاكرين جماعة

الوفق (وينبغي له) أن ينهى الفقراء الذاكرين جماعة في المسجد قبل الصلاة أو بعدها أو في غيرهما من الأوقات لما تقدم من منع ذلك في أول الكتاب

مطلب السؤال

(وينبغي له) أن يمنع من يسأل في المسجد لما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من سأل في المسجد فاحرموه ومن كتاب القوت قال ابن مسعود اذا سأل الرجل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه انتهى والمسجد لم يبن للسؤال فيه وانما بني لما تقدم ذكره من العبادات والسؤال يشوش على من يتعبد فيه (وينبغي له) أن ينهى عن الاعطاء لمن يسأل فيه لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام فاحرموه ولان اعطاءه ذريعة الى سؤاله في المسجد (وينبغي له) أن

مطلب السقائين

يمنع السقائين الذين يدخلون المسجد وينادون فيه على من يسبل لهم فاذا سبل لهم ينادون غفر الله لمن سبل ورحم من جعل الماء للسبيل وما أشبه ذلك من ألفاظهم ويضربون مع ذلك بشئ في أيديهم له صوت يشبه صوت الناقوس وهذا كله من البدع ومما ينزه المسجد عن مثله (وفي) فعل ذلك في المسجد مفاسد جملة (منها) ما تقدم ذكره من شبه الناقوس (ومنها) رفع الصوت في المسجد لغير ضرورة شرعية (ومنها) البيع والشراء في المسجد لأن بعضهم يفعل ما ذكر وبعضهم يمشي يخترق الصفوف في المسجد فمن احتاج أن يشرب ناداه فشرب وأعطاه العوض عن ذلك وهذا بيع بين ليس فيه واسطة تسبيل ولا غيره سيما والمعاطاة بيع عند مالك رحمه الله ومن تبعه (ومنها) تخطي رقاب الناس في حال انتظارهم للصلاة (ومنها) تلويث المسجد لانه لا بد أن يقع من الماء شئ فيه وان كان طاهرا الا انه يمنع في المسجد على هذا الوجه وقد تقدم مشي بعضهم حفاة ودخولهم المسجد بتلك الاقدام النجسة وما في ذلك من المحذور كما تقدم ذكره وقد تقدم أيضا ما يفعلونه في المسجد في ليلة الاسراء وليلة النصف من شعبان ووقود القناديل وغيرها وما في ذلك مما لا ينبغي وكذلك ما يفعل في ليلة الختم في أواخر شهر رمضان مبسوطا في مواضعه فليلتمس هناك (وأما) البيع والشراء في المسجد فقد عمت به البلوى بجهل الجاهل وسكوت العالم حتى صار الامر الى جهل الحكم فيه واستحلمت العوائد حتى ان أم القرى مكة التي لها من الشرف ما لها

يبيعون و يشترون فى مسجدها والسماسرة ينادون فيه على السلع على رءوس الاشهاد و يسمع لهم هنالك أصوات عالية من كثرة اللغط ولا يتركون شيئا الا يبيعونه فيه من قماش وعقيق ودقيق وحنطة وتين ولوز واكر وعود أراك وغير ذلك وعلى هذا الاستاك من له ورع بعود الاراك وان كان من السنة لانهم انما يبيعونه فى المسجد اللهم الا أن يعلم من يأتيه به انه اشتراه خارج المسجد فيستاك به حينئذ والله الموفق (وينبغى له) أن ينهى عن تعليق القناديل المذهبة ووقودها والتزيين بها لان ذلك من باب زخرفة المساجد وذلك من أشراط الساعة كما تقدم وفيه السرف وهو محرم اذ أن الذهب لا يستعمل الا فى تحلية النساء وفى تحلية المصحف والسيف واختلف فى المنطقة وغير ذلك ممنوع (وينبغى له) أن ينهى الناس عما احدثوه من مشيهم فى المسجد لقضاء حوائجهم ولهم طريق سواه وان كانت أبعد منه واتخاذ المسجد طريقا من أشراط الساعة وها هو ذا قد شاع وكثر وقل ان تجد جامعا الا وقد اتخذوه طريقا وقل من ينهى عن ذلك ولو قدرنا ان أحدا نهى عنه لا تحمقوه وقد يتأذى بسبب ذلك فانا لله وانا اليه راجعون (وينبغى له) أن يمنع النساء اللاتى يدخلن الجامع ويجلسن فيه لانتظار بيع غزلهم ويدخل المنادى اليهن ومعه الغزل فيكلمهن فى الجامع ويشاورهن على ثمن ذلك فمن رضيت منهن تقول قد بعت وذلك بيع فى المسجد لان المنادى صار اذ ذاك كالوكيل و يقع بذلك كثرة الكلام والزيادة والنقصان فى المسجد و يجتمع بسبب ذلك فى المسجد من فى قلبه مرض ويجد السبيل الى ما سولت له نفسه من الاغراض الخسيسة وبعضهن يكون معها الاولاد الصغار وقد يبولون فى المسجد وقد رؤى ذلك عيانا (وينبغى له) أن يمنع النساء اللاتى يأتين للمحاكمات فى المسجد ويدخلن اليه لانتظار ما يريدونه ويدخل اليهن الوكلاء والرجال والازواج وتكثر الخصومات وترتفع الاصوات كما هو مشاهد مرئى والقاضى بمعزل عنهم خارج المسجد وقد تقدم ما فى ذلك من المفاسد فيمنع من هذا كله وفى الاشارة ما يغنى عن العبارة والله المستعان (و ينهى) الناس عما يفعلونه من الحلق والجلوس جماعة فى المسجد للحديث فى أمر الدنيا وما جرى لفلان وما جرى على فلان وقد تقدم ما ورد فى الحديث

مطلب تعليق القناديل

مطلب جعل المسجد طريقا

مطلب بيع الغزل

مطلب المحاكمات

مطلب الحديث فى أمر الدنيا

من ان الكلام فى المسجد بغير ذكر الله تعالى يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فينهاهم ويفرق جمعهم (وقد) ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد يقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحبهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم من حاجة (وروى) عنه أيضا عليه الصلاة والسلام انه قال اذا أتى الرجل المسجد فأكثر من الكلام تقول له الملائكة اسكت يا ولى الله فان زاد تقول اسكت يا بغيض الله فان زاد تقول اسكت عليك لعنة الله (وانما) يجلس فى المسجد لما تقدم ذكره من الصلاة والتلاوة والذكر والتفكر أو تدريس العلم بشرط عدم رفع الاصوات وعدم التشويش على المصلين والذاكرين (وأما) فى غير المسجد فيمنع جماعة ويجوز جهرا بشرط عدم التشويش على غيره (وهذا النوع) مما عمت به البلوى حتى فى المساجد الثلاث فقد كثر فيها الحديث والقيل والقال ورفع الاصوات سيما فى أيام الموسم فتجد رفع الاصوات عند قبر سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم والحديث الكثير بحيث المنتهى حين أوقات الزيارة له عليه الصلاة والسلام (وكذلك) فى قضاء المناسك فى الحج تجد لهم غوغاء حتى كأنهم قط ماهم فى عبادة (وكذلك) تجدهم فى المسجد الاقصى على ماعلم من عوائدهم فيه من الوقوف يوم عرفة والنفور عند الغروب وذلك بدعة ممن فعله لان البيت المقدس لم يحج اليه أحد قط ولا فرضه الله فيه وما كان الحج من عهد آدم عليه الصلاة والسلام الى النبى عليه الصلاة والسلام الا البيت الله الحرام وعرفة ومنى والمناسك المشهورة المعروفة ولم يكن فى المسجد الاقصى الا الصلاة الى الصخرة فهى القبلة التى كانت ثم حولت الى البيت الحرام (فالوقوف) بالمسجد الاقصى ليس فيه اقتداء بالماضين ولا بالمتأخرين لما ذكر (على أنه) لو حج اليه قبل هذه الشريعة المحمدية لم يجز أن يفعل ذلك فيه اليوم كما أنه لا تجوز الصلاة الى الصخرة بعد نسخها (وقد شذ) بعض الناس فقال بجواز الوقوف فيه بمعنى أنه مثاب لا أنه مجزئ عن الحج المشروع وهو قول لا يرجع اليه لما تقدم بيانه فافهمه (ومما) أحدثوا فيه ما يفعلونه ليلة النصف من شعبان وأول ليلة جمعة من رجب فيسمع لهم صياح وهرج وبدع كثيرة حين صلاة الرغائب وأول ما حدث هذه

البدع فى المسجد الاقصى ومنه شاعت فى الاقاليم على مانقله الامام الطرطوشى رحمه الله فى كتاب الحوادث والبدع له فاذا كان الامام ينهى عن ذلك أو يتكلم فيه كما تقدم ذكره لانحسمت المادة أو بعضها والله الموفق (ومنها) من يقعد فى المسجد ليفلى ثيابه سيما فى أيام البرد يقعدون فى الشمس ويفلون ثيابهم وهذا لا يحل اجماعا لان جلدة البرغوث الذى خالط الانسان نجسة وجلدة القملة نجسة مطلقا وهم يلقون ذلك فى المسجد بعد قتله ولو فرضنا أن أحدا منهم يجمعه ويلقيه خارج المسجد فذلك لا يجوز لاجل قتلها فى المسجد نعم وان لم يلقها فيه اذ أنه حامل للنجاسة فى المسجد من حين قتلها الى حين القائها خارج المسجد لغير ضرورة شرعية (ومن الطرطوشى) وكره مالك قتل القملة ورميها فى المسجد ولا يطرحها من ثوبه فى المسجد ولا يقتلها بين النعلين فى المسجد انتهى (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم فى المصلى اذا أخذ قملة وهو فى الصلاة فلا يجوز له أن يلقيها فى المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قتلتم فأحسنوا القتلة (واذا) رماها فى المسجد وهى بالحياة فاما أن تموت جوعا أو تضعف وكلاهما عذاب لها وليس ذلك من حسن القتلة وشأن من وقع له ذلك أن ينقلها لمكان آخر من بدنه أو ثوبه أو يربطها فى طرفه حتى يخرج من المسجد (وأما) البرغوث اذا أخذه وهو فى الصلاة فانه يلقيه فى المسجد من غير أن يقتله لان البرغوث لا يقعد بمكان واحد بل ينتقل فى الغالب وربما خرج من المسجد هذا وجه (الوجه الثانى) انه لو بقى فى المسجد فانه يأكل من التراب لانه منه خلق ويعيش فيه بخلاف القملة فانها خلقت من دم الانسان (وقد حكى) عن سيدى حسن الزبيدى رحمه الله أنه خرج يوما مع أصحابه الى بستانه فلما ان كان فى أثناء الطريق رجع الى بيته وأمر أصحابه أن يذهبوا الى البستان فسألوه عن سبب رجوعه فقال كان على قميص نسيته فى البيت وفيه دواب فخفت أن يموتوا جوعا فرجعت اما أن أقتلهم واما أن ألبسه (وهذا الامر) قد كثر وفشا سيما فى المسجد الاقصى فترى الغرباء يأتون اليه بدلوق تغلى قملا فيجردونها عنهم ويلقونها فى المسجد فتحس بحرارة الشمس فتخرج من الثوب وتموت بحر الشمس ثم ينفض أحدهم دلقه ويلبسه وتبقى الدواب كلها ميتة فى المسجد فاذا كان

فصل
تفلية الثياب

امام المسجد ينهى عن هذا وأمثاله تنبه الناس اليه وتركوه وغيروه على من فعله والله الموفق (وينهى) الناس عما أحدثوه من الاكل فى المسجد سيما ان كان من المطبوخ بالبصل أو الثوم أو الكراث وأما ان كان نيئا فهو موضع النهى سواء بسواء والاكل فى المسجد فى مذهب مالك رحمه الله لا يسامح فيه الا الشئ الخفيف كالسويق ونحوه (ومن الطرطوشى) سئل مالك رحمه الله عن الاكل فى المسجد فقال اما الشئ الخفيف مثل السويق ويسير الطعام فارجو أن يكون خفيفا ولو خرج الى باب المسجد كان أعجب الى وأما الكثير فلا يعجبنى ولا فى رحابه (وقال) فى الذى يأكل اللحم فى المسجد أليس يخرج لغسل يده قالوا بلى قال فليخرج ليأكل انتهى (وقد) كره مالك رحمه الله ما هو أخف من هذا وهو الكلام بغير لسان العرب فى المسجد فقال وأكره أن يتكلم بالسنة العجم فى المسجد قال وأغاذ ذلك الماقيل فى ألسنة الاعاجم انها خب قال ولا يفعل فى المسجد شئ من الخب قال وهو وان يحسن العربية أشد اه (وهذا) الامر اليوم قد كثر وشاع حتى ان القومة يخرجون من المسجد فى كل يوم صحافا كثيرة وأوراقا وغير ذلك من كثرة ما يؤكل فى المسجد ويجتمع بسبب ذلك الذباب والخشاش ويكثر القطاط ويرون ان اطعامهم الطعام من باب الحسنات فتكثر القطاط فى المسجد فاذا أكل أحد فى المسجد اجتمعت عليه القطاط فى المسجد بسبب ذلك فيبان فيه وبولهن نجس وقد رأيت ذلك عيانا فى الصف الاول فكان ذلك سببا الى صلاة بعض الناس على النجاسة وبطلان صلاتهم بذلك حتى آل الامر فى ذلك الى أن من كان عنده هر مؤذ أرسله الى الجامع (فكان) الناس يوقرون بيوت ربهم ويحترمونها وينزهونها عما لا يليق بها وكانت المساجد كما ورد فى الحديث المسجد بيت كل تقى (فانعكس) الامر الى ان صار المسجد مأوى للقطاط المؤذية والاكل سبب ذلك سيما فى المسجد الاقصى فانه يكثر ورود الغرباء اليه فتجدهم يأكلون اللحم ويرمون العظام فى المسجد ويأكلون البطيخ ويرمون قشوره الى غير ذلك من فضلات المأكول وقل من تجده يلقى ذلك فى خارج المسجد بل يدخلون فيه بالحمير بسبب ما يحتاجون اليه من البنيان والعمارة فتبول الحمير فيه

مطلب الاكل

الخب بالكسر الخداع اه

وتروث كانه عندهم طريق من الطرق المسلوكة ولو كان كذلك فنحن مامورون بتنظيف الطرق فكيف الحال في المساجد فكيف الحال في المسجد الاقصى الذى فيه من الفضل مافيه فانا لله وانا اليه راجعون فاذا كان امام المسجد ينهى عن تلك الاشياء وينبه عليها انحسمت المادة فان الخير والحمد لله لم يعدم من الناس فان لم يسمع واحد سمع آخر (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (والكلام) في هذه الاشياء سبب لهداية بعض الناس (وكثير) من الناس من يمتنع من الكلام في هذه الاشياء ويحتج على ذلك بأن يقول ان الغالب على الناس انهم لا يسمعون وعن عوائدهم لا يرجعون (وجواب هذا) ما تقدم في الحديث لأن يهدى الله بك رجلا واحدا الخ (الا ترى) الى ما ورد في الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتى النبى يوم القيامة ومعه الرجل الواحد ويأتى النبى ومعه الرجلان والثلاثة الى غير ذلك فالخير والحمد لله لم يعدم من هذه الامة اذ أن الخير فيها كامن فمن نبه منهم تنبه ورجع وانقاد واستغفر وكنت أنت السبب في ذلك والله الموفق للجميع بمنه (وينهى) عما أحدثوه من النوم في المسجد سيما بعد صلاة الصبح وكذلك في أثناء النهار سيما في شهر رمضان فتجد المسجد قد ارتص بالناس في الغالب (وقد) ورد في الحديث ان الملائكة تتاذى مما يتاذى منه بنو آدم (والنائم) قل ان يسلم من خروج الريح منه فتتاذى الملائكة به (وقد) نهينا عن دخول المسجد برائحة الثوم أو البصل (لقوله) عليه الصلاة والسلام من أكل من هذه الشجرة فلا يقربن مساجدنا يؤذينا بريح الثوم فاذا كان هذا في حق الثوم فمن باب أولى الريح الخارج من المخرج وقد يحتلم النائم فيبقى جنبا في المسجد وفيه مفسدة اخرى وهو أن ذلك ذريعة لأن تسرق عمامته أو رداؤه وفيه من المفاسد أشياء عديدة يطول تتبعها والحاصل منها أن كل ما كرهه الشرع تجد فيه مخاوف فيتعين تركه فاذا علم الناس ذلك من نهى الامام ارتدعوا عنه وبالله التوفيق (وينهى) عما احدثوه من خياطة قلوع المراكب في المسجد لانا قد نهينا عن الكلام في المسجد في غير عبادة فكيف بالصنعة تعمل فيه فذلك لا يجوز (وقد)

مطلب النوم

مطلب قلوع المراكب

منع

منع علماؤنا رحمة الله عليهم نسخ العلم في المسجد ونسخ القرآن اذا كان على وجه التسبب فيه فما بالك بغيرهما فيمنع فاعل ذلك حتى لا يعود الى مثله والله الموفق (وينهى) السقاء الذي يدخل بالجمل في المسجد لان بوله على مذهب الشافعي رحمه الله نجس وعلى مذهب مالك رحمه الله يلوث المسجد وان كان طاهرا في نفسه فيمنع لان المسجد ينزه عما هو اقل من هذا (وينهى) عما احدثوه من المشي في المسجد بالغنم لانها قد تبول فيه والكلام عليه كالكلام على دخول السقاء بالجمل في المسجد (وكذلك) ينبغي أن ينهى عن دخول الشواء في المسجد لان في ذلك مفاسد (منها) أن يجعل المسجد طريقا وقد تقدم ما فيه (الثانية) انه يدخل بالذفر الى المسجد والمسجد ينزه عن أقل من هذا (الثالثة) ان رائحته قوية فقد يكون في المسجد من الفقراء المتوجهين من تتشوق نفسه لذلك ولا شيء معه ليشتري به فيتشوش في عبادته (الرابعة) ان حامله الغالب عليه انه كان في موضع الذبح وهو محل النجاسات وحاملها حاف هناك ويدخل المسجد على تلك الحالة (الخامسة) ان الحاملين له الغالب عليهم كثرة الكلام ويرفعون أصواتهم بكلام لا ينبغي في غير المسجد فكيف به في المسجد (السادسة) ما فيه من التشويش على المصلين والذاكرين وهذا الكلام على الحكم بان الشواء طاهر واما اذا كان متنجسا فلا يدخل بالنجاسة في المسجد اتفاقا (وينهى) عن دخول الرهبان في المسجد حين يفرشونه بالحصر المضفورة التي يضفرونها فان مذهب مالك رحمه الله منع دخولهم في المسجد ولا ضرورة تدعو الى دخولهم لان الله تعالى أغنى بالمسلمين عنهم اذ أن غيرهم يقوم مقامهم في فرشها وبالله التوفيق (وينهى) الناس عن اتيانهم الى المسجد باولادهم الذين لا يعقلون ما يؤمرون به أو ينهون عنه اذ أن ذلك ذريعة الى التشويش على المصلين حين صلاتهم (ألا ترى) ان الناس يكونون في صلاتهم ويبكي الصبي فيشوش على المصلين فينهى عن ذلك ويزجر فاعله (وهذا) اذا كان الصبي مع أبيه أو غيره من الرجال (فاما) ان كان مع امه فلا بأس به لوجهين (أحدهما) ان الغالب في موضع النساء أن يكون بالبعد بحيث لا يشوش ذلك على الرجال (الثاني) ان الغالب في الاولاد اذا كانوا مع امهاتهم قل أن يكون

مطلب دخول الجمال والغنم

مطلب الشواء

مطلب دخول الرهبان

مطلب دخول الناس باولادهم

بخلاف الآباء (وهذا) اذا دعت الضرورة الى صلاة المرأة فى جماعة فى المسجد وصلاتها فى بيتها أفضل (فان قيل) قد كان النساء يخرجن الى المسجد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم و يصلين معه جماعة (وقد) ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخفف صلاته اذا سمع بكاء الصبى مخافة أن تفتتن أمه (فالجواب) عن ذلك من وجهين (أحدهما) ما قالت عائشة رضى الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعه نساء بنى اسرائيل (الثانى) ان الصلاة خلف النبى صلى الله عليه وسلم لا يوازيها شئ وكلا الامرين قد فقد فاذا لم تخرج الأم للصلاة فالاتيان بالاولاد للمسجد دون أمهاتهم يمنع (وقد تقدم) النهى عن الذكر والقراءة جهرا فى المسجد اذا كان يشوش على المصلين والذاكرين فهذا من باب أولى أن ينهى عنه ويزجر فاعله (وينهى) الناس عن كتبهم الحفائظ فى آخر جمعة من شهر رمضان فى حال الخطبة وذلك يمنع لوجوه (أحدها) لما احتوت عليه من اللفظ الاعجمى (وقد) قال مالك رحمه الله لما ان سئل عنه وما يدريك لعله كفر (الثانى) ان فيه اللغو فى حال الخطبة (الثالث) أنه يشتغل بالكتب عن سماع الخطبة (الرابع) انه يشتغل ببدعة ويترك ما اختلف فيه الناس من الاصغاء فى حال الخطبة هل هو فرض أو سنة مؤكدة (الخامس) ما أحدثوه من بيعها وشرائها فى المسجد فينهى عن ذلك ويزجر فاعله و بعض الناس يكتبها بعد صلاة عصر الجمعة وذلك بدعة أيضا لكنها أخف من البدعة المتقدم ذكرها اذ انه ليس ثم خطبة يشتغل عنها ولو كتبها وأسقط منها اللفظ الاعجمى ولم يتخذ الكتابتها وقتا معلوما لكان ذلك جائزا والله أعلم (وينهى النساء) عما أحدثنه وسلت لهن عنه من دخولهن الى صلاة الجمعة فى مؤخر الجامع وان كانت لهن مقصورة معلومة لكنها كالعدم سواء بسواء اذ انها لا تسترهن والغالب عليهن خروجهن على ما قد علم من التحلى واللباس كما تقدم مع أنه لا ضرورة تدعو الى ذلك لان موضعهن فى الزيارة فقد استغنين به عن دخول المسجد والقرب من الرجال فهو أليق بهن ما لم يخالطن الرجال ولا فرق فى ذلك بين صلاة الجمعة والخميس والجنائز وغير ذلك وكان الأليق بهن بل الواجب عليهن أن لا يخرجن ولا يمكن من

مطلب بيع الحفائظ

مطلب دخول النساء لصلاة الجمعة

ذلك

ذلك لأن علماءنا رحمة الله عليهم قد قالوا ان صلاة المرأة في بيتها وحدها
أفضل من صلاتها في المسجد في جماعة وصلاتها في مخدع في بيتها أفضل
من صلاتها في بيتها فكيفما زاد سترها واختفاؤها كان أفضل لصلاتها
(اللهم) الا أن تكون ممن يمكنها أن تصلي في بيتها مع جماعة في المسجد الذي
يجاورها وهي لا تخرج من بيتها فذلك أفضل لها من غير خلاف في مذهب
مالك رحمه الله تعالى (ولذلك) كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يصلين
في بيوتهن بصلاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد
(وينهى الناس) عما أحدثوه من دخول بعضهم الى المسجد بالصلاة والتسليم
على النبي صلى الله عليه وسلم جهرا يرفع بذلك صوته حين دخوله وحين
خروجه ويجيبه بعض من يسمع صوته ممن في المسجد ويسمع لهم ضجيج قوي
ينزه المسجد عن تلك الزعقات فيه ولو فعل ذلك في السوق أو الطريق لكان
جائزا أو مندوبا اليه بحسب الحال وأما في المسجد فيمنع لما فيه من التشويش
على ما تقدم ذكره في المسجد والله الموفق (وينهى) عما أحدثوه من ادخال
المرآة في المسجد لقص الشارب ونتف الشيب وغير ذلك مما هو مشاهد
من فعلهم وهذا يمنع منه في المسجد وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام
واجعلوا مطاهركم على أبواب مساجدكم واذا كان الطهور في المسجد ممنوعا
فكيف يدخل بالفضلات في المسجد ويعمل فيه الصنعة وقد تقدم منع
نسخ الختمة أو العلم في المسجد اذا كان ذلك على وجه التسبب فكيف
بهذه الصنعة وما أشبهها والشعر وان كان طاهرا في نفسه فهو وقش ينزه
المسجد عنه هذا اذا كان الشعر مقصوصا (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى
ولا يقلم أظفاره في المسجد ولا يقص شاربه وان أخذه في ثوبه وأكره أن
يتسوك في المسجد لاجل أن ما يخرج من السواك يلقيه في المسجد (قال)
ولا أحب أن يتمضمض في المسجد قال وليخرج لفعل ذلك ذكره
الطرطوشي (وأما) اذا كان الشعر بأصله مثل نتف الشيب فان الحياة تحل
أصله فيكون ذلك الموضع من الشعرة نجسا وقل أن يسلم من وقوع
القمل في المسجد اما حيا واما ميتا وكلاهما يمنع فيه (وهذا أمر) قد عمت
به البلوى في أكثر المواضع سيما في المسجد الأقصى الذي ترد اليه الخلق

مطلب
قص الشارب
ونتف الشيب الخ

كثيرا (وقد رأيت بعض من ينتسب الى المشيخة والنسك وقد سبل نفسه
على هذه الحسنة على زعمه فهو قاعد على باب الميضأة وهو فى المسجد فأى
غريب جاء قص له أظافره أو شاربه وأزال شعره اذا احتاج اليه ويلقى كل
ذلك فى المسجد وذلك لا يجوز وقد منع مالك من فعل ذلك فى المسجد وان
كان يجمعه ويخرجه منه فكيف بالقائه فى المسجد ثم انه مع هذا الحدث
زرع دالية عنب فى المسجد فأطعمت وأثمرت وبقى اذا ورد أحد من أبناء
الدنيا أخذ من عنبها أو حصرمها أو أهداه اليه على سبيل البركة وحصل به
ما هو معلوم من حطام الدنيا وهذا النوع مما أحدثوه كثيرا فى المسجد
الاقصى واتخذوا فيه دوالى عنب وخزائن للسكنى وهو مسجد ولا يجوز شئ
من ذلك فيه (وقد تقدم) أن المساجد المهجورة لا يجوز سكناها ولا أن يحدث
فيها حدث غير ما بنيت له (وينهى الباعين) للقضامة وغيرها فى طريق
المسجد وعلى أبوابه وفى الزيادة اذ أن من كان منهم مصليا يمسك بها أكثر من
موضعين فيكون غاصبا الثلاث المواضع حين الصلاة كما تقدم وغير المصلى
منهم يتعين أدبه وزجره لامرين أحدهما أنه يضيق على المسلمين طريقهم
والثانى انه تارك للصلاة وتارك الصلاة قد اختلف فيه هل هو مرتد أو
مرتكب كبيرة سيما ان كانت صلاة جمعة فذلك أعظم (وكذلك) يتعين عليه
أن يمنع غير ماذكر ممن يبيع الحلاوة أو اللحم أو المشموم أو غير ذلك مما يضيق
به طريق المسلمين وقد تقدم انه لا ينبغى للانسان أن يشترى من دكان
لها مسطبة خارجة فى شارع المسلمين وهذا من باب أولى وأحرى أن يمنع
ويتعين عليه أيضا أن يهدم المساطب الملاصقة لجدار المساجد اذ أن ذلك
طريق للمصلين والناس أجمعين

مطلب القضامة وهى الحمص

(فصل) وينهى الزبالين أن يعملوا فى أوقات الصلاة سيما وقت اتيان
الناس لصلاة الجمعة لأن الشارع صلوات الله عليه وسلامه قد أمر
بالتنظيف لها بالغسل ولبس النظيف من الثياب واستعمال الطيب وغير
ذلك فاذا فعل المكلف ما أمره به صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه
وخرج ليصلى الجمعة اتى الزبالين فى طريقه فيفسدون عليه هيئته لها وهذا
ضرر كثير (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار فينهى عن

ذلك

ذلك ويزبو فاعله لانه مؤذ وقد ورد كل مؤذ فى النار (وينهى) الناس عما
أحدثوه من وقوف الدواب على باب المسجد لانهم يضيقون على المسلمين
طريقهم اليه ويروثون بها ويبولون على أبوابه ويمشى الناس على ذلك
بأقدامهم ويدخلون المسجد فينجسون بها ما أصابته من المسجد وهذا
محرم وفى وقوفهم على أبواب المسجد أذية كثيرة سيما للشيخ الكبير والاعمى
وغيرهما من أرباب الاعذار الذين هم مخاطبون بالجمعة بل ربما أذوا
بالرفس والكدم الاصحاء فكيف بمن سواهم من الشيوخ وغيرهم من
الضعفاء (فان) قال قائل الضرورة داعية لوقوف الدواب سيما لاجل الغلمان
المسكين لتلك الدواب (فالجواب) أنه لا ضرورة تدعو الى ذلك لكثرة
المواضع التى هى معدة لجعل الدواب فيها كالفنادق والاصطبلات وغيرها
فلو لم يكن ثم مواضع لكان يتعين على صاحب الدابة أنه اذا أتى بها الى
المسجد يرسلها الى مواضعها التى كانت فيه ويخبر من يأتيه بها فى الوقت الذى
يحتاجها فيه فتنحسم مادة الضرر بذلك والله الموفق (وينهى) البياعين عما
أحدثوه يوم الجمعة من بيعهم وشرائهم والناس فى الصلاة أو فى سماع الخطيب
وهذا محرم اذ أنه اذا صعد الامام على المنبر حرم حينئذ البيع والشراء
حتى تنقضى الصلاة وبعض الناس اليوم يكون الخطيب على المنبر الى انقضاء
الصلاة وهم يبيعون ويشترون ولا يستحيون (وينهى) الناس عما أحدثوه
من صلاتهم الجمعة فى الدكاكين وذلك لا يجوز على مذهب مالك رحمه الله
لان الجمعة لا تصح عنده فى موضع محجور وانما تصح عنده فى المسجد أو الطرق
المتصلة به ان تعذر دخول المسجد وبعضهم يأتى الى الجمعة فيقعد فى الدكان
ينتظر اقامة صلاة الجمعة والمسجد بعد لم يمتلئ بالناس وذلك لا يجوز على كل
حال (وينهى) الناس عما أحدثه بعضهم من الاتيان للجمعة من غير غسل
ولا تغيير هيئة فان هذا من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم
وقد كانوا رضى الله عنهم اذا أراد أحدهم أن يوكد الامر على صاحبه يقول له
ولا تكن ممن يترك الغسل للجمعة (ومن) كتاب القوت وكان أهل المدينة
يتسابون فيقولون لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة (وقد) قال مالك
فى موطائه ان غسل الجمعة واجب وهو ظاهر الحديث من قوله صلى

مطلب
وقوف الدواب

الكدم العض
وزنا ومعنى اه

مطلب
البيع والشراء
وقت الصلاة وعند
سماع الخطبة

مطلب
صلاة الجمعة فى
الدكاكين

مطلب
الغسل ولبس
الثياب الحسنة

الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم (واختلاف) العلماء فى ذلك هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن المؤكدة (واذا) كان كذلك فقد قالوا فيمن ترك الوتر انه يفسق بذلك لكونه سنة وللاختلاف فيه أيضا هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن المؤكدة وما يوجب فسق تاركه فجدير أن يحافظ على فعله ولا يترك الا مع ضرورة شرعية وبعض الناس قد أهملوا ذلك حتى كأنه لا يعرف بينهم أعنى عند أكثر العامة وعند بعض الفقهاء حكاية تحكى حتى كأنهم ليسوا من أهل الخطاب بالغسل لها (وكذلك) ينهاهم عما تركوه من لبس الحسن من الثياب لها واستعمال الطيب فان ذلك من سننها المؤكدة أيضا (قال) الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه وليتطيب بأطيب طيبه مما ظهر ريحه وخفى لونه فذلك طيب الرجال وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه اه (وقد) ترك ذلك بعضهم وهو عكس ما كان عليه السلف رضوان الله عليهم أجمعين (حتى) انك لتجد بعض الفقهاء فى الدرس أو فى دكانه أو حين اجتماعه بأحد القضاة أو غيرهم من أرباب المناصب على هيئة من ثياب ورائحة طيب وغيرهما وتجده فى صلاة الجمعة على هيئة دونها وسبب هذا تعظيم الدنيا فى القلوب والتهاون بشعائر الدين والغفلة بسبب العوائد الرديئة (ولا) يظن ظان ان ما ذكر من لبس الحسن من الثياب هو ما اعتاده بعض الناس فى هذا الزمان بل ذلك على ما درج عليه السلف وكانوا رضوان الله عليهم على ما نقله الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه أثمان أثوابهم القمص كانت من الخمسة الى العشرة فما بينهما من الأثمان وكان جمهور العلماء وخيار التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين والثلاثين وكان بعض العلماء يكره أن يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز قيمته أربعين درهما وبعضهم يقول الى المائة ويعده سرفا فيما جاوزها اه (فعلى هذا) فما زاد على ذلك فهو من البدع الحادثة بعدهم (اللهم) الا ما كان من ذلك لضرورة شرعية من دفع حر أو برد أو غيرهما فقد خرج عن هذا الباب الى باب الجائز أو المندوب أو الواجب بحسب الحال (فاذا نبه) الامام على هذا وحض على فعله وقبح تركه تنبه الناس لما ارتكبوه فلعلهم أن يرجعوا أو بعضهم والله الموفق (وينهى)

الناس مما احدثوه من الركوع بعد الاذان الاول للجمعة لانه مخالف لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم (لانهم) كانوا على قسمين (فنهم) من كان يركع حين دخوله المسجد ولا يزال كذلك حتى يصعد الامام على المنبر فاذا جلس عليه قطعوا تنفلهم (ومنهم) من كان يركع ويجلس حتى يصلى الجمعة ولم يحدثوا ركوعا بعد الاذان الاول ولا غيره فلا المتنفل يعيب على الجالس ولا الجالس يعيب على المتنفل وهذا بخلاف ما هم اليوم يفعلونه فانهم يجلسون حتى اذا أذن المؤذن قاموا للركوع (فان) قال قائل هذا وقت يجوز فيه الركوع وقد روى البخاري عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة قالها ثلاثا وقال في الثالثة ان شاء (فالجواب) ان السلف رضوان الله عليهم أفقه بالحال وأعرف بالمقال فما يسعنا الا اتباعهم فيما فعلوه (وهذا) على قاعدة مذهب مالك رحمه الله تعالى لان اتباع السلف أولى (فان) قال قائل الركوع انما هو للجمعة (فالجواب) ان السنة في هذا ما كان السلف يفعلونه من ركوعهم المتقدم (الا ترى) ان وقت الجمعة قد اختلف العلماء فيه هل هو من طلوع الشمس كصلاة العيدين أو من الزوال فذهب الامام أحمد في جماعة الى أنه من طلوع الشمس واذا كان الخلاف في وقتها على ما وصفنا تأكد الاقتداء بفعل السلف المتقدم (فان) قال قائل فعلى ما قررتموه لا يجوز لمن ركع وجلس ينتظر صلاة الجمعة أن يقوم بعد ذلك فيركع وهذا جائز فكيف تمنعوه (فالجواب) انا لا نمنع ذلك لانه وقت يجوز فيه الركوع لمن أراده وانما المنع عن اتخاذ ذلك عادة بعد الاذان لا قبله فانه يجوز والله الموفق (على) ان هذا الاذان المفعول اليوم أولا لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا زمن أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وانما فعله عثمان رضى الله عنه على ما تقدم بيانه فالاذان الذى فعل في السوق والركوع للجمعة لا يكون في السوق ومن كان في المسجد لا يسمعه حتى يركع عنده (ثم انه) لم ينقل ان هشاما المسان نقله كانوا يركعون بعده على انا لو قدرنا انهم فعلوا ذلك فلا حجة فيه لان فعل هشام ليس بحجة (فان) قال الامام مثلا ان الناس لا يرجعون اليه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه وانه ليس بين يديه رجال يأمرون وينهون

حتى تزال بهم الحرمة (فالجواب) ان المؤذنين هم رجاله وجنده وحزبه ألا
ان حزب الله هم المفلحون (فان) قال مثلا ان الناس لا يرجعون بذلك
(فالجواب) انهم ان لم يرجعوا بما تقدم ذكره فيتعين عليه أن يوصل كل ذلك
للمحتسب فيمنع من كل ما ذكر باليد القوية فان فعل فبها ونعمت وقد برئت
ذمته وذمة غيره وان لم يفعل هذا فقد برئت ذمة الامام وأما قبل ايصال ذلك
فان الذمة لا تبرأ لاجل ان كل ما ذكر من رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن
رعيته وقد تقدم ان المسجد وما حوله وما يحتاج اليه من رعية الامام (واذا)
كان ذلك من رعيته فيتعين عليه أن ينظر فيما ذكر كله بشرطه على ما تقدم
(وكذلك) ينظر في أمر المؤذنين لانهم من جملة رعيته وان كان الاذان أفضل
لقوله عليه الصلاة والسلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فهذا دليل واضح
على فضيلة المؤذن وبالجملة فهو من رعيته والمؤذن والامام كل ما ذكر فهو
من رعيتهما معا فيتعين على الامام أن يكون أكثر الناس تقوى وأفضلهم
وأورعهم الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة ان اجتمعت فان تعذر اجتماعها
فأكثرها فيتخذ من اتصف بذلك مؤذنا وقد تقدمت شروط المؤذن فاغنى
ذلك عن اعادتها لكن بقيت الاوصاف المندوب اليها فيه وهي أن يكون
صيتا حسن الصوت ويكره له التطريب في الاذان وكذلك التحزين وكذلك
يكره له امالة حروفه وافراط المد وغير ذلك مما ذكره الفقهاء

(فصل في موضع الاذان) ومن السنة الماضية أن يؤذن المؤذن على
المنار فان تعذر ذلك فعلى سطح المسجد فان تعذر ذلك فعلى بابه (وكان)
المنار عند السلف رضوان الله عليهم بناء يبنونه على سطح المسجد كهيئته
اليوم لكن هؤلاء أحدثوا فيه انهم عملوه مربعا على أركان أربعة (وكان) في
عهد السلف رضوان الله عليهم مدورا (وكان) قريبا من البيوت خلافا لما
أحدثوه اليوم من تعلية المنار (وذلك) يمنع لوجوه (أحدها) مخالفة السلف
رضي الله عنهم (الثاني) انه يكشف على حريم المسلمين (الثالث) ان صوته
يبعد عن أهل الارض ونداؤه انما هو لهم (وقد) بنى بعض الملوك في المغرب
منارا زاد في علوه فبقي المؤذن اذا أذن لا يسمع أحد من تحته صوته (وهذا)
اذا كان المنار تقدم وجوده على بناء الدار (وأما) اذا كانت الدور مبنية ثم جاء

بعض الناس يريد أن يعمل المنار فانه يمنع من ذلك لانه يكشف عليهم (اللهم) الا أن يكون بين المنار والدور سكك وبعد بحيث انه اذا طلع المؤذن على المنار ورأى الناس على أسطحة بيوتهم لا يميز بين الذكر والانثى منهم فهذا جائز على ما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم فاذا كان المنار أعلى من البيوت قليلا أسمع الناس اذانه يعم كثيرا منهم بخلاف ما اذا كان مرتفعا كثيرا والسنة المتقدمة في الاذان أن يؤذن واحد بعد واحد فان كان المؤذنون جماعة فيؤذنون واحدا بعد واحد في الصلوات التي أوقاتها ممتدة فيؤذنون في الظهر من العشرة الى الخمسة عشر وفي العصر من الثلاثة الى الخمسة وفي العشاء كذلك والصبح يؤذنون لها على المشهور من سدس الليل الآخر الى طلوع الفجر في كل ذلك يؤذن واحد بعد واحد والمغرب لا يؤذن لها الا واحد ليس الا

(فصل في الاذان جماعة) فان كثر المؤذنون فزادوا على عدد ما ذكر وكانوا يبتغون بذلك الثواب وخافوا أن يفوتهم الوقت ولم يسعهم الجميع ان أذنوا واحدا بعد واحد فمن سبق منهم كان أولى فان استووا فيه فانهم يؤذنون الجميع (قال) علماؤنا رحمة الله عليهم ومن شرط ذلك أن يكون كل واحد منهم يؤذن لنفسه من غير أن يمشي على صوت غيره (وكذلك) الحكم في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى (قال) الشيخ الامام النواوي رحمه الله في كتاب الروضة له في باب الاذان من كلام الرافعي رحمه الله فاذا ترتب للاذان اثنان فصاعدا فالمستحب أن لا يتراسلوا بل ان اتسع الوقت ترتبوا فيه فان تنازعوا في الابتداء أقرع بينهم وان ضاق الوقت فان كان المسجد كبيرا أذنوا متفرقين في أقطاره وان كان صغيرا وقفوا معا وأذنوا وهذا ان لم يؤد اختلاف الاصوات الى تشويش فان أدى اليه لم يؤذن الا واحد فان تنازعوا أقرع بينهم انتهى (وأذانهم) جماعة على صوت واحد من البدع المكروهة المخالفة لسنة الماضين والاتباع في الاذان وغيره متعين وفي الاذان آكد لانه من أكبر اعلام الدين (ألا ترى) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يغزو قوما امهل حتى يدخل وقت الصلاة فان سمع الاذان تركهم وان لم يسمعه أغار عليهم (ولان) في الاذان جماعة جملة مفاسد (منها) مخالفة السنة (الثاني) أن من كان منهم صيتا حسن الصوت وهو المطلوب في الاذان

خفي أمره فلا يسمع (الثالث) ان الغالب في الجماعة اذا أذنوا على صوت واحد لا يفهم السامع ما يقولون والمراد بالاذان اعلامه ونداء الناس الى الصلاة وذهبت فائدة معنى قوله حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة خير من النوم (الرابع) ان بعضهم يمشي على صوت بعض والمراد بالاذان أن يرفع الانسان به صوته مهما امكنه وذلك لا يمكنه في الجماعة كما تقدم (الخامس) ان الغالب على بعضهم أنه لا يأتي بالاذان كله لانه لابد أن يتنفس في اثنائه فيجد غيره قد سبقه بشيء منه فيحتاج أن يمشي على صوت من تقدمه فيترك ما فاته من ذلك ويوافقهم فيما هم فيه (السادس) انه قد مضت عادة المؤذن على السنة أنه اذا أراد أن يؤذن عمل الحس من تنحنح أو كلام ما من حيث أنه يشعر به أنه يريد أن يؤذن ثم بعد ذلك يشرع في الاذان هذا وهو مؤذن واحد فكيف بالجماعة وما ذاك الا خيفة أن يؤذن ومن حوله على غفلة فقد يحصل بسببه لبعضهم رجفة فاذا كان هذا في حق المؤذن الواحد فما بالك بجماعة يرفعون أصواتهم على بغتة وقد تكون حامل فتأخذها الرجفة بذلك فتسقط وترتجف بذلك الاولاد الصغار وكذلك كل من ليس له عقل ثابت وتشوش بهم كثير قل ان ينحصر (وقد تقدم) ان أول من أحدث الاذان جماعة هشام بن عبد الملك فجعل المؤذنين الثلاثة الذين كانوا يؤذنون واحدا بعد واحد على المنار في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم يؤذنون بين يديه جميعا اذا صعد الامام على المنبر وأخذ الاذان الذي زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه لما ان كثر الناس وكان ذلك مؤذنا واحدا فجعله على المنار فهذا الذي أحدثه هشام بن عبد الملك ولم يزد على الثلاثة الذين كانوا فيمن قبله يؤذنون واحدا بعد واحد شيئا (ثم أحدثوا) في هذا الزمان على الثلاثة جمعا كثيرا كما هو مشاهد (وكذلك) زادوا على المؤذن الواحد على المنار فجعلوهم جماعة وفعلهم ذلك لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون ذلك منهم ابتغاء الثواب فالثواب لا يكون الا بالاتباع لا بالابتداع وان كان لاخذ الجامكية فالجامكية لا تصرف في بدعة كما انه يكره الوقف عليها ابتداء وبالجملة فكل ما خالف الشرع فمفاسده لا تنحصر في الغالب والله سبحانه الموفق

فصل

(فصل فى النهى عن الاذان بالالحان) وليحذر فى نفسه أن يؤذن بالالحان وينهى غيره عما أحدثوا فيه مما يشبه الغناء وهذا ما لم يكن فى جماعة يطربون تطريبا يشبه الغناء حتى لا يعلم ما يقولونه من ألفاظ الاذان الأصوات ترتفع وتنخفض وهى بدعة مستهجنة قريبة العهد بالحدوث أحدثها بعض الامراء بمدرسة بناها ثم سرى ذلك منها الى غيرها وهذا الاذان هو المعمول به فى الشام فى هذا الزمان وهى بدعة قبيحة اذ أن الاذان انما المقصود به النداء الى الصلاة فلا بد من تفهيم ألفاظه للسامع وهذا الاذان لا يفهم منه شئ لما دخل ألفاظه من شبه الهنوك والتغنى (وقد ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ (وقد روى) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمح فان كان أذانك سهلا سمحا والا فلا تؤذن أخرجه الدارقطنى فى سننه (وقال) الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه ومما أحدثوه التلحين فى الاذان وهو من البغى فيه والاعتداء (قال رجل) من المؤذنين لابن عمر انى لأحبك فى الله فقال له لكنى أبغضك فى الله فقال ولم يا أبا عبد الرحمن قال لانك تبغى فى أذانك وتأخذ عليه أجرة (وكان) أبو بكر الآجرى رحمه الله يقول خرجت من بغداد ولم يحل لى المقام بها قد ابتدعوا فى كل شئ حتى فى قراءة القرآن وفى الاذان يعنى الاجارة والتلحين اه (والعجب) من بعض الناس حيث يردّون على مالك رحمه الله تعالى فى كونه يأخذ بعمل أهل المدينة والرجوع اليهم ثم انهم يستدلون على جواز هذا الاذان المذكور بأنه مما مضى عليه عمل أهل الشام على أن القاعدة تقتضى أن يكون كل ما حدث من جهة المشرق لا يعول عليه ولا يقتدى به لقوله عليه الصلاة والسلام الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان وأشار الى المشرق وما حدث بالشام الامن تلك الجهة (ثم انظر) رحمنا الله واياك الى البدعة اذا حدثت فان الشيطان لا يقتصر عليها وحدها بل يضم اليها بدعا أو محرمات (الاترى) انهم لما أن أحدثوا هذا الاذان تعدت بدعته الى محرم وهو أنهم يسمعون المأمومين وهم فى الصلاة بتلك الالحان وذلك كلام فى الصلاة على سبيل

العمد لا لعذر شرعي فتبطل صلاتهم بذلك واذا بطلت صلاتهم سرى ذلك الى
فساد من ائتم بتسميعهم لما تقدم من ان المأموم لا يجوز له الاقتداء الا باحد
أربعة أشياء فان عدمت فلا ائتمام في تلك الصلاة وهي أن يرى افعال الامام
فان تعذر فسماع اقواله فان تعذر فرؤية افعال المأمومين فان تعذر فسماع
اقوالهم وهؤلاء ليسوا في صلاة لما تقدم بيانه بخلاف ما تقدم من التسميع
جماعة بالالفاظ المفهومة فانه قد اختلف في صحة صلاة من صلى بتسميعهم
بناء على الاختلاف في صلاتهم هل هي صحيحة أو فاسدة وقد تقدم بيانه

* (فصل في النهي عن الاذان في المسجد) * وقد تقدم ان للاذان ثلاثة
مواضع المنار وعلى سطح المسجد وعلى بابه واذا كان ذلك كذلك فيمنع من
الاذان في جوف المسجد لوجوه (أحدها) انه لم يكن من فعل من مضى الامام
الا ان يكون للجمع بين الصلاتين فذلك جائز في جوفه وأما الاقامة فلا
تكون الا في المسجد (الثاني) ان الاذان انما هو نداء للناس ليأتوا الى المسجد
ومن كان فيه فلا فائدة لندائه لان ذلك تحصيل حاصل ومن كان في بيته فانه
لا يسمعه من المسجد غالبا واذا كان الاذان في المسجد على هذه الصفة فلا
فائدة له وما ليس فيه فائدة يمنع (الثالث) ان الاذان في المسجد فيه تشويش
على من هو فيه يتنفل أو يذكر أو يفعل غير ذلك من العبادات التي بني المسجد
لاجلها وما كان بهذه المثابة يمنع لقوله عليه الصلاة والسلام لا ضرر
ولا ضرار (ثم انظر) رحمنا الله تعالى واياك الى هذه البدعة كيف جرت أيضا
الى بدع أخر (الاترى) أنهم لما ان احدثوا الاذان في المسجد اقتدى العوام
بهم فصار كل من خطر له ان يؤذن قام وأذن في موضعه والغالب على بعض
العوام أنهم لا يحسنون النطق بالفاظ الاذان فيزيدون فيه وينقصون ويكثر
التخليط حتى ان بعض الصبيان الصغار يؤذنون فيجمعون بين تغيير الاذان
وبين التشويش على من في المسجد من المتعبدين كما تقدم بيانه وشيء يجمع
هذه المفاسد فيتعين ان يجنب بيت الله منه

* (فصل في الطواف بالمؤذن في اركان المسجد اذا مات) * وينهى المؤذنين
عما احدثوه من الطواف باحدهم في اركان المسجد اذا مات (وكذلك)
ينهاهم عما احدثوه من التكبير والتهليل بتلك الاصوات المزعجة حين

يطوفون

يطوفون به فيه (وذلك) يمنع لوجوه (الاوّل) انه قد اختلف العلماء هل يدخل بالميت فى المسجد للصلاة عليه والصلاة عليه فرض كفاية فما بالك بما ليس بفرض ولا سنة بل للعبث والبدعة واقامته فى المسجد حتى يطوفون به بعد الصلاة عليه لا يجوز اتفاقا (الثانى) انه لما ان صلى عليه لم تدع ضرورة الى ابقائه فى المسجد (الثالث) ان فيه تأخير دفنه ومن اكرام الميت الاسراع به وقد تقدّم ان بعض الائمة من المتبعين كان رحمه الله اذا أتوا بالميت الى المسجد قبل صلاة الجمعة بدأ بالصلاة عليه وقال لاهله اذهبوا الى دفنه ولا جمعة عليكم ان لم تدركوها بعد ذلك (الرابع) انه قد يخرج منه شئ من الفضلات فى ذلك الزمان الذى يطوفون به فيه فيذهب المعنى الذى لاجله أمرنا بغسله (الخامس) ان فيه تشويشا على من فى المسجد كما تقدّم وهذا نوع مما أحدثه بعض الشرفاء فى الحجاز وهو أنهم اذا مات لهم ميت ذكرا كان أو أنثى صغيرا كان أو كبيرا فيدخلون به المسجد فيطوفون به البيت العتيق سبعا وذلك من البدع والامور الحادثة وفيه من المفاسد ما هو أكثر مما ذكر من أجل الطائفين بالبيت وحرمة ذلك المسجد على غيره وبعد المسافة فى الدخول اليه والخروج منه الى غير ذلك

(فصل فى أذان الشاب على المنار) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من أذان الشاب على المنار لانه لم يكن من فعل من مضى (وقد تقدّم) فى أوصاف المؤذن أن يكون من أتقاهم ولا يعرف ذلك فى الشاب (وينبغى) للمؤذن الذى يصعد على المنار أن يكون متزوجا لانه أغض لطرفه والغالب فى الشاب عدم ذلك والمنار لا يصعده الا مأمون الغائلة (وقد كان) بعض الصالحين بمدينة فاس وكان يصحب امام المسجد الاعظم الذى هنالك وكان للرجل الصالح ولد حسن الصوت فطلب من الامام أن يأذن لولده فى الصعود على المنار ليؤذن فيه فأبى عليه فقال له ولم تمنعه قال ان المنار لا يصعد عليه عندنا الا من شاب ذراعاه لان ذلك دليل على الطعن فى السن فرغبه فى ذلك فامتنع منه وقال أتريد أن تحدث الفتنة فى قلوب المؤمنين والمؤمنات فقد تراه امرأة فتشغف به وكذلك هو أيضا قد يرى ما لا يمكنه الصبر عنه فتقع الفتن وأقل ما فيه شغل القلوب بشئ كانوا عنه فى غنى (فانظر)

رحمنا الله تعالى واياك كيف كان تحرزهم فى هذا العهد القريب وكيف هو الحال اليوم هذا وهم يؤذنون الاذان الشرعى من غير تمطيط ولا تمييل ولا تصنع الى غير ذلك مما أحدثوه فى هذا الزمان فيمنع من ذلك جهده اذا كان على المنار وأمّا على باب المسجد فيجوز ذلك وكذلك على سطحه ان أمن ان يكشف على أحد والله الموفق

(فصل فى النهى عما أحدثوه بالليل من غير السنة) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من التسبيح بالليل وان كان ذكر الله تعالى حسنا سرا وعلنا لكن فى المواضع التى تركها الشارع صلوات الله عليه وسلامه ولم يعين فيها شيئا معلوما وقد رتب الشارع صلوات الله عليه وسلامه للصبح أذانا قبل طلوع الفجر وأذانا عند طلوعه وان كان المؤذنون فى هذا الزمان يؤذنون قبل طلوع الفجر لكنهم يفعلون ذلك على سبيل الاخفاء لتركهم رفع الصوت به حتى لا يسمع (وهذا) ضد ماشرع الاذان له لان الاذان انما شرع لاعلام الناس بالوقت (قال) عليه الصلاة والسلام ان بلالا ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم (وقد ورد) أذان بلال كان ينوم اليقظان ويوقظ الوسنان ومعنى ذلك ان من كان أحيا الليل كله فاذا سمع اذان بلال نام حتى تحصل له راحة ونشاط لصلاة الصبح فى جماعة وان كان نائما فاذا سمع أذان بلال قام وتطهر وأدرك ورده من الليل (وقد) اختلف العلماء رحمهم الله فى الاذان للصبح متى يكون فقيل بعد نصف الليل الاول وقيل من أول الثلث الاخير وقيل السدس الاخير وهو المشهور أعنى انه يكون الوقت كله الى طلوع الفجر محلا للاذان فيه (واذا) كان ذلك كذلك فقد قالوا ان المؤذنين يرتبون فى آذانهم حتى يكون الناس على يقين من أمر الوقت الذى هم فيه حتى يتهيؤا للعبادة فيرتب المؤذنون على حسب ما يسع الوقت من عددهم المتقدم ذكره لكن يكون وقت أذان كل انسان منهم معلوما لا يتقدمه ولا يتأخره فيكون الناس يعرفون بالعادة الاول والثانى والثالث وهكذا الى المؤذن الآخر الذى يؤذن عند طلوع الفجر وهو الرئيس صاحب الوقت فينضبط الوقت بذلك على المصلين ويعرف كل انسان منهم كم بقى من الوقت مما يسع الغسل أو الوضوء أو الورد أو الاستبراء وغير

ذلك فيتم النظام على هذا الترتيب وهو واضبط حالا واكثر ثوابا لاجل الاتباع بخلاف ما احدثوه من التسبيح وما يقولون فيه حتى ان بعضهم ليندب الاطلال بصوت فيه تحزين يقرب من النوح فى كثير من الاحيان ثم مع ذلك لا يعرف الناس فى الغالب اى وقت هم فيه من الليل بالنسبة الى طلوع الفجر سيما وهم قد احدثوا زيادة على ما ذكر انه اذا قرب طلوع الفجر سكتوا سكتة طويلة ثم يؤذن فن أفاق فى حال سكوتهم فقد يخيل اليه أنه فى أول الليل بعد فيقع بذلك الغرر لبعض الناس (ثم العجب) من انهم يأتون بالاذان الاول للصبح الذى قبل طلوع الفجر ويخفون ذلك فاذا فرغوا منه رفعوا أصواتهم بما أحدثوه من التسبيح فانا لله وانا اليه راجعون السنة تخفى وغير ماشرع يظهر (فان) قال قائل انما يخفون الاذان الاول للصبح خيفة أن يصلى الناس عليه صلاة الصبح فتكون صلاتهم باطلة لايقاعها قبل دخول الوقت (فالجواب) انهم لو امتثلوا السنة فيما تقرر من ترتيب المؤذنين واحدا بعد واحد وان الاول معروف وقته وكذلك الثانى الى المؤذن الذى يؤذن على الفجر كما تقدم لما انبهم الوقت على أحد ممن سمعهم وكانوا متبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم (وكذلك) ينبغى أن ينهاهم عما أحدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر وان كانت الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم من اكبر العبادات وأجلها فينبغى أن يسلك بها مسالكها فلا توضع الا فى مواضعها التى جعلت لها (ألا ترى) أن قراءة القران من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز للمكلف أن يقرأه فى الركوع ولا فى السجود ولا فى الجلوس أعنى الجلوس فى الصلاة لان ذلك ليس بمحل للتلاوة (فالصلاة والتسليم) على النبى صلى الله عليه وسلم أحدثوها فى أربعة مواضع لم تكن تفعل فيها فى عهد من مضى والخير كله فى الاتباع لهم رضى الله عنهم مع أنها قريبة العهد بالحدوث جدا أقرب مما تقدم ذكره فيما أحدثه بعض الامراء من التغنى بالاذان كما تقدم (وهى) عند طلوع الفجر من كل ليلة وبعد أذان العشاء ليلة الجمعة وبعد خروج الامام فى المسجد على الناس يوم الجمعة ليرقى المنبر وعند صعود الامام عليه يسلمون عند كل درجة يصعدها والكل فى الاحداث قريب من قريب أعنى فى زماننا هذا

وأصل احداثه من قبل المشرق وتقدم الحديث عنه عليه الصلاة والسلام بقوله الفتنة من ههنا وأشار الى المشرق (وقد تقدم) فى أول الكتاب كيف كان خوف الصحابة رضى الله عنهم من الحدث فى الدين وما جرى لهم من جمع القرآن وما جرى لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما ان رأى الطير الذى هنالك وقع على القدر ثم ارتفع عنه ووقع على ثوبه فعلم ذلك الموضع على انه اذا خرج يغسله فلما ان جاء الى غسله قال والله ما أكون بأول من أحدث بدعة فى الاسلام والصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم لا يشك مسلم أنهما من أكبر العبادات وأجلها وان كان ذكر الله تعالى والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم حسنا سرا وعلنا لكن ليس لنا أن نضع العبادات الا فى مواضعها التى وضعها الشارع فيها ومضى عليها سلف الامة الا ترى الى قول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان الله قد بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا وانما نفعل كما رأيناه يفعل (ومن) كتاب الامام ابى الحسن رزين قال وعن نافع قال عطس رجل الى جنب عبد الله بن عمر فقال الحمد لله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله ما هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول اذا عطسنا وانما علمنا أن نقول الحمد لله رب العالمين انتهى (وما) تقدم ذكره فهو جواب لقول من يقول ان الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم مشروع بنص الكتاب والسنة فكيف يمنع وقد تقدم جواب من اتصف بالانصاف وهو معدوم فى الغالب الا ترى الى قول مالك رحمه الله ليس فى زماننا هذا أقل من الانصاف فاذا كان الحال فى زمان مالك على ما ذكره فما بالك به اليوم فى هذا الزمان (وقد) وقع لبعض الاكابر من العلماء انه لما أن سمع الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر فقال هذا العالم أنا أعمل من كل واحدة مائة فبقى على ذلك زمانا فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وحشر الناس الى المحشر والناس فى أمر مهول واذا بمناد ينادى أين الذاكرون دبر كل

صلاة فقام ناس من ناس قال فقمت معهم فجئنا الى موضع فيه ملائكة يعطون الناس ثواب ذلك وكنت أزاحم معهم ويعطونهم ولا يعطوني شيئا فما زلت كذلك حتى فرغ الجميع فجئت وطلبت منهم الثواب فقالوا لي مالك عندنا شئ فقلت لهم ولم أعطيتم أولئك فقالوا لي هؤلاء كانوا يذكرون الله دبر كل صلاة فقلت لهم وما كانوا يذكرون فذكروا أنهم كانوا يسبحون الله ثلاثا وثلاثين الخ فقلت أنا والله كنت أعمل من كل واحدة مائة فقالوا ما هكذا أمر صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم بل أمر بثلاث وثلاثين مالك عندنا شئ قال فانتبهت مرعوبا فتبت الى الله تعالى أن لا أزيد على ما قرره صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم شيئا فالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم متأكدة في جميع الحالات لكن اتخاذها عادة من المؤذنين على المنار عند طلوع الفجر وغيره مما تقدم ذكره لم يكن ذلك مشروعا ولا فعله أحد من السلف الماضين رضي الله عنهم فتحري ذلك في هذه الاوقات كالزيادة على الذكر المشروع كما تقدم (ومع) ما ذكر من التعليل ترتب عليه مفاسد منها ارتكاب نهيه عليه الصلاة والسلام بقوله لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن فاذا نهى عليه الصلاة والسلام عن الجهر بالقرآن وتلاوته من أكبر العبادات وما ذاك الا لما يدخل من التشويش على من في المسجد ممن يتعبد اذا جهر به فما بالك بما يفعلونه فيه من هذه الطرق التي يعملونها في التسبيح وما يفعلونه فيه مما يشبه الغناء في وقت والنوح في وقت وندب الاطلال في وقت وينشدون فيه القصائد في المسجد من المتهجدين ما هو معلوم فلا يبقى أحد منهم الا وقد وصل له من التشويش ما لا خفاء فيه فيتفرق أمرهم وتتشوش خواطرهم (ولو قدرنا) أن المسجد ليس فيه أحد فيمنع أيضا لانه بصدد أن يأتي الناس اليه (وأين هذا) مما روى عن سعيد بن المسيب رحمه الله حين كان في المسجد في آخر الليل يتهجد ثم دخل عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان اذ ذاك خليفة وكان حسن الصوت فجهر بالقراءة فلما أن سمعه سعيد بن المسيب رحمه الله قال لخادمه اذهب الى هذا المصلي فقل له اما أن تخفض صوتك واما أن تخرج من المسجد ثم أقبل على صلاته فجاء الخادم فوجد المصلي عمر بن عبد العزيز فرجع ولم يقل له شيئا فلما أن سلم سعيد بن

المسيب رحمه الله قال لخادمه الم اقل لك تنهى هذا المصلى عما هو يفعل فقال له هو الخليفة عمر بن عبد العزيز قال اذهب اليه وقل له ما أخبرتك به فذهب اليه فقال له ان سعيدا يقول لك اما أن تخفض صوتك واما أن تخرج من المسجد فخفف فى صلاته فلما ان سلم منها اخذ نعليه وخرج من المسجد قال ابن رشد رحمه الله وهذا من تواضعه فى خلافته هذا وجه (الوجه الثانى) ان بعض العوام يأتون المسجد لاجل سماع التسبيح بتلك الالحان والنغمات فيقع منهم اشياء من الزعقات وما يشبهها مما ينزه المسجد عنها (الثالث) ما احدثوه فيه من صعود الشبان اذ ذاك على المنار ولهم أصوات حسنة ونغمات تشبه الغناء فيرفعون عقيرتهم بذلك فكل من له غرض خسيس يصدر منه فى وقت سماعه ما لا ينبغى كما تقدم وقد يكون ذلك سببا الى تعلق قلب من لا خير فيه بالشاب الذى يسمعونه ويترتب على ذلك من الفتن أشياء لا تنحصر (ومن) ذلك ايضا ما يفعله بعض أهل المغرب من أنه اذا أذن المؤذن الذى يؤذن عند طلوع الفجر على ما تقدم من الترتيب اجتمع المؤذنون بجمعهم ونادوا على صوت واحد أصبح ولله الحمد ويكررون ذلك مرارا عديدة مع دورانهم على المنار وما يفعلونه من ذلك لا ضرورة ولا حاجة تدعو اليه لما تقدم من ان المؤذن الذى يؤذن على الفجر يكون وقته معلوما عند السامعين فمن سمعه منهم علم أن الفجر قد طلع فالحاصل ان كل ما جاء على خلاف ما احكمته الشريعة المطهرة ففاسده عديدة لا تنحصر

(فصل فى التسحير فى شهر رمضان) وينهى المؤذنين عما احدثوه فى شهر رمضان من التسحير لانه لم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا أمر به ولم يكن من فعل من مضى والخير كله فى الاتباع لهم كما تقدم سيما وهم يقومون الى التسحير بعد نصف الليل لان السحور لا فائدة فيه الا ان يقوى به الانسان على صوم النهار وذلك لا يحصل الا اذا فعل قبل طلوع الفجر بقليل كما ورد فى الحديث عن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم قام الى الصلاة قلت كم كان بين الاذان والسحور قال قدر خمسين آية فاذا تسحر الانسان فى هذا الوقت فالغالب عليه انه لا يجوع الا بعد الظهر واذا جاع ذلك الوقت فمسافة الفطر قريبة فتسهل لذلك العبادة ولذلك

سموا السحور الغداء المبارك لان وقت السحور قريب من وقت الغداء ويحصل له مع ذلك أجر الصيام مع نشاط بدنه وتوفير عمره القيام الليل لانه اذا تسحر فى الليل حصل له الكسل عن قيام الليل بسبب البخار الذى يصعد الى دماغه فيدخن عليه فيغلبه النوم بخلاف ما اذا تسحر قريبا من طلوع الفجر فانه اذا فرغ منه اشتغل بالطهارة لصلاة الفرض ثم دخل بعد اداء الفرض فى أوراده واشتغل بها ثم تصرف بعد ذلك فى مهماته فيحصل له التهجد فى ليله وخفة الصوم عليه فى نهاره وينضبط حاله (فان) قال قائل انما يتسحرون بعد نصف الليل خيفة أن يبقى الناس لا يعرفون الوقت الذى يجوز لهم الاكل فيه (فالجواب) ماتقدم ذكره من أن المؤذنين اذا كانوا على الترتيب المذكور علم الناس بسبب ذلك فى أى جزء هم من الليل وهل يأكلون ويشربون أم لا كما كانوا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم يعرفون جواز الاكل باذان بلال ومنعه باذان ابن أم مكتوم (واذا) كان ذلك كذلك فلا حاجة تدعو الى ما أحدثوه من التسحير ثم مع ذلك فيه من المفاسد ما تقدم ذكره من التشويش على من فى المسجد من المتهجدين (فان) قال قائل هذا الذى ذكرتموه انما ينضبط به حال المسجد الجامع وما حوله اما من بعد عنه فلا يسمعون المؤذنين ولا يعلمون فى أى جزء هم من الليل (فالجواب) ان المساجد قد كثرت فما من موضع الا وبجانبه مسجد أو مساجد فيعمل فى كل مسجد أذانان بشرط العلم بصوت الاول والثانى على ماتقدم بيانه فيكفيهم ذلك لان الاول منهما يدل على جواز الاكل والثانى يدل على منعه لكن بشرط أن يكونوا تابعين فى أذانهم للجامع أو يكون المؤذن من أهل المعرفة بالاوقات والثقة والامانة والمسجد الجامع هو الذى يكون فيه مؤذنون جملة على ماتقدم بيانه

(فصل فى اختلاف العوائد فى التسحير) اعلم أن التسحير لا أصل له فى الشرع الشريف ولاجل ذلك اختلفت فيه عوائد أهل الاقاليم فلو كان من الشرع ما اختلفت فيه عوائدهم (الاترى) ان التسحير فى الديار المصرية بالجامع يقول المؤذنون تسحروا كلوا واشربوا وما أشبه ذلك على ما هو معلوم من أقوالهم ويقرؤن الآية الكريمة التى فى سورة البقرة وهى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الى آخر الآية ويكررون ذلك

مرارا عديدة ثم يسقون على زعمهم ويقرءون الآية الكريمة التى فى سورة هل اتى على الانسان حين من الدهر من قوله تعالى ان الابرار يشربون من كأس الى قوله انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا والقرآن العزيز ينبغى أن ينزه عن موضع بدعة أو على موضع بدعة ثم يقولون فى أثناء ذلك ماتقدمت الاشارة اليه من انشاد القصائد وماترتب على ذلك ويسحرون أيضا بالطبلة يطوف بها أصحاب الارباع وغيرهم على البيوت ويضربون عليها هذا الذى مضت عليه عادتهم وكل ذلك من البدع (وأما) أهل الاسكندرية وأهل اليمن وبعض أهل المغرب فيسحرون بدق الابواب على أصحاب البيوت وينادون عليهم قوموا كلوا وهذا نوع آخر من البدع نحو ماتقدم (وأما) أهل الشام فانهم يسحرون بدق الطار وضرب الشبابة والغناء والهنوك والرقص واللهو واللعب وهذا شنيع جدا وهو أن يكون شهر رمضان الذى جعله الشارع عليه الصلاة والسلام للصلاة والصيام والتلاوة والقيام قابلوه بضد الاكرام والاحترام فانا لله وانا اليه راجعون (وأما) بعض أهل المغرب فانهم يفعلون قريبا من فعل أهل الشام وهو انه اذا كان وقت السحور عندهم يضربون بالنفير على المنار ويكررونه سبع مرات ثم بعده يضربون بالابواق سبعا أو خمسا فاذا قطعوا حرم الاكل اذ ذاك عندهم (ثم) العجب منهم فيما يفعلونه من ذلك لانهم يضربون بالنفير والابواق فى الافراح التى تكون عندهم ويمشون بذلك فى الطرقات فاذا مروا على باب مسجد سكتوا وأسكتوا ويخاطب بعضهم بعضا بقولهم احترموا بيت الله تعالى فيكفون حتى يجاوزونه فيرجعون الى ما كانوا عليه ثم اذا دخل شهر رمضان الذى هو شهر الصيام والقيام والتوبة والرجوع الى الله تعالى من كل رذيلة يأخذون فيه النفير والابواق ويصعدون بها على المنار فى هذا الشهر الكريم ويقابلونه بضد ماتقدم ذكره وهذا يدلك على ان فعل التسحير بدعة بلا شك ولاريب اذ انه لو كانت مأثورة لكانت على شكل معلوم لايختلف حالها فى بلدة دون أخرى كما تقدم فيتعين على من قدر من المسلمين عموما التغيير عليهم وعلى المؤذن والامام خصوصا كل منهم يغير مافى اقليمه ان قدر على ذلك بشرطه كما تقدم بيانه فان لم يستطع ففى بلده فان لم يستطع

في مسجده (تنبيه) وليحذر ان يغتر او يميل الى شئ من البدع بسبب ما مضت له من الفوائد وترتى عليها فان ذلك سم وقل من يسلم من آفاتها (وقد رأيت) بعض المغاربة وكان من البلاد التي يبخرون فيه بالنفير والابواق لما ان سمع المبخرين في هذه البلاد يقولون تبخروا كلوا واشربوا قال ماهذه البدعة وانكرها لاستئناسه بما تربى عليه وماتربى عليه هو اكثر شناعة وقبحا واقرب الى المنع مما انكره هنا فالعوائد قل ان يظهر الحق معها الا بتأييد وتوفيق من المولى سبحانه وتعالى (ولاجل العوائد) وما ألفت النفوس منها انكرت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الهدى والبيان وكان ذلك سببا لكفرهم وطغيانهم وعنادهم بقولهم ان هذا الا سحر مبين سحر مستمر سحر يؤثر ان امشوا واصبروا على آلهتكم أجعل الآلهة الها واحدا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هي الا حياتنا الدنيا الى غير ذلك من الالفاظ التي كفروا بها بسبب ما تربوا عليه ونشأوا فيه (فالحذر) الحذر من هذا السم فانه قاتل وميل مع الحق حيث كان وكن متيقظا للخلاص مستمسكا بالاتباع وترك الابتداع واقبل نصيحة اخ مشفق فان الاتباع أفضل عمل يعمله المرء في هذا الزمان والله يوفقنا واياك لما يرضاه عنه فانه القادر عليه (سؤال وارد) فان قال قائل ان التبخير من البدع المستحبات (فالجواب) ان البدع قد قسمها العلماء على خمسة أقسام (بدعة واجبة) وهي مثل كتب العلم فانه لم يكن من فعل من مضى لان العلم كان في صدورهم وكشكل المصحف ونقطه (البدعة الثانية) بدعة مستحبة قالوا مثل بناء القناطر وتنظيف الطرق لسلوكها وتهيئ الجسور وبناء المدارس والربط وما أشبه ذلك (البدعة الثالثة) وهي المباحة كالمنخل والاشنان وما اشبه ذلك كلهما (البدعة الرابعة) وهي المكروهة مثل الاكل على الخوان وما اشبهه (البدعة الخامسة) وهي المحرمة وهي أكثر من ان تنحصر (منها) ما احدثه النساء اللاتي وصفهن عليه الصلاة والسلام في الحديث بقوله نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها انتهى (ومما) يقرب منه اتخاذ المساجد طريقا (ومنها) اتخاذها للديون وكل ذلك من أشراط الساعة كما تقدم (ومسئلة التبخير) لم تدع

ضرورة الى فعلها اذان صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه قد شرع الاذان الاول للصبح دالا على جواز الاكل والشرب والثانى دالا على تحريمهما فلم يبق أن يكون ما يعمل زيادة عليهما الا بدعة مكروهة لان المؤذنين اذا أذنوا مرتين على ما تقدم انضبطت الاوقات وعلمت (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى أن ينهى الناس عما اعتادوه من تعليق الفوانيس التى جعلوها علما على جواز الاكل والشرب وغيرهما ما دامت معلقة موقودة وعلى تحريم ذلك اذا أنزلوها وذلك يمنع فعله لوجوه (أحدها) ما ورد من ان الصحابة رضى الله عنهم لما كثر الناس ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشئ يعرفونه فذكروا أن يوقدوا نارا أو يضربوا ناقوسا كالنصارى وفى رواية وقال بعضهم اتخذ واقرنا مثل قرن اليهود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذان بدلا من ذلك ولم يفعلوا واحدا منها اذ انها من خصال أهل الكتاب والنار يعبدها المجوس (الوجه الثانى) ان فى ذلك تغريرا بالصوم اذ انه قد تنطفى فى أثناء الليل فيظن من لا يراها موقودة ان الفجر قد طلع فيترك الاكل والشرب وغيرهما وقد يكون مضطرا الى ذلك فيتضرر فى صومه (الوجه الثالث) انه قد ينساها من هو موكل بها موقودة أو ينام عنها فيظن من يراها كذلك ان الفجر لم يطلع فيتعاطى شيئا مما تقدم ذكره فيفسد به صومه (الوجه الرابع) انه قد تشتبك ولا يقدر من هو موكل بها على خلاصها فحكمه كالوجه الذى قبله وفيه مفسدة أخرى هى أكبر مما قبلها وهى مخاطرة من هو موكل بها بنفسه اذا اشتبكت وكانت موقودة وحاول خلاصها فانه قد يسقط فيموت وقد وقع ذلك والله الموفق

(فصل فى التذكار يوم الجمعة) وينهى المؤذنين عما احدثوه من التذكار يوم الجمعة لما تقدم من ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولا أمر به ولا فعله أحد بعده من السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين بل هو قريب العهد بالحدوث أحدثه بعض الامراء وهو الذى أحدث التغنى بالاذان فى المدرسة التى بناها كما تقدم وبدعة هذا أصلها يتعين تركها (سؤال وارد) فان قال قائل الناس مضطرون الى التذكار لكى يقوموا من أسواقهم ويخرجوا من بيوتهم فيأتوا الى المسجد (فالجواب) أنه لا يخلو حال من يأتى

الى الجمعة اما أن يكون بعيدا أو قريبا فان كان قريبا من المسجد فالاذان الاول الذى فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه يكفيه سماعه وان كان بعيدا فهو لا يسمع الاذان الاول الذى للتذكار فيأخذ لنفسه بالاحتياط ألا ترى ان السعى الى الجمعة يجب على الناس بحسب قرب مواضعهم وبعدها وقد يتعين على بعضهم الاتيان الى الجمعة من طلوع الشمس وعلى بعضهم من الزوال بحسب ما ذكر من القرب والبعد (واذا) كان ذلك كذلك فلا ضرورة تدعو الى ما أحدثوه ثم مع ذلك ترتبت عليه المفاسد المتقدم ذكرها أعنى من التشويش على من هو فى المسجد ينتظر الجمعة وهم على ما يعلم من حالهم منهم المصلى ومنهم الذاكر والتالى والمتفكر الى غير ذلك كما تقدم (وهذه البدعة) قد عمت بها البلوى فى الاقاليم لكن كل أهل اقليم قد اختصوا بعوائد كما مضى ذلك فى التذكير الا ترى ان التذكار فى الديار المصرية على ما هو مشاهد وفى المغرب ليس كذلك بل يجتمع جماعة من المؤذنين فيرفعون أصواتهم على المنار فيقولون الوضوء للصلاة ويدورون عليه مرارا وهو بدعة أيضا (وذلك) مكروه لوجوه (الاول) انه لم يكن من فعل من مضى (الثانى) ان العامة تسمعهم فيظنون ان الغسل للجمعة غير مشروع لها والغالب انهم لا يسألون العلماء فتندرس هذه السنة بينهم ولو قدرنا انهم ينادون الغسل لصلاة الجمعة فذلك يمنع أيضا لانه قد يكون من الناس من يتعذر عليه الغسل للجمعة وهو الغالب فقد يكون ذلك سببا الترك الجمعة لجهله وهو لا يسأل ويسمع الغسل للجمعة ولا يقدر عليه فيترك الصلاة لاجل ذلك (الثالث) ما ترتب على ذلك من التشويش على من فى المسجد كما تقدم بيانه

(فصل) قد تقدم ان المؤذنين للفجر يكونون على الترتيب المتقدم ذكره وكذلك يكونون فى أذان الظهر فيعلم المؤذن الاول والثانى والثالث وهكذا الى الآخر الذى يصلى على آخر أذانه حتى يكون الناس على علم من الوقت فيتأهبون للصلاة بايقاع الطهارة والجلوس لانتظار الصلاة أو الجلوس فى دكاكينهم حتى يسمعوا المؤذن الآخر فيتركوا اذذاك بيعهم وشراءهم ويهرعون لصلاتهم حتى يقضوها (لكن) زاد بعض أهل المغرب هنا بدعة وهى انه اذا فرغ المؤذن الآخر الذى يصلون على آخر أذانه يجتمع

جماعة المؤذنين فينادون على صوت واحد حضرت الصلاة رحمكم الله
ويدورون على المنار مرارا وكذلك يفعلون فى العصر وكذلك يفعلون فى
صلاة الصبح اذا أذن المؤذن على الفجر اجتمعوا بجمعهم ونادوا أصبح ولله الحمد
ويدورون على المنار مرارا وكل ذلك من البدع لانه لم يأت فى الشرع ولم تدع
اليه ضرورة على ما تقدم ثم على الترتيب المذكور يترتبون جماعة فى العصر
على ما تقدم بيانه وأما المغرب فليس لها الا وقت واحد ووقتها ضيق لا يسع
المؤذنين جماعة واحدا بعد واحد فيؤذن لها واحد ليس الا وقد تقدم أن
المؤذنين اذا تزاحموا وكان ذلك منهم ابتغاء الثواب ولم يسبق أحدهم الآخر
أذنوا جماعة كل منهم يؤذن لنفسه ولا يمشى على صوت رفيقه ويترتب
المؤذنون فى العشاء كما فى الظهر والعصر
(فصل فى حكمة ترتيب الاذان) انظر رحمنا الله واياك الى حكمة
الشرع فى الاذان واحدا بعد واحد كيف عمت منفعته للامة اذ أن صاحب
الشرع صلوات الله عليه وسلامه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من حكاه له مثل أجره فلو كان المؤذن
واحدا ليس الا لفاتت هذه الفضيلة على كثير من الامة اذ أنه قد يكون
المكلف قاعدا لقضاء حاجته أو فى سوقه مشغولا لا يسمعه أو فى أكله أو
شربه أو نومه الى غير ذلك من الاعذار فلو كان المؤذنون جماعة يؤذنون
فى فور واحد لفاتتهم حكايته فاذا أذنوا على الترتيب السابق واحدا بعد
واحد فمن كان له عذر فى ترك حكاية المؤذن الاول أدرك الثانى وكذلك
قد يتنبه النائم من نومه فيحكيه ويعلم فى أى وقت هو من ايقاع الصلاة فتعم
المنفعة للامة (وقد ورد) أربعة مواضع لا يرد فيها الدعاء عند اصطفاف
الناس الى الجهاد وعند اصطفافهم الى الصلاة وعند سماع النداء وعند
نزول المطر (فاذا) حكى المكلف المؤذن ودعا باختياره استجيب له ان شاء
الله تعالى للوعد الجميل (ومثل) هذه الحكمة العجيبة المباركة ما نقل عنه
عليه الصلاة والسلام من قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن
العاص رضى الله عنه صم يوما وأفطر يوما فقال انى أطيق أفضل من ذلك
فقال عليه الصلاة والسلام لا أفضل من ذلك ثم انه عليه الصلاة والسلام

لم يفعل ذلك فى حق نفسه الكريمة بل قال الواصف لصومه عليه الصلاة والسلام انه كان يصوم حتى نقول انه لا يفطر ويفطر حتى نقول انه لا يصوم وما أكمل صيام شهر قط الا رمضان (وذلك) منه عليه الصلاة والسلام توسعة على الامة وأخذ منه بالأفضل والأعلى ألا ترى انه لو صام يوما وأفطر يوما فاتت تلك الفضيلة على كثير من الامة مثل المسافر والمريض والحائض وعلى ما فعله عليه الصلاة والسلام يدرك كل منهم الفضيلة بكمالها وذلك نصف الدهر (ومثل) ذلك أيضا ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عن صلاة نبى الله داود عليه الصلاة والسلام أنه كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ولم يفعله عليه الصلاة والسلام فى نفسه المكرمة بل قال الواصف لقيامه انه عليه الصلاة والسلام كان لا تريد أن تراه فى جزء من الليل قائما الا رأيته نائما ولا تريد أن تراه فى جزء من الليل نائما الا رأيته قائما وما ذاك الا لرفقه عليه الصلاة والسلام بامته حتى لا تفوتهم فضيلة اتباعه عليه الصلاة والسلام فمن نام منهم فى جزء من الليل أدرك الجزء الآخر فسبحان من أهله للرفق بأمته ورفع المشاق عنهم ويسر عليهم كيف لا وقد قال سبحانه وتعالى فى صفته معهم بالمؤمنين رؤف رحيم اللهم اجعلنا من أمته بحرمته عندك لا رب سواك

(فصل) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من وقوفهم على أبواب المساجد وقولهم الصلاة رحمكم الله حضرت الصلاة الصلاة يا أهل الصلاة الى غير ذلك من الالفاظ المعهودة منهم لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه قد شرع للمكلف حضور الصلاة بسماعه الاذان فالزيادة عليه بدعة (هذا) وجه (الوجه الثانى) انه اذا فعل ذلك بقى الاذان الشرعى كأنه لا معنى له لان الناس اذا عهدوا ذلك يتكلون على وقوف المؤذن على ابواب المساجد وعلى قوله المتقدم ذكره واذا كان ذلك كذلك فالغالب من الناس انهم اذا سمعوا الاذان الشرعى لم يهرعوا الى المسجد لاتكالهم على ما وصفنا وذلك كله من الحدث فى الدين (وقد كان) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مارا فى طريق بالبصرة فسمع المؤذن فدخل الى المسجد يصلى فيه الفرض فركع فبينما هو فى أثناء الركوع واذا بالمؤذن قد وقف على باب المسجد وقال حضرت الصلاة

رحمكم الله ففرغ من ركوعه واخذ نعليه وخرج وقال والله لا أصلي في مسجد فيه بدعة

(فصل) وكذلك ينهاهم عما احدثوه من قراءة ان الله فالق الحب والنوى وقوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن عند ارادتهم الاذان للفجر وان كانت قراءة القرآن كلها بركة وخيرا لكن ليس لنا أن نضع العبادات الا حيث وضعها صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه كما تقدم بيانه

(فصل في النهي عن النداء على الغائب بما لا ينبغي) وينهى المؤذنين عما احدثوه من النداء على الغائب بالالفاظ التي فيها التزكية والتعظيم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزكوا على الله أحدا والميت مضطر الى الدعاء والتزكية ضد ما هو مضطر اليه من الدعاء اذ أنها قد تكون سببا لعذابه أو توبيخه فيقال له أهكذا كنت وقد وقع هذا منهم كثيرا في منامات رؤيت لهم في هذا المعنى (الا ترى) الى قولهم الصلاة على الرجل العالم العامل الصالح العابد الورع الزاهد الناسك الحاج الى بيت الله الزائر قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان الدين الى غير ذلك من الالفاظ المعهودة منهم في هذا المعنى (فان) قال قائل ان مذهب الشافعي رحمه الله جواز الصلاة على الغائب (فالجواب) أنا لا ننكر مذهبه بل ننكر ما أنكره الشارع صلوات الله عليه وسلامه من التزكية المذكورة فلو قال المؤذن مثلا الصلاة على العبد الفقير الى الله النازل بفنائه المضطر الى رحمته واحسانه فلان باسمه الشرعي وما أشبه هذا من الالفاظ فان ذلك لا ينكر ولا يكره وهذا على مذهب من أجاز الصلاة على الغائب كما تقدم لكن يخاف أنه يكون ذلك نعيا لقول بعض الصحابة رضي الله عنهم اذا أنا مت فلا تؤذنوا بي أحدا فاني أخاف ان يكون نعيا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي

(فصل في النهي عن مشي المؤذنين أمام الجنازة) وينهى المؤذنين عما احدثوه من مشيهم امام الجنائز ورفعهم أصواتهم بالتكبير كتكبير العيد فان فعل ذلك أمام الجنائز بدعة قريبة العهد بالحدوث كان أول من

احدثها وال من الولاة قريب العهد جدا أحدثها على جنازة كانت له ثم سرى ذلك الى أن فعله بعض من له الرياسة فى الدولة ثم انتشر ذلك وشاع حتى صار عند الناس ان من لم يفعله ماقام بحق ميته وباليته لو وقف الامر على هذا الحد لكن زادوا على ذلك اعتقادهم انهم فى طاعة وخير وبركة وهم فى الحقيقة على ضد مايظنون وقد تقدم ان المؤذن يكون متصفا بالديانة والامانة ومن اتصف بالبدعة فقد تعذر وصفه بذلك

(فصل فى عقد النكاح فى المسجد) وينبغى للامام أو المؤذن أن يتقدم الى نهى الناس عما احدثوه حين عقد الانكحة فى المسجد من اتيانهم بالمباخر المفضضة وذلك لا يجوز على كل حال فى بيت ولا غيره وان كان نفس البخور والطيب مندوبا اليه فى المسجد مع انه قد قال مالك ان الصدقة بثمن ذلك افضل ولكن يمنع لاجل ظرفه لانه مفضض (واما) فرش البسط فى المسجد فهو بدعة ولو كانت فى البيوت لكان ذلك جائزا بشرط أن لا يقصد بفرشها المباهاة وماشاكلها وهذا كله من باب الجهالة وذلك اذا كان الفاعل لهذا من عامة الناس الذين لم يتلبسوا بالعلم ولا يسألوا عما وقع لهم وأما ان كان ممن يقرأ العلم فهو من باب الغفلة عن احكام الله تعالى وعما يجب على المرء فى دينه من الامر والنهى والتشبه بمن تقدم ذكرهم من أهل الجاهلية والرعونة ثم ينضم الى ماذكر فى المسجد ماينزه عنه من الالفاظ التى تقتضى التزكية والتعظيم لو كانت فى الشخص أو الكذب ان لم تكن فيه وكلاهما لا يجوز وكذلك مايقع منهم من الملق والايمان والغالب ان الايمان اذا كثرت فان الحنث فيها واقع فيحذر من أن يسامح فى شئ من هذا جهده والله المستعان

(فصل فى تهيئ الامام للجمعة) ويتأكد فى حق الامام خصوصا الغسل للجمعة وان كان نظيفا فى نفسه لوجوه (الاول) أن الغسل للجمعة مختلف فى وجوبه وقد تقدم (الثانى) أنه قدوة للمقتدين فقد يراه أحد حين صلاة الجمعة بالوضوء وحده أو يسمع عنه ذلك فيقتدى به فى ترك هذه السنة المؤكدة (الثالث) ان الامام من صفته أن يكون أكملهم حالا ومن صلى الجمعة بغير غسل فهو انقص حالا ممن اغتسل

*(فصل فى ذكر الاشياء التى ينبغى للامام أن يتجنبها فى نفسه) *قد تقرر فى الشريعة أن أحسن لباس الناس البياض (لقوله) عليه الصلاة والسلام خير لباسكم البياض انتهى فينبغى للامام أن يبادر اليه قبل غيره لانه قدوة كما تقدم (وقد) قال الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه ومن أفضل ما يلبس البياض ولبس السواد يوم الجمعة ليس من السنة ولا من الفضائل أن ينظر الى لابسه انتهى (فان) كان الثوب جديدا فليمتثل السنة حين لبسه بأن يسمى الله تعالى ثم يقول ما ورد فى السنة من الدعاء عند لبسه الثوب الجديد وذلك أن يقول اللهم انى أسألك خير هذا الثوب وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له انتهى ثم يقول اللهم اجعله لى عونا على طاعتك (ويستحب) لمن رأى الثوب الجديد على غيره أن يقول له تبلى ويخلف الله تعالى (وقد ورد) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيه تبلى وتخلفى (وقد) خرج أبو داود فى سننه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه اما قميصا أو عمامة زاد الترمذى أو رداء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (قال) أبو نضرة وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له تبلى ويخلف الله تعالى (ومنه) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وان) كان غير جديد فالتسمية لا بد منها عند لبسه وعند خلعه كما تقدم (وينبغى) أن يكون غالب لباسه البياض سيما للخطبة وان كان لبس السواد جائزا لان النبى صلى الله عليه وسلم لبسه وخطب فيه لكن المواظبة على لبسه للامام للجمعة دون غيره بدعة فينبغى أن يلبس البياض ولو كان يوما ما حتى يخرج بذلك من هذه البدعة مالم يؤد لبس البياض الى توقع فتنة أو ضرر يلحقه (وكذلك) الرئيس يتجنب ما يتجنبه الامام (وكذلك) يتحفظ من غرز الابر فيما يتطيلس به أو يتعمم على ما تقدم فى باب اللباس (وكذلك) لا يلبس الخفين وان كان

لبسهما جائز اسفرا وحضرا لكن لبسهما لاجل الخطبة وصلاة الجمعة بدعة أيضا (وكذلك) يتحفظ من جعل الأعلام السود على المنبر حال الخطبة فان ذلك من البدع أيضا اللهم الا أن يتوقع الفتنة بزوالها فيتعين عليه أن ينكر ذلك بقلبه والله أعلم

(فصل في خروج الامام على الناس يوم الجمعة) وينبغي له أن يتحفظ من هذه البدعة التي يفعلها بعض الخطباء وهو أنه اذا خرج على الناس يوم الجمعة لا يسلم عليهم والسلام مشروع عند لقاء المسلم لاخيه المسلم وذلك سنة معمول بها مشهورة معروفة فكيف يتركها الامام وهو قدوة لغيره فيخالف السنة في أول دخوله لبيت ربه وهذا لا يليق به ولا بمنصبه وينبغي له أن يتحفظ في نفسه حين دخول المسجد فيفعل الآداب المتقدم ذكرها لانه قدوة كما تقدم فلو فعل غير ذلك مرة لاقتدى الناس به

(فصل) وينبغي له أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من أن الامام اذا خرج على الناس في المسجد يقوم المؤذنون اذ ذاك ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم يكررون ذلك مرارا حتى يصل الى المنبر وان كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أجل العبادات كما تقدم

(فصل في صعود الامام على المنبر) وينبغي له أن يأخذ السيف أو العصا أو غيرهما بيده اليمنى اذ أنها السنة ولأن تناول الطهارات انما يكون باليمين والمستقذرات بالشمال ولا حجة لمن قال انه يأخذه باليسار لكونه أيسر عليه في مناولته اذا أراد أحد اغتياله لان هذا المعنى مما يختص بالامراء الذين يخافون على أنفسهم الغيلة وهذا مأمون في هذا الزمان في الغالب اذ أن الامام ليس له تعلق بالامارة في الغالب حتى يغتاله أحد

(فصل في كيفية صعوده على المنبر) وينبغي له اذا أراد أن يصعد المنبر أن يسمى الله تعالى ويقدم اليمين كما تقدم (ويحذر) أن يضرب بما في يده على درج المنبر لوجهين (أحدهما) انه لم يكن من فعل من مضى والخير كله في الاتباع لهم كما تقدم (الثاني) أن المنبر وقف والضرب عليه على الدوام مما يضربه ويخلقه وان كان قد قال بعض الناس بجوازه لكنه محجوج بما ذكر من الاتباع (وكذلك) ينهى المؤذنين عن الصلاة والتسليم عند كل ضربة

يضربها عليه فان ذلك من البدع أيضا ولا يطوّل على الناس فى رقيه المنبر الا لضرورة من كبر سن أو ضعف بدن فاذا وصل الى الموضع الذى يخطب عليه أقبل بوجهه على الناس وجلس من غير سلام من المؤذنين وان كان قد ورد فيه حديث لكن الذى استقر عليه عمل السلف رضوان الله عليهم تركه اذ ذاك وبعضهم يسلم ويزيد فيه بدعة وهو أن يشير بيده الى الناس ولا يقف مستقبل القبلة ويبسط يديه ليدعو اذ ذاك لان علماءنا رحمة الله عليهم قد عدوا ذلك من البدع

(فصل فى فرش السجادة على المنبر) وليحذر أن يفرش السجادة على المنبر لان ذلك بدعة اذ أنه لم يأت عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الخلفاء بعده ولا عن أحد من الصحابة ولا السلف رضى الله عنهم أجمعين فلم يبق الا أن يكون ذلك بدعة ولا ضرورة تدعو اليه الا انه ليس بموضع صلاة (وكذلك) ينبغى أن يمنع ما يفرش على درج المنبر يوم الجمعة فانه من باب الترفه ولم يكن من فعل من مضى فهو بدعة أيضا (وينهى الرئيس) عما أحدثه من ندائه عند ارادة الخطيب الخطبة بقوله للناس أيها الناس صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت أنصتوا رحمكم الله انتهى (والعجب) من بعض الناس انهم ينكرون على مالك رحمه الله أخذه بعمل أهل المدينة ويستحسنون هذا الفعل ويحتجون على صحته بأنه من عمل أهل الشام وعادتهم المستمرة وقد تقدم (وكذلك) ينهاهم أيضا عما أحدثوه من صعود الرئيس على المنبر مع الامام وان كان يجلس دونه وذلك يمنع لوجهين (أحدهما) أن الرئيس بهذا الفعل يخالف السنة فى استقباله للخطيب فى حال الخطبة ورمقه بعينيه لانه مستدبر له اذ ذاك (والثانى) أنه لم يرد أن أحدا ممن مضى جلس مع الخطيب على المنبر (والعجب) منه انه يأتى بنص الحديث المتقدم ثم يأمرهم بالانصات بعده بقوله أنصتوا رحمكم الله ثم يفعل ضد ذلك ويأمرهم بالكلام فيتكلم ويستدعى الكلام بقوله آمين اللهم آمين غفر الله لمن يقول آمين اللهم صل عليه صلى الله عليه وسلم وقوله رضى الله عنهم أجمعين (ولا حجة) لمن يقول ان مذهب الشافعى رحمه الله ان الخطيب اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم

فلا بأس أن يصلي عليه السامع برفع صوته بذلك لان رفع الصوت هو أن يسمع المرء نفسه ومن يليه على ما يعهد من عمل السلف في جهرهم في مواضع الجهر لا على ما يعهد من زعقات المؤذنين فان ذلك خارج عن حد السمت وحال الخطبة حال خشوع وحضور اذ أنها بدل عن الركعتين في الظهر على قول بعضهم فلا يجوز فيها الا ما يجوز في الصلاة أعني الانصات عند قراءة الامام (ومذهب) مالك رحمه الله ان الخطيب اذا ذكر الجنة أو النار أو ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان السامع يسأل و يستعيذ ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عند سماعه لذلك سرا في نفسه (زاد) أشهب ان الانصات أفضل له فان فعل فسرا في نفسه ولو عطس فيحمد الله سرا في نفسه ومن سمعه فلا يشمته فان جهل فشمته فلا يرد عليه والانصات على مذهب مالك رحمه الله واجب على الصفة التي ذكرت على من سمع الخطبة وعلى من لم يسمعها وعلى من كان في المسجد أو خارجه ممن ينتظر صلاة الجمعة (ومذهب) الشافعي رحمه الله تعالى ان الانصات يجب على أربعين وما زاد على ذلك فالانصات مندوب في حقهم ولا شك ان ترك المندوب في هذا الوقت الفاضل يقبح سيما على ما تقدم من القول بان الخطبة بدل عن الركعتين في الظهر وبالجملة ففعل السلف أولى ما يبادر اليه كان الفعل واجبا أو مندوبا وقد كانوا جميعا منصتين (وقد) قال مالك رحمه الله ليس العمل على فعل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين سمع رجلين يتكلمان في حال الخطبة فحصبهما أن اصمتا قال لان حصبهما بمنزلة قوله لهما اسكتا فاذا كان عمل السلف على هذا الذي ذكره فالمبادرة الى اتباعهم أفضل وأعلى كما تقدم فانهم على الهدى المستقيم (وينبغي له) أن يجتنب التقعير في خطبته والتصنع فيها (وكذلك) يجتنب تطويل الخطبة وتقصير الصلاة (لما) رواه مالك في موطائه عنه عليه الصلاة والسلام انه قال أنتم في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطي يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة يبدءون فيه أعمالهم قبل أهوائهم وسيأتي على الناس زمان كثير قراؤه قليل فقهاؤه تحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطي يطيلون فيه الخطبة ويقصرون فيه

قوله منئة بفتح الميم وكسر الهمزة وتشديد النون اى علامة اهـ

الصلاة يبدءون فيه أهواءهم قبل أعمالهم انتهى (فهذا) دليل واضح لما ورد ان طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة من فقه الرجل فليحفظ على هذا فانه من أكبر الاصول المعتبرة فى الخطبة والصلاة (وأما) ترضى الخطيب فى خطبته عن الخلفاء من الصحابة وبقية العشرة وباقى الصحابة وأمهات المؤمنين وعترة النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم أجمعين فهو من باب المندوب لا من باب البدعة وان كان لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء بعده ولا الصحابة رضى الله عنهم لكن فعله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لأمر كان وقع قبله وذلك ان بعض بنى أمية كانوا يسبون بعض الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين على المنابر فى خطبتهم فلما أن ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أبدل مكان ذلك الترضى عنهم وقد قال مالك رضى الله عنه فى حقه هو امام هدى وأنا اقتدى به (وينبغى) له أن يكون فى خطبته على حال خشوع وتضرع لانه يعظ الناس والمقصود من الموعظة حصول الخشوع والرجوع الى الله سبحانه وتعالى باتباع أمره واجتناب نهيه والخوف منه والخوف مما أوعد به وقوة الرجاء مما وعد به وحسن الظن به سبحانه وتعالى فاذا كان الخطيب مستعملا فى نفسه ما ذكر كان ذلك أدعى الى قبول ما يلقيه الى السامعين لاتصافه بما يأمر به هو فى نفسه كما مر فى المؤذن اذا أذن ينبغى له ان يكون على طهارة ويبادر لفعل ما نادى اليه أولا فيكون أدعى الى صدع القلوب لان العلم اذا خرج من عامل تشبث بالقلوب واذا خرج من غيره انساب عن القلوب على ما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم وقد تقدم انه يتجنب فى خطبته التصنع لان التصنع اذا وقع فهو الداء الذى ليس له دواء فى الغالب اذ أنه يشبه النفاق بل هو النفاق بعينه اذ أن معنى النفاق أن يظهر بلسانه وجوارحه ما ليس فى قلبه أسأل الله السلامة منه

* (فصل فى اسلام الكافر فى حال الخطبة) * وينبغى له أن يتجنب هذه البدعة التى يفعلها بعضهم وهى أن الكافر يأتى الى الخطيب فيسلم على يديه فى غير الجمعة ثم يعود ويأتى ثانيا والخطيب على المنبر حتى يتلفظ بالاسلام على رؤس الناس فيقطع الخطيب الخطبة بسببه وتقع ضجة فى المسجد ينزه المسجد عنها وهو قد كان اسلم قبل ذلك كما تقدم ولا يجوز له أن يقطع ترتيب

الخطبة لاجل هذا لانه كان مسلما قبل ولا عذر له فى أنه يجدد الاسلام اذ ذاك ليشتهر اسلامه بين المسلمين ويعرفوه بذلك حتى لا يعود الى ما كان عليه من الكفر لما تقدم من اسلامه لانه بنفس اسلامه جرت عليه أحكام المسلمين وعرفه من عرفه منهم فلا ضرورة تدعو الى ما يفعلونه من ذلك ولو قدرنا انه الآن أسلم فيتعين على الخطيب أنه يأمره بالخروج من المسجد و يأمر من يخرج معه من المسلمين حتى يغتسل ان كان جنبا ولو لم تتقدم له جنابة فى حال كفره فيغتسل للاسلام فان ترك الغسل على قول بعضهم فالوضوء لا بد منه ليصلى به الجمعة

(فصل) فاذا فرغ من خطبته ودعائه فيها فليختمها بقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية أو بقوله اذكروا الله يذكركم أو ما فى معناه فاذا فرغ منه فليقم المؤذن الصلاة فاذا دخل المحراب فينبغى له ان يصلى على ما هنالك من الحصير و يترك السجادة اذ ان اتخاذها للصلاة بدعة الا لضرورة التحفظ من النجاسة ولا ضرورة تدعو اليها فى هذا الموضع اذ ان المحراب له هيبة ولا يدخله أحد فى الغالب سيما الصبيان الصغار ومن لا يؤبه له فان الغالب من احوالهم أنهم لا يقربون موضعه فهو على أصله من الطهارة (والامام) ينبغى له أن يكون أفضل القوم فى كل الاحوال ومن ذلك ان لا يسجد على حائل بينه وبين الارض فانه السنة ولما أدت الضرورة الى الحصر المفروشة هنالك فعلت وقد كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يباشر الارض بوجهه ويديه فى سجوده لا يحول بينه و بين الارض شئ وكذلك كان حال أكثر السلف رضى الله عنهم فمن قدر على ذلك فهو الأولى والأفضل فى حقه اللهم الا أن تدعو ضرورة الى ذلك فأرباب الضرورات لهم أحكام أخر ودين الله يسر (فاذا) استوى قائما فى المحراب فالسنة الماضية أن يكون قريبا من المأمومين (وقد) كان الامام من السلف رضى الله عنهم يقرب أن تمس ثيابه ثياب المأمومين (وقد قالوا) ان من فقه الامام قربه من المأمومين وذلك لفوائد ذكروها (منها) انه قد يطرأ عليه فى صلاته ما يوجب خروجه منها فلا يحتاج الى كلام ولا الى كثير عمل فى الاستخلاف بل يمد يده الى من يستخلفه فيقدمه (ومنها) انه قد يسهو

في صلاته فيسجدون له فلا يتبعونهم فاذا كان قريبا منهم سمعوه في الغالب
وتداركوا ملاقاة ذلك بسمعهم له وتنبيههم له عليه فيتداركه اصلاح ما أخل به
(ومنها) أنه قد يكون في ثوبه نجاسة لم يشعر بها فاذا كان قريبا منهم ادركوها
فنبهوه عليها الى غير ذلك (ولم يكن) للسلف رضوان الله عليهم محراب وهو
من البدع التي أحدثت لكنها بدعة مستحبة لان أكثر الناس اذا دخلوا
المسجد لا يعرفون القبلة الا بالمحراب فصارت متعينة (لكن) يكون المحراب
على قدر الحاجة وهم قد زادوا فيه زيادة كثيرة والغالب من بعض الأئمة
انهم يصلون داخل المحراب حتى يصيروا بسبب ذلك على بعد من المأمومين
وذلك خلاف السنة (ثم) انه يخرج نفسه بذلك من الفضيلة الكاملة لان باقي
المسجد أفضل منه (ألا ترى) ان علماءنا رحمة الله عليهم قالوا فيمن اضطر الى
النوم في المسجد انه ينام في محرابه لانه أخف من باقي المسجد بل ينبغي له أنه
اذا كان المسجد لم يضق بالناس فلا يدخل الامام الى المحراب فان ضاق بهم
فليدخل على الصفة المتقدمة لانه اذا لم يدخل يبقى موقفه خارجا عنه
موضع صف من المسجد وهو قد يسع خلقا كثيرا (وليحذر) من هذه البدعة
الاخرى التي يفعلها بعض الأئمة وهو أنهم لا يعتنون بتسوية الصفوف ثم ان
الامام يلتفت عن يمينه ويقول استووا يرحمكم الله ثم يلتفت عن شماله
ويقول مثل ذلك ويقول له الرئيس أو أحد المأمومين كبر رضي الله عنا
وعنك هذا فعلهم سواء كان في الصف خال أو لم يكن ولو كان ثم خال لم يسده
احد بقوله وهذا كله من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم (وقد
كان الأئمة من السلف رضي الله عنهم يوكلون الرجال بتسويتها منهم عثمان
ابن عفان رضي الله عنه ثم لا يكبرون حتى يأتي من وكلوهم بذلك فيخبروهم
أنها قد استوت فيكبرون اذ ذاك (وقد) جاء في الحديث عنه عليه الصلاة
والسلام أنه قال لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم (وقد) نقل
عن السلف رضي الله عنهم ان ثيابهم كانت تنقطع من جهة المناكب أولا
لشدة تراصهم في صلاتهم وهذه السجادات تمنع من ذلك ضرورة لانها
تبسط على موضع في المسجد يزيد على قدر ما يحتاج اليه صاحبها في قيامه

وسجوده اللهم الا أن يضم اليه من بجانبه حتى يصلى معه عليهما فيخرج عن باب الكراهة لكن يدخل على صاحبها وجه آخر وهو أنه اذا كان من يصلى الى جانبه متورعا أو فى كسب صاحبها علة شبهة أو حرام وقد يكون كسبه حلالا لكن يمتنع من وجه آخر وهو تحرجه من دخول المنة عليه واذا كان ذلك كذلك فلا يفعل لانه يأتى الى فعل مندوب وهو التراص فى الصف فيقع فى محرم أو مكروه

(فصل فى دخوله فى الصلاة) فاذا استوت الصفوف فلينو اذ ذاك الدخول فى الصلاة بقلبه ولا ينطق بلسانه ولا يجهر بالنية فان الجهر بها من البدع (واختلف) فى النطق باللسان هل هو بدعة أو كمال (فقال) بعضهم هو كمال لانه أتى بالنية فى محلها وهو القلب ونطق بها اللسان وذلك زيادة كمال هذا ما لم يجهر بها (وقال) بعضهم ان النطق باللسان مكروه ويحتمل ذلك وجهين (أحدهما) أنه قد يكون صاحب هذا القول يرى ان النطق بها بدعة اذ لم يأت فى كتاب ولا سنة (ويحتمل) أن يكون ذلك لما يخشى أنه اذا نطق بها بلسانه قد يسهو عنها بقلبه واذا كان ذلك كذلك فتبطل صلاته لانه أتى بالنية فى غير محلها (الا ترى) ان محل القراءة النطق باللسان فلو قرأ بقلبه ولم ينطق بها لسانه لم تجزه صلاته وكذلك لو تلفظ بالنية بلسانه ولم ينوها بقلبه (ومن) صفة النية على الكمال أن ينوى بصلاته التقرب الى الله تعالى بأداء ما افترض عليه من تلك الصلاة بعينها وذلك يحتوى على خمس نيات وهى نية الاداء ونية التقرب الى الله تعالى ونية الفرض وتعيين الصلاة واحضار الايمان والاحتساب وهو شرط فى صحة ذلك كله واختلف فى تعيين الايام وعدد الركعات ويتعين على المأموم أن ينوى الائتمام لان المأموم يلزمه أن ينوى أنه مأموم فان لم يفعل بطلت صلاته بخلاف الامام فانه لا يلزمه أن ينوى الامامة الا فى كل صلاة لا تصح الا فى جماعة وهى خمس وذلك ما نحن بسبيله من صلاة الجمعة والثانية الصلاة على الجنازة والثالثة الجمع ليلة المطر والرابعة صلاة الخوف والخامسة المأموم المستخلف وما عدا ذلك لا يجب عليه فيه نية الامامة لكن ان نواها كان أعظم أجرا وأكثر ثوابا ممن لم ينوها (ثم) يستفتح القراءة فيقرأ بعد أم

القرآن فى الركعة الاولى بسورة الجمعة وأما الثانية فاختلفت الروايات فيها فقيل اذا جاءك المنافقون وقيل سبح اسم ربك الأعلى وقيل هل أتاك حديث الغاشية وهو الاكثر ولم يختلف المذهب فى الاولى انه لا يقرأ فيها الا سورة الجمعة (وقد) سئل مالك رحمه الله عما يقرأ المسبوق بركعة فى الجمعة فقال يقرأ مثل ما قرأ امامه بسورة الجمعة فقيل له اقراءة سورة الجمعة فى صلاة الجمعة سنة قال لا أدرى ما هى سنة ولكن من أدركنا كان يقرأ بها فى الركعة الاولى من الجمعة انتهى وان كان قد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ فى الركعة الاولى من صلاة الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وفى الثانية بهل أتاك حديث الغاشية لكن الذى واظب عليه عليه الصلاة والسلام واستقر عليه عمل السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين ما تقدم ذكره واذا كان ذلك كذلك فالمواظبة على ترك قراءة سورة الجمعة فى الركعة الاولى منها مما لا ينبغى فليحذر من هذا جهده وبعض الأئمة فى هذا الزمان يقرأ بعد أم القرآن بآخر سورة الجمعة من قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة الى آخرها وفى الثانية بآخر سورة المنافقين من قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله الى آخرها وهذا راجع الى ما تقدم من قصر الصلاة واطالة الخطبة وما كان السلف رضى الله عنهم يقرؤن الا سورة كاملة بعد أم القرآن وان كان الشافعى رحمه الله قد أجاز الاقتصار على قراءة بعض السورة فذلك من باب الجواز والمندوب والافضل والاتباع قراءة سورة كاملة

(فصل) وما تقدم من أن النية لا يجهر بها فهو عام فى الامام والمأموم والفذ فالجهر بها بدعة على كل حال اذ أنه لم يروأن النبى صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء ولا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين جهروا بها فلم يبق الا أن يكون الجهر بها بدعة (وينبغى له) أن ينهى المأمومين عما أحدثوه من قراءتهم بالجهر باياك نعبد واياك نستعين حين قراءة الامام اياها فيحذر من هذا جهده فانه بدعة (وينبغى له) أن ينهى عن الجهر خلفه بالقراءة فى صلاة السر لان ذلك خلاف السنة وفيه التشويش عليه وعلى من يقرب منه (وقد) ورد النهى عن أقل من هذا بقوله عليه الصلاة والسلام لا يجهر بعضكم

على بعض بالقرآن وكان كل واحد منهم يصلي لنفسه وهذه صلاة واحدة فمن باب أولى أن ينهى عن ذلك (وكذلك) اذا كانت الصلاة جهرية وقرأ المأموم أم القرآن خلفه فلا يجهر بها (وقد) ورد النهي عن ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام اني أقول مالي أنازع القرآن فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان في الجهر بها ما تقدم ذكره وهو من البدع أيضا لانه يترك سنة الاسرار في الصلاة (ولا حجة) ان يحتج بالحديث الوارد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمعهم الآية أحيانا اذ أن ذلك خاص بالامام مع انه عليه الصلاة والسلام انما فعل ذلك لكي يعلم الناس الحكم في صلاة السر أنه يقرأ فيها بسورة بعد أم القرآن حتى لا يجد أحد السبيل الى ان يقول كان يسبح أو يدعو أو يفكر فكان جهره عليه الصلاة والسلام بالآية أحيانا لهذا المعنى والله أعلم (وينبغي) للامام أن لا يجهر بالتسبيح في ركوعه أو سجوده ولا يجهر بالدعاء في موضع الدعاء في الصلاة أو عقبها وما يفعله في حق نفسه فيحمل المأمومين عليه لان ذلك من السنة والجهر بذلك بدعة اذ أنه لم يروأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فسلم منها وبسط يديه ودعا وأمن المأمومون على دعائه وكذلك الخلفاء الراشدون بعده رضي الله عنهم أجمعين وكذلك باقي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وشيء لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة فلا شك في ان تركه أفضل من فعله بل هو بدعة كما تقدم (وكذلك) لا يسمع صدره عند قراءة القنوت في الصبح وغيرها مما شرع فيه القنوت أو الدعاء لما تقدم (وكذلك) ينهى غيره عن فعل ذلك اذ انه بدعة (وكذلك) ينهى من يفعل ذلك عند رفع الرأس من الركوع اذ أنه بدعة (وكذلك) لا يجهر بالدعاء بعد فراغه من التشهد وقبل السلام وينهى غيره عن فعله لانه بدعة (والاصل) الذي يبني عليه صلاته ويعتقد عليه الخشوع والحضور فيها فيمثل نفسه انه واقف بين يدي الملك الجليل يخاطبه ويناجيه فان كان في القراءة فهو يسمع كلام ربه عز وجل وان كان في غيرها من دعاء أو ذكر فهو يناجي مولاه بدعائه ويذكره سبحانه وتعالى المولى العليم

يسمعه اذ انه أقرب اليه من حبل الوريد أعني بالعلم والاحاطة فتخشع جوارحه
كلها انقيادا منها لما حصل في قلبه من الخشوع والحذر الحذر من خشوع
جوارحه الظاهرة دون الجوارح الباطنة وقد تقدم هذا المعنى في الخطبة
وهو في الصلاة أولى وقد وردت الصلاة في الجماعة ترفع على أتقى قلب رجل
منهم فينبغي أن يكون ذلك الرجل هو الامام اذ انه يعتبر في حقه أن يكون
أفضلهم وبحصول هذه الصفة تزكو صلاته ويعود من بركاتها على الحاضرين
معه فيعمل على تحصيل هذه المزية جهده والله الموفق (والسنة المتقدمة)
أن يلي الامام من الناس أفضلهم علما وعملا لقوله عليه الصلاة والسلام
ليليني منكم أولوا الاحلام والنهى (ومن فوائده) انه لو طرأ على الامام ما يوجب
الاستخلاف لوجد من فيه أهلية لذلك بقربه من غير كلفة يتكلفها وهذه
سنة معمول بها في بلاد المغرب على ما كنت أعهد أنه لا يستر الامام الا من فيه
أهلية التقدم للامامة في الغالب وقد تقدم بعض ذلك وهذه خصلة دائرة في
هذه البلاد في الغالب فتجد من لا علم عنده يستر الامام وتجد أهل الفضل
في المواضع البعيدة عنه وذلك بدعة ومخالفة للسنة لما تقدم من أمره عليه
الصلاة والسلام بقوله ليليني منكم أولوا الاحلام والنهى ولفعله عليه الصلاة
والسلام وفعل أصحابه رضي الله عنهم أجمعين (واذا) كان ذلك كذلك فينبغي
للامام أن يكون أول من يسبق الى المسجد ان أمكنه ذلك ليحصل هذه
السنة ويخمد هذه البدعة ويقتدي الناس به وما زال الفضلاء والاكابر
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الاعصار هم الذين يبادرون الى
المساجد في أوائل الاوقات أو قبلها (حتى) انه قد حكي عن بعضهم انه جاء
الى صلاة الجمعة فوجد رجلين قد سبقاه فجعل يعاتب نفسه ويقول أثالث
ثلاثة أثالث ثلاثة فلو جاء الامام أو غيره من الفضلاء الى المسجد فوجدوا
غيرهم ممن ليس في منزلتهم قد سبقهم لتلك المواضع التي يعهدون الصلاة فيها
أعني من كان يستر الامام أو يقرب منه كان من سبق لتلك المواضع أحق بها
منه وأولى ولا يقام منها اتفاقا واقامته ظلم له وبدعة (اللهم) الا أن يؤثر
السابق بهذه القربة غيره من أهل الفضل والدين (فذلك) له بل هو مندوب
اليه لوجهين (أحدهما) ما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام

ليليني

ليليني منكم أولوا الاحلام والنهى وللعمل الماضي المتقدم ذكره (والثاني) من صلى خلف مغفور له غفر له فاذا قدمه لأحد هذين الوجهين كان مندوبا اليه (وقد تقدمت) حكاية بعض السلف الذي كان يأتي الى المسجد أول الوقت ليدرك فضيلة الصف الأول فاذا امتلأ بالناس تأخر الى الثاني وآثر بمكانه غيره وهكذا الى ان يصلي في آخر صف من المسجد فسئل عن موجب ذلك فقال أبكر لأحوز فضيلة الصف الأول ثم أتأخر رجاء ان أكون قد صليت خلف مغفور له فيغفر لي وليس هذا من باب الايثار بالقرب لان ذلك الخلاف انما هو فيمن ترك قربة لا بدل عنها أما من تركها لما هو أعلى منها وأولى فليس من هذا الباب بل هو من باب ترك قربة لما هو أعلى منها كما تقدم وقد عد بعض العلماء ترك التبكير يوم الجمعة من البدع الحادثة وذلك محمول على اختلاف المذهبين فمذهب الشافعي رحمه الله تعالى ان التبكير من غدوة النهار اليها أفضل ومذهب مالك رحمه الله ان معناه التهجير ودليله عمل السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين (وقد) استدل الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله على صحة مذهبه من أن التبكير اليها أفضل من التهجير بان قال أول بدعة حدثت ترك التبكير الى الجمعة وقد كانوا يأتونها بالمشاعل ليلا وقد كان بعضهم يبيت في المسجد ليلة الجمعة ليصلي الجمعة (وقد) كره مالك رحمه الله التبكير اليها وعلله بأنه لم يكن من عمل السلف قال ولم يكونوا يبكروا هذا التبكير وأخاف على فاعله ان يدخله شئ ولا يختلف أحد في صحة نقل مالك عن السلف رضي الله عنهم أجمعين (ويؤيده) ما جرى لعثمان بن عفان رضي الله عنه حين دخل المسجد وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب للجمعة فلو كان التبكير أفضل لما تأخر عثمان رضي الله عنه واشتغل بالسوق الى الوقت الذي أتى فيه الى الجمعة (وينبغي له) اذا سلم من صلاته أن يقوم من موضعه ذلك ومعناه أنه يغير هيئته في جلوسه في الصلاة ليقبل على الناس بوجهه فاذا فعل ذلك فقد أتى بالسنة لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا صلى صلاة أقبل على الناس بوجهه فيحصل لفاعل ذلك امتثال السنة واستغفار الملائكة له ما دام في المسجد بخلاف ما لو قام من موضعه وخرج منه فانه يفوت على نفسه استغفار الملائكة له هذا اذا كان في المسجد فان كان في بيته أو في رحله في السفر فلا بأس بجلوسه فيه وتغييره الهيئة أولى كذا قال علماؤنا رحمة الله

عليهم وبعض الائمة يقعد في مصلاه على هيئته التي كان عليها في صلاته وذلك
بدعة لانه عليه السلام لم يفعله ولا أحد من الخلفاء ولا من الصحابة بعده رضي
الله عنهم أجمعين لانه قد يخلط على الداخل الى المسجد فيظن انه في الصلاة
وقد ذكر الفقهاء في ذلك تعاليل أخر موجودة في كتبهم (وهذا) بخلاف
المأموم فان له أن يقعد من غير تغيير هيئة صلاته حتى يفرغ مما شرع فيه
من الذكر والدعاء عقب صلاته ثم يتنفل بعد ذلك ما أحب لكن المستحب في
حقه أن لا يتنفل بعد الصلاة ان كانت الصلاة مما يتنفل بعدها في موضعه
الذي صلى فيه الفريضة بل ينتقل عنه الى جهة أخرى فيصلي فيها فان لم
يفعل فلا حرج ويصليها في موضعه والتنفل في المساجد بتوابع الفرائض
أفضل من فعلها في البيوت لئلا يكون ذلك ذريعة لمن لا علم عنده بتأكدها
فيقتصر على الفرائض دونها (وهذا كله) فيما عدا الركوع بعد المغرب
وبعد الجمعة (أما المغرب) فلأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركع
بعدها في بيته وحكمة ذلك على ما قاله بعض العلماء انه فعل ذلك عليه الصلاة
والسلام على ما علم من عادته الجميلة في رحمته بأمته اذ أن من كان منهم صائما
وركع عقب المغرب في المسجد لا ينتظره أكثرهم حتى ينصرفوا بانصرافه
فقد يكون عند بعضهم الاولاد والعائلة فينتظرونه فيكون ذلك مشقة
فأزالها عليه السلام عنهم بركوعه في بيته انتهى على انه لو ركع في المسجد
لم يكره لان ذلك انما كان خشية من وجود المشقة على بعض الناس فاذا أمن
منها جاز (وأما في الجمعة) فلا يتنفل عقبها امام ولا غيره الا في بيته بذلك
ورد الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي قبل الظهر ركعتين
وبعدها ركعتين وقبل العصر ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وكان
لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين في بيته (وقد ورد) أن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا قام يتنفل بعد صلاة الجمعة فجذه
واقعده وقال له اجلس تشبه الجمعة عن فاتته ركعتان من صلاة الظهر والنبي
صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فلم يقل شيئا (فالتنفل) بعد الجمعة في المسجد
بدعة لما ذكر حتى ينصرف الى بيته فيصلي فيه فان كان غريبا أو ممن لا بيت
له أو ممن يريد انتظاره صلاة العصر في المسجد فاختلف علماؤنا رحمة الله عليهم

فيه فمنهم من يقول يخرج من باب و يدخل من آخر ومنهم من يقول ينتقل من مكانه الى غيره من المسجد فيركع فيه ومنهم من يقول اذا طال مجلسه أو حديثه يعني مما يسوغ الكلام به في المسجد كما تقدم فيجوز له أن يركع في موضعه من غير انتقال والله أعلم (والسنة الماضية) ان لا يترك الذكر والدعاء عقب الصلاة (ومن) آداب الدعاء أن يثني على الله تعالى بما هو أهله بما تيسر له ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو لنفسه أولا ولمن حضره من اخوانه المسلمين سرا في نفسه (وليحذر) أن يخص نفسه بالدعاء دونهم اذا كان اماما في الصلاة وبعدها فان فعل فقد خانهم هكذا ورد في الحديث على ما رواه أبو داود والترمذي (وكذلك) يستحب لكل واحد من المصلين أن يدعو لنفسه ولمن حضره من اخوانه المسلمين من امام ومأموم (وليحذروا جميعا) من الجهر بالذكر والدعاء وبسط الأيدي عنده أعني عند الفراغ من الصلاة ان كان في جماعة فان ذلك من البدع لما تقدم ذكره اللهم الا أن يريد الامام بذلك تعليم المأمومين بأن الدعاء مشروع بعد الصلاة فيجهر بذلك ويبسط يديه على ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى حتى اذا رأى أنهم قد تعلموا أمسك (وبعض الأئمة) اذا سلم من صلاته أقبل على الدعاء يجهر به قبل الذكر المشروع عقب الصلاة و يتمادى على ذلك كأنه مشروع له الجهر فيه لغير ضرورة التعليم وذلك من باب ترك الأفضل الذي هو الذكر المأثور وقد يخفى على بعض الناس ما يفعله من الذكر المأثور عقب الصلاة فليحذر من هذا جهده وقد تقدم النهي عن القراءة جماعة والذكر جماعة (واذا) كان ذلك كذلك فينبغي له أن ينهى الناس عما أحدثوه من قراءة سورة الكهف يوم الجمعة جماعة في المسجد أو غيره وان كان قد ورد استحباب قراءتها كاملة في يوم الجمعة خصوصا فذلك محمول على ما كان عليه السلف رضي الله عنهم لا على ما نحن عليه فيقرأها سرا في نفسه في المسجد أو جهرا في غيره أو فيه ان كان المسجد مهجورا ما لم يكن فيه من يتشوش بقراءته والسر أفضل وأما اجتماعهم لذلك فبدعة كما تقدم والله تعالى أعلم

(فصل في الصلاة على الميت في المسجد) الصلاة على الميت في المسجد

جائزة على مذهب الشافعي رحمه الله لكن بشرط ان لا يتقدم على الجنازة ولا على الامام فان تقدم على أحدهما فصلاته باطلة (واما) مذهب مالك رحمه الله فيكره لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام من صلى على ميت في المسجد فلا شئ له أخرجه أبوداود رحمه الله وللعمل المتصل وهو انهم كانوا لا يصلون على ميت في المسجد وماورد من أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد فلم يصحبه العمل والعمل عند مالك رحمه الله اقوى لان الحديث يحتمل النسخ وغيره والعمل لا يحتمل شيئا من ذلك بل هو على جادة الاتباع والاتباع أولى ما يبادر اليه لعدم الاحتمال فيه وهذا بشرط ان لا يتقدم على الامام ولا على الجنازة فان تقدم عليهما فقد ارتكب ثلاث مكروهات احدها الصلاة على الميت في المسجد الثاني التقدم على الامام الثالث التقدم على الجنازة ولا يتقرب الى الله تعالى بمكروه فكيف اذا تعدد وحد المكروه ماتركه أفضل من فعله (تنبيه) ويتعين عليه أن ينظر فيما بنى أو يبنى الى جانب المسجد من ميضاة أو سراب فما كان من ذلك يصل منه نداوة الى ارض المسجد أوجدرانه فيمنع من ذلك ويبطله على من فعله لان دخول النجاسة في المسجد محرم وان كان عليها حصير لان الارض هي المسجد لا الحصير وأيضا فان الحصير اذا بسط على تلك الارض تنجس بها وكذلك الجدران لان المصلين يستندون في غالب احوالهم اليها فتنجس ثيابهم وسواء كان ذلك في مقدم المسجد أو مؤخره لا فرق بينهما وبعض الناس يفعل ذلك نظرا منه لتحصيل الحسنة بتيسير موضع الطهارة سيما في حق من كان منقطعا في المسجد أو من بيته بعيد منه فيقرب على الجميع أمر الوضوء للصلاة فيقع في محرمات جملة لما تقدم ذكره فيحذر من هذا جهده لان الحسنة التي توصل الى السيئة ماهي بحسنة بل هي السيئة نفسها والغالب على الشيطان أن يدس هذا المعنى لبعض من فيه خير وصلاح حتى يوقعه في السيئة وهو يزعم أنه في حسنة وهذا من بعض مكائد ابليس اللعين

(فصل في خروج الامام الى صلاة العيدين) والسنة الماضية في صلاة العيدين أن تكون في المصلى لان النبي صلى الله عليه وسلم قال

صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام
ثم مع هذه الفضيلة العظيمة خرج صلى الله عليه وسلم الى المصلى وتركه
فهذا دليل واضح على تأكد أمر الخروج الى المصلى لصلاة العيدين فهى
السنة وصلاتهما في المسجد على مذهب مالك رحمه الله تعالى بدعة الا أن
تكون ثم ضرورة داعية الى ذلك فليس ببدعة لان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يفعلها ولا أحد من الخلفاء الراشدين بعده ولانه عليه الصلاة والسلام أمر
النساء أن يخرجن الى صلاة العيدين وأمر الحيض وربات الخدور بالخروج
اليهما فقالت احداهن يا رسول الله احدانا لا يكون لها جلباب فقال عليه
الصلاة والسلام تعيرها أختها من جلبابها لتشهد الخير ودعوة المسلمين
فلما ان شرع عليه الصلاة والسلام لمن الخروج شرع الصلاة في البراح
لاظهار شعيرة الاسلام وليحصل لهم عليه الصلاة والسلام ما قد أمر به
في الحديث الآخر من قوله عليه الصلاة والسلام باعدوا بين أنفاس النساء
وأنفاس الرجال فلما أمر في هذا الحديث وجعله في صلاة العيد فكان النساء
بعيدا من الرجال ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام لما ان فرغ من خطبته
وصلاته جاء الى النساء فوعظهن وذكرهن فلو كن قريبا لسمعن الخطبة
ولما احتجن الى تذكيره لهن بعد الخطبة هذا وجه ووجه ثان وهو أن
المسجد ولو كبر فهم محصورون في الخروج من أبوابه المعلومة وقد يجتمع
الرجال والنساء عند الدخول فيها والخروج منها فتقع الفتن في موضع
العبادات والبراح ليس كذلك لاتساع البرية فلا يصل فيها أحد لاحد
في الغالب وهذا بعكس ما يفعله بعض الناس اليوم وهو أن المسجد عندهم
كبير وله أبواب شتى فيخرجون منه الى البراح لكونه أوسع وهو السنة
فبنوا في ذلك البراح موضعا يكون في الغالب على قدر صحن الجامع أو أصغر
وجعلوا له بابين ليس الا بابا للجهة القبلية والآخر في مقابلته فيجتمع النساء
والرجال في أحد البابين في الدخول والخروج وتقف الخيل والدواب عليها
فاذا انصرفوا خرجوا منهما كذلك مزدحمين والغالب ان النساء اذا خرجن
لغير العيد يلبسن الحسن من الثياب ويستعملن الطيب ويتحلين الى غير ذلك
مما تقدم من زينتهن فكيف بهن في العيدين والرجال أيضا يتجملون بما لا

يجوز لهم فتقع الفتن وتتلوث القلوب وهم قد خرجوا القربة فآل الامر الى ضدها وفي هذا البناء امور أخر منها ان البابين المفتوحين لا باب عليهما فيبقى ذلك المكان مأوى لما لا ينبغي من قطاع الطريق واللصوص وغيرهما ممن يفعل القبائح الله وقعة فيها وقد قيل من العصمة أن لا تجد فاذا كان الانسان يهم بالمعصية ولا يجد من يوقعها معه ولا يجد موضعا فهذا نوع من العصمة فاذا وجد الموضع متيسرا كان ذلك تيسير المعصية لمن ارادها والموضع موضع عبادة فينبغي أن ينزه عن هذا فيترك مكشوفا لا بناء فيه فان كان لا يقدر على ازالة ما فيه من البنيان فيترك الصلاة فيما حواه البنيان ويصلي خارجا عنه في البراح فهو الاولى والافضل في حقه بل المتعين اليوم لكن السنة أن لا ينصرف بعد الصلاة حتى يفرغ الامام من خطبته وان كان لا يسمعها كما تقدم في الانصات لخطبة الجمعة وهذا كله من مكائد ابليس يأتي الى مواضع القرب فيدس فيها دسائس حتى ترجع الى الضد من ذلك نسأل الله العافية منه

(فصل في التكبير عند الخروج الى المصلى) والسنة الماضية أن يكبر عند خروجه الى المصلى ان كان ذلك عند طلوع الشمس أو قرب طلوعها فان كان قبل ذلك وأتى الى المصلى لاجل بعد منزله فليس عليه تكبير حتى يدخل الوقت المذكور على المشهور وقيل يشرع له التكبير من بعد طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح اذا خرج في وقته ذلك (والسنة المتقدمة) أن يجهر بالتكبير فيسمع نفسه ومن يليه والزيادة على ذلك حتى يعقر حلقه من البدع اذ انه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم الاماذكر ورفع الصوت بذلك يخرج عن حد السمت والوقار ولا فرق في ذلك أعني في التكبير بين أن يكون اماما او مؤذنا أو غيرهما فان التكبير مشروع في حقهم أجمعين على ما تقدم وصفه الا النساء فان المرأة تسمع نفسها ليس الا بخلاف ما يفعله بعض الناس اليوم فكأن التكبير انما شرع في حق المؤذنين دون غيرهم فتجد المؤذنين يرفعون أصواتهم بالتكبير كما تقدم وأكثر الناس يستمعون لهم ولا يكبرون وينظرون اليهم كأن التكبير ما شرع الا لهم وهذه بدعة محدثة ثم انهم يمشون على صوت واحد وذلك بدعة لان المشروع انما هو أن يكبر كل

انسان لنفسه ولا يمشي على صوت غيره (ومما) أحدثوه من البدع أيضا وقودهم القناديل في طريق الامام عند خروجه الى صلاة الصبح يوم العيد ومما أحدثوه أيضا انهم يأتون الى باب دار الامام قبل صلاة الصبح يوم العيد فاذا اجتمعوا وخرج عليهم الامام شرعوا في التكبير على ما وصفناه من رفع الصوت به الخارج عن الحد المشروع فيمشون معه بالتكبير حتى يصلوا الى قرب المحراب فيتشوش من في المسجد كما تقدم وحينئذ يقطعون التكبير ويأخذون في الصلاة فاذا فرغوا من صلاة الصبح خرجوا مع امامهم بالتكبير على ما تقدم ذكره والناس سكوت لا يكبرون وهذا وان كان التكبير سنة ففعلهم ذلك محرم على ما يعلم من زعقات المؤذنين من البدع وكذلك تكبيرهم على صوت واحد وكذلك سكوت الناس لاجل استماعهم وتركهم التكبير لانفسهم فهذه ثلاث بدع معارضة لسنة التكبير على ما مضى من انه يكبر كل من خرج الى صلاة العيد من الرجال كان اماما أو مؤذنا اوغيرهما يسمع بذلك نفسه ومن يليه وفوق ذلك قليلا ولا يرفع صوته حتى يعقر حلقه لان ذلك محدث وقد تقدم ان أحسن اللباس وأفضله البياض فينبغي للامام أن يكون أفضل القوم حتى في ملبسه وزيه على ما تقدم في اللباس في الجمعة بشرطه (وينبغي) أن لا يقدم الصلاة فيوقعها في الوقت المنهي عن ايقاع الصلاة فيه وبعض الائمة يفعلون هذا وذلك منهي عنه لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس حتى ترتفع وعند الغروب حتى تغيب فيوقع بعضهم الصلاة عند بزوغ الشمس وهو موضع النهي فيخرج الى فعل بر فيقع في ضده نعوذ بالله من ذلك (وبعض الناس) يفعلون ضد هذا فيؤخرون صلاة العيد حتى تسخن الشمس وهو خلاف السنة أيضا لان السنة وردت في الخارج الى المصلى أن يعجل الأوبة الى اهله لانه ان كان في عيد الاضحى فيضحي لهم ان كان ممن يضحي حتى يفطروا على أضحيتهم وان كان في عيد الفطر فيأكلون معه وان كانوا قد افطروا قبل خروجهم الى المصلى على تمرات أو الماء كما وردت السنة والغالب على كثير من الناس العيال والاولاد فيبقون متشوفين منتظرين له وقد تقدم هذا المعنى واذا كان ذلك كذلك فالافضل ما بين هذين وهو الوسط فالمختار أن لا يصلي عند طلوع

الشمس لما تقدم من نهيه عليه الصلاة والسلام عن ذلك ولا يؤخرها حتى ترتفع الشمس (فاذا) خرج الامام الى الصحراء وخطب فليكن بالارض لا على المنبر فانه بدعة (قال) الشيخ الامام أبو طالب المكي رحمه الله فى كتاب القوت له روينا ان مروان لما احدث المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدرى فقال يامروان ماهذه البدعة فقال انها ليست ببدعة هى خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لاصليت وراءك اليوم فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد انتهى (فان) فعل وخطب على المنبر فقد مضت السنة فى خطبة الجمعة أن يكون الامام وحده على المنبر دون غيره (وقد) أحدثوا فى منبر العيد اليوم بدعة أكثر من جلوس الرئيس مع الامام على المنبر فى الجمعة لانهم زادوا أن الخطيب اذا خطب فى صلاة العيد امتلأ المنبر كله من المؤذنين وغيرهم يرتصون عليه وكذلك فيما فوق المنبر (وينبغى) له اذا خطب ان يوجز فى خطبته ولا يطيلها فان التطويل ههنا أشد كراهة منه فى الجمعة لما تقدم ذكره من انتظار الاهل لهم فى العيدين والله أعلم

(فصل فى التحفظ من النجاسة فى المصلى) ويتعين على الامام وغيره ممن يصلى فى المصلى التحفظ من الصلاة على موضع فيه نجاسة غير معفو عنها سيما ان كان الموضع مما تطؤه الخيل والدواب فلا شك فى نجاسته سيما وايقاع الصلاة يكون فى أول النهار قبل أن تنزل الشمس على الارض فتنشف تلك الرطوبة فمن صلى عليها تنجس ما أصيب من بدنه أو ثيابه وان فرش عليها شيئا يصلى عليه تنجس فلا يصلى عليه بعد ذلك حتى يغسله وقد تكون الصلاة على موضع قبور وقد كره علماؤنا رحمة الله عليهم الصلاة عليها دون حائل الا أن تكون المقبرة جديدة لم تنبش بعد وقيل هى مكروهة مطلقا فى الجديدة والقديمة الا على حائل والله أعلم

(فصل فى سلام العيد) قد اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فى قول الرجل لاخيه يوم العيد تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك على أربعة أقوال جائز لانه قول حسن مكروه لانه من فعل اليهود مندوب اليه لانه دعاء

ودعاء

ودعاء المؤمن لاخيه مستحب الرابع لا يبتدى به فان قال له أحد رد عليه مثله واذا كان اختلافهم في هذا الدعاء الحسن مع تقدم [illegible] وثم فما بالك بقول القائل عيد مبارك مجردا عن تلك الالفاظ مع [illegible] من الحدوث فمن باب أولى أن يكره وهو ومثل قولهم يوم مبارك [illegible] مباركة وصبحك الله بالخير [illegible] بالخير وقد كره علماؤنا [illegible] الله [illegible] كل [illegible] وقد تقدم بعضه (وأما المعانقة) فقد [illegible] مالك وأجازها ابن عيينة أعنى عند اللقاء من غيبة كانت (وأما) في العيدان هو حاضر معك فلا (وأما) المصافحة فانها وضعت في الشرع عند لقاء المؤمن لاخيه (وأما) في العيدين على ما اعتاده بعضهم عند الفراغ من الصلاة يتصافحون فلا أعرفه (لكن) قال الشيخ الامام أبو عبد الله بن النعمان رحمه الله انه أدرك بمدينة فاس والعلماء العاملون بعلمهم بها متوافرون انهم كانوا اذا فرغوا من صلاة العيد صافح بعضهم بعضا فان كان يساعده النقل عن السلف فيا [illegible] وان لم ينقل عنهم فتركه أولى

(فصل في خروج النساء الى صلاة العيد) قد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر النساء بالخروج الى صلاة العيد في المصلى حتى الحيض وربات الخدور وذلك محمول على ما كان عليه في وقته عليه الصلاة والسلام من التستر وترك الزينة والصيانة والتعفف وان مروطهن تجر خلفهن من شبر الى ذراع وبعدهن من الرجال وقد قالت عائشة رضي الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد كما منعه نساء بني اسرائيل واذا كان ذلك كذلك فيتعين منعهن في هذا الزمان على كل حال لما في خروجهن من الفتن التي لا تكاد تخفى وما يقع من ضد العبادة المأمور بها

(فصل في انصراف الناس من صلاة العيد) قد تقدم ان السنة في الخروج الى صلاة العيدين سرعة الاوبة الى الأهل فلا يشتغل بزيارة القبور وله أن يزور اخوانه من الاحياء لكن ان كان له أهل فليبدأ بهم ويزيل تشوفهم اليه ثم بعد ذلك يمضي لما يختاره من زيارة من ذكر وان لم يكن له أهل فليمض الى اخوانه ومعارفه المتقين من الاولياء والصالحين للتبرك برؤيتهم والتماس الدعاء منهم لكن يتحرى وقت زيارتهم

اذ أن الغالب من اخوانه انهم يضحون والسنة فيها أن يتولى المكلف ذلك بنفسه فاذا خرج الوقت الذى هو معد للذبح غالبا فليمش عليهم كما تقدم ذكره وان علم أن فيهم من لم يذبح فله أن يأتى اليه فى أى وقت شاء لعدم المانع

(فصل فى صلاة العيد فى المسجد) فان صليت صلاة العيد فى المسجد لاجل ضرورة المطر أو غيره من الاعذار الشرعية فالسنة فيها كما تقدم فى المصلى لكن فى المسجد يخفضون أصواتهم أكثر مما ذكر فى البرية تنزيها للمسجد من رفع الاصوات فيه كما تقدم ولا بد من الخطبة بعد الصلاة وينبغى أن يكون النساء بمعزل بعيد عن الرجال بخلاف ما هن اليوم يفعلنه لانهن يخالطن الرجال فى الغالب فتجد المسجد غالبه مملوءا يوم العيد بالنساء وغالب خروجهن على ما يعلم كما تقدم غير مرة ولو منعن من الخروج لكان أحسن بل هو المتعين فى هذا الزمان ويتعين عليه أن يتقدم الى الوعاظ الذين يعملون فى المسجد فيمنعهم من الكلام وقد تقدم منعه فى حق الرجال ففى حق النساء من باب أولى اذ أن مفاسدهن تزيد على مفاسد الرجال وقد تقدم منع الوعاظ من المسجد مطلقا

(فصل فى التكبير اثر الصلوات الخمس فى أيام العيد) وقد مضت السنة ان أهل الآفاق يكبرون دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فى أيام اقامة الحج بمنى فاذا سلم الامام من صلاة الفرض فى تلك الايام كبر تكبيرا يسمع نفسه ومن يليه ويكبر الحاضرون بتكبيره كل واحد يكبر لنفسه ولا يمشى على صوت غيره على ما وصف من أنه يسمع نفسه ومن يليه فهذه هى السنة (واما) ما يفعله بعض الناس اليوم من أنه اذا سلم الامام من صلاته كبر المؤذنون على صوت واحد على ما يعلم من زعقاتهم فى المآذن ويطيلون فيه والناس يستمعون اليهم ولا يكبرون فى الغالب وان كبر أحد منهم فهو يمشى على أصواتهم وذلك كله من البدع اذ أنه لم ينقل أن النبى صلى الله عليه وسلم فعله ولا أحد من الخلفاء الراشدين بعده وفيه اخراق حرمة المسجد برفع الاصوات فيه والتشويش على من به من المصلين والتالين والذاكرين

(فصل فى صلاة التراويح فى المسجد) قد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى

صلى الله عليه وسلم صلى فى رمضان فى المسجد ثلاث ليال فلما ان اجتمعوا جلس فى الرابعة ولم يخرج اليهم فلما ان أصبح قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت الذى رأيت من صنيعكم وما منعنى من الخروج اليكم الا خشية أن تفرض عليكم (فلما) أن مضى لسبيله عليه الصلاة والسلام أمن مما ذكره من الفرض على الامة (فلما) أن ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة وتفرغ للنظر فى مثل هذه الاشياء وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقومون فى ليالى رمضان أوزاعا متفرقين قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو جمعتهم على قارئ واحد لكان أحسن فجمعهم على أبى بن كعب رضى الله عنه فخرج عليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة أخرى وهم يصلون على ما أمرهم به فقال نعمت البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل وقد تقدم ذكر أصل فعلها وما كان كذلك فلا يكون بدعة (وانما) عنى بذلك والله أعلم أحد أمرين أحدهما جمعهم على قارئ واحد الثانى أن يكون أراد بذلك قيامهم أول الليل دون آخره وأما الفعل فى نفسه فهو سنة لا اختلاف فيه (وما) قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانما هو محمول على غيرهم لا عليهم اذ انهم رضى الله عنهم جمعوا بين الفضيلتين من قيام أول الليل وآخره ألا ترى الى ما حكاه مالك رحمه الله فى موطائه انهم كانوا اذا انصرفوا من صلاة التراويح استعجلوا الخدم بالطعام مخافة الفجر وكانوا يعتمدون على العصى من طول القيام فقد حازوا رضى الله عنهم الفضيلتين معا قيام أول الليل وآخره فعلى منوالهم فانسج ان كنت متبعا ان المحب لمن يحب مطيع وهم سادتنا وقدوتنا الى ربنا فينبغى لنا الاتباع لهم والاقتفاء لآثارهم المباركة لعل بركة ذلك تعود على المتبع لهم (لكن) هذا قد تعذر فى هذا الزمان فى الغالب أعنى قيام الليل كله فى المسجد لما يختلط به مما لا ينبغى واذا كان ذلك كذلك فيتعين على المكلف اليوم أن لا يخلى نفسه من هذه السنة البتة بل يفعلها فى المسجد مع الناس على ما هم يفعلون اليوم من التخفيف فيها فاذا فرغوا ورجع الى بيته فينبغى له أن يغتنم بركة اتباعهم فى قيام الليل الى آخره ان أمكنه ذلك فيصلى فى بيته بمن تيسر معه من أهله أو وحده فتحصل الفضيلة الكاملة ان شاء الله تعالى ويكون وتره آخر تنفله اقتداء

بهم (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى حين كان يصلى مع الناس فى المسجد
وكان الامام ممن يوتر بثلاث لا يفصل بينهما بسلام اما انا فاذا أوتر واخرجت
وتركتهم فللانسان بمالك رحمه الله اسوة فى ترك الوتر معهم حين يوتر فى بيته
بعد ذلك فله آخر الليل الا ان يكون ممن يحتاج الى النوم اذا اتى الى بيته ويخاف
أن يستغرقه الى طلوع الفجر فلا يغتر ويترك الوتر بعد نومه وليوقعه قبله
فان أدرك من آخر الليل شيئا قامه ولم يعد وتره على المشهور من مذهب
مالك رحمه الله وان لم يدرك شيئا فقد حصل له الوتر فى وقته ولا حرج عليه
(وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يصلى فى المسجد مع الناس صلاة القيام
ويوتر معهم فاذا رجع الى بيته صلى ما قدر له ولا يعيد الوتر وكان رحمه الله
يقول ان شيخه سيدى الشيخ أبا الحسن الزيات رحمه الله كان يفعل ذلك
(وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ينبغى للمكاف انه اذا صلى المغرب
يجعل فماره ثم يقوم فيصلى بحزبين ونصف أو أكثر قبل العشاء ثم يخرج
فيصلى مع الناس القيام ويوتر معهم ثم اذا رجع الى بيته صلى لنفسه بحزبين
ونصف أو أكثر فيجتمع له من ذلك ثمن الختمة أو أكثر منه فى الغالب ثم ينام
ما قدر له ثم يقوم لتهجده فيصلى ما تيسر له مما بقى عليه من الليل (فان) قال
قائل قد قررتم ان قيام رمضان فى المسجد سنة فما وجه ترك أبى بكر لها
(فالجواب) ان ابا بكر رضى الله عنه كان مشتغلا بما هو أعظم من ذلك وأهم
فى الدين وهو قتال أهل الردة ومانعى الزكاة وبعث الجيوش الى الشام وغير
ذلك وما جرى له مع مسيلمة الكذاب وغيره وتراكم الفتن عند انتقال النبى
صلى الله عليه وسلم مع شغله بجمع القرآن وتدوينه مع قصر مدته رضى الله
عنه فلم يتفرغ لما تفرغ له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبان
ما ذكر واتضح والله الموفق

(فصل فى صفة الامام فى قيام رمضان) وينبغى ان يكون من اهل العلم
والخير والديانة بخلاف ما يفعله بعضهم اليوم لان الغالب منهم انهم انما
يقدمون الرجل لحسن صوته لا لحسن دينه وقد قال مالك رحمه الله فى القوم
يقدمون الرجل ليصلى بهم لحسن صوته انما يقدموه ليغنى لهم وهذا اذا
كان على ما يعلم من التطريب فى القراءة ووضعها على الطرائق التى

اصطلحوا عليها التي تشبه الملوك وأما الوقدمود لدينه وحسن صوته وقراءته على المنهج المشروع فلا شك ان هذا أفضل من غيره (وينبغي) أن لا يقدم للامامة الا من تطوع بها دون من يأخذ عليها عوضا فان لم يوجد الا به فقيل تباح وقيل تكره وهي في الفريضة أشد كراهة (وأجاز ذلك) الشافعي رحمه الله تعالى من غير كراهة (وقال) الاوزاعي الصلاة خلفه باطلة (وكره ذلك) أبو حنيفة وأصحابه (وينبغي) للامام كما تقدم غير مرة ان يكون افضل القوم ومن جملة فضيلته ان يتقدم لا لعوض يأخذه على صلاته فان كان ثم عوض فينبغي له أن لا ينظر اليه وأن يصلي هو لله تعالى لا لغيره ويترك النظر للعوض فان جاءه شيء وكان محتاجا اليه قبله لضرورته وهذا عام في الفرض والنفل وان لم يكن محتاجا اليه وأخذه وتصدق به فلا بأس بذلك (وقد) كان بجامع مصر بعض الفضلاء من الائمة يصلي بالناس فيه وكان بعض الفضلاء من الغاربة يجيء المسجد بعد سلام الامام من صلاته فيصلي في آخر المسجد لنفسه فيصلي بصلاته ناس ثم كذلك ثم كذلك حتى علم به الناس فرجع أكثرهم وتركوا الصلاة خلف الامام الاصلي وصلوا خلف هذا لاعتقادهم فيه فتشوش الامام من ذلك لقلة من يصلي خلفه وكثرة من يصلي خلف الآخر فاجتمع به وسأله ما يمنعه من الصلاة خلفه فاخبره انه يأخذ على صلاته اجرة فقال له والله ما أكلت منها شيئا قط ولكني اتصدق بها فقال له الآن اصلي خلفك فرجع فصلى خلفه (فاذا) اخذ العوض لا لنفسه بل لغيره فلا حرج عليه ان شاء الله تعالى والغالب المكروه ان يأخذه لنفسه والذي يتبين به ذلك ويتضح انه اذا قطع عنه العوض فان تبرم وتضجر أو ترك الامامة فلا شك في كراهة ذلك في حقه وان بقي على ما كان عليه من الملازمة والسكوت والرضا فلا يضره ما اخذه ان شاء الله تعالى والحاصل من هذا ما تقدم في حال العالم في اخذه الجامكية على التدريس وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية فأغنى عن اعادته

(فصل في الذكر بعد التسليمتين من صلاة التراويح) وينبغي له ان يجتنب ما أحدثوه من الذكر بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح ومن رفع اصواتهم بذلك والمشي على صوت واحد فان ذلك كله من البدع (وكذلك)

ينهى عن قول المؤذن بعد ذكرهم بعد التسليمتين من صلاة التراويح الصلاة يرحمكم الله فانه محدث أيضا والحدث فى الدين ممنوع وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء بعده ثم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولم يذكر عن أحد من السلف فعل ذلك فيسعنا ما وسعهم

(فصل فيما يفعل فى ليلة الختم) وينبغى له أن يتجنب ما أحدثه بعضهم فى الختم من أنهم يقومون فى ليالى رمضان كلها فى الغالب بحزب بين فما فوقهما فاذا كانت ليلة الختم التى ينبغى أن يزاد فيها على القيام المعهود لفضيلتها فيصلى بعضهم فيها بنصف حزب ليس الا وهو من سورة والضحى الى آخر الختمة وكان السلف رضوان الله عليهم يقومون تلك الليلة كلها فجاء هؤلاء ففعلوا الضد من ذلك كما تقدم

(فصل فى صفة قيام العشر الاواخر من شهر رمضان) وينبغى للمكلف أن يمتثل السنة فى قيام العشر الاواخر من شهر رمضان اذ أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى فراشه وشد مئزره وأيقظ أهله وأحيا الليل كله وهذه سنة قد تركت فى الغالب فى هذا الزمان فتجد بعضهم يقومون من أول الشهر فاذا دخل العشر الاواخر تركوه لانهم يختمون فى أوله أو فى أثنائه ثم لا يعودون للقيام بعد ختمهم وهذه بدعة ممن فعلها وهى مصادمة لفعله عليه الصلاة والسلام وان قام بعضهم فبالشئ القليل مع انه قد أحيا بعضهم هذا العشر فى المسجد الجامع وهى سنة حسنة لو سلمت مما طرأ عليها من المفاسد فمنها ان الائمة يأخذون عليها عوضا معلوما الثانى ان المسجد يبقى فى ظلام الليل مفتوح الابواب يدخل اليه منها من يقوم ومن لا يقوم وظلام الليل يسترهم فلو كان من وقف على الائمة وقف على زيت يعم المسجد كله بضوئه وعلى رجال يطوفون بالمسجد طول ليلهم فمن رأوه فيه فى غير عبادة أخرجوه لكان ذلك حسنا وأما مع عدم هذا فمفاسده كثيرة وفى التلويح ما يغنى عن التصريح أسأل الله السلامة بمنه

(فصل فى الخطبة عقب الختم) والخطب الشرعية معروفة مشهورة ولم يذكر فيها خطبة عند ختم القرآن فى رمضان ولا غيره واذا لم تذكر فهى بدعة ممن فعلها سيما ان كان الموضع معروفا مشهورا مثل أن يكون المسجد الجامع

أو يكون المسجد منسوبا الى عالم أو معروف بالخير والصلاح أو يكون منسوبا الى المشيخة الى غير ذلك ففعل ذلك فيه أشد كراهة لاقتداء كثير من عامة الناس به وان كان ذلك ممنوعا في حق المساجد كلها لكن يتأكد المنع في حق من يقتدى به (وينبغي له) أن يتجنب ما أحدثوه بعد الختم من الدعاء برفع الاصوات والزعقات قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز ادعوا ربكم تضرعا وخفية وبعض هؤلاء يعرضون عن التضرع والخفية بالعياط والزعقات وذلك مخالف للسنة المطهرة (وقد) سئل بعض السلف رضي الله عنهم عن الدعاء الذي يدعو به عند ختم القرآن فقال أستغفر الله من تلاوتي اياه سبعين مرة (وسئل غيره) عن ذلك فقال أسأل الله أن لا يمقتني على تلاوتي (وقد قالت) عائشة رضي الله عنها كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم اه (ولا) يظن ظان أن الظلم انما هو في الدماء أو الاعراض أو الاموال بل هو عام اذ قد يكون ظالما لنفسه فيدخل اذ ذاك تحت الوعيد (وبالجملة) فالموضع موضع خشوع وتضرع وابتهال ورجوع الى المولى سبحانه وتعالى بالتوبة مما قارفه من الذنوب والسهو والغفلات وتقصير حال البشرية فينبغي ان يبذل العبد جهده كل على قدر حاله ومرتبته (ومن) دعائه عليه الصلاة والسلام قوله اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (ومن ذلك) قوله عليه الصلاة والسلام اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ٣ (ومن ذلك) الدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام لآدم عليه السلام حيث قال له قل اللهم تمم على النعمة حتى تهنئني المعيشة وحسن لي العاقبة حتى لا تضرني ذنوبي وخلصني من شبائك الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة بسلام (ومن ذلك) مارواه مالك رحمه الله في موطائه عنه عليه الصلاة والسلام انه كان من دعائه عليه السلام اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بالناس فتنة فاقبضني اليك غير مفتون (وقد) قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه المسمى بالاذكار والدعوات مر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمي يدعو وما

٣ وتمامه كما في الجامع الصغير واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر اه

يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف ببركة دعائه (وقال) بعضهم ادع الله بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق (وقيل) ان العلماء والابدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها (ويشهد له) آخر سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من أدعية عباده بأكثر من ذلك انتهى (هذا) هو المستحب في الجماعات أو من كان في موضع من موضع العبادات (وأما) ان كان الانسان وحده أو في جماعة يؤثرون تطويل دعائه فالمستحب أن يمضي فيه لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الملحين في الدعاء اه (وهذا) في غير المسجد ويجوز في المسجد بشرط أن لا يكون الجهر والتطويل بالدعاء عادة (فالحاصل) من هذا أن يمضي فيما فتح له فيه في أي وجهة كانت من صلاة أو صوم أو علم أو دعاء أو تضرع أو ابتهال أو خشوع حتى انهم قد قالوا لو أخذه الخشوع في صلاة النافلة فليمض في ذلك ولو ختم الختمة في ركعة واحدة وكذلك لو وجد الخشوع في آية واحدة فانه يكررها مادام على ذلك حتى الصباح ولا يقطعها الا لفرض تعين وكذلك اذا فتح له في الدعاء فالمستحب في حقه أن لا يقطعه أيضا فمن له عقل فليرجع الى عمل السلف رضي الله عنهم ويترك الحدث في الدين والله المستعان (قال) الشيخ الجليل أبو بكر محمد بن الوليد الفهري المشهور بالطرطوشي رحمه الله فان قيل هل يأثم فاعل ذلك (فالجواب) أن يقال ان كان ذلك على وجه السلامة من اللغط ولم يكن الا الرجال أو الرجال والنساء منفردين بعضهم عن بعض يسمعون الدعاء فهذه البدعة التي كره مالك رحمه الله وأما ان كان على الوجه الذي يجري في هذا الزمان من اختلاط الرجال والنساء ومصادمة اجسادهم ومزاحمة من في قلبه مرض من أهل الريب ومعانقة بعضهم لبعض كما حكى لنا أن رجلا وجد رجلا يطأ امرأة وهم وقوف في زحام الناس وحكت لنا امرأة ان رجلا واقعها فما حال بينهما الا الثياب وأمثال ذلك من الفسق واللغط فهذا فسوق فيفسق الذي كان سببا في اجتماعهم (فان قيل) أليس قد روى عبد الرزاق في التفسير أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان اذا أراد أن يختم القرآن جمع أهله (قلنا)

فهذا هو الحجة عليكم بانه كان يصلى فى بيته ويجمع أهله فاين هذا من تلفيق الخطب على رؤس الاشهاد وتختلط الرجال والنساء والصبيان والغوغاء وتكثر الزعقات والصياح ويختلط الامر ويذهب بهاء الاسلام ووقار الايمان (وايضا) فانه ماروى انه دعا وانما جمع أهله فحسب (ولما) روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع رجلا يقول يا حبذا صفرة ماء ذراعيها الماء كان قد توضأت به امرأة فبقى فيه من أثر الزعفران فعلاه بالدرة (وروى) انه نهى أن يجلس الرجل فى مجلس المرأة عقب قيامها وكل من قال بأصل الذرائع يلزمه القول بهذا الفرع ومن أبى أصل الذرائع من العلماء يلزمه انكاره لما يجرى فيه من اختلاط الرجال والنساء اه

(فصل فى القيام عند الختم بسجدات القرآن) وينبغى له ان يتجنب ما احدثه بعضهم من البدع عند الختم وهو انهم يقومون بسجدات القرآن كلها فيسجدونها متوالية فى ركعة واحدة أو ركعات فلا يفعل ذلك فى نفسه وينهى عنه غيره اذ انه من البدع التى أحدثت بعد السلف وبعضهم يبدل مكان السجدات قراءة التهليل على التوالى فى كل آية فيها ذكر لا اله الا الله او لا اله الا هو وقرأها الى آخر الختمة وذلك من البدع أيضا

(فصل فى قيام السنة كلها) قال الباجى رحمه الله فى شرح الموطا ان هذا القيام الذى يقوم الناس به فى رمضان فى المساجد هو مشروع فى السنة كلها يوقعونه فى بيوتهم وهو اقل ما يمكن فى حق القارى وانما جعل ذلك فى المساجد فى رمضان لكى يحصل لعامة الناس فضيلة القيام بالقرآن كله وسماع كلام ربهم فى أفضل الشهور انتهى ولكونه أنزل فيه القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا ولكون جبريل عليه السلام كان يدارس القرآن النبى صلى الله عليه وسلم فيه فلاجل هذه الوجوه واشباهها ناسب محافظة جميع الناس على قيامه وان كان القيام فى السنة كلها مشروعا ان حفظ القرآن ومن لم يحفظه فمن حفظه قام به فى بيته جهرا ولا يقوم به فى المسجد أعنى فى جماعة كما فى رمضان وغير الحافظ يستحب له أن يصلى عدد الركعات بأم القرآن وبما تيسر معها من السور فى بيته أيضا هذه هى السنة الماضية فى الامة خلافا لما فعله بعض الناس من انه جعل

القيام المعهود في رمضان دائما في زاويته في جميع السنة ثم نقلت عنه
واشتهرت فصارت تعمل في بعض المواضع المشهورة (وقد) قال ابن حبيب
وغيره من العلماء انهم يمنعون من ذلك في المساجد وفي كل موضع مشهور
وكذلك لو تواعدوا على انهم يجمعون في موضع مشهور فانهم يمنعون منه فان
فعلوا فهي بدعة ممن فعلها (وقد) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما تقدم
نعمت البدعة هذه يعني في جمعهم على قارئ واحد في رمضان على ما تقدم
بيانه فذكره رضي الله عنه ذلك للتنبيه على أن من فعله على تلك الصفة في
غير شهر رمضان فانه بدعة

(فصل فيما يفعلونه بعد الختم مما لا ينبغي) قد تقدم ان الدعاء بعد الصلاة
يستحب على الصفة المذكورة قبل وعند الختم مثله (قال مالك) في المدونة
الامر في رمضان الصلاة وليس بالقصص في الدعاء (قال الطرطوشي) رحمه
الله فقد نهى مالك أن يقص أحد بالدعاء في رمضان وحكى ان الامر المعمول
به في المدينة القراءة من غير قصص ولا دعاء (ومن المستخرجة) عن ابن
القاسم قال سئل مالك عن الذي يقرأ القرآن فيختمه ثم يدعو قال ما سمعت
انه يدعو عند ختم القرآن وما هو من عمل الناس (ومن) مختصر ما ليس في
المختصر قال مالك لا بأس أن يجتمع القوم في القراءة عند من يقرئهم أو يفتح
على كل واحد منهم فيما يقرأ قال ويكره الدعاء بعد فراغهم (وروى) ابن
القاسم أيضا عن مالك أن أبا سلمة بن عبد الرحمن رأى رجلا قائما يدعو رافعا
يديه فانكر ذلك وقال لا تقلصوا تقليص اليهود قال مالك التقليص رفع
الصوت بالدعاء ورفع اليدين (وروى) ابن القاسم أيضا قال سئل مالك عما
يعمل الناس به من الدعاء حين يدخلون المسجد وحين يخرجون ووقوفهم عند
ذلك فقال هذا من البدع وانكر ذلك انكارا شديدا (قال) بعض أصحابنا
انما عنى بهذا الوقوف للدعاء فاما الدعاء عند دخوله وخروجه ماشيا فانه جائز
وقد وردت فيه آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم (وسئل مالك) عن
رجل يدعو خلف الصلاة قائما قال ليس بصواب ولا أحب لأحد أن
كارله (وذكر) ابن شعبان في كتابه عقب ذكره جملا من هذه
اثر المحدثة قال انما كرهه مالك خيفة أن يلحق بما يجب فعله حتى

يتخذ

يتخذ أمرا ماضيا ومالنا نقدر ذلك بل قد وجدنا ما كنا نحذر فأكثر المسلمين اليوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما شرع قيام رمضان على هذا الوجه وان ترك ذلك بدعة مع القطع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجمع في رمضان الا ليالتين اهفاذا تقرر هذا من مذهب الامام مالك رحمه الله تعالى فاعلم ان الكراهة المذكورة محمولة على الجهر ورفع الصوت في جماعة وأما الدعاء في السر فهو جائز أو مندوب بحسب الحال وعلى هذا درج السلف والخلف رضي الله عنهم (وقد كان) سيدي أبو محمد رحمه الله اذا ختم عنده في شهر رمضان في المسجد في جماعة لم يزد على مايعهد منه خلف المكتوبة شيئا وكالا نعرف دعاء بعد الصلاة الاحين يرمق السماء بعينيه وهذا ضد مايفعلونه في هذا الزمان عقب الختم من قراءة القصائد والكلام المسجع حتى كأنه يشبه الغناء لما فيه من التطريب والتنوك وخلوه من الخشوع والتضرع والابتهال للولي الكريم سبحانه وتعالى قال عز وجل في كتابه العزيز أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ولم يقل أمّن يجيب القوّال وقد جمع ذلك من البدع أشياء جملة يعرفها من له اطلاع على فعل السلف الماضين فان خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وما مضى عليه سلف الامة الماضين رضي الله عنهم أجمعين (واذا) كان ذلك كذلك فيتعين عليه أن يمنع مايفعله بعض الناس بعد الختم وما انضاف اليه مما لاينبغي (فمن ذلك) اجتماع المؤذنين تلك الليلة في موضع الختم فيكبرون جماعة في حال كونهم في الصلاة لغير ضرورة داعية الى المسمع الواحد فضلا عن جماعة بل بعضهم يسمعون وليسوا في صلاة وهذا فيه مافيه من القبح والمخالفة لسنة السلف الماضين وقد تقدم ذلك ويؤذنون أيضا كذلك (ثم) انهم زادوا على ذلك اذا خرج القارئ من الموضع الذي صلى فيه أتوه ببغلة أو فرس ليركبها ثم تختلف أحوالهم في صفة ذهابه الى بيته (فمنهم) من يقرأ القرآن بين يديه كما هم يفعلونه أمام جنائزهم وأمامهم المدير على عادتهم الذميمة والمؤذنون يكبرون بين يديه كتكبير العيد (قال) القاضي أبو الوليد ابن رشد رحمه الله كره مالك قراءة القرآن في الاسواق والطرق لوجوه ثلاثة (أحدها) تنزيه القرآن وتعظيمه من أن يقرأه وهو ماش في الطرق

والاسواق لما قد يكون فيها من الاقذار والنجاسات (والثانى) انه اذا قرأ القرآن على هذه الاحوال لم يتدبره حق التدبر (والثالث) لما يخشى أن يدخله ذلك فيما يفسد نيته انتهى (ومنهم) من يعوض عن ذلك بالفقراء الذاكرين بين يديه (ومنهم) من يعوض عن ذلك بالاغانى وهو أشدها وان كانت كلها ممنوعة (وبعضهم) يضيف الى ذلك ضرب الطبل والابواق والدف (وبعضهم) الطار والشبابة فى بيته (وبعضهم) يجمع ذلك كله او أكثره ويحضر اذ ذاك من اللهو واللعب تلك الليلة ما هو ضد المطلوب فيها من الاعتكاف على الخير وترك الشر وترك المباهاة والفخر وغير ذلك مما شاكله ثم انهم يعملون أنواعا من الاطعمة والحلاوات فسبحان الله ما أضر البدع وما أكثر شؤمها (حتى) لقد رأيت بعض المشايخ عمل لولده ختمة ببعض ما ذكر فلما جاءت السنة الثانية سألته عن ولده فى أى موضع صلى القيام فقال لى أنا منعته من القيام فقلت له ولم قال لان الاصحاب والاخوان والمعارف يطالبونى بالختم فأحتاج الى كلفة كثيرة انتهى فانظر الى شؤم البدع كيف جرت الى ترك الطاعات وترك المحافظة على حفظ الختمة لان الصبى اذا كان يصلى بالقرآن فى كل سنة بقيت الختمة محفوظة عليه لم ينسها فى الغالب (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان عاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت والغالب فى الصبيان انهم لا يقومون فى الليل فاذا لم يصلوا به فى الليل ولم يقوموا به فى رمضان والغالب من حالهم الاشتغال بأمر الدنيا والاسباب التى تعوقهم عن معاهدة الختمة فيكون ذلك سببا لنسيانها الا لاكثرهم

(فصل فى وقود القناديل ليلة الختم) وينبغى فى ليالى رمضان كلها أن يزاد فيها الوقود قليلا زائدا على العادة لاجل اجتماع الناس وكثرتهم فيه دون غيره فيرون المواضع التى يقصدونها وان كان الموضع يسعهم أم لا والمواضع التى يضعون فيها أقدامهم والمواضع التى يمشون فيها الى غير ذلك من منافعهم (ولا يزاد) فى ليلة الختم شئ زائد على ما فعل فى أول الشهر لانه لم يكن من فعل من مضى بخلاف ما أحدثه بعض الناس اليوم من زيادة وقود القناديل الكثيرة الخارجة عن حد الشرع ومع ما فيها من اضاعة

المال والسرف والخيلاء سيما اذا انضاف الى ذلك ما يفعله بعضهم من وقود الشمع وما يركز فيه فان كان فيه شيء من الفضة أو الذهب فاستعماله محرم لعدم الضرورة اليه وان كان بغيرهما فهو اضاعة مال وسرف وخيلاء (وبعضهم) يفعلون فعلا محرما وهو أنهم يعلقون ختمة عند الموضع الذي يختمون فيه (وتختلف) أحوالهم فيها فبعضهم يتخذها من الشقق الحرير الملوّنة (وبعضهم) من غيرها لكنها تكون ملوّنة أيضا ويعلقون فيها القناديل وذلك محرم وسرف وخيلاء واضاعة مال واستعمال لما لا يجوز استعماله من الحرير وغيره (وبعضهم) يجعل الماء الذي في القناديل ملوّنا (وبعضهم) يضم الى ذلك القناديل المذهبة أو الملوّنة أو هما معا وهذا كله من باب السرف والخيلاء والبدعة واضاعة المال ومحبة الظهور والقيل والقال فكيف فيما ازدادت فضيلة الليالي والايام فابلوها بضدها أسأل الله تعالى العافية بمنه (وبعضهم) يفعلون فعلا محرما وهو أنهم يستعيرون القناديل من مسجد آخر وهو لا يجوز لان قناديل هذا المسجد وقف عليه فلا يجوز اخراجها منه ولا استعمالها في غيره (ومنهم) من يفعل ما هو أشد مما ذكر وهو أن من كان عنده فرح في طول السنة استعار القناديل من مسجد واستعملها في بيته للسماع والرقص وما أشبه ذلك كل ذلك ثم أفضى ما ذكر من الوقود الى اجتماع أهل الريب والشك والفسوق ومن لا يرضى حاله حتى جر ذلك الى اجتماع الرجال والنساء في موضع واحد مع اختلاط بعضهم ببعض وانضاف الى ذلك بسبب كثرة الوقود اجتماع اللصوص وتشويشهم على بعض الحاضرين وانضاف اليه أيضا كثرة اللغط في المسجد ورفع الاصوات فيه والقيل والقال اذ أنه يكون الامام في الصلاة وكثير من الناس يتحدثون ويخوضون في الاشياء التي ينزه المسجد عن بعضها في غير رمضان فكيف بها في شهر رمضان العظيم فكيف بها في ليلة الختم منه فليتحفظ من هذا كله وما أشبه كله جهده (وهذا) اذا كان الزيت من مال الانسان نفسه (وأما) ان كان من ريع الوقف فلا يختلف أحد في منعه (ولو) شرط الواقف ذلك لم يعتبر شرطه (لقوله) عليه الصلاة والسلام كل شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل وان كان مائة شرط انتهى (ولانه) من باب السرف والخيلاء وقد تقدم

وهذه عادة قد استمر عليها بعض أهل الوقت سيما في المسجد الجامع سيما
في مسجد دمشق فانهم يفعلون فيه افعالا لا تليق بسبب سكوت بعض العلماء
عن ذلك فانا لله وانا اليه راجعون على انقلاب الحقائق اذ انهم لو فعلوا ذلك
وهم يعتقدون أنه سرف وبدعة كما تقدم لرجيت لهم التوبة والاقلاع ولكن
زادوا على ذلك اعتقادهم ان فعل ذلك من اظهار شعائر الاسلام واذا تقرر
هذا عندهم فلا يتوب أحد من اظهار الشعائر وفعلها فمن أراد السلامة
من هذا الامر المخوف فليغير ذلك مهما استطاع جهده فان عدم الاستطاعة
فلا يصلي فيه تلك الليلة لان بصلاته فيه يكثر سواد أهل البدع ويكون
حجة ان كان قدوة للقوم بان ذلك جائز غير مكروه لقول من يقول قد كان
سيدي فلان يحضره ولا يغيره فلو كان بدعة لما حضره ولا رضي به وهذا
والحالة هذه زيادة في الدين وهي مسئلة معضلة اذ ان اثم ذلك كله على من
فعله أو أمر به أو استحسنه أو رضي به أو أعان عليه بشيء ما أو قدر على تغييره
بشروطه فلم يفعل وكذلك الحكم في كل شيء أحدث في الدين فليجتنب هذا
جهده والله الموفق (ولا حجة) ان يقول انه مضطر للصلاة فيه لتحصيل فضيلة
الجماعة اذ ان الفضيلة موجودة في غيره من المساجد ان كان سالما مما ذكر
ويتأكد الترك في حق من هو قدوة لقول مالك رحمه الله اذا حضرت أمرا
ليس بطاعة لله ولا تقدر أن تنهى عنه فقم عنهم واتركهم لقوله عليه الصلاة
والسلام لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول الحق اذا شهده أو علمه نقله
ابن يونس في كتابه (فان فرض) انه لا يجد مسجدا سالما مما تقدم ذكره
فليصل في بيته فهو أفضل له وأقرب الى رضاء ربه سيما في هذا الزمان اذ
أن أقرب ما يتقرب به المتقربون الى الله سبحانه وتعالى اليوم بغض البدع
ومحبة السنن والعمل عليها ومحبة أهلها وموالاتهم اذ ان هذا الفن قد
اندرس الا عند من وفقه الله وقليل ما هم (وينبغي له) أن يتجنب في نفسه
وينهى غيره عما أحدثه بعضهم من احضارهم الكيزان وغيرها من أواني
الماء في المسجد حين الختم فاذا ختم القارى شربوا من ذلك الماء ويرجعون به
الى بيوتهم فيسقونه لأهليهم ومن شاؤا على سبيل التبرك وهذه بدعة
لم تنقل عن أحد من السلف رضي الله عنهم (وهذا) الذي ذكر لا يختص بليلة

الختم

الختم بل هو عام فى كل ليلة فعلوا ذلك فيها مثل ما يفعلونه فى ليالى الاعياد والتهاليل والمآتم وليلة النصف من شعبان وأول ليلة جمعة من رجب وآخر أربعاء من السنة التى اتخذوها الزيارة القبور فمن لم يحضر ذلك منهم كأنه فاتته شعيرة من شعائر الدين وذلك كله على ما يعلم منهم من صفة خروجهم واجتماعهم رجالا ونساء وشبانا الى غير ذلك على ما تقدم فان توقع شيأ مما يخالف السنة على ما تقدم فصلاته وقذا فى بيته افضل له من الصلاة فى المسجد اذ ذاك ان لم يقدر على تغيير ما هنالك والله المستعان (وينبغى له) أن يتجنب ما أحدثوه من البدع فى تواعدهم للختم فيقولون فلان يختم فى ليلة كذا وفلان فى ليلة كذا ويعرض ذلك بعضهم على بعض ويكون ذلك بينهم بالنوبة حتى صار ذلك كأنه ولائم تعمل وشعائر تظهر فلا يزالون كذلك غالبا من انتصاف شهر رمضان الى آخر الشهر فليحذر من ذلك فى نفسه وينهى غيره عنه اذ أنه لم يكن من فعل من مضى أعنى فى مواعدتهم فى الختم فى شهر رمضان (وأما) ان كان انسان يريد أن يختم لنفسه فى أى وقت كان من السنة فيجمع أهله لتعمهم الرحمة لان الرحمة تنزل عند ختم القرآن الكريم فذلك جائز لفعل أنس رضى الله عنه وقد تقدم (وانما) نهى عن ذلك فى شهر رمضان لوجهين (أحدهما) ما تقدم من كونه لم يكن من فعل من مضى (والثانى) خيفة مما قد وقع وهو أن يعتقد أنها شعيرة من شعائر الدين ولو فعلوا ذلك فى بيوتهم فى طول السنة لكان ذلك بدعة أيضا اذ أن السنة الماضية فى هذا وأمثاله اخفاؤه مهما أمكن فهذا ذكر بعض ما أحدثوه فقس عليه كل ما رأيت مما لم نذكره تصب ان شاء الله تعالى

(فصل فى ذكر آداب المؤدب) اعلم رحمنا الله واياك ان ما تقدم ذكره من الآداب فى حق من تقدم انما ذلك كله فرع عن هذا الاصل اذ أن أصل كل خير وبركة انما هو كتاب الله عز وجل اذ هو معدن الجميع وهو ينبوع كل علم نافع (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى أن يكون حامله من أكثر الناس فى التعظيم لشعائره والمشى على سنن من تقدمه فى تعظيمه ذلك واكرامه (واذا) كان ذلك كذلك فهو مضطر محتاج الى تحسين النية فيه أكثر من غيره وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام من عمل من هذه الاعمال شيأ يريد به

عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة اه ومعلوم على ما تقدم ان أهل الخير انما هو القرآن فهو أعلى اعمال الآخرة فيحفظ نفسه من ان يجلس لسبب الاستجلاب للرزق لانه ان فعل ذلك فقد اراد به عرضا من الدنيا فيدخل تحت هذا الوعيد العظيم أسأل الله تعالى السلامة من ذلك بمنه اذان استجلاب الرزق لا يسوقه حرص حريص (واذا) كان ذلك كذلك فان هو جلس له فهو تحصيل حاصل اذ ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بذلك وقد حرم نفسه خيرا عظيما وثوابا جزيلا (ولا) يظن ظان ان الترك انما يكون بالانتقال عما هو فيه بل يستصحب الحال على ما هو عليه لكن بتبديل النية يستقيم الحال ان شاء الله تعالى (وكيفية ذلك) بتوفيق الله تعالى أن ينوي بما يفعله من ذلك الامتثال لأمر الله تعالى وارشاد النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه اه والمراد بالخير هنا خير الآخرة أي ان عمال الآخرة كلهم هذا ومقدمهم اذان منه انفتح سلوك طريق الآخرة وهو الطريق الى الله تعالى لان أصل ذلك معرفة الخط والاستخراج والحفظ والضبط والفهم للمسائل وذلك كله مفتاحه المؤدب فهو أول باب من ابواب التوفيق دخله المكلف واذا كان ذلك كذلك فقد ظهرت مزيته وكيف لا وهو حامل كلام الله الذى ليس كمثله شئ (وقد) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لوشئت أن اوقر سبعين بعيرا من تفسير ام القرآن لفعلت اه (وهذا منه) رضي الله عنه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون تلفظه بالسبعين كناية منه عما لا نهاية له اذ أن من عادة العرب أنها تطلق السبعين على ما لا نهاية له ومنه قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان نزل عليه ذلك حمل الامر على ظاهر اللفظ فقال عليه الصلاة والسلام والله لأزيدن على السبعين فلم أنه فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (والوجه الثاني) أن يكون ذلك منه على وجه التقريب والا فالامر يجل عن أن يأخذه حصر أو حد (وانظر) بعين الحقيقة الى قوله تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله فانك اذا نظرت الى هذا وجدته مشاهدا مرئيا بالعلم القطعي اذ ان البحار كلها على عظمها

وكثرتها ومددها الدائم مفتقرة الى من يمدها لان كل نقطة منها محتاجة لكتب ما يجرى عليها من الاحكام من حين بروزها من العدم الى الوجود ومن أى موضع برزت ومن اى شئ أصلها وعلى اى موضع تسلك ومن ينتفع بها وما يطرأ عليها من الاعراض وفى اى موضع تستقر وهى لا تقوم بنفسها لما تحتاج اليه فبقيت العوالم كلها دون شئ تكتب به وهذا معنى كلام سيدى أبى محمد رحمه الله تعالى وهذا تنبيه لمن له يقظة فينظر ويعتبر (وقد) يجتمع للمؤدب خير الدنيا والآخرة وهو الغالب لما ورد فى الاثر اخبارا عن رب العزة عز وجل حيث يقول يا دنيا اخدمى من خدمنى وأتعبى من خدمك اه (فاذا) كانت نيته بجلوسه لله تعالى لأن يعلم آية لجاهل بها ولكى يصح صلاة المسلمين بتعليمه ام القرآن الى غير ذلك من نفعه العام للصغير والكبير فهو قد بدأ بحظه من آخرته وقد قال عليه الصلاة والسلام من بدأ بحظه من دنياه فاته حظه من آخرته ولم ينل من دنياه الا ما كتب له ومن بدأ بحظه من آخرته نال حظه من آخرته ولم يفته من دنياه ما قسم له أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وقد) تقرر أن الدنيا تجىء راغمة لطلاب الآخرة فكم من زاهد فيها ومتورع وفقير ومتوجه صادق فى تنزهه وتوجهه وعالم صادق فى علمه وطالب علم صادق فى تعلمه وعارف ومبتدئ ومنتهى أتتهم الدنيا وهى راغمة مع فراغهم لما هم بصدده (كل ذلك) أصله ما جاس هذا اليه فالكل فرع عنه وراجع اليه (فينبغى له) أن يعظم ما اكرمه الله تعالى به من هذا المجلس الشريف وان لا يشينه بشين المخالفة والاعتقاد الردىء والدسائس والنزغات التى تطرأ على بعض الناس فى ذلك وهى كثيرة (ودواء ذلك) ان وقع صدق الافتقار الى الله تعالى وقوة الثقة بضمونه والنزول بساحته والاتصاف بصفات المحتاجين المضطرين الذين لا ارب لهم ولا اختيار الا مولاهم فهو مقصودهم ومطلوبهم الذى عليه يعولون واليه يلجؤون وعليه يتوكلون اذ أنه سبحانه وتعالى لا يرد قاصده ولا يخيب من سأله وهو اكرم واجل من ان لا يعطى حتى يسئل فكيف بمن نزل بساحته وتضرع اليه والقى كنفه بين يديه فاذا فعل ما ذكر عادت بركة ذلك عليه سرا وعلنا اما حسا واما معنى او كلاهما (وقد) ذكر الشيخ ابو عبد

الله القرطبي رحمه الله تعالى في كتاب التفسير له حديثا قال روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس وخير من يمشي على جديد الارض المعلمون كلما اخلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله تعالى براءة للمعلم وبراءة للصبي وبراءة لأبويه من النار اه (واذا) كان ذلك كذلك فينوى في جلوسه للتعليم ما تقدم ذكره في حق العالم وآدابه وهديه وهذا من باب أولى أن يكون مطلوبا بذلك كله لانه الاصل كما تقدم وغيره فرع عنه (وانما) وقع تأخير ذكره الى هنا وان كان هو الاصل كما تقدم لما مضى أول الكتاب ان العالم نفعه عام لاجل ما احتوى عليه من مصلحة الدين واقامة منار الاسلام وفتاويه التي يعبد الله تعالى بها ولا يعصى وقد تقدم في العالم ان نيته تكون لاظهار دين الله تعالى ومعرفة أحكامه اللازمة له ولغيره ولا ينظر الى المعلوم ولا يلتفت اليه فان جاء شيء من ذلك أخذه على سبيل انه فتوح من الله تعالى ليستعين به على ما هو بصدده وكذلك ما هنا سواء بسواء (فيركب) الطريقة الوسطى لاشرقية ولاغربية و يكون الصبيان عنده بمنزلة واحدة لا يشرف بعضهم على بعض فابن الفقير وابن صاحب الدنيا على حد واحد في التربية والتعليم وكذلك من أعطاه ومن منعه اذ بهذا يتبين صدق حاله فيما هو بصدده فان كان يعلم من أعطاه أكثر ممن لم يعطه فذلك دليل على كذبه في نيته كما تقدم في العالم اذا تعذر عليه المعلوم فتسخط وتضجر دل ذلك على فساد نيته فكذلك ما هنا بل يكون من لم يعطه أرجى عنده ممن يعطيه لان من لم يعطه تمحض تعليمه لله تعالى بخلاف من أعطاه فانه قد يكون مشوبا بدسيسة لا تعلم السلامة فيه معها والسلامة أولى ما يغتنم المرء فيغتنمها العاقل (فاذا) جلس لما ذكر فلا ينبغي له أن يبوح بنيته لأحد ولا يذكرها له في هذا الزمان بل يفعل ذلك سرا في نفسه مع ربه عز وجل لا يطلع عليه غيره فانه سبحانه وتعالى يعلم ما تخفي الصدور وقد تقدم ان النية لا يجهر بها في الصلاة فان جهر بها فقولان هل تكره أم لا (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم أجمعين مع كثرة معرفتهم لا يبالون أين يضعونه فكيف بقارئ القرآن فكيف بمن انقطع لتعليمه

الله سبحانه وتعالى وكثير من أهل هذا الزمان على عكس حال من تقدم (فاذا) تقرر عند أحد من الناس اليوم فى الغالب ان المعلم يعلم كتاب الله عز وجل فقل من يعطيه شيأ فيجيء من ذلك ما كان سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى يقوله اذا وجد الفقير فى هذا الزمان قوته من حيث لا يحتاج لأحد فهو من أكبر الكرامات وكان يعلل ذلك ويقول ان الناس قد انقسموا فى هذا الزمان على قسمين فى الغالب فمنهم معتقد ومنهم مسيء الظن فالمسيء الظن ان لم يضرك لا ينفعك والمحسن الظن قد خرج بحسن ظنه عن الحد فيعتقد من الاولياء والملائكة لا تأكل ولا تشرب فما يصلك منه نفع أصلا فاذا وجد الفقير القوت فى زمان من هذا حالهم كان ذلك كرامة فى حقه اذ أن الكرامة انما هى خرق العادة وما جرى لهذا هو خرق عادة والمؤدب مثله سواء بسواء فاذا شعروا منه أنه يعلم لله تعالى فالغالب عليهم انهم لا يعطونه شيأ لعدم مطالبته اياهم هذا حالهم فى أمور آخرتهم بخلاف أسباب دنياهم عكس ما تقدم من أحوال السلف رضى الله عنهم (الاترى) الى ما حكى عن الشيخ أبى محمد بن ابى زيد رحمه الله تعالى انه لما ان دخل ولده المكتب وقرأ الحمد لله رب العالمين جاء الى والده بلوح الاصرافة فاعطاه مائة دينار يعطيها للفقيه فلما ان حصلت عند الفقيه اجتمع بالشيخ وقال له يا سيدى واى شئ عملته حتى تقابلنى بهذا العطاء فقال له والله لا اقرأ عليك ابنى شيأ بعد اليوم فقال له ولم ذلك فقال لانك استعظمت ما حقر الله تعالى وهو الدنيا واستصغرت ما عظم الله تعالى وهو القرآن والغالب على الناس اليوم هذا الحال وهو استعظام الدنيا فى قلوبهم واستصغار ما كان من امر الآخرة فاذا تقرر ذلك فلا يظهر المؤدب فى هذا الزمان انه جالس يقرئ لله عز وجل بل يظهر انه جالس للعلوم ونيته لله تعالى كما تقدم

(فصل فى ذكر اسباب اولياء الصبيان) وينبغى له انه اذا كان عنده احد من اولاد من يتسبب بسبب حرام على انواعه من مكس او ظلم او غيرهما فلا يأخذ مما اتى به الصبى من تلك الجهة شيأ اللهم الا ان يكون يأتيه من غير تلك الجهات المحذورة منها من جانب الشرع فلا بأس به مثل ان يأتيه بشئ من جهة امه او جدته او غيرهما من وجه مستور بالعلم لكن

يشترط في اقرائه للولد الذي يكون متصفا وابيه بما ذكر أن لا يوالي والد الصبي باقبال عليه ولا بسلام ولا بكلام ولا جواب اذ أنه يجب عليه التغيير عليه وعلى امثاله بشروطه فاذا لم يسمع ولم يرجع لم يبق في حقه من التغيير الا الهجران له واذا سلم عليه فقد خرج بذلك عن هجرانه وذلك حرام (وقد رأيت بعض من له تحرز عنده ولد له والده وكيل على بعض الجهات الممنوعة شرعا اذا جاءه وسلم عليه لا يرد عليه سلاما واذا كلمه لا يرد عليه جوابا وكان لا يأخذ من الصبي شيئا الا من جهة أمه أو جدته أو غيرهما ممن هو سالم مما تقدم ذكره فان تعذرت جهة الحلال فلا يأخذ شيئا ويحذر من هذا جهده فانه من باب أكل أموال الناس بالباطل اذ انهم يأخذونه من اربابه بالظلم والمصادرة والقهر وهو يأخذه على ظاهر انه حلال في زعمه وهذا اعظم في التحريم من الاول وان كان كله حراما وهذا الذي ذكر في نيته على سبيل الأولى والأرجح (ويجوز له) أن يقرئ الناس القرآن بعوض لقوله عليه الصلاة والسلام ان أحق ما أخذتم عليه اجرا كتاب الله أخرجه البخاري فهذا نص صريح على انه أحل شئ يكون (ومن كتاب البيان والتحصيل) سئل مالك رحمه الله عن اجارة المعلمين فقال لا بأس بذلك يعلم الناس الخير فيعطى قيل له انه يعلم مشاهرة ويطلب ذلك فقال لا بأس به ما زال المعلمون عندنا بالمدينة يفعلون ذلك انتهى لكن ما قدمناه اولى لمن امكنه ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن أو كما قال عليه الصلاة والسلام ومن أكبر الزهد في الدنيا اخلاء القلب عنها وترك النظر اليها وترك السبب هذا هو والذي ينبغي أن يكون عليه حال حامل القرآن اذ أنه اكمل الاحوال فينبغي ان يكون حاله اكمل الاحوال وان كانت نفسه تتشوف الى المعلوم فالاقتداء بالكرام في الصورة الظاهرة نعمة شاملة والمرجو من الذي انعم عليه بذلك ان يتم نعمته بالاتباع في الباطن ومن نزل ساحة الكرام فهو محمول نسأل الله تعالى الكريم ان يحملنا بفضله ويحمل عنا عنه لا رب سواه

(فصل في صفة توفيته بما نوى) وينبغي له أنه اذا نوى ما ذكر فليجتهد في التعليم اكثر من تعليم من يأخذ العوض على ذلك لانه اذا كان يقرئ بغير

عوض تمحض لله تعالى فكان أرجى فى صحة اخلاصه وبعض الناس يفعل ضد هذا وهو أنه اذا كانت نيته لله تعالى لا لأخذ عوض يفعل ذلك على سبيل الاستراحة والتوانى ان تفرغ لذلك فعله والا تركه محتجا بأن ذمته برئت لعدم أخذ العوض عليه وما يشعر أنه قد أوقع نفسه فى أمر خطر لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود فاذا كان ذلك كذلك فيكون حرصه على العمل الذى نواه لله تعالى ان يوفى به أكثر مما يأخذ العوض عليه كما تقدم وذلك مثل من يصلى بالناس بغير عوض وآخر يصلى بعوض فيكون الذى يصلى بلا عوض أحرص على المواظبة والمبادرة من الذى يصلى بالعوض بل يزيد عليه فى ذلك المعنى حرصا منه على التوفية بما التزمه لله عز وجل فلو قال نويت بتعليمى لله عز وجل ان قدرت على ذلك فان فعله حصل له الثواب وان تعذر فلا حرج عليه ولا يدخل فى الآية الكريمة المتقدم ذكرها وهذا عام فى جميع افعال البر التى يفعلها المسلم فليحافظ على ذلك جهده والله المسؤل فى التجاوز عن التقصير عنه (وقد) يضطر بعض المؤدبين الى أخذ العوض واذا كان ذلك كذلك فينبغى ان يكون بأجرة معلومة وهو احل ما يأكله المرء لقوله عليه الصلاة والسلام ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله وقد تقدم اه واذا اخذ العوض فليحترز فى نفسه ان يزيد على ذلك شيئا من جهة الصبى من غير أن يأذن وليه فى ذلك فان فعل من غير اذنه فهو حرام عليه وأكله لذلك سحت لأن الصبى محجور عليه وليس له تصرف فى ماله ان كان له مال

(فصل فيما يأمر به المؤدب الصبى من الآداب) وينبغى له بل يتعين عليه ان لا يترك احدا من الصبيان يأتى الى الكتاب بغذائه ولا بفضة معه ولا فلوس ليشترى شيئا فى المكتب لأن من هذا الباب تتلف احوالهم وينكسر خاطر الصغير الفقير منهم والضعيف لما يرى من جدة غيره فيدخل بذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام من ضار مسلما ضر الله تعالى به انتهى لأن قلب الفقير يرجع الى بيته منكسرا خاطره منشوشا فى نفسه غير راض بنفقة والديه عليه لما يرى من نفقة من له اتساع فى الدنيا ويترتب على ذلك من المفاسد جملة ذلى

ان تحصر وفيما أشرنا اليه كفاية (وينبغي له) أن لا يدع أحدا من الباعة
يقف على المكتب ليبيع للصبيان اذ فيه من المفاسد ما أشرنا اليه ان اشترى
منه (وينبغي) للمؤدب أن لا يكثر الكلام مع من مر عليه من اخوانه اذ ما هو
فيه آكد عليه من الحديث معه لانه مشتغل بأكبر الطاعات لله تعالى اللهم
الا أن يتعين عليه فرض أو أمر هو أهم في الوقت مما هو فيه فنعم وكثير من
المؤدبين تجدهم بضد هذا الحال يتحدثون كثيرا مع الناس من غير ضرورة
شرعية والصبيان يبطلون ما هم فيه ويلهون عنه ويلعبون فليحذر من هذا
أن يقع منه (وينبغي له) ان يكون موضع الكتاب بالسوق ان امكن ذلك فان
تعذر ذلك فعلى شوارع المسلمين او في الدكاكين ويكره ان يكون بموضع ليس
بمسلوك للناس فان الصبيان يسرع اليهم القيل والقال فاذا كان بالسوق
او على الطريق او في الدكاكين ذهب عنهم ذلك وفيه فائدة أخرى عظيمة
وهي اظهار الشعائر لانه أجلها (وكذلك) يحذر أن يتخذ الكتاب في المساجد
لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم اه (ولا)
ينبغي أن يكون المكتب في موضع يخفى عن أعين المارين في الطريق اذ في
ذلك من المفاسد ما لا يخفى (وقد تقدم) ان الصبيان يكونون عنده على حد
واحد فابن الفقير وابن الغني سواء واذا كان ذلك كذلك فلا يترك دكة تدخل له
الكتاب لان في ذلك ترفيعا لابن الغني على غيره وانكسارا لخاطر الفقير واليتيم
والموضع موضع جبر لا موضع كسر اذ اللائق بحامل القرآن أن يكون بموضع
من العدل والتواضع والخير فتكون بداية أمر الصبيان على المنهج الاقوم
والطريق الارشد (وينبغي) ان يكون الموضع الذي يتصرف فيه الصبيان
لضرورة البشرية معلوما اما أن يكون وقفا واما أن يكون ملكا أباحه
صاحبه ويؤمن على الصبيان فيه فان عدما معا او عدم الامن فكل واحد
يمضي الى بيته ليزيل ضرورته ثم يعود واذا خرج أحد من الصبيان لقضاء
حاجته فلا يترك غيره يخرج حتى يأتي الاول لانهم اذا خرجوا جميعا يخشى
عليهم من اللعب بسبب الاجتماع وقد يبطئون في الرجوع الى المكتب
وهو الغالب على حالهم (وينبغي له) اذا احتاج الصبي الى غدائه أن يتركه
يمضي الى بيته لغدائه ثم يعود لانه ستر على الفقير وفيه أيضا تعليم الادب

للصبيان فى حال صغرهم لان الاكل ينبغى أن لا يكون الا بين الاخوان والمعارف دون الاجانب فاذا نشأ الصبى على ذلك كان متأدبا بآداب الشريعة فيذهب عنه ما يتعاطاه بعض عامة الناس فى هذا الزمان من الاكل على الطريق وفى الاسواق وبحضرة من يعرفه ومن لا يعرفه لان ذلك ليس من السنة ولا من شيم الكرام وقد قيل لا يأكل على الطريق الا كريم اولئيم وقد وقع النهى عن الاكل والعينان تنظران (فاذا) مضوا الى ذلك فينبغى أن يقيم السطوة عليهم اذا غابوا أكثر مما يحتاجون اليه لئلا يكون ذلك ذريعة الى اجتماع بعضهم مع بعض ووقوع مالا ينبغى منهم (وينبغى له) أن يتولى تعليم الجميع بنفسه ان أمكنه ذلك فان لم يمكنه وتعذر عليه فليأمر بعضهم أن يقرى بعضا وذلك بحضرته وبين يديه ولا يخلى نظره عنهم لانه اذا غفل قد تقع منهم مفاسد جملة لم تكن له فى بال لان عقولهم لم تتم ومن ليس له عقل اذا غفلت عنه وقتا ما فسد أمره وتلف حاله فى الغالب سيما فى هذا الزمان كما هو معلوم (وينبغى) له اذا وكل بعضهم ببعض أن لا يجعل صبيانا معلومين لشخص واحد منهم بل يبدل الصبيان فى كل وقت على العرفاء مرة يعطى صبيان هذا لهذا وصبيان هذا لهذا لانه اذا كان لواحد صبيان معلومون فقد تنشأ بينهم مفاسد بسبب الود لا يشعر بها فاذا فعل ما تقدم ذكره سلم من هذا الامر ويفعل هو فى نفسه مثل ذلك فيأخذ صبيانهم تارة ويدفع لهم آخرين فان كان الصبيان كلهم صغارا فلابد من مباشرة ذلك كله بنفسه فان عجز عنه فليأخذ من يستنيبه من الحفاظ المأمونين شرعا بأجرة أو بغيرها (وينبغى له) أن يمتثل السنة فى الاقراء ومن جملة ذلك ان السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين انما كانوا يقرئون أولادهم فى سبع سنين لانه زمن يؤمر الولى أن يكلف الصبى بالصلاة والآداب الشرعية فيه فاذا كان الصبى فى ذلك السن فهو غير محتاج الى من يأتى به الى المكتب ان أمن عليه غالبا فان لم يأمن عليه فيرسل معه وليه من يثق به فى ذهابه الى بيته لضرورته وغدائه ومن يأتى به الى المكتب فهو أسلم عاقبة من أن يكون الذى يتولى ذلك من المكتب والغالب فى هذا الزمان انهم يدخلون أولادهم المكتب فى حال الصغر بحيث انهم يحتاجون

الى من يربيهم ويسوقهم الى المكتب ويردهم الى بيوتهم بل بعضهم يكون
سنه بحيث لا يقدر أن يمسك ضرورة نفسه بل يفعل ذلك فى المكتب ويلوث
به ثيابه ومكانه فليحذر من أن يقرئ مثل هؤلاء اذ لا فائدة فى اقرائه لهم الا
وجود التعب غالبا وتلويث موضع القرآن وتنزيهه عن ذلك متعين أعنى
بالنسبة الى عدم انتفاع الصبيان بالقراءة فى ذلك السن غالبا الا ترى أن
الغالب منهم انهم يرسلون أولادهم الى المكتب فى حال صغرهم لكى
يستريحوا من تعبهم لا لاجل القراءة وحامل القرآن يجل منصبه الرفيع عن
تربية من هذا حالهم وفى اقرائه لغيرهم سعة وفائدة (وينبغى) أن يعلمهم
آداب الدين كما يعلمهم القرآن فمن ذلك انه اذا سمع الاذان أمرهم أن يتركوا
كل ما هم فيه من قراءة وكتابة وغيرهما اذ ذاك فيعلمهم السنة فى حكاية
المؤذن والدعاء بعد الاذان لانفسهم وللمسلمين لان دعاءهم مرجو الاجابة
سيما فى هذا الوقت الشريف ثم يعلمهم حكم الاستبراء شيئا فشيئا وكذلك
الوضوء والركوع بعده والصلاة وتوابعها ويأخذهم فى ذلك قليلا قليلا ولو
مسئلة واحدة فى كل يوم أو يومين (وليحذر) أن يتركهم يشتغلون بعد الاذان
بغير أسباب الصلاة بل يتركون كل ما هم فيه ويشتغلون بذلك حتى يصلوا فى
جماعة وقد تقدم انهم فى قضاء حاجتهم يمضون الى موضع وقف أو موضع
ملك أبيح لهم أو الى بيوتهم فكذلك ههنا سواء بسواء ويصلون جميعا فى المسجد
الذى يصلى فيه مؤذنهم فان خاف عليهم من اللعب والعبث فيصلون فى
المكتب جميعا ويقدمون أكبرهم فيه فيصلى بهم جماعة (وينبغى له) أن
يعودهم الصلاة فى المسجد مع الجماعة ولا يسامحهم فى ترك الصلاة فيه ولا
يعودهم الصلاة افذاذا لان المسئلة مختلف فيها أعنى شهود الجماعة هل هى
فرض او سنة فذهب جماعة من العلماء الى أن الصلاة لا تصح الا فى جماعة
(فاذا) فرغوا من الصلاة وتوابعها رجعوا الى ما بقى عليهم من الوظائف فى المكتب
(وينبغى) ان يكون وقت كتبهم الالواح معلوما ووقت تصويبها معلوما
ووقت عرضها معلوما وكذلك قراءة الاحزاب حتى ينضبط الحال ولا يختل
النظام ومن تخلف عن ذلك الوقت منهم لغير ضرورة شرعية قابله بما يليق به
فرب صبى يكفيه عبوسة وجهه عليه وآخر لا يرتدع الا بالكلام الغليظ

والتهديد

والتهديد وآخر لا ينزجر الا بالضرب والاهانة كل على قدر حاله (وقد جاء) ان الصلاة لا يضرب عليها الا لعشر فاسواها أحرى فينبغي له أن يأخذهم بالرفق مهما أمكنه اذ أنه لا يجب ضربهم في هذا السن المتقدم ذكره فاذا كان الصبي في سن من يضرب على ترك الصلاة واضطر الى ضربه ضربه ضربا غير مبرح ولا يزيد على ثلاثة أسواط شيئا بذلك مضت عادة السلف رضي الله عنهم فان اضطر الى زيادة على ذلك فله فيما بين الثلاثة الى العشرة سعة (لكن) لا بد أن تكون الآلة التي يضرب بها دون الآلة الشرعية التي تقام بها الحدود وهي ما ذكره مالك رحمه الله تعالى في موطائه عن زيد بن أسلم ان رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوط فأتى بسوط مكسور فقال فوق هذا فأتى بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال دون هذا فأتى بسوط قد ركب به ولان فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلد اه ولا يكون الادب بأكثر من العشرة وهو ضامن لما طرأ على الصبي ان زاد على ذلك (وليحذر) الحذر الكلي من فعل بعض المؤدبين في هذا الزمان وهو أنهم يتعاطون آلة اتخذوها لضرب الصبيان مثل عصا اللوز اليابس والجريد المشرح والاسواط النوبية والفلقة وما أشبه ذلك مما أحدثوه وهو كثير ولا يليق هذا بمن ينسب الى حمل الكتاب العزيز اذ أن حاله كما ورد في الحديث من حفظ القرآن فكأنما ادرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى اليه اه (وينبغي له) ان يعلمهم الخط والاستخراج كما يعلمهم حفظ القرآن لانهم بذلك يتساعدون على الحفظ والفهم فهو اكبر الاسباب المعينة على مطالعة الكتب وفهم مسائلها (وينبغي له) بل يجب عليه ان يكون لمسح الالواح موضع طاهر مصان نظيف لا يمشى فيه بالاقدام ثم مع ذلك يأخذ الماء الذي يجتمع من المسح فيحفر له في مكان طاهر مصان عن ان يطأه قدم و يجعل فيه او يلقى في البحر او البئر او يجعل في اناء طاهر لكي يستشفى به من يختار ذلك وكذلك الماء الذي يغسل به الخرق بعد المسح يجعل في موضع بحيث لا يمتهن و يشترط في الخرق التي يمسح بها الالواح ان تكون طاهرة وان يكون الماء الذي تبل منه حين يمسح به طاهرا والافضل ان يكون الماء غير مستعمل وان

امكنه أن يكون حلوا فهو أولى لان من الناس من يشربه للاستشفاء به فان كان أجاجا امتنع عليه ذلك أو تنغص بشربه كما مر فى الآنية اذا غسلت فيها الايدى بعد الاكل انه لا يبصق فيها ولا يغسل فيها باشنان ولا غيره خيفة أن يشربه من يتبرك به كما تقدم فى الماء الذى تمسح به الالواح من باب أولى وأحرى (ويمنعهم عليه) أن يمنع الصبيان مما اعتاده بعضهم من انهم يمحون الالواح أو بعضها ببصاقهم وذلك لا يجوز لان البصاق مستقذر وفيه امتهان والموضع موضع ترفيع وتعظيم وتبجيل فيعدل عن ذلك وينزه (وينبغى له) أن لا يسامح الصبيان فى دق المسامير فى المكتب ان كان وقفا وان كان ملكا فلا يجوز الا باذن صاحبه ولا ضرورة تدعو الى ذلك اذ انهم مأمورون أن يأكلوا فى بيوتهم لا فى المكتب كما تقدم فان كان بعضهم بيته بعيدا بحيث يشق عليه الذهاب والرجوع فيكلفه المؤدب أن يمضى الى بيت أحد أقاربه من والديه أو معارفهما فان لم يكن له ذلك فليجعل وقت غذائه حين ينصرف الصبيان الى غذائهم وقبل أن يرجعوا (وقد تقدم) أن المؤدب يحملهم على اتباع السنة ويعلمهم أحكام ربهم عليهم كما يعلمهم القرآن (ومن ذلك) أن لا يعودهم القراءة فى جماعة لان ذلك ليس من فعل السلف رضى الله عنهم كما تقدم لانهم اذا تعودوا ذلك فى صغرهم يخاف عليهم أن يفعلوه فى كبرهم وأيضا فان حفظهم لا يتأتى بذلك اذ أن من لم يحفظ منهم لا يعلم حاله اذا كانوا على صوت واحد فى الغالب واتباع السلف رضى الله عنهم أولى بل هو المتعين ولم ينقل عنهم ذلك فيتعين تركه (وينبغى له) أن لا يستقضى احدا من الصبيان فيما يحتاج اليه الا أن يستأذن أباه فى ذلك ويأذن له عن طيب نفس منه ولا يستقضى اليتيم منهم فى حاجة بكل حال (وليحذر) أن يرسل الى بيته أحدا من الصبيان البالغين او المراهقين فان ذلك ذريعة الى وقوع ما لا ينبغى او الى سوء الظن بأهله (وبالجملة) فان ذلك لا يجوز لان فيه خلوة الاجنبى بالمراة الاجنبية وهو محرم فان سلموا منه فلا يخلو من الوقيعة فى أعراضهم فى هذا الزمان غالبا وما ذكر من استقضاء حوائجه لبعض الصبيان فهو من باب الجواز والا فالذى ينبغى أن لا يستقضى أحدا منهم فى حاجة اصلا لانه قد دخل على تعليمهم لله تعالى كما تقدم (لكن) قد تقدم أيضا انه اذا فعل ذلك وجاءه شئ اخذه على

سبيل الفتوح فكذلك فيما نحن بسبيله لكن بشرط ان تكون نفسه غير متشوفة لشئ من ذلك لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (وقد تقدم) ذكر المكان الذى يقضى الصبيان فيه ضرورة البشرية فليحذر ان يتركهم يفعلون ذلك فى غيره امثل ما يفعل بعضهم فى هذا الزمان من انهم يقضون حاجتهم فى جدران بيوت الناس وطرقاتهم فيجنون ذلك عليهم فمن جاس الى تلك الجدران تلوث ثوبه بالنجاسة وكذلك الماشى قد يصيبه منها الاذى وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام اتقوا الملاعن الثلاث فهذا من آكد ما فعله حق الصبيان اللعنة وهذا كله فى ذمة من سكت لهم ممن له عليهم أمر ونهى فينهاهم عن ذلك جهده (وينبغى له) أن يكون على أكمل الحالات ومن ذلك أنه يكون متزوجا لانه وان كان صالحا فى نفسه فالغالب اسراع سوء الظن فى هذا الزمان بمن كان غير متأهل اذلا فرق بين الصبيان والبنات فى الظاهر الا عند من يتقى الله تعالى فيسرى اليه القيل والقال فاذا كان متأهلا انسد باب الكلام والوقيعة فيه (وينبغى له) أن لا يضحك مع الصبيان ولا يباسطهم لئلا يفضى ذلك الى الوقوع فى عرضه وعرضهم والى زوال حرمته عندهم اذ ان من شان المؤدب أن تكون حرمته قائمة على الصبيان بذلك مضت عادة الناس الذين يقتدى بهم فليتقيد بهديهم (وقد تقدم) ان الصبيان يمضون الى بيوتهم لقضاء ضرورة البشرية ولغدائهم (واذا) كان ذلك كذلك فليحذر مما يفعله بعض عوام المؤدبين فى هذا الزمان وهو أن الصبيان الذين عنده اذا أتى كل واحد منهم بغدائه أو بعضهم فيتسلم ذلك منهم وبعضهم يخلط جميع ذلك ثم يعطى منه من يخطر له فتجد بعض الصبيان يطلب منه شيئا من غدائه فيحرمه ويوفر ذلك لنفسه وان يختار وهذا حرام بحت وذلك جرحة فى حقه ويتعين اقامته من المكتب الا أن يتوب بشرط أن تعلم حقيقة أمره فى ذلك (وفيه) من المحذورات عدة (منها) انه يأخذ غداء هذا فيعطيه لغيره فيدخل الخلل فى غذاء الناس لانه قد يكون والد بعضهم صالحا متورعا فى كسبه وآخر مكاسا ظالما وقد يكون غذاء بعضهم أحسن من غذائه

الآخر في المطعم والصبي محجور عليه كما تقدم ووليه لم يرض بذلك سيما ان كان يتيم فلا يجوز ابداله ولا يجوز لوليه أن يأذن في مثل ذلك (وبعض) المؤدبين يفعل فعلا قبيحا شنيعا محرما وهو انه يأكل مع الصبيان من أغذيتهم ويطعم من يختاره ومن يجتمع به ويرسل منها الى بيته ما يختار وهذا نوع من الخلسة (ولو) فرضنا ان الصبيان بقي لهم غذاؤهم ولم يمسه غيرهم فأكلوا منه ما شاءوا وبقيت منه بقية وتركوها في المكتب رغبة عنها لجاز للمؤدب أن يأخذها وينتفع بها وينبغي له أن يعلم أولياء الصبيان بذلك أن كانوا جماعة أو واحدا ان انفرد هذا ما لم يكن ليتيم كما تقدم اللهم الا أن يكون الصبي لم يأكل شيئا من غذائه وتركه كله في المكتب فلا يجوز للمؤدب أن يقدم على أخذه الا باعلام والد الصبي والا فلا بخلاف ما تقدم لانها فضلات عن شبعهم (وأما) ما يحتاجه الصبيان من الماء للشرب فجائز أن يأخذ من كل واحد منهم شيئا بقدر الحاجة ويكون ذلك بينهم بالسوية فيشترى به ماعون الماء والماء ولا يمكن الصبيان من الذهاب الى بيوتهم للشرب وان كان بيت بعضهم قريبا الا ان ذلك مما يتكرر في الغالب (واذا) كان الامر كذلك فينبغي بل يتعين أن لا يشرب معهم غيرهم الا ان يأذن في ذلك آباؤهم فان كان فيهم يتيم فلا يأخذ منه شيئا لثمن الماء ولا غيره والحالة هذه ويصير من جملة من أذن له في الشرب ويتحقق ذلك في حق مؤدبهم (وقد تقدم) ان سكنى دور القرافة تمنع واذا كان ذلك كذلك فلا يتخذ فيها مكتبا للعلة المذكورة ومن فعل ذلك فقد خالف ولا حاجة تدعو الى تفصيله فان الحكم فيه معلوم لمن وفق له

(فصل في انصراف الصبيان من المكتب) وانصراف الصبيان واستراحتهم يومين في الجمعة لا بأس به وكذلك انصرافهم قبل العيد بيوم أو يومين أو ثلاثة وكذلك بعده بل ذلك مستحب لقوله عليه الصلاة والسلام روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فاذا استراحوا يومين في الجمعة نشطوا لباقيها (وينبغي له) أن لا يدع أحدا عنده من الصبيان ممن فيه رائحة ما من الخصال الذميمة اذ أن ذلك سبيل للوقيعة في حق بعض من في المكتب عنده وقد يفضي ذلك الى أن يشتهر مكتبه بما لا ينبغي فقد ينسب الى المؤدب ما لا يليق بمنصبه وفيه مفسدة أخرى وهو انه قد يكون سببا الى

عدم مجيء الصبيان اليه أوقاتهم فيحصل بذلك تمزيق العرض وقلة الرزق فليحذر من ذلك جهده والله المستعان (وينبغي له) أن يتجنب ما يفعله بعض عوام المؤدبين من أنه اذا قل عنده الصبيان أوفتح مكتبا وليس فيه أحد فانه يكتب أوراقا ويعلقها على باب المكتب ليكثر مجيء الصبيان اليه وهذا لا يفعله الا سفهاء الناس وفيه استشراف النفس لتحصيل الدنيا وقد تقدم ومنصب المؤدب يجل عن هذا واشباهه (وينبغي) أن لا يقبل من أحد من الصبيان شيئا مما يأتي به اليه من الاطعمة التي يعملها بعض الناس في مواسم أهل الكتاب فان قبوله لذلك من باب التعظيم لمواسمهم وفي التعظيم لمواسمهم تعظيم لهم وتعظيمهم فيه ما فيه (وقد) يكون ذلك سببا الى أنهم يعتقدون أن دينهم هو الحق وان غيره هو الباطل لما يرون من تعظيم المسلمين لهم كما تقدم (وفيه) عدم الانكار والتغيير على من فعل ذلك من المسلمين وأتاه به بل يرده عليه ويزجره له ويبين له ويخبره أن ذلك لا يجوز لما تقدم (وبعض المؤدبين) في هذا الزمان يفعل ما هو أشنع من هذا وهو أنه يطلب ذلك بنفسه (وبعض المؤدبين) يطلب من بعض الصبيان الذين عنده فلوسا يأتون بها اليه حتى يصرفهم في مواسم أهل الكتاب وهذا أشنع مما قبله وبعض المسلمين يطلبون من أهل الكتاب من أطعمتهم التي يعملونها في أعيادهم ومواسمهم وهذا أقبح مما ذكر من فعل بعض المؤدبين (وينبغي له) أن يصرف الصبيان لغذائهم كما تقدم ويترك لهم مع ذلك وقتا يستريحون فيه في بيوتهم وليحذر ان يبيح لهم فعل ذلك في المكتب لان الصبيان اذا خرجوا عما بني المكتب له عاد ذلك بالضرر غالبا عليهم وعلى غيرهم وما بني المكتب الا لاجل الدرس والحفظ والعرض والكتابة فان كان غير ذلك فليكن في بيوتهم ولا يتركهم ينامون فيه وقت القائلة في الحر وقد تقدم المنع مما هو أخف من هذا وهو أنهم يمضون الى بيوتهم ويأكلون فيها ولا يأكلون في المكتب (وينبغي له) اذا اشتكى أحد من الصبيان وهو في المكتب بوجع عينيه أو شيء من بدنه وعلم صدقه في ذلك أن يصرفه الى بيته ولا يتركه يقعد في المكتب بغير قراءة لان ذلك سبب لبطالة غيره في الغالب (وينبغي له) ان كان له ولد صغير أن لا يترك احدا من صبيان مكتبه يحمله ذكرا كان او انثى والمنع في الانثى اشد

ولا يستأذن في مثل هذا الآباء بخلاف ما تقدم في استقضائهم حوائجه فانه يستأذن الآباء (وينبغي له) أن لا يغيب عن المكتب اصلا مادام الصبيان فيه اذ انهم لا عقل لهم يمنعهم عما يخطر لهم فعله فلابد لهم من راع يرعاهم بنظره ويسوسهم بعقله ويؤدبهم بكلامه (الا ترى) ان الراعي اذا غفل عن الماشية قليلا اختل نظامها وتغير حالها في الغالب وربما تلف بعضها وما ذاك الا لعدم العقل عندها (ولاجل ذلك) ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الصبيان مع المجانين حيث قال عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم الحديث وقد تقدم (ولا باس) أن يغيب الغيبة اليسيرة لضرورته ولا يفعل ذلك الا أن لا يجد من يقوم بها عنه مثل خبزه اذا اختمر لكنه يشترط فيه أن يستنيب عليهم أكبرهم سنا وأعقلهم بشرط أن يامره أن لا يضرب أحدا منهم في غيبته ولا ينهره الا أنه من فعل منهم شيئا كتب اسمه حتى ياتي المؤدب فيعلمه به فيرى فيه رأيه (وينبغي له) أن يجتنب ما يفعله بعض المؤدبين من كتبهم أوراق المستأذنات للافراح فيكتب فيها بحوقوله الى الجناب المنيع والستر الرفيع الى غير ذلك من التزكية وماشاكلها والشعر الذي ينزه غير المؤدب عن الكلام به فكيف بالمؤدب (وله) أن يكتب الحروز لاطفال المسلمين ولكبارهم (وكذلك) الصحيفة فيها آيات من كتاب الله عز وجل وارقى بالكلام الطيب (وليحذر) أن يكتب شيئا بالعبرانية فان ذلك لا يجوز ولو قيل ان فيه من المنافع مالا يحصى فانه ممنوع وقد سئل مالك رحمه الله تعالى عنه فقال ومايدريك لعله كفر (وينبغي) لآباء الصبيان أن يتخيروا لاولادهم أفضل ما يمكنهم في وقتهم ذلك من المؤدبين وان كان موضعا بعيدا فيختارون لهم اولا أهل الدين والتقوى فان كان مع ذلك عنده علم من العربية فهو أحسن فان زاد على ذلك بالفقه فهو أولى فان زاد عليه بكبر السن فهو أجل فان زاد عليه بورع وزهد فهو أوجب الى غير ذلك اذ انه كلما زادت الخصال المحمودة في المؤدب زاد الصبي به تجملا ورفعة واذا كان ذلك كذلك فيتعين النظر فيما ذكروا الله تعالى أعلم (وينبغي للمؤدب) أن يتجنب ما أحدثه بعض المؤدبين وبعض مشايخ القرآن من القراءة عليهم في الاسواق والطرق لانه لم يكن من فعل من مضى (وفيه) مفاسد جملة

منها

(منها) وطء الاعقاب وهو منهي عنه وقد ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذلك بالدرة وقال فيه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع اه (ومنها) ان السوق موضع اللغط والكلام والقرآن ينزه عن أن يقرأ في مثل هذه المواضع (ومنها) ان القرآن اذا تلي تعين الانصات أو يندب اليه فيقع من سمعه ممن في الاسواق أو الطرق فيما لا ينبغي والمسلم يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه (ومنها) ان قراءة القرآن والحالة هذه لا يسلم القارئ غالبا من أن يقرأ وهو في موضع النجاسة والاماكن التي تنزه قراءة القرآن عنها (ومنها) اذا قرأ القارئ ينبغي لقارئه واسامعه ان يتدبره ويتفكر فيه وذلك متعذر في الاسواق والطرق غالبا وله ان يقرأ خارج البلد اذا لم تعاين النجاسة وفي الانتقال من قرية الى قرية مع عدم معاينة النجاسة ايضا ولا فرق فيما ذكر بين ان يكون راكبا أو ماشيا اذ المعنى فيهما واحد (وينبغي له) ان يجتنب ما احدثه بعض العوام من المؤدبين وهو أنه اذا دخل وقت الصلاة يؤذنون على باب المكتب اوفوق سطحه اوفيه وذلك كله من البدع الممنوعة لان الاذان انما شرع في الاماكن التي يهرع الناس اليها لاداء فرضهم وهي المساجد والمكتب ليس بمسجد حتى يأتي الناس اليه للصلاة فيه ومثله من يؤذن في بيته او بستانه فانه يدخل تحت قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون لانه ينادي الناس بلسانه حي على الصلاة حي على الفلاح ومعنى ذلك هلموا الى الصلاة هلموا الى الفلاح ثم مع هذا النداء يغلق الباب دونهم وذلك ممنوع لانه جمع مفاسد (منها) انه من باب الغش لانه قد يسمعه من يسمعه فيأتي الى موضع الاذان فلا يجد السبيل الى دخول المكان الذي سمع فيه الاذان (ومنها) انه كالمستهزئ بأذانه الى ان اتوا سيما الغريب الذي هو عابر سبيل الى غير ذلك وهذا بخلاف لو أذن خارج البلد فان ذلك جائز لانه في برية فمن اتى اليه صلى معه (وهذا) القسم الاخير من باب المندوب (الماورد) في الحديث عن أبي سعيد الخدري انه قال لبعض من اعتنى به يا بني اني اراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت في غنمك او باديتك فاذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيامة قال ابو سعيد سمعته من رسول

الله صلى الله عليه وسلم اه (والاول) من باب البدعة والوقوع فى النهى للآية الكريمة المتقدم ذكرها (ويتعين عليه) أن لا يشتم من استحق الأدب من الصبيان وكثيرا ما يفعل بعض المؤدبين هذا وهو حرام وذلك أنه اذا حصل للمؤدب غيظ ما على الصبى شتمه وتعدى بذلك الى والديه وربما حصل لبعضهم فى ذلك الوقت قذف يجب عليه فيه الحد سيما من كان منهم فى خلقه حدة أو فيه غلاظة وفظاظة فيتعين عليه اذا أدركه شئ مما ذكر أن لا يؤدب الصبى فى وقته ذلك بل يتركه حتى يسكن غيظه ويذهب عنه ما يجده من الحنق عليه وحينئذ يؤدبه الادب الشرعى على ما تقدم ذكره لانه ان أدبه فى حال غيظه يخاف عليه أن يتعدى الادب المتقدم ذكره (ولاجل) هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقضى القاضى حين يقضى وهو غضبان وعداه علماؤنا رحمة الله عليهم الى كل ما يشوش عليه كحقنة ببول أو غيره ولا فرق بين القاضى والمؤدب الا أن القاضى يحكم بين الكبار وهذا يحكم بين الصغار وحامل القرآن ينزه عن هذا كله فيقيم الادب على الصبى من غير أن يتناول عرضه ولا شتم أبويه بل يؤدبه كما يؤدبه والداه وهما يرحمانه ويشفقان عليه ويذبان عنه فى كل أحواله وقد تقدم أنه ينبغى للآباء أن ينظروا لاولادهم من المؤدبين من هو أورع وأزهد وأتقى الى غير ذلك مما تقدم لانه رضاع ثان للصبى بعد رضاع الام (واذا) كان ذلك كذلك فليحذر أن يفعل ما أحدثه بعض عوام المسلمين بأولادهم من انهم يخرجونهم من المكتب الذى يقرؤون فيه كتاب ربهم عز وجل ويتعلمون فيه شريعة نبيهم عليه الصلاة والسلام ويذهبون بهم الى كتاب النصارى لتعليم الحساب وهذا رضاع ثالث بعد رضاع المؤدب وقد قيل الرضاع يغير الطباع فهذا أمر شنيع قبيح من الفعل لان الولد لم تحصل له قوة الايمان بعد ولم يقرأ العلم ولم يعرف أقوال العلماء وقد تسبق اليه الدسائس من النصرانى الذى يقرأ عليه الحساب أو من الجماعة الذين عنده صغارا كانوا أو كبارا ثم ان النصرانى مع ذلك يؤدبه على ما يخطر له ويمر ببساله من كفره وطغيانه ويظهر أن ذلك من قبل تعليمه الحساب وهذا لا يرضى به عاقل ولا من فيه مروءة من المسلمين والصبى فى هذا السن قابل لكل ما يلقى اليه مثل الشمع اى شئ عملت عليه

طبع فيه فيخاف على الولد وهو الغالب أن يتغير حاله فيرجع مكان الصدق كذبا وبهتانا وموضع النصيحة غشا وخديعة وموضع الالفة بالمسلمين انقطاعا ووحشة ومكان الاستسلام والانقياد خبثا ومداهنة الى غير ذلك من مكرهم وخصالهم الرديئة (واذا) كان ذلك كذلك فيخشى عليه أن يركن الى قول النصرانى اوالى شئ ما من اعتقاده أو استحسان حال من أحواله (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى لا تمكن زائغ القلب من أذنيك لا تدرى ما يعلقك من ذلك (ولقد) سمع رجل من الانصار من أهل المدينة شيئا من بعض أهل القدر فعلق قلبه به فكان يأتى اخوانه الذين استنصحهم فاذا نهوه قال كيف بما علق قلبى لو علمت ان الله رضى ان ألقى نفسى من فوق هذه المنارة لفعلت (ومن) قول أهل السنة لا يعذر من أداه اجتهاده الى بدعة لان الخوارج اجتهدوا فى التأويل فلم يعذروا اذ خرجوا بتأويلهم عن الصحابة فسماهم الرسول صلى الله عليه وسلم مارقين من الدين نقله ابن يونس (ومن) كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهانى رحمه الله تعالى قال بشر بن الحارث أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى لا تخاصم أهل الاهواء فيلقوا فى قلبك شيئا فيردك فيسخط الله عليك (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى من جعل دينه غرضا للخصومات فقد اكثر الشغل (وقال) جعفر بن محمد رحمه الله اياكم والخصومات فى الدين فانها تشغل القلب وتورث النفاق اه وقد كان السلف رضى الله عنهم يتحفظون على الرضاع الثالث أكثر من الرضاعين المتقدمين وهما رضاع الام ورضاع المؤدب لان الصبى قد رجع له عقل ومعرفة بالامور وقابلية لقبول ما سمعه أو رآه (واذا) كان ذلك كذلك فيتعين ان يكون بعد رضاع المؤدب رضاع العلماء العاملين بعلمهم المتبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم المبينين لها الكاشفين عن غامضها والمخرجين لخبايها فاذا ارتضع الصبى هذا الرضاع الثالث فالغالب انه ان وقع له غير ما سبق اليه سارع بسبب علمه وما انطبع عليه من معرفة ما تحصل عنده من الكتاب والسنة ومحبتهما وايثارهما الى انكاره وعدم قبوله لذلك (وقد) جاء بعض الناس بولده الى بعض السلف رحمه الله يريد أن يقرئه فقال له أقرأ قبل هذا

علماء غير ما نحن فيه يعني من علم الكتاب والسنة قال نعم قال وما هو قال العربية قال له اذهب بولدك فانه لا يجيء منه شيء قال ولم قال لانه قد سبق اليه تغزلات العرب وأشعارها وجبل على ذلك فكيف يمكن صلاحه فلم يقرئه ومعلوم بالضرورة ان العربية مطلوبة في الدين لاجل فهم الكتاب العزيز وفهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم لكن ما وقع لوم هذا السيد له الا لما سبق له من تغزلات العرب وأشعارها فلو سبق له العلم بالكتاب والسنة أو بعضه من حيث انه يعلم ما يجب عليه وما يسن وما يندب اليه لما عذله فاذا كان هذا تحفظهم على سبق العربية مع وجود الاحتياج اليها في الشرع كما تقدم فما بالك بغيرها (ومما) قدمناه في حق المؤدب من انه اذا كان عنده علم من العربية فهو احسن أعني انه يكون عالما بالعوامل وهو لم رفع هذا ونصب هذا وخفض هذا وما أشبه ذلك لأن علوم العربية على أربعة أقسام أحدها علم العوامل وهو ما تقدم ذكره والثاني علم اللغة والثالث علم الأدب والرابع علم البديع فالأول هو الذي يحتاج اليه المؤدب وليس فيه كبير أمر في الغالب (ثم نرجع) الى تمام ما بقي من المفاسد التي في دخول الصبي الكتاب النصارى (فمن ذلك) ما في ظاهره من الذلة للمسلمين بسبب ما فعل هذا بولده وفيه تعظيم النصارى فانهم اذا رأوا أولاد المسلمين يأتون اليهم ليتعلموا هذه الفضيلة منهم رأوا أن لهم رفعة وسوددا وفضيلة على المسلمين وهذا كله ممنوع شرعا وعقلا فبالله ويا للعجب كيف يترك التعليم من المسلمين وهم متوافرون في هذا العلم وغيره من العلوم الشرعية ويؤتى الى نصراني عدو للدين وعدو لله ولرسوله مظهر لذلك معاند للمسلمين فهذا من الخسف الباطني الذي لا ارتياب فيه ولا يشك (فان) قال قائل ان النصارى في علم الحساب والطب احذق وأعرف بالتعليم من غيرهم من المسلمين (فالجواب) ان هذا باطل لانه لو كان الصبي علم كل ما عند المسلمين من العلم الذي يريد أن يتعلمه من النصراني حتى فاق المسلمين في ذلك ثم اتى بعد ذلك الى النصراني لزيادة عنده فيه لكان هذا القول فيه شيء ما من الميل الى ذلك فكيف والصبي بعد لم يعلم شيئا من الحساب ولا غيره ولو عرفه لكان والحمد لله في المسلمين من يعرف اكثر من النصراني وامثاله فلا حاجة تدعو الى التعليم من اهل الكفر والضلال (وقد اقامهم) عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال

قد اغنى الله عنكم بالمسلمين (وقد) نهى رضى الله عنه أن يتخذ احد من أهل
الكتاب كاتبا (وقال) جوابا لمن أثنى على نصرانى بالمعرفة والحذق فى
الحساب مات النصرانى والسلام (وقال أيضا) لا تكرموهم وقد أهانهم الله
تعالى ولا تؤمنوهم وقد خونهم الله تعالى ولا تستعملوا على أنفسكم وأموالكم
الا المسلمين الذين يخشون الله تعالى أو كما قال (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك
الى اشتراط أمير المؤمنين رضى الله عنه الخشية فيمن تولى من المسلمين على
المسلمين فما بالك فى حق أعداء الدين وانما هى حجج شيطانية ونفسانية
وركوب للهوى وركون للعوائد الرديئة وترك للنظر الى أمر الشريعة وما
يندب اليه من الفوائد الجمة العظيمة والاخلاق الجميلة أسأل الله السلامة بمنه
وفيه من المفاسد التى يأباها الاسلام ومن فيه عذوبة طبع وانقياد للشريعة
المطهرة (وهى) أن المعلم النصرانى يجلس على موضع مرتفع وأولاد المسلمين
دونه ويقبلون يده أو ركبته حين اتيانهم اليه وانصرافهم ويقيم السطوة
عليهم وقد تقدم بعض ذلك (وفيه أيضا) ان الولد يتربى على ترك التحفظ من
النجاسة لانهم ليس عندهم نجاسة فيما يعتقدونه الا دم الحيض ليس
الا وأبوالهم وفضلاتهم كلها طاهرة عندهم وقد يسقون الادوية بالنجاسات
ويكتبون منها فتنجس أجسادهم وأثوابهم من ذلك (ومنها) ان المعلم يشرب
الخمر بحضرتهم وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم حاملها وحاضرها فى جملة
من لعن بسببها والولد المسلم هو حاضرها والحالة هذه ويكون حاملها فى
بعض الاحيان فان كان الولد بالغا او مراهقا فهو داخل تحت اللعنة وان كان
صبيا صغيرا فاللعنة عائدة على والديه او وليه او من اشار عليه بذلك وقل أن
يسلم الولد من شؤم ذلك وان كان صغيرا غير مكلف وربما امرهم المعلم بحمل
الخمر اليه او الى بيته لان من عادته أن يستقضيهم فى حوائجه وضروراته
(ومنها) ان الولد لا يقدر على الصلاة بحضرته ويمنعهم من الانصراف فى
وقت صلاة الظهر والعصر أو هما معا وقد يعوقهم عليهم فى صلاة الجمعة حتى
يخرج وقتها او يفوته بعضها (ومنها) ان الولد فى صوم رمضان يعيبون
عليه فى ذلك ويضحكون منه ويستهزؤن (ومنها) انهم اذا كان صومهم
يمنعون الماء ان يؤتى به الى ذلك الموضع فيبقى اولاد المسلمين بالعطش غالبا

(ومنها) أنه يخاف على الولد وهو الغالب أن يقع فى اعتقادهم الباطل أوفى بحث بعضهم مع بعض فى ألواحهم فان أكثرها مكتوب بالعربية ويتكلمون باللسان العربى بحضرته فقد يسبق الى الولد ويتعلق بذهنه ماهم عليه فان وقع له شئ من ذلك قل أن يتأتى خلاصه منه غالبا (وسبب) وقوع هذه النازلة ما أخبر به عليه الصلاة والسلام فى الحديث حب الدنيا رأس كل خطيئة (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى هذا الامر المخوف وهو انه ما كان سبب اتيان الولد الى النصرانى لتعليم الحساب الاحب الدنيا غالبا لاجرم انهم عوقبوا على ذلك بنقيضه فوقعوا فى الفقر والفاقة والوقوف على أبواب الظلمة من الكتبة وغيرهم (واذا) تربى الولد على مثل هذا الحال يخاف عليه من احد أمرين (أولهما) وهو اشدهما ان يدخل عليه شئ فى اعتقاده كما تقدم (والثانى) أن يقل اهتباله بامر دينه فى حق نفسه وفى حق غيره فاى شئ وقع منه من المخالفات أومن غيرها فلا يكترث به ولا يندم فى حق نفسه ولا يغير على غيره وهذه خصلة تنافى اخلاق المسلمين وهديهم وآدابهم (وقد) قال الشيخ ابو محمد بن أبى زيد رحمه الله تعالى فى كتاب الرسالة له واعلم ان خير القلوب أوعاها للخير وارجى القلوب للخير مالم يسبق الشر اليه وأولى ما عنى به الناصحون ورغب فى أجره الراغبون ايصال الخير الى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانة وحدود الشريعة ليراضوا عليها وما عليهم أن تعتقده من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم فانه روى ان تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله وان تعليم الشئ فى الصغر كالنقش فى الحجر اه (واذ) كان ذلك كذلك فيخاف على الولد الذى يدخل كتاب النصارى أن ينتقش فى قلبه ماهم عليه أو بعضه ولا أعدل بالسلامة شيئا نسأل الله السلامة بمنه (ومن) أقبح مافيه وأهجنه وأوحشه أن الولد يتربى على تعظيم النصارى والقيام لهم الذى قد تقدم منعه فى حق أهل الخير والصلاح من المسلمين وعدم الاستيحاش من عوائدهم وسماع اعتقاد أديانهم الباطلة حتى لو خرج الصبى من مكتبهم لبقى على عادتهم فى التعظيم لهم وعدم الاستيحاش منهم ومن أديانهم الباطلة وانه اذا رأى معلمه الذى علمه الحساب أو الطب قام اليه وعظمه كتعظيم ما اصطلح عليه بعض المسلمين مع

قوله اهتباله أى اهتمامه اه

بعض أوا كثرغالبا وكذلك يفعل مع كل من صحبه فى مكتب معلمه النصرانى
من جماعة اهل دينه فيألف هذه العادة الذميمة المحظوطة شرعا ولا يرضى
بهذه الاحوال من له عقل اوغيرة اسلامية اوالتفات الى الشرع الشريف
(الاترى) الى قوله تعالى فى كتابه العزيز يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين
وقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم او اخوانهم او عشيرتهم وقوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى غير
ذلك من الآيات والاحاديث وهى كثيرة متعددة وفيما ذكرتنبيه على ما عداه
(فصل فى تزويق الالواح) واما تزويق الالواح فى الاصرافات والاعياد
فى بعض البلاد فهو من باب المباح الجائز وفيه ادخال السرور على الاولاد
وادخال السرور فيه من الاجر ما قد علم وفيه التنشيط للصبيان على الاعتناء
بالمواظبة على القراءة (لكن) يتعين عليه ان يتجنب ما احدثوه من المفاسد
فى الاصرافات وهى كثيرة متعددة (فنها) تزيين المكتب فى الاعياد
والاصرافات بالحرير وغيره ارضا وحيطانا وسقفا وقد تقدمت شناعة ذلك
وقبحه فى زينة الاسواق للجمل اوغيره سيما اذا انضاف الى ذلك ان يكون
فيه صور مما لها روح فيكون فى ارتكاب ذلك نقيض ما جاس المؤدب اليه
فاذا كان السوق يمنع فيه ذلك فمن باب اولى موضع يتلى فيه كلام الله عز
وجل فنعه فيه اوجب (ثم) بقيت افعال يفعلها بعضهم فى الاصرافات وهى
قبيحة مستهجنة (فنها) انهم يحملون لوح الاصرافة مكلفتا بالفضة فى خرقة
من حرير واستعمال الحرير لا يجوز الا للنساء حيث اجيز لهن ذلك (واما)
تكليفت اللوح بالفضة فلا يجوز لوجهين (احدهما) لما فيه من السرف
(والثانى) لما فيه من الخيلاء وقد ورد ان النبى صلى الله عليه وسلم لعن
المتشبهين من الرجال بالنساء وبعض هؤلاء يأخذون الصبى الذى له
الاصرافة فيزينونه كما يزينون النساء فيحففونه ويخططونه ويلبسونه الحرير

ويصلونه بالقلائد من الذهب وغيره مع قلائد العنبر كأنه عروس تجلى ويركبونه على فرس أو بغلة مزينة باللباس من الحرير والذهب وغيرهما فيجعلون عليها كنبوشا من الحرير المزركش بالذهب ويلبسون وجهها أو جهها من ذهب (ثم) يضيفون الى ذلك أشياء رذيلة (منها) انهم يحملون أمامه أطباقا فيها ثياب من حرير وعمائم معممة على صفة (ثم) هم يختلفون فيما يفعلون بين يديه (فمنهم) من يمشي بين يديه صبيان المكتب وينشدون في طريقه الى أن يوصلوه الى بيته (ومنهم) من يضيف الى ذلك القراء يقرؤون كتاب الله عز وجل بين يديه فيزيدون فيه وينقصون كما تقدم في الجنائز (ثم) يضيفون اليه المكبرين والمؤذنين على عادتهم الذميمة في جنائزهم (ثم بعد) ذلك يمرون في الاسواق ويلقاهم من ينسب الى العلم أو الخير والصلاح أو المجموع وقل ان تجد من يغير عليهم شيئا من ذلك في الغالب فانا لله وانا اليه راجعون (ومنهم) من يعوض مما ذكر بما هو اشنع واقبح وهو ان يضرب بين يديه بالطبل والبوق (وبعضهم) يمشون الفيل والزرافة بين يديه مع رمي النفط (وبعضهم) يمشي بين يديه المغنية وطائفتها مكشوفة على ما يعهد من حالها مع ضرب الطار والشبابة والغناء وترفع عقيرتها على ما يعهد من فتنتها فكان الامر أولا للفرح بكتاب الله تعالى فكانوا في قربة فعكسوه بما هو ضده أسأل الله تعالى السلامة بمنه ولو كلف أحدهم ان يتصدق ببعض ما صرفه فيما لا يجوز مما صنعه في الاصرافة اشق ذلك عليه في الغالب لانه محض طاعة لله تعالى ليس فيه لهو ولا لعب ولا رياء ولا سمعة وذلك شاق على النفوس الا من رحم ربك (ثم) يضيفون الى ذلك فعلا قبيحا وهو أن بعض المؤدبين يدخلون مع صاحب الاصرافة البيت ويجلسون مع النساء وهن متبرجات على ما يعلم من عادتهن في بيوتهن ويعطي اللوح لأم صاحب الاصرافة أو لأخته أو لخالته أو لعمته أو لجارته الى غير ذلك من أقارب الولد ومعارفه حتى تنقط كل واحدة منهن من الفضة بما أمكنها وذلك محرم لا يجوز لانه أجنبي عنهن فلا يجوز لهن أن يظهرن عليه ولا ان يسمع كلامهن الا لضرورة شرعية والضرورة هنا معدومة والله تعالى الموفق (وينبغي) لوالد الصبي بل يتعين عليه أن يتجنب ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان

وهو أن الصبي اذا ذهب أكثر التعب به وقرب من ان يختم القرآن نقله والده الى كتاب آخر حتى يفوّت الاول ما استحقه من الاصرافة (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى فى الصبي اذا دخل سورة الاعراف عند مؤدّب ثم انتقل الى غيره فاصرافة البقرة قد استحقها المؤدّب الاوّل واختلف قوله فيما اذا دخل سورة يونس عليه الصلاة والسلام هل يستحقها الاوّل او الثانى قولان ولا يختص هذا باصرافة سورة البقرة ليس الا بل هو عام فى كل اصرافة من القرآن قرب اليها الصبي فان المؤدّب الاول يستحقها (ومن) كتاب البيان والتحصيل سئل مالك رحمه الله تعالى عن تعليم أولاد اليهود والنصارى الكتابة بغير قراءة قرآن فقال لا والله ما أحب ذلك يصيرون الى أن يقرءوا القرآن قال وسألته عن تعليم المسلم عند النصرانى كتاب المسلمين أو كتاب الاعجمية فقال لا والله لا أحب ذلك وكرهه قال ولا يتعلم المسلم عند النصرانى ولا النصرانى عند المسلم لقول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم (قال) ابن رشد رحمه الله تعالى اما تعليم المسلم أبناء اليهود والنصارى أو تعليمهم عندهم فالكراهة فى ذلك بينة (وقد) قال الامام ابن حبيب رحمه الله تعالى ان ذلك سخطة ممن فعله مسقطة لامامته وشهادته (وقال) ابن رشد فى الحذاقة يعنى الاصرافة انه يقضى بها وذكر عن ابن حبيب أنه فرق بينها وبين الاحضارة فقال انه لا يقضى بالاحضار فى الاعياد وان كان ذلك مستحبا فعله فى أعياد المسلمين ومكروها فى أعياد النصارى مثل النيروز والمهرجان ولا يجوز ان فعله ولا يحل لمن قبله لانه من تعظيم الشرك

(فصل فى ذكر آداب المجاهد وكيفية نيته وهديه) قد تقدم رحمنا الله واياك آداب العالم وهديه وما احتوت عليه نيته فالمجاهد وغيره تبع له فى ذلك كله الا شيئا قليلا اختص به العالم وشيئا قليلا اختص به المجاهد يقع ذكره ان شاء الله تعالى (ولتعلم) ان الجهاد ينقسم الى قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر فالجهاد الاكبر هو جهاد النفوس لقوله عليه الصلاة والسلام هبطتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والكلام عليه يأتى ان شاء الله تعالى فى ذكر آداب الفقير المنقطع (والكلام هنا) انما هو على الجهاد الاصغر وهو جهاد أهل الكفر والعناد وهو من أجل الطاعات

وأعظمها وقد تقدم ان أفضل الاعمال طلب العلم لان به يعرف المجاهد فضيلة الجهاد وكيف يجاهد وبماذا يصح له الجهاد وبماذا يفسد وكذلك غيره من أمور الدين فكان أفضل الاعمال لما جاء في تفضيله في الحديث الصحيح والحديث ليس على عمومه لان ذلك راجع الى أحوال الناس فرب شخص ليس فيه أهلية لطلب العلم وهو قادر على الجهاد لما فيه من فضل القوة والشجاعة والاقدام فالجهاد في حق هذا أتم كذا أمره وآخر يكون فيه ذكاء وفهم وحفظ وتحصيل للمسائل وهو ضعيف في نفسه ليس له قوة على الضرب والطعن فطلب العلم لمثل هذا يتعين وقد يتعين عليه الجهاد بحسب حال الوقت (وبالجملة) فالجهاد فيه فضل كبير جاء به الكتاب العزيز والحديث الصحيح (لكن) ينبغي للمجاهد أن لا يدخل في الجهاد حتى يسأل أهل العلم عما يلزمه في جهاده ان لم يعلمه (لقوله) عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم (قال) العلماء المحققون في معناه ما وجب عليك عمله وجب عليك العلم به اهـ فيعرف أولا الاحكام اللازمة له وحينئذ يدخل فيه فيبدأ بما ذكره علماؤنا رحمة الله عليهم من الاحكام اللازمة فمن ذلك انهم قالوا شرط وجوب الجهاد سبعة وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا حرا مستطيعا بصحة البدن والمال وفرائضه ستة النية وطاعة الامام وترك الغلول والوفاء بالامان والثبات عند الزحف وأن لا يفر واحد من اثنين

(فصل في الغنيمة) والغنيمة يستحقها من اتصف بعشرة شروط السبعة المتقدم ذكرها وأن يكون خرج للجهاد لا للتجارة ولا للاجارة وأن تكون الغنيمة حصلت بالقتال أو ما أوجف عليه بالخيل والركاب

(فصل في حكم الاسارى) والامام مخير في الاسارى بين خمسة أشياء القتل والاسترقاق والمن والفداء والجزية

(فصل في الاوصاف الموجبة للجزية) الجزية واجبة بعشرة أوصاف الكفر والاقامة عليه بدار الاسلام وأن يكون عاقلا بالغا ذكرا حرا غير معتق لمسلم قادرا على أدائها ولا يكون قرشيا ولا مرتدا

(فصل في حكم المرتدين) دار المرتدين تفارق دار الحرب من أربعة أوجه

أحدها أنهم لا يهادنون على الاقامة ببلادهم الثاني انهم لا يصالحون على مال يقرون به على ردتهم الثالث لا تسترق رجالهم ولا تسبى نساؤهم الرابع لا يملك الغانمون أموالهم وهي أيضا تفارق دار الاسلام من أربعة أوجه أحدها أنه يجوز قتالهم مقبلين ومدبرين كالمشركين الثاني اباحة دمائهم أسرى وممتنعين الثالث ان أموالهم تصير فيئا للمسلمين الرابع بطلان مناكحتهم

(فصل في قتال الفئة الباغية) وهي التي تفارق الامام ورأى الجماعة وتنفرد بمذهب مبتدع وتنعزل بدار و يفارق قتالهم قتال المشركين من ثلاثة عشر وجها (أحدها) انهم يقاتلون بنية ردعهم ولا يتعمد به قتلهم (الثاني) يقاتلون مقبلين ويكف عنهم مدبرين (الثالث) لا يجوز على جريحهم (الرابع) لا تقتل أسراهم (الخامس) لا تسبى نساؤهم (السادس) لا تسبى ذراريهم (السابع) لا تغنم أموالهم (الثامن) لا يهادنون على الاقامة ببلادهم (التاسع) لا يصالحون على مال يقرون به على بدعتهم (العاشر) لا يستعان على قتالهم بمشرك (الحادي عشر) لا ينصب عليهم الرعادات (الثاني عشر) لا تحرق عليهم بيوتهم (الثالث عشر) لا تقطع أشجارهم

(فصل في حكم المحاربين) قتال المحاربين كقتال الفئة الباغية في عامة أحوالهم الا في خمسة أشياء يخالفونهم فيها (أحدها) انهم يقاتلون مقبلين ومدبرين (الثاني) يجوز أن يتعمد في الحرب قتلهم (الثالث) أنه يجوز حبس أسراهم لاستبراء حالهم (الرابع) انهم ضامنون لما استهلكوه من دم أومال في الحرب وغيره ولا يجوز ذلك في الفئة الباغية بعد انجلاء الحرب (الخامس) ان ما أخذوه من خراج وصدقات فهو كالمأخوذ غصبا فعلى من أخذه من يده غرمه (فاذا) تحصل عنده معرفة ماذكرفليكن عالما بأحكام صلاة الخوف في الحالتين من قتال وغيره وكيفية ما يلزمه من ذلك كله (وكذلك) يتعين عليه معرفة أحكام التيمم وفي أي وقت يلزمه وفي أي وقت يحرم عليه ومسائله وقد تقدم بيان هذا عند ذكر غسل المرأة في بيتها وكذلك ينبغي له ان يعرف احكام صلاة المسافر وفي اي وقت يقصر وفي اي وقت يتم وذلك كله موجود في كتب الفقهاء متيسر على السنتهم لمن جاء اليهم

مستقبلا الا ان الصلاة هي عماد الدين وبها قوامه فاذا كان المجاهد يخل بها او بركن من اركانها كان تركه للجهاد اولى به بل اوجب عليه اذا لم يتعين فاذا تعين والحالة هذه كان عاصيا وان كان مجاهدا (وهذه) مسئلة قد عمت بها البلوى لانا نرى ونباشر من يخرج الى الجهاد وغالب احوالهم عدم الفقه وعدم المعرفة بكل ماذكر اولا كثره وقل من تجده منهم يجتمع باحد من اهل العلم ويسأل عما يلزمه من الاحكام فيما ذكر سيما صلاة الخوف التى ما بقيت تعرف عندهم فى الغالب ولا تذكر الا فى كتب الفقهاء كانها حكاية تحكى سيما صلاة المسايفة فانها كادت لا تعرف ايضا لعدم فاعلها وقلة السؤال عنها فيخرج المجاهد وهو عند نفسه انه فى طاعة وهو يقع فى مخالفات جملة لعدم التلبس بمعرفة ما ذكر وقد يكون سببا الى وقوع الرعب فى قلبه من العدو وانهزامه عند رؤيته فان العدو انما يستعد له باقامة هذا الدين قال الله تعالى فى كتابه العزيز يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم قال علماؤنا رحمة الله عليهم نصر العبد لربه هو اتباع امره واجتناب نهيه فاذا فعل ذلك كان سببا لنصرة الله تعالى له وامنه مما يخاف سيما والمجاهد انما جاهد لاجل الدين والصلاة هى عماده وبها قوامه (وقد ورد) ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جاءه كتاب من بعض جيوشه بالشام وهم يخبرونه فيه بانهم قد افتتحوا البلدة التى نزلوا بها وكان الحرب بينهم وبين اهلها من اول النهار الى الزوال فبكى حتى بلت دموعه لحيته فقيل له اتبكى والنصر لنا فقال والله ما الكفر يقف امام الاسلام من غدوة الى الزوال الا من امر احدثتموه انتم اوانا (فانظر) الى ما قرره عمر رضى الله عنه ما نظر فى النصر وعدمه الا بصلاح الحال وفساده فيما بين العبد وربه فاين هذا الحال الذى ذكر من حال اكثر الناس اليوم فى كونهم يخرجون الصلاة عن وقتها ويقضونها بعد ذلك ولا قائل به من المسلمين اعنى جواز اخراجها عن وقتها عمدا من غير عذر شرعى والعذر الشرعى انما هو زوال العقل او استتاره الا ترى ان المسايف تجب الصلاة عليه وهو يضارب ويجوز له ان يتكلم ان اضطر الى ذلك وهو يصلى ويجوز له ان يصلى لاى جهة كانت ويكبر ويقرأ وكذلك الغريق تجب الصلاة عليه فى حال غرقه والمصلوب الى غير ذلك

فصل

فكل هؤلاء صلاتهم اغاهى بالايماء واللسان واغتفر فى حقهم ومن شابههم
ترك فرائض الصلاة جملة فى حال صلاتهم اذ ذاك خيفة على الوقت أن يخرج
فلو ترك أحدهم مالزمه من الاتيان بالصلاة فى الوقت على الصفة المذكورة
كان عاصيا وان قضاها بعد خروج وقتها الان علماءنا رحمة الله عليهم قد اختلفوا
فيمن أخرج الصلاة عن وقتها متعمدا هل عليه قضاء أم لا فالمشهور أن
القضاء واجب عليه وانه آثم فيما فعله من التأخير وذهب بعضهم الى انه
لا قضاء عليه بناء منهم على انه مرتد وحكمه معروف (وماذكر) فى حق
المجاهد من تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها هو موجود بعينه فى كثير من
الحجاج كلهم ومشاهد من أحوالهم وأنهم يحصلون الزاد والراحلة وما يحتاجون
اليه من ضروراتهم بخلاف ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فقل من يسأل
عن مسائل التيمم وقصر الصلاة واتمامها او احكام الحج ومناسكه وان وجد
ذلك من بعضهم فالغالب منهم انهم يعتنون فى المناسك بأدعية معلومة على
قانون معروف فيعولون عليها و يتركون ذكر الاحكام فى الغالب (وقد)
كره مالك رحمه الله تعيين الدعاء لبعض الاركان وقال هذه بدعة انما يذكر
الله ويدعو بما تيسر له او كما قال (ثم نرجع) الى ما كنا بسبيله من امر الجهاد
فن اهم ما يقدم فيه قبل الخروج اليه وعنده حسن النية واهتمامه بها
والتعويل عليها وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم بيانها اتم بيان حين
جاءه الاعرابى فقال له يارسول الله ما القتال فى سبيل الله فان احدنا يقاتل
غضبا ويقاتل حمية فرفع اليه راسه قال وما رفع اليه راسه الا انه كان قائما
فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله اه (وقد) اتضح
وبان ما ينوى المجاهد حين خروجه وتلبسه بالقتال واما ما يقع له بعد تصحيح
نيته فغير ما نواه لا عبرة به ولا يؤاخذ به لان الاعرابى قال فان احدنا يقاتل
غضبا ويقاتل حمية فاجابه عليه الصلاة والسلام بما تقدم ذكره فدل على انه
اذا نوى ان يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا لا يضره ما اعتراه بعد ذلك من
قتاله غضبا وحمية او ما اشبههما لان هذا كله من وساوس الشيطان ونزغاته
وهواجس النفوس التى لا تملك والله عز وجل قد رفع ذلك عنا ومن علينا
بترك المحاسبة عليه ببركة هذا النبى الكريم على ربه عز وجل سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم وذلك انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية ضج الصحابة رضى الله عنهم من ذلك وأتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله كلفنا الصلاة والصوم والزكاة والحج فقبلناه وأما ما يقع فى نفوسنا فلا نقدر على ذلك أو كما قالوا فعلمهم عليه الصلاة والسلام الادب مع الربوبية فقال أتقولون مثل ما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة فرفع الله تعالى الاصر عنهم وعدم المؤاخذة بالوساوس والهواجس (ولاجل) هذا المعنى الذى نحن بسبيله قال عليه الصلاة والسلام لما ان جاءه أصحابه يشكون له عما وقع لهم من هذا المعنى فقالوا انا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به فقال صلى الله عليه وسلم أوجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان الحمد لله الذى رد كيده لهذا فقوله عليه الصلاة والسلام ذلك صريح الايمان يعنى فى دفعه وتعاظم الامر عندهم لا فى نفس وقوعه وقوله عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى رد كيده لهذا وذلك ان ابليس اللعين لم يقنع منهم فى الجاهلية حتى جعلهم ينشرون خشبا أو ينحتون حجارة ويجعلونها صورا يسجدون لها ويعبدونها من دون الله عز وجل وهم قد صنعوها بأيديهم فلما ان جاء الاسلام وظهر أمره وانتشر أيس ابليس اللعين أن يردهم الى ما كانوا عليه فلم تبق له حيلة الا الوسواس والهواجس المشوشة على قلوب المؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى رد كيده لهذا فحمد صلى الله عليه وسلم ربه على كون اللعين عجزت قدرته عن جميع الحيل اذ أن ما بقى له من الحيل الا الوسواس والهواجس وذلك غير مؤاخذ به من وقع له ولو وقف المكلف مع ما يقع له من الهواجس قل أن يتأتى له أداء عبادة بسبب تسليطه (فالحاصل) انه يقاتل أولا بنية أن تكون كلمة الله هى العليا كما تقدم وأن يحتسب نفسه وماله لله عز وجل لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الى آخر الآية وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (وقد) نقل الشيخ الامام أبو محمد عبد المجيد الصدفى المشهور بابن أبى الدنيا قال روى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف

رضى

رضي الله عنه قال عبانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ليلا والتعبية هي تسوية الصفوف وتقدمة العمل الصالح بين يدي القتال من الامام والناس من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليرجى به الظفر والنصر قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره (ثم) الادارة على العدو والخديعة له من أسباب الظفر (أخرج) مسلم بن الحجاج في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد غزوا ورى عنه بغيره (ومن) الخدع في الحرب ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاحزاب روى أن رجلا من المسلمين كان لا يكتم الحديث وكان مع المشركين عام الاحزاب وكان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم ان بني قريظة قد مالوا عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلنا أمرناهم بذلك فأتى الرجل اباسفيان فقال هل علمت محمدا يقول ما ليس هو قال لا قال فانه يقول في بني قريظة لعلنا أمرناهم بذلك قال سننظر فارسل الى بني قريظة قال نحب ان تعطونا رهائن ووافق ذلك أن كان ليلة السبت للقدر المقدور فقالوا نحن في السبت فان انقضى فعلنا فقال ابوسفيان نحن في مكر بني قريظة فألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب وأرسل عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكانت هذه من الخدع التي خدعهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنه) عن ابن أبي اوفى قال سمعته يعني النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على الاحزاب اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فهذا الدعاء ينبغي أن يدعى به عند ملاقاة العدو اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنه) عن المهلب بن أبي صفرة عمن سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان بيتكم العدو فقولوا حم لا ينصرون (ومنه) عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض (ومنه) عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ابغوني في ضعفائكم فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ابغوني في ضعفائكم اي اطلبوني اي انه يكون معهم ويؤيد ذلك ما روى عن النبي

صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى أنا مع المنكسرة قلوبهم من أجلى فاذا كان الله معهم فهم منصورون ويريد بالضعفاء والله أعلم الذين لم يكن لهم ظهور فى الدنيا ولا هم طالبون لها وهم زاهدون فى دنياهم راغبون فى آخرتهم طائعون لله تعالى ناصرون لدينه فهم منصورون قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وقال والله مع الصابرين أى بالنصر والمعونة أى مع الصابرين عن المشتهيات من المحرمات والصابرين على الطاعات وجهاد الكفار فالله ناصرهم ومعينهم (روى) عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال لخالد بن الوليد حين بعثه لقتال أهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة (ووجه) أبو مسلم قوما الى الغزو فقال الزموا قلوبكم الصبر فانه سيف الظفر واذكروا كثرة الضغائن فانها تحض على الاقدام والزموا الطاعة فانها احصن المحارب (ومن الحكمة) قوة النفس فى الحرب علامة الظفر (ومنها) تقحم الحرب بشجع القلب (ومنها) الهزيمة قبل العزيمة (ومنها) الحيل أبلغ من العمل (ومنها) الراى السديد اجدى من الأيد الشديد (ومنها) شدة الصبر فاتحة النصر (وينبغى) المشورة فى القتال وفى كل امر يعرض (وفى الترمذى) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ما رايت احدا اكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه ينبغى مشورة من له عقل ودين وتجارب (من كلام الحكمة) توق مشورة الجاهل (ومنها) لا تشاور من تميل به رغبته او رهبته (اخرج) مسلم بن الحجاج فى صحيحه بالاسناد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى امر الله (ومنه) عن جابر بن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان يبرح هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (ومنه) عن سعد ابن ابى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قال البخارى رضى الله عنه ورحمه هذه الطائفة هم اهل العلم وقال القاضى عياض هم اهل السنة والجماعة اه كلامه بلفظه (ثم) نرجع الى ذكر بعض فضيلة الجهاد (فمن ذلك) ما تقدم من قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة

الأيد بوزن السيد معناه القوى الشديد اه

يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (قال الشيخ) أبو محمد عبد المجيد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال جعل الله تعالى للمجاهدين فى سبيله الصفقتين جميعا (بيانه) قول الحسن رضى الله عنه أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومع ذلك أقول ايضا هو خالق فعل المجاهد فى قدرته وعزمه على الجهاد فى سبيله ورغبته فكل ذلك فضله ونعمته ومنته فكل من عند الله تبارك وتعالى يسدى على أيدينا الخير ويجزى عن أياديه الجزاء (وروى) فى معنى الآية ان الانصار رضى الله عنهم حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ماشئت قال أشترط لربى أن تعبدوه لاتشركوا به شيئا واشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فالنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولا نستقيل (ومر) برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم الآية فقال الاعرابى كلام من قال كلام الله تعالى قال بيع والله صريح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد رحمه الله تعالى (فقوله تعالى) وعدا عليه حقا قال هذا وعد مؤكد أخبر الله تعالى ان هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت وقد أثبته فى التوراة والانجيل كما أثبته فى القرآن (وعن) الجوهرى رحمه الله تعالى ناهيك من صفقة البائع فيها رب العالمين والثمن جنة المأوى والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى ذلك قيل

أكرم بها صفقة والرب عاقدها * على لسان رسول الله من مضر
اثمانها جنة ناهيك من نزل * دار بها نعم تخفى عن البشر
أنواع مطعمها من كل شهوتنا * شرابها عسل صاف من الكدر
من كل مالذة طابت مواردها * وحورها در زهو على القمر
انى لها ثمن دنيا بها عمن * لم يصف مشر بها يوما لمعتبر

ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لان اخلاف الوعد انما يطرأ على البشر لاحد امور أو مجموعها وذلك لبخل أو شح خوف الفقر أو محبة الازدياد

من الشهوات أو العجز أو النسيان وذهول أو غير ذلك من الآفات وكل ذلك محال على خالق الارض والسموات (فهذه الآية) اذا فهمت معانيها وحضرت بخلو القلب وشروط الاستماع لتاليها الاتطالب في الترغيب في الجهاد زيادة عليها ولا انضمام شيء من المؤكدات اليها (وذكر) بسنده الى مالك بن انس في موطائه عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر عن صلاة ولا صيام حتى يرجع (وقال) الله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون فهذا وعد من الله سبحانه مؤكدا بالقسم اذ أن القتل في سبيله أو الموت مقترن بهما المغفرة والرحمة وخبره تعالى ووعده حق وتأكيده بالقسم للترغيب في الجهاد وتحقيق افضله في قلوب العباد (أخرج مسلم) في صحيحه باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الاجهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسولي فهو على ضامن ان أدخله الجنة ان مات أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الاجاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت اني اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فأقتل ثم اغزو فاقتل (قوله) صلى الله عليه وسلم لا يخرجه الاجهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسولي في هذا حض على النية وتخليصها من الشوائب الدنيوية والمأمور به من النية ان تكون كلمة الله هي العليا وهي الشهادتان وعلو المتمسك بهما من اهل الايمان لان الكفر اذا علا بالضرورة تكون الشهادتان وشريعة الاسلام السفلى فيقصد بالخروج من بيته هذا مخلصا ويبيع نفسه من الله تعالى بالجنة التي وعدها في القرآن او مجموع الامرين ابتغاء الجنة وعلو الكلمتين فاذا صح قصده نال من الله ما وعده (وقوله) فهو على ضامن قيل معناه مضمون (وقوله) أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة او

بمعنى الواو ورواه أبو داود من أجر وغنيمة (والكلم) الجرح (وباسناده) الى
مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة
وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك في هذا تنبيه على النية
(ومنه) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغدوة في سبيل الله
أو روحة خير من الدنيا وما فيها (وفي حديث) أبي أيوب خير مما طلعت عليه
الشمس (الغدوة) بفتح الغين السير الى الزوال مرة واحدة (والروحة) السير
من الزوال الى الغروب مرة واحدة (فالمعنى) ان ثواب هذه الغدوة والروحة
الواحدة وفضلها ونعيمها على قلتها ويسارتها وخفتها خير من نعيم الدنيا
كلها على كثرتها فان نعم الدنيا زائلة فانية ونعم الآخرة دائمة باقية (أو المعنى)
ان الدنيا لو نالها مالك بأسرها وأنفقها الثواب الآخرة وأجرها لكان جزاء هذه
الغدوة أو الروحة أكثر وفضلها أعظم وأكبر (ومن) صحيح مسلم متصلا عن
أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا سعيد من رضي
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد فقال
أعدها علي يا رسول الله ففعل ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة
في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله
قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله (الدرجات)
المنازل في الجنة بعضها فوق بعض على ما ورد به القرآن والسنة قال تعالى
لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية (ومنه) عن
النعمان بن بشير قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل
ما ابالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقي الحاج وقال آخر ما ابالي أن لا
أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل
الله تعالى أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم
عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة
دخلت لاستفتيه فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
لا يستوون عند الله الآية (ومن) أبي سعيد الخدري ان رجلا سأل النبي

قوله يثعب بفتح الياء والعين المهملة بينهما مثلثة ساكنة معناه يسيل اه

صلى الله عليه وسلم فقال أى الناس أفضل فقال رجل مجاهد فى سبيل الله بماله ونفسه قال ثم من قال مؤمن فى شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره (ومنه) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغى القتل والموت مظانه أو رجل فى غنيمة فى راس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الاودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس الا فى خير (فظهر) من هذا الحديث فضل الجهاد وشرفه والمواظبة عليه وان الاكتساب منه خير كسب اذا خمس المغنم ولم يستأثر على الغازين بشئ الا ما الضرورة داعية اليه مثل الطعام والشراب وشبههما مما هو مقرر فى السنن المأثورة والكتاب العزيز (والهيعة) الصوت المفزع (والطيران) هو اغاثة المستغيث بانهى الممكن فى الفعل المسرع (والشعف) رءوس الجبال (وفيه) حض على الانزواء عن الناس والاعتزال لما فى المخالطة من آفات القيل والقال وهذا الانزواء والاعتزال انما يحمد اذا لم يتوجه فرض الجهاد والقتال أو فرض من الفروض على حسب الاحوال (ومنه) عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال سمعت أبى وهو بحضرة العدو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف فقام رجل رث الهيئة فقال يا أبا موسى آأنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا قال نعم قال فرجع الى أصحابه فقال أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه وألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل (قال) القاضى عياض رحمه الله يعنى ان الجهاد وحضور المعارك سبب لدخولها ومقرب اليها ويظهر والله أعلم ان مكان المعركة وجلاد الكفار منه تنقل روح الشهيد حين الشهادة وتدخل الجنة كما جاء فى القرآن وصحيح الاخبار (ومن) صحيح مسلم ابن الحجاج عن ثابت قال قال أنس عمى الذى سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال فشق عليه قال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبت عنه ولئن أشهدنى الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فهاب أن يقول غيرها قال فشهد مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم أحدا قال واستقبله سعد بن معاذ فقال له أنس يا أبا عمرو أين قال واها لريح الجنة أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل قال فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية قال وقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت أخي الا ببنانه ونزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه (قوله) واها لريح الجنة كلمة تلهف وحنين وتشوق الى الجنة وهن لا جرم الصدق أعطى سؤله وبلغ ما تمنى مأموله وأوجده الله ريح الجنة كما ورد في الخبر الصحيح انها توجد من مسيرة خمسمائة سنة وذلك تشريف من الله تعالى لاهل السعادة وتكرمة لمن كتبت لها الشهادة (ومن) مسند النسائي عن فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا زعيم والزعيم الحميل لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة من فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث يموت (ومن) مسند أبي داود عن أبي امامة أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة قال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله (ومن الترمذي) عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف (ومنه) عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله فقد غزا (ومنه) عن يزيد بن أبي مريم قال لحقني عباية بن رفاعة بن رافع وأنا ماش الى الجمعة فقال أبشر فان خطاك هذه في سبيل الله سمعت أبا عبس يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار اه كلام الصدفي رحمه الله (قال الترمذي) في جامعه ابو عبس هذا اسمه عبد الرحمن بن جبر ويزيد بن ابي مريم هو رجل شامي روى عنه الوليد بن مسلم ويحيى بن حمزة وغير واحد (ثم) قال الصدفي رحمه الله ومنه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم

(فصل في الرمي وفضيلته) اخرج الترمذي وابوداود والنسائي عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله (وفي الترمذي) كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل الا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله (ومن) مسند الترمذي عن أبي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محرر (وروى) البخاري عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر ينتضلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا وانا مع بني فلان قال فامسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون قالوا كيف نرمي وانت معهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم (ومن) صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم ارضون ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم أن يلهو بأسهمه (ومنه) عن عبد الرحمن بن شماسة ان فقيما اللخمي قال لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعانه فقيل لابن شماسة وما ذاك قال انه قال من علم الرمي ثم تركه فليس منا او قد عصى وقوله صلى الله عليه وسلم فليس منا اي ليس متبعا لنا ولا مهتديا بهدينا تارك الرمي (وكتب عمر) رضي الله عنه لاهل حمص علموا اولادكم السباحة والرماية والفروسية والاحتفاء بين الاغراض وقال احتفوا وتجردوا واخشوشنوا وتمعددوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وارموا الاغراض واياكم ولباس العجم البسوا الازر والاردية والقوا السراويلات واستقبلوا حر الشمس بوجوهكم فانها شامات العرب واطرحوا الخفاف والبسوا النعال

(فصل في الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها) اخرج البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد انه قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها والروحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها (وروى) الترمذي عن فضالة بن

قوله وتمعددوا قيل انه من التشبه بعيش معد وكانوا أهل شظف وغلظ في العيش يقول كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزي العجم كما هو في حديث عليكم باللبسة المعدية وقيل انه من قولهم للغلام اذا شب وغلظ قد تمعدد اهـ مختار

عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذى يموت مرابطا فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر (أخرج مالك) فى موطأته وغيره عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذى هى له اجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات ولو انها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك له حسنات فهى له أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى لذلك ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهى على ذلك وزر (ومنه) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة (ومنه) عن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤى يمسح وجه فرسه بردائه فسئل عن ذلك فقال انى عوتبت الليلة فى الخيل (وروى) العتبى عن مالك انه سأله بعض أهل ثغر الاسكندرية هل الرجوع الى ثغرهم والسكون فيه للحرس وسده أفضل ام المقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحيات لطالب العلم أفضل فرجح لهم الرجوع الى الاسكندرية والسكون فيها على ذلك (وروى) عن ابن عمر أنه كان يقول الحرس افضل من الغزو لان الحرس فيه حفظ دماء المسلمين والغزو فيه اراقة دماء المشركين فحفظ دماء المسلمين أولى (أخرج) الترمذى فى صحيحه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله (ومن) الترمذى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة (ومنه) عن ابى صالح مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول انى كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية تفرقكم عنى ثم بدا لى أن احدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم فى سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل

قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح (ومنه) عن ابى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أحب الى الله عز وجل من قطرتين وأثرين قطرة دموع من خشية الله تعالى وقطرة دم تهراق فى سبيل الله تعالى وأما الاثران فاثر فى سبيل الله تعالى واثر فى فريضة من فرائض الله تعالى (قال) ابن حبيب الرباط شعبة من شعب الجهاد (وقيل) من رابط فواق ناقة حرمه الله على النار (قال) ابن حبيب فواق ناقة قدر ما تحلب وقال غيره قدر ما بين الحلبتين (وعن) ابى هريرة رضى الله عنه انه قال لحرس ليلة أحب الى من صيام الف يوم أصومها واقوم ليلها فى المسجد الحرام وعند قبر النبى صلى الله عليه وسلم (وعن) مالك بن انس رحمه الله تعالى ينبغى لكل قوم أن يرابطوا فى ناحيتهم وان يسكنوا سواحلهم الا أن يكون مكانا مخوفا يخاف فيه على العامة فيريد فليذهب اليه (ومن) الحرس فى الثغور حفر الخنادق والاحتساب فى حفرها مستنين فى ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعه عليه الصلاة والسلام للحجر الذى اعيت الصحابة الحيلة فى كسره (اخرج) النسائى عن البراء بن عازب قال لما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذه المعول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والقى ثوبه واخذ المعول وقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسرت ثلث الصخرة فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر الى قصرها الاحمر الآن من مكانى هذا قال ثم ضرب اخرى وقال بسم الله فقطع ثلثا آخر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله لأبصر خضراء المدائن والى القصر الابيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله انى لأبصر باب صنعاء من مكانى الساعة

(فصل فى فضل الشهادة) اخرج مسلم فى صحيحه عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون قال اما انا قد سألنا عن ذلك فقال ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل (ومنه) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال ما من

احد

أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وان له بها ما على الارض من شئ غير الشهيد فانه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفى رواية لما يرى من فضل الشهادة (ومنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع كافر وقاتله فى النار أبدا (ومن الموطأ) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال الغزو وغزوان فغزو تنفق فيه الكريمة ويياسر فيه الشريك ويطاع فيه ذو الامر ويجتنب فيه الفساد فذلك الغزو خير كله وغزو لا تنفق فيه الكريمة ولا يياسر فيه الشريك ولا يطاع فيه ذو الامر ولا يجتنب فيه الفساد فذلك الغزو لا يرجع صاحبه كفافا (ومن) صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك قال ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وفوقه عرش الرحمن (ومن) صحيح الترمذى عن المقدام بن معد يكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر الله له فى أول قطرة تقطر من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقاربه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب (ومنه) عن أبى هريرة قال مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عين من ماء عذب فأعجبته لطيبها فقال لو اعتزلت عن الناس فأقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما الا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة (ومنه) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد

أحسن عبادة الله تعالى ونصح لواليه (ومنه) عن أبي ادريس الخولاني انه
سمع فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان
لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم
القيامة هكذا ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال فما ادري اقلنسوة عمر
اراد أم قلنسوة النبي صلى الله عليه وسلم قال ورجل مؤمن جيد الايمان لقي
العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن اتاه سهم غرب فقتله
فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو
فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل مؤمن اسرف على
نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة (وفضيلة)
الجهاد قد جاء فيها ما هو اكثر من هذا (ولكن) ذلك متعذر على المرء
وحده اذ لا بد فيه من جماعة وامام تنعقد كلمتهم عليه ولا يخالفونه (وقد)
ذكر العلماء رحمة الله عليهم ذلك وشرطوا له شروطا وبينوا حال الامام
وحال الجماعة التي تكون معه وصفة هديهم وطريقتهم وآدابهم وما يتجنبوا
فيه من المفاسد وهذا النوع كثير قل ان يحصر اعني ما احدث فيه من
المفاسد شرقا وغربا فمن اراد الجهاد فليتوقف حتى يسال اهل العلم والنهى
عما يجب عليه فيه وما يندب له وما يحرم عليه او يكره وما يتجنب فيه من
المفاسد فانها مختلفة بحسب اختلاف الاقاليم والائمة والجماعة والعصر فلا
يمكن الكلام على معنى من معانيها لكثرتها واختلاف الاحوال والازمان
فبالسؤال يتبين له ما يصلح به فان رأى انه لا بد من خلل يرتكبه بسبب
جهاده فالترك له اولى اللهم الا ان يتعين الجهاد فلا سؤال اذ ذاك لانه
لا ينتظر فيه اذن الامام ولا حضور الجماعة ولا اذن الوالد ولا اذن الوالدة
ولا اذن السيد اذ أن النفير واجب متعين على كل من كانت له قدرة بوجه ما
(ثم) الاصل الذي يعول عليه في جهاده ويعتقد النصر من جهته هو التعلق
بجناب اولياء الله تعالى والرجوع اليهم والصدور عن رأيهم (الا ترى) الى
ما حكى عبد الملك بن مروان لما ان خرج لبعض غزواته قال انظروا الى محمد
ابن الحنفية فذهبوا اليه ثم رجعوا فقالوا وجدناه في المسجد يصلي فقال

اذهبوا فقد نصرنا بسابقته فى القبلة عند ذى خير من كذا وكذا الف فارس فضوا لما كانوا بسبيله فنصروا وغنموا (وقد تقدم) قوله عليه الصلاة والسلام ابغونى فى ضعفائكم (ومع ذلك) فلا ينبغى أن يتمنى المرء لقاء العدو امتثالا للسنة لقوله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف خرجه البخارى وغيره فشأن المكلف امتثال الادب بترك الدعاوى وغيرها حتى اذا تعين عليه الامر استعان بربه تعالى وامتثل أمره مبتغيا بذلك مرضاته وما وعد عليه من جزيل الثواب لفاعله (وهذا) عام فى كل الاحوال دقيقها وجليلها فليكن المرء متيقظا لها فانه يحشر يوم القيامة على مامات عليه والجهاد مظنة الموت غالبا (ألاترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف قال علماؤنا رحمة الله عليهم معناه أن روح المؤمن تنقل من ذلك الموضع الى الجنة والتعلق بالله تعالى هو الاصل اهذا الاصل المتقدم ذكره وانما هى أسباب وبقى الامر الى الله تعالى ماشاء فعل فهو عز وجل القادر على النصر بسبب وبغير سبب (ألاترى) الى قوله تعالى ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى فنفى الرمى عن نبيه عليه الصلاة والسلام أولا بقوله ومارميت ثم أثبته له بقوله اذ رميت فانه عز وجل جمع لنبيه عليه الصلاة والسلام فى ذلك بين الحقيقة والشريعة أما الشريعة فلكونه عليه الصلاة والسلام أخذ كفا من تراب بيده الكريمة ورمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه وأما الحقيقة فلوصول ذلك التراب لاعين كل واحد من العدو حتى انه لم يقدر احد منهم أن يقلع عينه لامتلائها بالتراب وهذا شئ يعجز البشر عنه (وكذلك) كانت أفعاله عليه الصلاة والسلام لا بد فيها من امتثال الحكمة ثم يظهر الله سبحانه قدرته عيانا للخلق على يديه صلى الله عليه وسلم (ألاترى) الى ماجاء فى نبع الماء من بين أصابعه الكريمة فانه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ولم يمد يده دون ماء بل امتثل الحكمة بوضع يده الكريمة فى اناء فيه ماء ثم أمرهم أن يسقوا ويشربوا ويملؤا والماء يتفجر من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام من غير نقص من ذلك الماء (ومن ذلك) أمره عليه الصلاة والسلام بجمع مابقى مع أصحابه من الازواد حين فنيت فجمعت

وبارك فيها فأكل الجميع منها حتى شبعوا (ومن ذلك) فعله عليه الصلاة والسلام في قصة جابر بن عبد الله رضي الله عنه في الداجن الذي ذبحه والعجين الذي خبزه وكونه عليه الصلاة والسلام بصق فيهما وبارك ثم أذن لعشرة في الاكل ثم عشرة من بعدهم ممن كان يعمل في الخندق حتى أكل الجميع وشبعوا وكانوا ألفا والبرمة تفور كما هي والعجين يخبز كما هو (ومن ذلك) خروجه عليه الصلاة والسلام الى الجهاد فانه كان يعتد لذلك بجمع أصحابه وباتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاجون اليه من آلات الجهاد والسفر ثم اذا رجع عليه الصلاة والسلام تخلى من ذلك ورد الامر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده (فانظر) رحمنا الله واياك الى قوله عليه الصلاة والسلام وهزم الاحزاب وحده فنفى عليه الصلاة والسلام ما تقدم ذكره وهذا هو معنى الحقيقة لان الانسان وفعله خلق لربه عز وجل فهو سبحانه وتعالى الذي خلق ودبر وأعان وأجرى الامور على يد من شاء واختار من خلقه فكل منه وكل اليه راجع ولو شاء الله عز وجل أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل وقد نطق به القرآن العزيز قال سبحانه وتعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيثبت سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم (فعلى المكلف) الامتثال في الحالين أعني في امتثال الحكمة والرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والسكون اليه والنزول بساحة كرمه أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض الى غير ذلك مما جاء في هذا المعنى وهو كثير فقصده عليه الصلاة والسلام في كل ذلك يمتثل الحكمة أولا تأدبا مع الربوبية وتشريعا لامته ثم يظهر الله تعالى على يديه قدرته الغامضة الخبأة التي ادخرها له عليه الصلاة والسلام (وما) جرى له عليه الصلاة والسلام مما تقدم ذكره فهو جار لامته ببركة اتباعه صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما قد وقع مثل هذا كتكثير القليل وقلب الاعيان والمشي على الماء والطيران في الهواء وما أشبه ذلك مما هو معروف مشهور يقطع العذر ويوجب القطع بوجوده (وقد)

قال

قال علماؤنا رحمة الله عليهم كل كرامة ظهرت لولى فهى معجزة لنبيه عليه الصلاة والسلام اذ أنه ما حصلت له تلك الكرامة الا ببركة اتباعه عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذى بقيت هذه البركات فى هذه الأمة لا تنقطع وكيف لا والله تعالى يقول فى كتابه العزيز كنتم خير امة أخرجت للناس وقال عليه الصلاة والسلام لا تزال طائفة من هذه الامة قائمة على أمر الله ما يضرهم من خالفهم حتى يأتى امر الله وهذا عام فيما نحن بسبيله وفى غيره

(فصل) وينبغى للمجاهد أن لا يقاتل بنية اراقة دماء الكفار ليس الا بل يجاهد فى سبيل الله لما تقدم ذكره من نية اعلاء كلمة التوحيد واظهارها واخماد كلمة الكفر وابطالها (وينبغى) للمجاهدين اذا كانوا مع الامام أو فى سرية وادربوا بلاد العدو أنهم اذا صلوا الخمس يرفعون أصواتهم بالذكر ليرهبوا العدو بذلك وليقتدوا فيه بالسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين وفعل ذلك فى غير هذه الحالة على هذه الصفة بدعة وقد تقدم ذلك وما فيه كفاية والله الموفق والناصر والهادى لا رب سواه ولا مرجو الا اياه

(فصل فى آداب الفقير المنقطع التارك للاسباب وكيفية نيته وهديه)

قد تقدم أن الجهاد ينقسم على قسمين جهاد اصغر وجهاد أكبر وقد تقدم الكلام على الجهاد الاصغر وبقى الكلام على الجهاد الاكبر وهو عام فى كل الناس الا أن الفقير أحوج الناس اليه اذ أنه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على آخرته اشغله بربه واقباله على اصلاح نفسه وتنظيفها من الغيرفكل قلب فيه غير الله تعالى كان فى حيز المتروك المطروح وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلى والمخاطبة فى سره بما يليق بحاله وهذا مقام لا يعرفه الا أهله المختصون به (واذا) كان ذلك كذلك فيحتاج المريد الى مجاهدة عظيمة لكى يصفو قلبه ويتجهز لتحصيل الفوائد الربانية لعله أن يظفر بها أو بشئ منها فيحصل بذلك فى جملة السابقين وقاعدة الفقير أبدا الآبد لازال فى جهاد (فأول) جهاده جهاد الشيطان ثم جهاد نفسه (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان الجهاد ينقسم على أربعة أقسام جهاد بالقلب وجهاد باللسان وجهاد باليد وجهاد بالسيف اه وقد تقدم الكلام على الجهاد بالسيف وبقى الكلام هنا على باقى أقسام الجهاد

(فالجهاد بالقلب) جهاد الشيطان وجهاد النفس عن الشهوات والمحرمات قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى (وجهاد اللسان) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (ومن ذلك) ما امر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام به من جهاد المنافقين لانه عز وجل قال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير فجاهد صلى الله عليه وسلم الكفار بالسيف وجاهد المنافقين باللسان لان الله عز وجل نهاه أن يعمل بعلمه فيهم فيقيم الحدود عليهم وكذلك جهاده صلى الله عليه وسلم المشركين قبل أن يؤمر بقتالهم بالقول خاصة (وجهاد اليد زجر ذوي الامر أهل المناكر عن المنكر والباطل والمعاصي والمحرمات وعن تعطيل الفرائض الواجبات بالادب والضرب على ما يؤدي اليه الاجتهاد في ذلك ومن ذلك اقامتهم الحدود على القذفة والزناة وشربة الخمر (ثم) اول ما يحتاج اليه في مجاهدته الزهد في الدنيا لان محبتها والعمل على تحصيل لوامع وجود شغف القلب بها يعمي عن أمور الآخرة و يطمس القلب و يكثر فيه الوساوس والنزغات لان الشيطان وجد السبيل الى ذلك بسبب ما شغف قلبه بما تقدم لانها رأس كل خطيئة (وقد) مر عيسى عليه الصلاة والسلام برجل نائم في السحر فوكزه وقال له يا عبد الله قم فقد سبقك العابدون فقال يا روح الله دعني فقد عبدته بأحب العبادات اليه قال له عيسى عليه الصلاة والسلام وماذاك قال بالزهد في الدنيا قال له عيسى نم نومة العروس في خدرها اه (ثم) ان الزهد لا يقتصر فيه على الزهد في الدنيا ليس الا بل هو عام في كل الحركات والسكنات وضابطه ان كل حركة وسكون ونفس الى غير ذلك ينظر فيه فما كان لله تعالى فليمضه وما كان لغيره فليدعه (وقد) قالوا الزهد في فضول الكلام أفضل من الزهد في غيره (يشهد لذلك) قوله عليه الصلاة والسلام جوابا لاصحابه رضي الله عنهم لما أثنوا على رجل قد مات فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او كما قال عليه الصلاة والسلام (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى أقل فائدة في السكوت تسبيح الاعضاء اه فاذا كانت هذه أقل فوائده فما بالك بما هو أكبر منه ولو لم يكن فيه الا السلامة من عثرات اللسان لكان غنيمة عظيمة (وقد)

تقدم في أول الكتاب أن الأعضاء تصبح في كل يوم تناشد اللسان أن يسلمها من آفاته لأنه اذا عطب لم يعطب وحده بل تعطب كل الأعضاء بسببه (وقد ورد) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فوجده ممسكا لسانه فقال له عمر رضي الله عنه ما هذا قال هذا الذي أوردني الموارد فاذا كان الصديق رضي الله عنه يقول مثل هذه المقالة فما بالك بغيره (واذا) كان ذلك كذلك فليشمر الفقير الى سلوك هذه المفازة ليقطعها فانها عقبة كؤد ولا يجاوزها الا المشمرون أعاد الله علينا من بركاتهم (ثم) ان الزهد في الرياسة أعظم من الزهد في كل ما تقدم ذكره لان النفس والمال ينفقان في الرياسة والرياسة لا تنفق فيهما فالزهد فيها متعين (ثم) لا يظن ظان أن الرياسة انما هي في رتب الدنيا ليس الا بل هي عامة في رتب الدنيا والآخرة فمن كان عند نفسه شئ فهو عند الله لا شئ ومن كان عند نفسه لا شئ فهو عند ربه شئ ولاجل هذا المعنى قال بعض الشيوخ نفعنا الله تعالى به من رأى انه خير من الكلب فالكلب خير منه وما قاله بين الا ترى أن الكلب مقطوع له بأنه لا يدخل النار بخلاف من لم يقطع له من الآدميين فانه محتمل لاحدى الدارين فان كان هذا الآدمي من أهل النار والعياذ بالله فالكلب خير منه وان كان من أهل الجنة فلا شك أنه خير من الكلب (ولاجل) هذا المعنى حكي عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله وأعاد علينا من بركاته انه كان جائعا ووجد فضلة طعام على مزبلة فجعل يأكل منه واذا بكلب قد جاء فأكل من الناحية الاخرى ثم نبح الكلب على ابراهيم فقال ابراهيم لا تنبح علي ولا أنبح عليك كل من جهتك وأنا آكل من جهتي ان دخلت انا الجنة فانا خير منك وان دخلت النار فانت خير مني فمر بما منه رحمه الله تعالى بالمعنى المتقدم ذكره (وقد) قال الشيخ الامام ابو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى ان كانت نفسك في هذه الارض فسرك في سماء الدنيا فان نزلت الى الارض الثانية فسرك في السماء الثانية فان نزلت الى الارض الثالثة فسرك في السماء الثالثة فان نزلت الى الارض الرابعة فسرك في السماء الرابعة فان نزلت الى الارض الخامسة فسرك في السماء الخامسة فان نزلت الى الارض السادسة فسرك في السماء السادسة فان نزلت الى الارض

السابعة فسرك في السماء السابعة فان نزلت عن الارض السابعة الى ظاهر الثور الذي عليه قرار الارضين فسرك ناظر الى العرش اه (فقرر) رحمه الله انه بسبب التواضع وعلى قدر نزول النفس يسمو أمره ويعلو قدره فمن أراد الفوز فليعمل على اشارته يحظ بالسلامة (وأعني) بالزهد في مراتب الآخرة انه يعبد الله تعالى لوجهه الكريم لا لعوض قال الله تعالى يريدون وجهه وصاحب هذا الحال يرى نفسه انها ليست أهلا لشيء لاستحقاره نفسه وترك النظر اليها وصغارتها عنده لعظيم ماهي فيه من الخطر (وقد روي) أنه كان في بني اسرائيل رجل عابد مجتهد وكانوا يفضلونه على أنفسهم أعني من كان في وقته من العباد فأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن قل لفلان يعبد في ماشاء فهو من أهل النار فأصبح موسى عليه الصلاة والسلام فأخبر بني اسرائيل بذلك فتعجبوا وقالوا ليس فينا أحد مثله في العبادة والخير فبينما هم كذلك واذا بالرجل قد أتى فسلم وجلس فأخبره موسى عليه الصلاة والسلام بما قد وقع فقال أهلا بقضاء ربي ومضى لسبيله فلما جن الليل تطهر وصلى ركعتين وقال اللهم اني كنت أعبدك ولست عند نفسي أهلا لشيء والآن قد مننت علي وجعلتني أهلا لنارك فوعزتك لا ازال هذا مقامي بين يديك شكرا لك على هذه النعمة حتى ألقاك فلما أصبح من الغد جاء الى موسى عليه الصلاة والسلام فقال له موسى عليه الصلاة والسلام ان الله قد أوحى الي أن قل لفلان يفعل مايشاء فهو من أهل الجنة لازدرائه بنفسه (وقد) حكي ان ابراهيم بن أدهم رحمه الله ونفع به عذله بعض الناس في كونه لم يجلس اليهم ويحدثهم حتى يأخذوا عنه العلم لانه رحمه الله من أفاضل العلماء والمحدثين فقال شغلني أربع لو فرغت منها لجالستكم وحدثتكم فقالوا له وماهي فقال افتكرت في نزول الملك لتصويري في الرحم وندائه يارب اشقي ام سعيد فما اعرف كيف يخرج جوابي الثانية اني افتكرت في نزول ملك الموت لقبض روحي وندائه يارب اقبضه على الاسلام ام على الكفر فما أعرف كيف يخرج جوابي الثالثة اني افتكرت في قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فما اعرف في أي الفريقين أمتاز الرابعة اني افتكرت في المنادي الذي ينادي حين حصول أهل

الجنة في الجنة وأهل النار في النار يا أهل الجنة خلود لا موت فيها ويا أهل النار خلود لا موت فيها فما أعرف في أي الدارين أكون اه (فمن) كان يتقلب بين هذه الاحوال كيف يقرله قرار أو يأوي الى عمران واغاهي غفلات والمريد متبرء من الغفلات متيقظ لما بين يديه من الامور القاطعات ناظر للناس نظر عموم يراهم هلكى فيرحمهم ويستغفر لهم قد شمر عن ساعده خوفا منه أن يلحقه ما لحقهم اذ أن الدنيا لولا الحمق ما عمرت وطول الامل في الانسان من أكبر الحمق والمريد ناظر الى زمانه وهو ينقسم على ثلاثة أقسام ماض ومستقبل وحال فان نظر الى الماضي فهو كندب الاطلال بطالة لا تغني ولا فائدة فيها وان نظر الى المستقبل فالقدر ليس بيده والحياة ليست بحكمه فلم يبق الا النظر في الحال والنظر في الحال هو ما قاله بعض الشيوخ رحمه الله تعالى الفقير ابن وقته انتهى لان الموت متوقع مع الحركات والسكنات والانفاس فاذا خرج منه نفس فقد لا يرجع اليه واذا رجع اليه فقد لا يخرج منه (واذا) كان ذلك كذلك فقد ارتفعت عنه الكلف والنظر في الملبس والقوت والمسكن وغير ذلك من الضرورات البشرية اذ أن نفسا واحدا لا ثمن له ولا يعتبر أمره في الاقامة في الدنيا اذ أن من صار حاله الى ما تقدم ذكره وهو أن الموت نصب عينيه فقد انقطعت فكرته وهمومه وحسراته في كيفية موته على الاسلام وفي قبره ووحشته وجوابه حين السؤال فيه وما بعده من الاهوال العظام فأي راحة تبقى ان هذا حاله وفكرته (كما حكي) أن انسانا جاء لبعض اخوانه يزوره فوجده وحده وهو يلتفت يمينا وشمالا وخلفا وأماما فقال له الزائر ان تلتفت فقال أنظر الملك الموت من أي ناحية يأتيني (وقد) جاء بعضهم الى شيخ له ليزوره وكان قد لقيه بعض أصحابه فعزم عليه فقال اني صائم فاعطاه سبع تمرات أو لوزات على انه يفطر عليها فربط ذلك في طرف كسائه فلما دق الباب وخرج له شيخه ليسلم عليه قال له الشيخ ما هذا الذي في طرف كسائك فاخبره بما جرى فقال له الشيخ وأنت تظن أنك تعيش الى الغروب والله لا كلمتك بعدها أبدا (ولاجل) هذا المعنى قال سيدي أبو مدين رحمه الله تعالى ونفع به عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا عليك اه وها هو ظاهر بين فمن كان

حاله على ما تقدم وصفه فلا راحة له دون لقاء ربه (وقد) ورد في الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنص الصريح على ما نحن بسبيله حيث قال
عليه الصلاة والسلام لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه ومعنى ذلك والله تعالى
أعلم ان المؤمن ما دام هو في دار التكليف لا يزال في مكابدات وأهوال
واخطار حتى يخرج منها فيلاقي ربه عز وجل فيرى ماله عنده من الكرامات
فحينئذ تحصل له الراحة الحقيقية الدائمة التي لا انفصام لها (وقد) ذكر الشيخ
الامام القدوة المحقق يحيى بن رزق رحمه الله تعالى ونفع به في حال الفقير
وزهده ما هذا لفظه (اعلم) ان الناس في الزهد على طبقات فمنهم آخذ وهو
تارك ومنهم تارك وهو آخذ وانما يصح هذا الامر ان ترك الدنيا
وزهد فيها بعد قدرته عليها (ومن الناس) من يكون مصليا نائما وآخر نائما
مصليا ومفطرا صائما وصائما مفطرا وكاسيا عاريا وعاريا كاسيا وانما ذلك
كله على تصرف ارادة القلب وتصحيح النية وفساد ارادة القلب وفساد النية
والسلامة من الكسب الخبيث والقول الخبيث وفي هذا كلام كثير الا ان
من صدق أبصر وتحقق ذلك وينبغي للعالم بالله وبما أمره الله تعالى به ونهاه
عنه أن يكون قد ملأت قلبه عظمة الله تعالى فاشتغل بالقيام بحق الله
تعالى عن كل فضول الدنيا من الاكل والشرب واللباس والبنيان
والمركب والازواج والاولاد والخدم وان كان فيهم من له الزوجة والولد
وأشياء مما ذكر لم يأخذ ذلك على الرغبة ولم يشغله عن فهم وعد القرآن
ووعيده (واعلم) ان القوم لما وصلوا الى ما وصلوا اليه لم يغتروا بدار الغرور
ولم تكن لهم رغبة الا خوف فوات ما شوق اليه وعد القرآن ووعيده من
الخلود في دار النعيم أو دار الهوان ان في هذا البلاغا لقوم عابدين اغاد عالى
دار السلام من خلقها وزينها وجلاها انفض أيها المريد الغمرات شوقا الى
نعيمها وأجب الداعي الصادق الوفي الى ما وعد ودعاك اليه فانه قد حذرك
نفسك وهواك وأنذرك حلول دار سخطه والخلاص من ذلك كله والوصول
الى نعيم دار الخلود رفض المحبوب من اتباع الهوى فارفضه واجعل الموت
ضجيعك والزهد قرينك والجد سلاحك والصدق مركبك والاخلاص
زادك والخوف من الله على مقدمتك والشوق الى الجنة صاحب لوائك

والمعرفة

والمعرفة على ميمنتك واليقين على ميسرتك والثقة على ساقتك والصبر امير
جندك والرضى وزيرك والعلم مشيرك والتوكل درعك والشكر خليلك ثم
انفر الى عدوك وصافقه بجميع ما ذكرت لك وطب نفسا عن دار الهموم
والاحزان الى دار البقاء والسرور مع الخيرات الحسان والله المستعان
والحمد لله رب العالمين

(فصل) ثم قال رحمه الله فلينظر العبد الى الله تعالى فى كل أمره فانه من
نظر الى نفسه أو الى أحد من المخلوقين بأمل رجاء منفعته كان عزوبا لقلبه
عن الله وكان منقوصا عن منزلة الواثقين المؤيدين وقد قال الله عز وجل
لداود عليه السلام ياداود انى قد آليت على نفسى أن لا أثيب عبدا من
عبادى الا عبدا قد علمت من طلبته وارادته والقاء كنفه بين يدى انه لا غنى
له عنى وانه لا يطمئن الى نفسه بنظرها وفعالها الا وكلته اليها أضف
الاشياء الى فانى أنا مننت بها عليك (واعلم) ان العباد انما تفاوتوا وتباينوا
فباختيارهم نظر الله تعالى على اختيار أنفسهم زادهم ذلك سرعة وقربا من
معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم وبالسهو عنه واختيارهم نظر أنفسهم
على نظر الله تعالى زادهم ذلك بطاء وبعدا من معونة الله تعالى لهم وصنعه
وتسهيله عليهم فكن فى نظرك الى ربك ناظرا بأن لا تؤمل غير صنعه ولا ترجو
غير معونته واثقا باختياره فان ذلك أقرب وأسرع فى معونته لك فان الذين
قلدوا أمورهم ربهم ووثقوا به ولجئوا اليه قد أماتوا من قلوبهم تدبير أنفسهم
وجعلوا الامور عندهم أسبابا مع قيامهم بها والمحافظة عليها فاولئك ذهبوا
بصفو الدنيا والآخرة لسكون قلوبهم اليه فوجدوا بذلك الروح والراحة
فهم حماة الدين والعلماء بالله قد فاقوا على من سواهم باطمئنانهم به وسكونهم
اليه فأوجب لهم صنعه وأقام قلوبهم على مناهجه فما تقلبوا فيه من الامر
فعلى الرضى والطمأنينة ومن سواهم من الخلق فى مؤنة وتعب من أنفسهم
حيث اختاروها وتوكلوا عليها فأورثتهم الهم والغموم وأما أهل
العبودية لله فهم الذين قلدوه أمورهم وخرجوا عن طباع العباد لما تبين
لهم من خطا من اختار نفسه فجعلوا اختيارهم الرضى بما صيرهم اليه مولاهم
من أمورهم فزالت الغموم عن قلوبهم فأوجب لهم الصنع والتوفيق فى
أحوالهم وأورثهم الغنى والعز فى قلوبهم وسد عنهم أبواب الحاجات الى

المخلوقين وأتتهم لطائف الله من حيث لا يحتسبون وقام لهم بما يكتفون به ونزه أنفسهم عما سوى ذلك اكراما لهم عن فضول الدنيا وطهارة لقلوبهم عن التشاغل بما أغناهم عنه فصنهم من كل دنس وأمشاهم في طرقات الدنيا طيبين موالين له فهم في السموات أشهر منهم في الارض ولأصواتهم هناك دوي ونور يعرفون به ويحبون عليه وقد رفع أبصار قلوبهم اليه فهي ناظرة اليه بتلك القلوب غير محجوبة عنه بلا ادراك منهم لصفة ولا صورة ولا حد ولا احاطة منهم به سبحانه ولكن كيف شاء لهم ذلك فأحبهم وحببهم الى ملائكته وسائر خلقه وقد قال الله تبارك وتعالى يا داود تفضل على عبادي أكتبك من أوليائي وأحبائي وأباهي بك حملة عرشي وأرفع الحجب بيني وبينك فتنظر الى ببصر قلبك لا أحجبك عن ذلك ما كنت مستمسكا بطاعتي (وذكر) عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه انه قال قل لأهل محبتي يشتغلوا بي فاذا علمت أن الغالب على قلوبهم الاشتغال بي والانقطاع الي كان حقا علي أن أرفع الحجب بيني وبينهم ينظرون الي بأبصار قلوبهم فهم يتنعمون بذكري قد أغناهم ذلك عن كل نعيم من نعيم الدنيا والآخرة (فهؤلاء) قد ملأ الله أسماعهم وأبصارهم وجوارحهم من حبه فأدبوا أنفسهم بالعبودية له والدخول في محبته وذلك ان تأديب الرجل نفسه في مطعمه ومشربه وملبسه يزيد في صلاح قلبه وتنقاد جوارحه لقلبه ويقوى عزمه ويقهر هواه فيقوم عند ذلك مقام أهل القوة الى أن يرفعه الله الى منزلة فوقها حتى يستوي عنده الاخذ والترك فلا يأسفوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما أتاهم للغنى الذي وقر في قلوبهم يزدادون له محبة ومودة وشكرا له في العلم به والمعرفة به فعند ذلك رقت قلوبهم وانقادت أهواؤهم الى ما قل من الدنيا وكفى فهي لا تطلع الى غير ذلك ناظرين الى ربهم في أمورهم كلها لا الى الاسباب نظرهم من غير تفريط في اقامة الاسباب الخالصة من أعمال البر فان لبسوا خشنا أو لينا أوحسنا أو قبيحا أو أكلوا طيبا أو كريها أو حلوا أو مرا أو حامضا أو قليلا أو كثيرا لم يغير ذلك من قلوبهم من الحال التي هي عليها من ذكر ربهم وتعظيمه وذلك ان قلوبهم عامرة من ذكر الخالق وليس لشيء سواه في قلوبهم ثبوت الا بالخاطر من غير أن يرسخ أو يثبت فلم يقم الناس مقاما

أشرف من أن يعلقوا قلوبهم بربهم ولا أولى بهم من ذلك لانهم أشدّ الناس
محافظة على جمع همومهم فى صلاتهم وجميع ما يتقربون به من ربهم ان قاموا
عرفوا بين يدى من هم قيام له وكذلك ان ركعوا وسجدوا أو تلوا القرآن
أو دعوا ربهم لا تعزب قلوبهم عن ذلك فبه زكت أعمالهم وصوّبت
عقولهم فهو يتعاهدهم بلطفه ويسوسهم بتوفيقه فقل عند ذلك خطأهم
وكثر صوابهم فمن كان يريد الدخول فى محبة طاعة الله فلا يكن له ثقة
الا الله ولا غنى الا به ولا أمل غيره يرجوه ويتخذه وكيلا فى أموره كلها
راضيا بقضائه فيما نقله اليه من أموره راضيا باختيار الله له متهما رأيه
ولما تسول له نفسه مسلما راضيا عن الله غير متحير ولا متململ فيما أحدث
الله من مرض أو صحة أو رخاء أو شدة مما أحب أو كره وليكن قلبه بذلك
راضيا الموضع الثقة بربه وحسن الظن به (فاذا) كان العبد كذلك ورث
الله قلبه المحبة له والشوق اليه وصار الى منزلة الرضى بما كفاه وحماه من
الدنيا وان قل وأخرج من قلبه مطامع المخلوقين فاستغنى بالله فجعله الله من
أولى الالباب ثم ألهمه مولاه علما من علمه فعرفه ما لم يكن يعرفه وعلمه ما لم
يكن يعلمه فعن الله أخذ علمه وبأمر الله جل ذكره تأدب فطهرت أخلاقه
لما آثر أمر الله ولجأ اليه فتمت عليه نعمة الله فى الدنيا والآخرة فاولئك
المحبوبون فى أهل السموات المعروفون فيما خفى أمرهم على أهل الارض
وظهر أمرهم لاهل السموات لكلامهم هنالك دوى ولبكائهم حنين تفتح
له أبواب السماء من سرعة فتحها الاجابة لدعائهم فأعظم بهم عند الله جاها
ومنزلة وأعظم بهم خوفا من الله وحسن ظن به فهم مسرورون بربهم قريرة
أعينهم طربة قلوبهم بذكره مشتاقة ساكنة مطمئنة اليه قد تقدموا
الناس وانقطع الناس عنهم وأشرفوا على الناس واشتغل الناس عنهم فحجبوا
من الناس وحجب الناس منهم انقطعوا الى الله بهمومهم وأهوائهم وعلقوا
به قلوبهم ولجؤوا الى الله لجأ المستغيثين به المتوكلين عليه قد تخلصت اليه
عقولهم بالمودة فانزلوا نفسيا انه معصية محرمة عليهم فقبلهم واجتباهم
ونعمهم وخصهم وكفاهم وآواهم وعلمهم وعرفهم وأسمعهم وبصرهم وحجبهم
عن الآفات وحجب الآفات عنهم وأقامهم مقام الطهارة وأنزلهم منازل

السلامة واقام قلوبهم بذكره فلم يريدوا به بدلا ولا عنه حولا وصبابة لديه
وطربا واشتياقا اليه قد اذاقهم من حلاوة ذكره والعقهم من لذاذة مناجاته
وسقاهم بكاسه فهم والهون به ليس لهم مسكن غيره تضطرب قلوبهم عند
فقده حتى ترجع الى موضع حنينها يحتملون الاشياء له ولا يحتملون شيئا من
غير امره ولهم فى كل يوم وليلة منه هدايا جديدة فتارة يغلب على قلوبهم تعظيم
ربهم وجلاله وتارة يغلب على قلوبهم قدرته وسلطانه وتارة يغلب على
قلوبهم آلاؤه ونعماؤه وتارة يغلب على قلوبهم تقصيرهم عن واجب حقه
وتارة يغلب على قلوبهم رأفته ورحمته وتارة يصيرون الى حنينه ولهم فى كل
تارة دمعة ولذة وفى كل دمعة ولذة فكرة وعبرة وقلوبهم فى كل فكرة وعبرة
مهتاجة طربة هائمة لذكر الله مشتغلة به عما سواه فهم يسقون من كل
تارة مشربا سائغا يذيقهم لذته ولهم فى كل مقام علم زيادة يعرفهم ما يحدث لهم
فى قلوبهم من الزيادة فلو رأيتهم وقد انقطعت آمال الخلق عنهم وافضوا الى
الله جل ذكره بجميع رغباتهم وانزاحت الاشياء الشاغلة عن قلوبهم
فصمت عنها اسماعهم وانصرفت ابصار قلوبهم اليه فلهت به عما سواه
حتى اذا جنهم الليل وزجرهم القرآن بعجائبه من وعده ووعيده واخباره
وامثاله شربوا من كل نوع كاسا من الزجر والتحذير والاخبار والامثال
والوعد والوعيد ووجدوا حلاوة ما شربوا حتى اذا صفا يقينهم ارتفعوا الى
عظمة سيدهم وجلال مولاهم خضع كل عضو منهم لله وخشعت كل جارحة
منهم لسكونهم اليه غير منتشرة عليهم همومهم بل كل ذلك لذاذة لاستماعه فقد
كشف لهم القرآن عن اموره وكشف لهم عن عجائبه ودلهم على باطن
علمه فيفهمونه فيسمون به الى جلال سيدهم ووقاره حتى اذا اتقدت الانوار
فى قلوبهم وتمكن اليقين من اجوافهم وحنت القلوب لحنينها وضاقت عن
احتمال ما هجم عليها هاج منهم ما لا يملكون امساكه فلما بلغ الامر منهم
مداه وانتهى كل شئ منهم منتهاه اقبل عليهم ربهم جل جلاله بالطمأنينة
والسكون فلولا حسن سياسته لهم ونظره ولطفه بهم ما رجعت اليهم
عقولهم ولا ثبتوا معارفهم ولا سكنوا منازلهم للذى هجم على ابصار
قلوبهم من عظمة سيدهم فهم يزدادون له ذكرا ومودة ومحبة فى كل ما امتحنهم

به

به من أمر الدنيا والآخرة فقد أعرضوا عن كل نعيم عاجل أو آجل واشتغلوا
عن النعيم بذكر مولاهم وكل ذلك منة منه وتفضل عليهم فهم أدلاء لعباده
وأعلام في بلاده وحجته على خلقه وخلف الأنبياء وودائع علمه فيهم ينزل
الغيث وبهم يصرف العذاب وبهم ينصر على العدو فهم بركة بين ظهرانينا
يحبون الله ويحبون ذكره أقاموا مشيئتهم فيما وافق محبة ربهم يغضبون
لغضبه ويحبون لمحبته فهو يسوسهم بسياسته ويوفقهم بتوفيقه يأتيهم
العون من الله تعالى في كل حال يرجون الخالق برحمة ربهم ويؤملون فضله قد
أزال عن قلوبهم المطامع وأسكنها الغنى فاكتفوا بجزاهم وبلغوا بالغهم
فهم القانتون الراهبون السائحون الراغبون المحبون لله الذين فكروا
في قدرته وعملوا في محبته حتى ورثوا الرهبة ثم ورثوا الرغبة ثم ورثوا الشوق
ثم رفعهم إلى منزلة لم يكن لهم فيها رغبة ولم يكن لهم فيها غير ربهم همة غلبت
المحبة على قلوبهم واستولت على عقولهم وأهوائهم فبنوا على ذلك أعمالهم
وصيروا فيه جميع رغباتهم ثم رفعهم إلى مزيد فوائده فهم أولياء الله حقا منهم
المرسلون والنبيون والصديقون والشهداء والصالحون فاقوا أهل السماء
وأهل الأرض لشدة حبهم لربهم فما أصابوا من الدنيا لم يصيبوه على جهة
ما يصيبه أهل الدنيا من التلذذ والطرب إليه والاشتغال به والتفكه إنما
يصيبونه على موضع التقوية على عبادة ربهم وودوا لو أنهم أكلوا من الدنيا
أكلة واحدة تكون آخر زادهم منها لاكتفوا بما قل فلما أعطوا الله ذلك
من قلوبهم ضيق أمعاءهم وأسقط عنهم شهواتهم واكتفوا باليسير من المطعم
فعند ذلك خفت عليهم مؤونة الدنيا فلم ينافسوا فيها أحدا فتلك حالاتهم في
المطعم والملبس ما تهيأ أكلوه ولبسوه ليس لهم تخيير ولا تلذذ في أخذ ولا ترك
خوف الشهوات والاشتغال عما هم فيه فأسكن الله في قلوبهم من معرفته
وحبه ما أذاب كل مودة لأهل أو ولد أو مال فإن عرض من ذلك في قلوبهم
عارض فخاطر من غير ثبوت فيها وورثوا نور الهدى فأبصروا مواضع حيل
إبليس ومكره فكسروا عليه كيده ولبسوا عليه أمره ودلوا الناس على
مواضع مكره فهم نصحاء الله في عباده وأمناؤه في بلاده ثم أسكن محبتهم في
ملكوت السموات في عليين فأحبهم وحببهم إلى ملائكته (فأحيوا) قلوبكم

أيها المريدون بالذكر وأميتوها بالخشية ونوروها بحب لقاء الله وفرحوها بالشوق اليه واقمعوها بالمناصحة (واعلموا) انكم بالمحبة ترتفعون وبالمعرفة ترهبون وبالشوق ترغبون وبحسن النية تقهرون الهوى وبترك الشهوات تصفو لكم أعمالكم وتؤثرون ربكم وحده حتى يؤثركم ملكوت السماء في عليين فمن كان منكم مريدا للراحة فليعمل في منازل أهل محبة الله جل ذكره بعزم وارادة قوة وهي الدرجات السبع التي تنتقل فيها بنو آدم حتى يصيروا الى المعرفة والعلم وهي الدرجات التي أرسل الله جل ذكره عليها الرسل ثم الانبياء الذين لم يأتهم الوحي مع جبريل ولا غيره من الملائكة انما يكون ذلك بالالهام من الله عز وجل والعوائد وانما ورث ذلك الانبياء من المرسلين الذين خصهم الله برسالته ثم ورث ذلك بعد الانبياء الصديقون فاقتدوا بهم وجدوا في آثارهم فانه لم يحكم هذه الدرجات السبع الا رسول أو نبي أو صديق أو بدل من الابدال الذين جعلهم الله أوتاد الارض فسقي بهم الغيث وأنزل على العباد بدعائهم الرحمة وصرف عنهم بهم السوء فمن كان مريدا للعمل في هذه الدرجات والاقتداء بالمرسلين والنبيين والصديقين في سيرهم فليرفض الدنيا من قلبه حتى لا يكون فيه منها علاقة تشغله عن ربه فانه من تعلق قلبه بشيء منها اشغله حتى تغلب عليه فليبدأ برفض الدنيا وطرحها من قلبه حتى لا تعدل عنده قدر جناح بعوضة فانها عند الله عز ذكره بتلك المنزلة وأصغر

(فصل) قال رحمه الله فاول ما يبدأ به ويتناول من الدرجات السبع درجة المعرفة وهو أن يعرف ربه كما ينبغي له من حيث تعرف اليه ربه فقد تعرف الى خلقه بخلقه اياهم وتدبيره فيهم وبصفته بما وصف به نفسه فانه غفور رحيم لمن أناب اليه وطلب رضاه وانه شديد العقاب لمن كذب به وكذب عليه وكذب رسله وعصاه (واعلم) ان من لم يحكم أمر المعرفة لم يدرك ما سواها من العلم والعمل ولا من الدرجات التي ذكرنا ولا تكون المعرفة حتى تثبت في القلب باليقين الراسخ فاذا كان ذلك كذلك كانت الاعمال الصالحة على قدر المعرفة فان قصر في المعرفة كان في العمل أشد تقصيرا وضعفا النية ولم يجد السبيل الى بلوغ تلك الدرجات ومن عرف الله علم أنه قائم على قلبه بما

كسب وانه معه يراه وينظره في جميع أحواله فاذا علم ان ذلك كذلك لم يكن شئ أحب اليه من رضاه ولقائه ولا أبغض اليه من معصيته وبقائه وان أحب البقاء في الدنيا لم يحبه الا للعمل بطاعته (ولينظر) المريد للمعرفة في أسماء الله ويتدبرها حتى يعرفه بها ويدخل ذلك قلبه فانه يورث قلبه بذلك العلم وهي الدرجة الثانية (فاذا) كان عالما به علم انه لا يقبل منه الا ما أمره به ونهاه عنه وعلم ان ذلك عنده ينشطه للعمل الصالح (ثم) يورث قلبه بعد ذلك الخشية وهي الدرجة الثالثة درجة التقوى لقول الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وهي مراقبته في السر والعلانية (فاذا) دخل في هذه الدرجة استقل كل ما يعمله لله جل ذكره فعند ذلك لا يألو جهدا ولا اجتهادا ولا عمل (فاذا) وصل العبد الى ذلك ودأب على عمله فيما يرضي ربه نظر الله اليه بالرحمة فعند ذلك يورث قلبه الحب له وهي الدرجة الرابعة (فاذا) صار الى هذه الدرجة آثر حب الله على جميع حب خلقه وأحبه الله وحببه الى ملائكته الذين حول عرشه والى ملائكة السموات كلها وأهل الارض ومن فيها وبسط حبه على الماء فلا يشربه أحد من جميع خلقه الا أحبه ولا يزداد في عمله الا جدا واجتهادا فورث قلبه بعد هذا الشوق اليه والحب للقائه وهي الدرجة الخامسة (فيكون) بمنزلة العاشق قد غلب على قلبه الذكر لله وشغل عن كثير من العمل ما خلا الا الفرائض واجتناب المحارم ويكون في ذلك الحال أقوى من كل عامل في الدنيا وأرفع منزلة لانه لم يتفرغ قلبه من ذكر ربه طرفة عين لا نائما ولا قائما ولا آكلا ولا شاربا والله لا ينسى من ذكره فلو تركه الله عز وجل على تلك الحال لذاب كما يذوب الملح في الماء ولما انتفع بشئ من أمور الدنيا حتى يموت تشوقا الى الله الا انه اذا رآه الله على تلك الحال من عليه بالطمأنينة وهي الدرجة السادسة (فيطمئن) قلبه حتى يكون كأنه معاين له وكأنه بين يديه فيكون هو مستودعه وانيسه وسائسه ودليله فعند ذلك يورث قلبه الغنى ولا يحتاج الى غيره فيكون معظم دعائه للخلق بالصلاح وصرف السوء عنهم حتى يصير بمنزلة الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويستغفرون لمن في الارض فعند ذلك لا تسقط له دعوة وهي الدرجة السابعة (فاذا) صار الى تلك الحال لم يتفوه

بشئ من حوائجه اذا خطرت بباله تصير بين يديه وما أراده منها يأتيه من غير أن يدعو بشئ خطر على باله لطفا من الله وتعاهدا منه حتى يعجب من لطفه ونظره وصنعه فيكون قوله عدلا وفعله رضى فالحمد لله الذى من والاه نعمه وأغناه والحمد لله رب العالمين اه

* (فصل فى الرياء) * اعلم وفقنا الله واياك ان آكد ما على المريد فى ابتداء أمره التحفظ على نفسه والتحرز من الآفات التى تعتوره فيما هو بصدده اذ أن العوائق كثيرة ظاهرا وباطنا فقد يكون ذلك سببا لمنع الوصول الى ما تقدم ذكره فيأخذ نفسه أولا بالجد والاجتهاد فى التحرز مما ذكر ليسلم له ما تقدم وصفه (فأول ذلك) أن يتقى الرياء والعجب والشهرة والكبر لانه سم قاتل أدنى الاشياء منه يحبط الاعمال كلها وقد يخفى فى بعض الاحوال لانه أخفى من دبيب النمل كما ورد (لكن) يتبين أمره وتظهر آفاته بما ذكره الشيخ الامام يحيى بن رزق رحمه الله (وهو) أن قال أصل العبد لم يزل مذ نشأ مرائيا فى جميع أحواله وذلك لميله الى الدنيا وايثاره اياها على الآخرة واهماله نفسه وارساله نيته فلما أهمل نفسه وقلت محاسبته اياها لم يتخلص من الرياء فعمل للدنيا على غير أصل نية ثابتة وقد نهى الله عن اهمال النفس وتضييع الاعمال فقال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فنهاهم عز وجل عن اضاعة الاعمال فلا يكون عمل من الاعمال الا عن ارادة ولا تكون الارادة الا عن نية وقد نهى الله تبارك وتعالى عن اضاعة شئ من ذلك وأى عمل أكبر من الارادة والنية وقد وجدنا الانسان لا يخلو من حركة أو سكون والحركة والسكون جميعها عمل وقد نهى الله عن تضييع العمل فلما ترك ما أمره الله به من اخلاص العمل لم يميز بين الرياء وغيره وأمرج نفسه فعمل على ما يخطر بباله وجميع ما يتقلب فيه رياء محض ظاهر لا يعرفه هو من نفسه ويعرفه منه من نور الله الحكمة فى قلبه فهم يرون فعلهم فعل أهل الرياء فمنهم من يمسك عن صاحبه لمعرفته به ولو أنه أبدى اليه شيئا من عيوبه لنفر منه وذب عن نفسه وأبطل ما نسبه اليه فصار عدوا مشاحنا وأقل ما يقول للعارف بعيوبه حسدتنى فلما علم الحكيم أهل زمانه وان زمانه زمان غلبة الهوى واعجاب كل ذى رأى برأيه

أمرج نفسه تركها ترعى على هواها اه

اعتزل بنفسه ونفر عن العامة وعلم أنه زمان قد صار المعروف فيه عند أهله منكرا وان الشر قد احاط بالخير واعتزل أهل زمانه بصدق الارادة فلما تبين له الصدق ومافيه وان العمل لا يصفو الا بالصدق اتقى الكذب وفنونه كلها وتشوقت عند ذلك نفسه الى الكذب والرياء لحلاوة فنونه عندها فأخذها بالجد والاجتهاد في ترك ذلك فلما رأت ذلك منه رجعت منقادة فلما صارت الى تلك الحالة ورأى العبد ذلك منها ازداد الى الصدق تشوقا وازداد للكذب مقتا وانما كان ينفر الصدق وفنونه من قلبه لغلبة الكذب وفنونه عليه وهو الرياء والعجب وحب الرياسة واتخاذ المنزلة عند المخلوقين والمحمدة والعزة والتعظيم والتخيير في الاعمال الكاذبة فمن عمل بالصدق واتقى الكذب برئ من الرياء والعجب ودواعي الشر كله فاذا خلا من ذلك ثبت الصدق وفنونه في قلبه (قال) بعض الحكماء ان الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع منه أتاه من وجه النصيحة ليستدرجه فلا يزال به حتى يلقيه في بدعة فان امتنع عليه أتاه من جهة الحرج والشدة ليحرم حلالا أو يحل حراما فان امتنع عليه أتاه من قبل الوضوء فيشككه في وضوئه وصلاته وصيامه حتى يعتقد بهواه أمرا يضل به عن السبيل ويدع العلم فاذا قدر منه على شئ من ذلك خلى بينه وبين العبادة والزهد وقيام الليل والصدقة وكل أعمال البر ويخفف ذلك عليه وربما كايده الشيطان من الردة فيقول له ابليس دعه لا تصده عما يريد فانما بأمري يعمل فاذا نظر اليه الناس في عبادته وزهده وصبره ورضاه بالذل قالت العامة ومن لا علم له هذا عالم مصيب صابر فيتبعونه على ضلالته ويعد له ابليس الصوت فيعجب بعمله فيكون فتنة لكل مفتون ومن علامته الاعجاب برأيه والازراء على من لا يعمل مثل عمله ويكون نظره للناس بالاحتقار لهم ويتغضب عليهم في التقصير به (وقد) روى في العلم احذروا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاسق فان فتنتهما فتنة لكل مفتون (واعلم) يا أخي ان العبد اذا اراد أن يعمل العمل بالرفق قال له العدو ان العمل بالخير لا ينفعك حتى تدع الشر كله وتزهد في الدنيا وتعتزل عن الناس فاعرف نفسك واصلح عيوبك والذي عندك أكثر واعظم من ان يصلحه كذا سريعا ويعظم عليه الامر

الصوت والصات والصيتة والصيت واحد ومعناها الذكر بخير اهـ

حتى يكاد يقنط وينقطع عن العمل وان كان في يديه دنيا عرض له بحسن
الظن والرجاء والتسويف وطول الامل فان أجابه الى هذا الباب قطعه عن
البر وشغله بالدنيا وشهواتها وان رد ذلك عليه وقال التوبة قال صدقت
لعمري لقد فرطت وأخاف أن يدركك الموت فعليك بالجد والاجتهاد ولا
تريد أن تقصر فيلزمه أشد العبادة فيثبت أو ينقطع أو يذهب عقله فان
اشتهر بذلك عند الناس ألقى اليه طول الامل وخوفه قلة الصبر ويقول له
لك بالناس أسوة فيبغض اليه العبادة ويثقلها عليه ثم يقول له ان الناس قد
عرفوك بالعمل فلا تبد لهم التقصير ودع نفسك في السر ويعرض له بغذائه
الاول من الشهوات التي كان يصيبها فيميل اليها ويرجع الى حالته الاولى
وصار عمله علانية رياء لا ينفعه شيء وعلامة ذلك أن يستحلي الكلام في الزهد
وما يزينه عند الناس ويحبب اليه مجالسة الناس فتصير عبادته وزهده
كله بالكلام (فالعالم) عرف ضعف نفسه وعرف زمانه وقلة الاعوان فيه
على الخير وكثرة الاعداء فأخذ الامر بالرفق والاستعانة بالله وطلب صفاء
الاعمال والاخلاص فيها وان قلت الاعمال وطلب مخالفة الهوى ونقل
الطباع بالرفق وموافقة السنة وأخرج الناس من قلبه وقصد جهاد نفسه
ومحاربة الشيطان والمعاندة للهوى بالخلاف لما يدعون اليه فان الله جل
ثناؤه قد جعل لكل مكيدة من مكائد الشيطان سلاحا يدفع به تلك المكيدات
(وينبغي) للعابد أن يعرف نزغات الشيطان من أين تأتيه وما تهواه النفس
فان الشيطان لا يصل الى العبد ولا يقدر عليه الا من قبل موافقة الهوى فاذا
بدأ العبد بنفسه ومحاربتها وبهواه فأماته هان عليه الشيطان (واعلم) يا أخي
ان هذا الدين متين فان أنت وغلت فيه بالرفق أمكنك وشر السير الحقحقة
وقليل تدوم عليه خير من اجتهاد يقطعك فانك لم تر شيئا أشد تواليا من
القاري اذا تولى (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يتعوذ من
الحور بعد الكور (وكانوا) يحبون الزيادة ويكرهون النقصان (وينبغي)
للعابد أن يكون حذرا من مخالفة السنة فان من خالف السنة خالف الحق
ومن خالف الحق هلك (فأت) العلماء والزم أدبهم فان رأيتهم يقصرون في
بعض ما يقولون فلا تزهد فيهم واقتد بذي البصيرة منهم والبصر ومن يوافق

الحقحقة السير بعنف والحور كالنقص ومعناه والكور بوزن الزيد ومعناه اه

قوله

قوله تعالى (وذلك) انه يروى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه قال
عقول الرجال على قدر أزمنتهم فاذا نقص العقل نقص البركة فاعرف نفسك
في زمانك (واعلم) ان الزهد والعبادة والعلم المعمول به في هذا الزمان قليل
واذا كان من يتشبه بالعلماء لا يصبر على نزول المحن فكيف يصبر الجاهل على
نزولها واذا كان من يتشبه بالزهاد لا يصبر فكيف يصبر الراغب في الدنيا
والعالم من أهل هذا الزمان من شدة الصبر خرج والجاهل من شدة الصبر حرج
وأما العالم الصادق الذي استوجب اسم العلم على الحقيقة فانه يكره من علمه
بالله أن يظهر بلسانه أو بيده أو بجوارحه أكثر مما في قلبه فيمقته الله على
ذلك ولم يره الله يؤثر دنياه على آخرته فصبر على الدنيا وصبر على الذم
والتقصير والتقلل وكره المدح والتوسع من الدنيا والجاهل الذي يعمل
بجهل جزع من الذم وفرح بالمدح والتوسع من الدنيا حتى صبر على الدنيا
من الجزع فاحذر ان تصبر صبر الجاهل ولذلك ثقل العمل على أهل العلم
بالله وخف على أهل الجهل ونوم العالم أفضل من اجتهاد الجاهل وضحك
العالم بالله أفضل من بكاء الجاهل فاحذر ابليس على أعمالك كلها واحذر
نفسك وهواك واحذر أهل زمانك ولا تأمن أحدا منهم على دينك (واعلم)
ان ابليس قد نصب لك حبائله وأقعد لك الرصدة على كل منهل وقد سلطان
يجري منك مجرى الدم في العروق ويراك هو وأعوانه من حيث لا تراهم
(واعلم) انه يأتيك من قبل الرياء والعجب والكبر والشك والاياس والأمن
من المكر والاستدراج وترك الاشفاق فان تابعته في شيء من ذلك وأنت على
سبيل هلكة فينفذ على بينك وبين ما شئت من العمل فان خالفته أتاك
من قبل الدنيا ليستولي الهوى على قلبك فيتمكن هو من الذي يريد منك فان
خالفته أتاك من قبل المعاصي فان خالفته أتاك من قبل النصيحة (وهذه)
الخصال التي وصفت لك كلها أشد من المعاصي وصاحبها لا يكاد يتوب من
شيء منها وربما انتبه العبد فتاب منها فان ظفر من العبد بالعجب قال له ان
الناس يقتدون بك فاعمل واعلن عملك فيتأسى الناس بك ويعملون
مثل عملك ويكون لك مثل أجر من عمل مثل عملك لانه من دل على خير فله
مثل أجر فاعله فاذا ظهر عمله فرح به فصار معجبا وجد نفسه فنسي النعمة

عليه فاذا نظر الى عمله حبب اليه حمدهم واتخاذ المنزلة عندهم فاذا فعل ذلك
صار مرائيا مفاخرا (فافهم) فرح القلب بالعمل فان الفرح الى القلب الفرح
اقرب واسرع منه الى القلب الحزين واقلل من معرفة الناس فانه ليس
يأتيك ما تكره الا ممن تعرف فان كان لا يأتيك ما تكره الا من قبلهم فكلما
قلوا كان خيرا (واعلم) ان العبد يعمل العمل فى السر فلا يزال به ابليس يقول
اظهره ليقتدى بك الناس فيه وتنشطهم على طاعة ربك فلا يزال به حتى
يظهره فاذا اظهره كتب فى ديوان العلانية فلا يزال به حتى يفتخر به فاذا افتخر
به كتب فى ديوان الرياء فعليك بعمل السر وكتمانه وخمول النفس واسقاط
المنزلة واكتم الحسنات كما تكتم السيئات وخف من فضيحة الحسنات كما
تخاف من فضيحة السيئات فان المفتضح بالسيئات ليس يفتضح عند الخلق
كلهم انما يفتضح عند قوم دون قوم والمفتضح بالحسنات اذا دخلها الرياء
افتضح عند الخلق كلهم فاحذر واستح من الله ان يراك تعمل لغيره وتطلب
الثواب منه واخلص العمل لله واصدق فيه (واعلم) ان تخليص العمل فى
العمل اشد من العمل حتى يتخلص والاتقاء من العمل بعد العمل اشد من
العمل فى العمل (واعلم) انه لا يقبل الله عملا من مراء ولا من مسمع ولا من
داع الا بثبوت من قلبه واحذر الرياء كله فان اوله وآخره باطل وكن
فى العمل متأنيا وقافا فاذا هممت بعمل فقف عنده فان كان لله خالصا
فاحمد الله وامض فيه واستعن بالله على اخلاصه واكلف من العمل ما تطيق
وتحب ان تزداد منه ودم عليه فان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل
فاعمل بما يتبين لك انه حق واضح فاذا اشكل عليك فقف ولا تقتحم وناظر
العلماء الذين يعملون بعلمهم فهم الذين قصدوا الى الله وهم الدعاة الى سبيل
النجاة الادلاء على الله لان المؤمن وقاف عند ما اشتبه عليه وليس كحاطب
الليل فناظر العلماء فيما التبس عليك فما اجمعوا عليه فخذ به وما
اختلفوا فيه فخذ انت فيه بالثقة والاحتياط فان الاثم حواز القلوب
(واعلم) ان ابليس ربما قال للعبد قد سبقك الناس الى الله متى تلحق بهم
وليقل له عند ذلك قد عرفتك انا فى الطلب ان رفقت لحقت وان لم ارفق
لم الحق ان صبرت على القليل نلت الكثير وان عجزت عن القليل فأنا عن

قوله حواز القلوب بالمهملة وتشديد الواو من الحيازة ويروى حواز بتشديد الزاى جمع حاز ويروى حزاز بزايين الاولى مشددة من الحز فيهما اه

الكثير

الكثير يعجز وقد قال الله عز وجل واذ زين لهم الشيطان أعمالهم فالزينة
من الشيطان والنور من الله عز وجل فاذا عمل العبد عملا ورأى الشيطان
معه نورا كانت همة الخبيث أن يطفئ ذلك النور فان كان الغالب على العبد
عمل السر أخرجه الى عمل العلانية بحيلته ومكيدته فان عمل في العلانية
بصدق واخلاص فرأى في عمله العلانية نورا وصبرا أمره بمخالطة الناس
ليؤذى فلا يحتمل فان خالطهم فأوذي واحتمل الاذى أمره بالعزلة والراحة
من الناس ليعجب بما يعمل ويفتر من العمل فان اعتزل وصبر واخلص
قال له ارفق خير لك ويصده عن العبادة وانما يلتمس من الاشياء مفتاحه
فينبغي للعبد أن يكون غير غافل عنه وليستعن بالله عليه (واعلم) ان
صاحب الاخلاص خائف وجل حزين متواضع منتظر للفرج من عند الله يرد
أنه نجا كفافا لا له ولا عليه والجاهل فرح فخور متكبر مدل بعمله (ويروى)
عن بعض الحكماء انه قال اني لا أعرف مائة باب من الخير وليس عندي منها
شيء (واعلم) ان العالم العامل الصادق المخلص العارف الخائف المشتاق
الراضي المسلم الموفق الواثق المتوكل المحب لربه يحب أن لا يرى شخصه ولا
يحكي قوله ويود أنه أفلت كفافا ومعرفته بنفسه بلغت به هذه الدرجات
وتمسكه بهذه العزائم أوصله الى محض الايمان والجاهل المسكين يحب ان
يعرف بالخير وينتشر عنه وينشر ذكره ولا يحب ان يزرى عليه في قول ولا
فعل بل يحب أن يحمد على ذلك كله ويوطأ عقبه وان لم يزره أحد شيئا ونما
شدة حبه لذلك لحلاوة الثناء وحب لاقامة المنزلة والفتنة في هذا عظيمة
والمؤنة عليه شديدة وهو عبد من عبيد الهوى تلاعب به الشيطان كل
التلاعب تنقضي أيامه ويفنى عمره على هذا الحال أسيرا للشيطان وعبدا
للهوى (واعلم) ان الشيطان اذا نظر الى العبد مريدا صادقا مخلصا مداوما
عارفا بنفسه عارفا بهواه معاندا لهما حذرا مستعدا عارفا بفقره الى الله تعالى
قال له ان هذا الامر لا يصلح الا بالاعوان عليه والشيطان على الواحد أقوى
وهو من الاثنين أبعد فجالس اخوانك وذاكرهم واخبرهم بما يبدو لك في
عملك من نفسك وهواك ومن عدوك فانهم يدلونك ويعينونك يريد بذلك
ذهاب حزن الخلوات واطفاء نور العزلة وقطع سبيل النجاة وفتح طريق

الفضول والشغل بغير الله واخراجه من عمل السر الى عمل العلانية وانما يريد بذلك كله اطفاءه فاذا أحدث الله عز وجل فى قلب العبد من نور فكر الخلوات فان قلت هذا اغاه ومن الشيطان قال لك أجل اغاه ومن الشيطان تعليمك الناس أفضل من عملك فلو اخبرت الناس بذلك لكان خيرا لك ليعلموا من آفات الاعمال ما تعلم فتؤجر فيهم فان قلت أيضا هذا من الشيطان قال لك لولا علمك لم تعلم بهذه الآفات انعجب بنفسك وتنسى النعمة عليك فى العمل فتحمد النفس فلا يجاوز عملك رأسك فاحذر هذا الباب فان فيه شهوات خفية ومن الشهوات الخفية أن يخفى العبد عمله ويحب أن يعلم الناس به ويحب أن يرى أثر ذلك عليه والعمل خفى فى السر الا أنه يحب أن يرى أثر ذلك العمل عليه امامن علامة عطش ان كان صائما أو علامة سهر فى الوجه ان كان قام من الليل (واعلم) ان العبد ان قال انا أعمل لله لا للناس قال له صدقت أخلص عملك لله فان الخالص يحببه الله الى الناس ويعرفهم فضله فان قال العبد وما حاجتى الى الناس قال له أنت الآن الخالص الذى قد اخرجت الناس من قلبك وعرفت مكيدة ابليس وقد نجوت وانت معصوم فان عقل العبد وقال له ومن أنا وانما الاعمال من من الله على العباد وانما شكر واغا الاعمال بخواتيمها وانما الثواب على الله يوم الجزاء ان أخلص ولم يعجب بعمله ولم ينسب الى نفسه نعمة هى من الله قد وجب له بها عليه الشكر فانه يقول للعبد عند ذلك الآن نجوت حين اعترفت لله بذلك وقمت بشكر النعمة وتواضعت لربك وبرأت نفسك من العمل ونسبته الى الذى هو منه فان قبلت ذلك منه هلكت ولكن قل انا ارجو واخاف وليس الى من النجاة شئ ولست أدرى بما يختم لى عملى (واياك) ثم اياك والتزين بترك التزين وذلك انه ربما تزين الرجل بالرقاع والخرق والشعث وترك الدنيا وانما يريد بذلك كله التزين فان فعلت ذلك تزلت بجملة خشوع النفاق وان عرفت نفسك بشئ من ذلك ولم تسارع الى التحول عنه خفت ان يلحقك الخذلان والمقت فاتق الله فى جميع امورك واعمل له كانك تراه فان قال لك الخبيث الآن نجوت حين عرفت نفسك وانزلتها هذه المنزلة وحذرت دوائه وعدوك فقل الآن هلكت حين أمنت العقاب فان قال لك الآن نجوت حين خفت

ان تكون قد أمنت العقاب فقل الآن هلكت لو كنت صادقا لصدق قولى فعلى ولازددت خوفا وحياء من الله جل ذكره ولو كنت كذلك لحال بينى وبينك وجعلنى فى حرزه وحصنه ومن عباده الذين قال فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولم تكن انت تدخل علىّ فى عملى فان قال لك جاهد نفسك فانه أفضل العمل فان الناس قد شغلهم امر غيرهم واتبعوا أهواءهم وانت بينهم غريب وانت كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى للغرباء وانت المعروف فى اهل السماء والمجهول فى اهل الارض فان قبلت ذلك هلكت وان قلت هذا من الشيطان قال لك صدقت هذا من الشيطان وقد كثرت عليك مكائده ومجاهدة نفسك وهواك فكم تعذب نفسك ان كنت شقيا لم تسعد أبدا وان كنت سعيدا لم تشق أبدا ولا يضرك ترك العمل ان كنت سعيدا ولا ينفعك العمل الكثير ان كنت شقيا فان قبلت القنوط الذى القاه اليك هلكت وان تركت العمل وملت من الشهوات على الغرور وحسن الظن بزعمك والاتكال على الرجاء الكاذب والطمع الكاذب والامانى الكاذبة ورجوت الجنة بالغرور وطلبت مطالب المتعبدين بالراحة هلكت وان امتنعت قال لك احسن ظنك بالله فانه يقول انا عند ظن عبدى بى والله يحب اليسر والدين واسع والله غفور رحيم فاعرف نفسك عند ذلك واعتصم بالله وكفى بالله حسيبا (واعلم) انك ان كنت فى بلد وانت فيه سالم وامرك فيه مستقيم والنور معك فى فعلك وقولك قال لك عليك بالثغور وعليك بمكة وعليك بكذا فان قبلت ذلك رأيت فترة فى عاجل عملك وقساوة فى قلبك ووقعت فى المشورة يريد بذلك النقصان بسبب السفر واشتغل به عن الدأب فى العبادة والنشاط الذى كان معك فان صرت الى بلد انت فيه مسرور وقلبا ريح قال لك موضعك كان اصلح لقلبك واجمع لهمتك فارجع الى موضعك فان احب الاعمال الى الله ادومها مع معرفة النفس والفقر الى الله تعالى فان لادأب ثوابا وللصبر ثوابا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (واعلم) ان من يعجب بالاعمال اكثر ممن يهلك بها وكل عبد ميسر لما خلق له (واعلم) ان من يهلك بالتفريط والتضييع اكثر وينبغى للمؤمن

قوله ريح بالتشديد كطيب وزنا ومعنى اه

أن يكون راغبا راهبا لا يأمن ولا ييأس (واعلم) انه يأتيك من وجوه كثيرة لا يغفل ولا يألوك خبالا ان كنت مقلا عندك من الدنيا شيء يسير تريد أن تقويه نفسك أمرك بالصدقة ورغبك فيها لتخرج ما في يديك وتحتاج رجاء أن يظفر بك في حال الغفلة وان كنت غنيا أمرك بالامساك ورغبك فيه وخوفك الفقر والحاجة وقال لك ابدا أن تعول واملاك تكبر وتضعف ويطول عمرك يريد بذلك أن تصير الى حال البخل فيظفر بك وان كنت تصوم وقد عرفت بالصوم واحببت أن تريح نفسك قال لك قد عرفت بالصوم لا تفطر فيضع الناس أمرك على انك قد كبرت وتغيرت وفترت وعجزت فان قلت مالي وللناس قال لك صدقت أفطر فان المحسن معان سيضعون أمرك على احسن الوجوه فان قبلت ذلك منه وافطرت على ان الناس سيضعون أمرك على احسن الوجوه والمنزلة لا تسقط عندهم بافطارك فقد عطبت وان أنت نفيت ذلك تركه ونصب لك بابا آخر فقال لك عليك بالتواضع ليشهرك عند الناس وكلما ازددت تواضعا على قبولهم منه لشهوة والشهرة ازداد كلبا عليك (فاتق) ما وصفت لك والجأ الى الله في أمورك كلها واترك كل شيء من الدنيا لأجل الآخرة رغبة منك في الآخرة وحبا لها وايثارا لها على الدنيا فيجب ايثارها تصل اليها وقد وجبت لها تعمل لها واقل الدنيا وابغضها فبقدر بغضك لها تزهد فيها وانظر ان كنت ذا علم تخف أن توقف يوم القيامة فيقال لك بعدا وسحقا بعد العلم والتبصر مات الى الدنيا وتركت العلم والعمل واخترت ما أسخط الله ما غرك بربك الكريم أيها المغرور فليعبد الله العالم بطاعة العلم وليترك طاعة الجهل وليترك الاغترار (واعلم) أن الشيطان يوم القيامة يتبرأ من جميع من أطاعه في الدنيا وهو يقول في الدنيا من ظن انه ينجو مني بحيلة ففي حبالي وقع قال الله تبارك وتعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فافهم واحذر وافطن وانظر وحارب واستعد وكابد وجاهد واستعن بالله تعالى (واعلم) ان العبد اذا قام الى الصلاة يريد بها ثواب الله وحده فثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون وان أراد بها ثواب الله وحده غيره هلك (واعلم) ان أولى الاشياء

بالعبد أن يخلص عمله كله لله والكلام فيه كثير غير أن الاصل في اخلاص العمل أن يعمل العبد العمل كامر يد به الله لا يحب أن يطلع عليه أحد من الناس فان اطلع أحد على عمله كره ذلك بقلبه ولم يسر بذلك ولم يحب أن يحمده أحد على شيء من عمله ولم يتخذ به منزلة عندهم فهذا أصل اخلاص العمل والله المستعان (وأما الرياء) فهو أن تحب أن يحمدك الناس على شيء من عملك أو تقوم لك به منزلة عندهم ومن أراد العمل اقتصر على القليل ومن لم يرد العمل لم يكتف بالكثير (واعلم) ان الناس في العمل على ثلاثة أصناف (صنف) اهملوا أنفسهم في العمل من البر فعملوا ايمروا بالخير فهم الهالكون (وصنف) أهل رهبة من الله ورغبة فيما عنده يكابدون الاعمال بالصدق والاخلاص ويتقون فساد الاعمال ولا يحبون المحمدة من المخلوقين ولا المنزلة عندهم ولا يعملون شيئا من العمل للناس ولا يتركون من أجلهم شيئا وأحيانا تعرض لهم العوارض وأحيانا يسلون منها (وصنف) قوي اخلاصهم واستقامت سريرتهم وعلانيتهم أخلصوا العمل لله وتركوا الدنيا بعد معرفتهم بها ونظروا اليها بالعين التي ينبغي أن ينظر بها اليها فرأوا عيوبها فمقتوها وصدقوا الله في مقتهم لها وتركوها زهدا فيها وصدقوا الله في ذلك فمات ذلك من قلوبهم وذاب ولم يكن لها في قلوبهم قرار لقوة التعظيم لله في قلوبهم فلما استولت العظمة على قلوبهم لم يكن للدنيا ولا لأهلها في قلوبهم مستقر ولا قرار فالحمد لله ذي المن والفضل العظيم ومن الرياء أن العبد يرائي أهل الدنيا بالدنيا في لباسه ومركوبه ومسكنه وفرشه وطعامه وشرابه وخدمه حتى الدهن والكحل ونحو ذلك يريد بها استبانة نفسه وهو رياء وليس كالرياء بالاعمال التي يبتغي بها وجه الله لان المرائين من المؤمنين يخاف عليهم من النار لقوله في الحديث ولكنك فعلت ليقال فلان كذا وكذا فقد قيل ذلك (وهذا) الذي راءى بالتكاثر والتفاخر وطلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وهذا مع ما فيه من الفساد أهون من الباب الآخر وكلاهما شديد والله المستعان وذلك ان المفاخر غاير يد اقامة مرتبته عند الناس فلو كانت له الدنيا كلها لاحتاج اليها لما معه من حب الدنيا وذلك ان قلبه مشغول عن الله تعالى وعن

لطالب الآخرة وهو مع هذا خائف وجل من أن تنزل به نازلة تغير حاله فيتغير من كان له مطيعا فهذا أشد مضرة هذا الباب (وعلامة المريد) النظر الى من هو دونه في الرزق والى من هو فوقه في العمل للآخرة ويتواضع ولا ينافس أهل الكبر والفخر والرياء والتكاثر ولا يأخذ ما أخذ لنفسه ولا يترك ما ترك لنفسه وما أخذه فانما نيته فيه القوة على دينه واقامة فرائضه والاستغناء عن غيره ويدع جميع ما كان للناس من ذلك (وأما العجب) فأصله حمد النفس ونسيان النعمة وهو نظر العبد الى نفسه وأعماله وينسى أن ذلك انما هو منة من الله تعالى عليه فيحسن حال نفسه عنده ويقل شكره وينسب الى نفسه شيئا هو من غيرها وهي مطبوعة على خلافه فان غفل هلك واستدرج وكان معجبا بعبادته مزريا على من لم يعمل عمله قد عمي عن عيوب نفسه فيكون مستكثرا لعمله مسرورا به راضيا عن نفسه فرحا بما يسعى في هواها غضبه لها ورضاه لها ولا يخلو المعجب بعمله من أن يكون مرائيا لانهما قرينان لا يفترقان ولا يكون المعجب محزونا ولا خائفا أبدا لأن العجب ينفي الخوف (واعلم) يا أخي ان الناظر الى الله فيما يعمل قد نفى العجب عنه لعلمه ان العمل انما هو من الله تعالى وهو قائم بالشكر له مستعين بالله عز وجل على كل حال متهم لنفسه قد نفى الاعمال كلها عنها فليس لها عنده قسط ولا نصيب (واعلم) انهم صنفان (صنف) علماء أقوياء فهم الذين نظروا الى الله فيما يعملون فحمدوا الله على ما وهب لهم من قليله وكثيره (وصنف) نظروا الى السبب الذي أعطاهم الله فاشتغلوا بشكر السبب والصنف الاول أقوى من هؤلاء أولئك لا يعرض لهم العجب لعلمهم به وهؤلاء ربما أعجبوا بالسبب وربما انتفى عنهم فهم مكابدون له فان قاموا بشكر ذلك فحالتهم حسنة وهم دون أولئك وان ركنوا الى ما يدخل عليهم من العجب فقد هلكوا الا أن ينبه الله من شاء منهم فيتوب عليه (والعجب كثير) وهو آفة المتعبدين من الاولين والآخرين وهو من الكبر والكبر آفة ابليس التي أهلكه الله بها (وأما الشهرة) واشارة الناس الى العبد فانها لن تضر الا من أرادها والمرء ملبس زين عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر فكم من مستتر بعمله قد شهره الله به وكم من متزين بعمله يريد به الاسم واتخاذ

المنزلة

المنزلة عند الناس قد شانه الله به وانما يصلح ذلك ويفسده الضمير فان أحب الشهرة جمع الشهرة والرياء والعجب جميعا وان أراد الله وحده وكان مخلصا لم يضره ذلك عرف أو لم يعرف وربما لحقه حب معرفتهم اياه بالعمل فيخرج به الى الباب الذى يحبط الاعمال ومن ذلك حب معرفتهم اياه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والغضب لله وفى الله فان قام بذلك ونفى ما بعده وكانت نصيحته لله وللمؤمنين ونجاة نفسه نجا وان اعتقد شيئا من اتخاذ المنزلة أو حب الثناء أو طلب رياسة أو ليقبل قوله فقد شرب السم الذى لا يبقى ولا يذر ولا عاصم من ذلك الا الله (والرياء) والعجب والكبر والشهرة انما هى من اعمال القلب فتوسل يا أخى الى الله فى اصلاح قلبك فان سلم قلبك وعلم الله من ارادتك انه سالم خالصة خلصك الله من كل آفة دخلت عليك والله يقسم الثناء كما يقسم الرزق ومن خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ ومن أحب الله أحبه كل شئ والله مسبب العبادة وانما تصحيح العمل بالحوادث على قدر صحة القلب ومع صحة القلب دلالة العقل وسياسة العلم وسابقة الخوف فاذا أردت عملا فابتغ بذلك ثواب الله وأكثر ما تؤمل من الله النجاة من النار والوصول الى نعيم الجنة يهون عليك العمل ويخلصه الله من الآفات ويقويك عليه فاذا عملت فاشكر وانظر هل ينقص من بدنك شئ فى ايلاك ونهارك لتعقد النية فيما يستقبل وانظر اذا صبحت كيف مضت عليك ليلتك بنعيمها ونصبها وبقى لك ثوابها وسرورها يكن ذلك قوة لك على ما تستقبل فالحسنة لها نور فى القلب وسرور يجد العبد حلاوة ذلك السرور وضياء ذلك النور ولم يدع الله جل ذكره المطيعين حتى جعل لهم بالطاعة اللذة والنشاط وقرة العين وحلاوة القرب اليه ولم يدعهم حتى حببهم الى الناس وحتى نظروا اليهم بالهيبة لهم والاجلال مع ما فى قلوبهم من التواضع والخوف لله فان لم يعرفهم الناس وكانوا من أهل الجهالة بهم كانوا أرفع خلق الله فى الدنيا ومن كان بالطاعة عاملا كان من أعز الناس عند الناس وأغناهم بالله ومن هاب الله فى السر يرهابه الناس فى العلانية وبقدر ما يستحى العبد من الله فى الخلوة يستحى الناس منه فى العلانية وينبغى للعالم أن تكون محبته فى العمل بالحسنات سترها ونسيانها فانه سيحفظها

له من لا ينساها ويحصي له مثاقيل الذر من عمله وان ظهرت الحسنات فليعرف نفسه ولا يغرنه ثناء من جهله فكر أيها العامل في العواقب فان أحببت أن يحمدك الناس أو يفطنوا بحسناتك اذا عملتها ليكرموك ويجلوك فقد تعرضت لمقت الله عز وجل لك وحبك انك ان أسقطك الله سقطت فلا تفتقر من الوجهين جميعا وان سلمت لك آخرتك سلمت لك دنياك وان خسران الآخرة خسران الدنيا والآخرة جميعا ومن ربح الآخرة ربحهما جميعا (واعلم) انك ان غضبت على الناس في شئ هو لنفسك فأبديته لهم أو لم تبده لهم علم ذلك من قلبك فقد تعرضت لغضبه اذا أظهرت انك انما غضبت لنفسك (واعلم) ان الله جل ذكره لا يخفى عليه من أمرك خافية وليس الفرق بين غضبك عليهم وبين سرورك بهم وفرحك بثنائك بحسناتك وأنت تريد ثوابها من ربك لقد ابتليت أيها العبد بحسناتك وعظم فيها بلاؤك ولعلها أضر عليك من بعض سيئاتك فان بلغ بك البلاء أن تفرح اذا مدحوك بغير عملك أو بأكثر من عملك فقبله قلبك أحبط الله عملك ثم تصير الى حال حب مجيء الاخوان اليك في أوقات الاعمال فتفرح وان أتوك في وقت فراغك عملك ذلك والله سائلك عن ذلك كله وتظهر منك الحزن وتوهم الناس ان ذلك من شدة الاهتمام بالآخرة وانما ذلك منك تصنع تحب أن يحمدوك على ذلك فأنت اذن قد هلكت من الوجهين جميعا نخف الله في سرائر نفسك وعلانيتها واحتقر حسناتك جهدك واستكثر منها ما استطعت حتى يعظم قدرك عند الله وتعظم حسناتك واستكبر صغير ذنبك حتى يصغر عند الله وخف من صغير ذنوبك أن يحبط الله به عملك كله وارج بحسناتك أن يمحو الله بها عنك كل سيئة عملتها فارج حسناتك وخف سيئاتك ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين (وينبغي) للعبد أن يعرف عجزه وضعفه ويقطع سببه من نفسه ويرجع الى العز والمنعة ويتوجه الى الملك القادر على ما يريد بالاعتصام والتوكل والاستنصار والانتصار به على الاعداء فيجد عند ذلك العز والروح والفرج والمنعة ويفوض أمره الى الملك الجبار فما اختار له من شئ رضي به وسلم فان عرض له بعد ذلك غم أو روع علم ان ذلك بلوى من الله فيرجع اليه حينئذ بالانكسار والافتقار اليه لما فرط منه

ويطلب الروح والفرج بالتقوى وهو استماع العبد الى قول ربه ما أمره
به فعله وما نهاه عنه تركه حتى تكون كلها مجموعة له في روضة واحدة
(فانظر) يا أخي ولا تدع ما فيه المخرج الا خرجت منه وما كان مما فرط منك
مما لا حيلة فيه الا الندم والاستغفار فاندم عليه ندما صحيحا بالقلق منك
والاضطراب في حضرة الله والاجتهاد قبل فوات الايام وهجوم الموت
عليك واكثر مع الندم الصحيح ذكر ما ندمت عليه ولا تفرغ ما امكنك من
الاستغفار ثم عليك بعد بالتخلص من العائق الذي يشغل عن الله جل ذكره
حتى تكون مؤثر الله على ما سواه وهذا هو الطريق الى سبيل النجاة والله
المستعان (واعلم) ان من دلالات العقول والعلوم تأسيس التقوى فاذا كان
ذلك كذلك صار العبد حي القلب قابلا للموعظة معظما لما عظم الله مصغرا لما
صغر الله فاذا كان ذلك كذلك فقد أحيا قلبه بالعلم والعمل ولو ان رجلا أحيا
قلبه في كل يوم ألف مرة ويكون بين الحياة والحياة موتة لخفت عليه
حتى تكون حياته دائمة تموت به خواطر نفس ليس لها قرار والخاطر اذا
صرم اصله وقطع دخل عليه الحزن والبكاء فلا يكون مسرورا بالعارض
ولا مشغولا بالنعمة عن المنعم فهذا سبيل النجاة ان شاء الله والله المستعان
واذا لم يكن مع العبد ورع وغم عند الخاطر فهو ميت فاذا كان كذلك
فليرجع الى التقوى والاخلاص والصدق والتخلص مما يكره الرب والحياة
يتولد من العلم المفهوم فاذا علم وفهم العلم بما أمره الله به قبل الموعظة لنصحه
بتعظيمه ما عظم الله والقلب الحي تكفيه غمزة فينتبه والقلب الميت لو قرض
بالمقاريض لم ينتبه ولم يحي وذلك ان الله عز وجل يقول أومن كان ميتا
فأحييناه وذلك لمن قبل وأجاب الداعي ومن لم يقبل الموعظة ولم يجب
الداعي فانه كما قال عز وجل أموات غير أحياء وما يشعرون ومن علم انه
ميت فقد حيي بعلمه انه ميت ولا ينفعه العلم الا بالقبول وايثار الرب على
هواه فمن كان مقرا بأنه عاص وليس يتحول وليس معه الروع والغم الشديد
وهو على حالته التي ليس يرضاها ولا يبادر بالتوبة والتطهير فهو ميت ولا
ينفعه علمه الا أن يتوب الله عليه قبل موته فيحيا بالتوبة ويرجع الى الرغبة
والرهبة والطاعة ومن أراده الله وفقه ونبهه من الزلة وايقظه من الغفلة

وانما هذه كلها موارثة حب الدنيا واتباع الهوى وطول الامل (و ينبغى) لمن كان يبتغى لنفسه طاعة ربه أن يرجو ماثقل عليه من البر وينهم ماخف عليه من ذلك لان قليل الصدق يثقل خفيف العمل والكذب من النية فى العمل يخفف ثقيل العمل وقليل الصدق أوزن وارجح من كثير الكذب (واعلم) ان اردت العمل عملا فانظر فى ارادتك حتى يصح لك عملك ويراك الله لنيتك طالبا ولها مصححا كما يراك فى عملك مخلصا فان الاعمال بالنيات (واعلم) انك ان ظفرت بتصحيح النية مع قليل العمل ربحت عملك وظفرت بأكثر من عملك (واعلم) ان عدوك ينظر الى ابتداء نيتك وابتداء عملك وقد يخفى عليك سقم نيتك كما يخفى عليك سقم غيرك فاحذر أن تكون نيتك سقيمة فقم على تصحيحها فان العمل تابع للنية ان صحت صح وان فسدت فسد (واعلم) ان العدو اذا رأى فى نيتك سقما رغبك فى ذلك العمل ولم يثقله عليك بل يخففه عليك مخافة أن يقنطك بالسقم ويود حينئذ أن الناس كلهم احبوك فى ذلك العمل ومدحوك اذا ظفر منك بسقم النية و يزيدك قوة ونشاطا فى عملك و يحسنه عندك وفى أعين الناس ويحببهم اليك فكلما أثنوا عليك استحليت عملك وخف عليك وقد ستر عنك داء الحسنات وداء السيئات ومن داء الحسنات انه لا يمنعك من تركها الا مخافة أن تسقط من أعين الناس (واعلم) ان ربحه منك اذا سقمت نيتك أكثر من ربحه منك اذا أحببت الدنيا واتسعت منها ومن داء السيئات سقم نيتك (واعلم) ان العدو ربما أفسد الحسنات أولا بسقم النية وربما افسدها آخرا بتعظيم الناس لك فاذا علم أنك لا تحب ذلك ولم تجبه الى معصية خذلك وذلك فاحذر على عملك كله من حيلة الخبيث واذا رأيت العمل قد خف فكن أشد ماتكون له حذرا اذا خف على نفسك العمل فهو أفسد ما يكون اذا صح عندك (واعلم) ان الشيطان أعرف بك وبما تهواه نفسك منك ولا تدع العمل من اجل آفته ولكن اعمل بنية وصحة واستعن بالله وكن حذرا طالبا للخلاص كارها لما ند الفساد العمل لا تريد الثواب الا من الله وحده وطالب الدار الآخرة ولا تعمل ليعطيك فى الدنيا ثوابا فان الذى قدر الله عز وجل أن يصل اليك من رزق او اجر او ثناء فانه صائر اليك فعليك بالصدق واتخذه

ذخر اليوم ينفع الصادقين صدقهم وانظر اذا صح عملك عندك فكن أخوف ما يكون من فساده ولا تأمن عليه من الفساد فتفسده فان آفة العمل الأمن عليه (واعلم) ان الآمن على الحسنات أضر عليه من السيئات والآمن على السيئات أضر عليك من السيئات (واعلم) ان أمنك على الحسنة أحب الى ابليس من السيئة وقنوطك بعد السيئة أحب الى ابليس من السيئة واستصغارك السيئة كبيرة أحب اليه من سيئة بعد سيئة واستصغارك السيئة اردتها ثم تركتها أحب اليه من كبيرة ثم اتيتها ثم استغفرت منها لعظمها عندك فافهم ما ألقي اليك من هذا الباب واحذره (واعلم) ان ابليس الخبيث يجري على ألسنة الناس مدح الصادق ليفسد عليه صدقه ويزيد الكاذب في عمله قوة حتى يستوي بين الصادق والكاذب فاحذر تجديد القوة في العمل عند تجديد المدح فان له سطوة وسلطانا يزيد الكاذب كذبا ويفسد على الصادق صدقه فلا تظهر الخوف من قلبك ولا تظهر قلة الخوف فان اظهار قلة الخوف هو من قلة الخوف وهذا باب فيه فساد للعمل كبير وهو رياء فيه لطف وله حلاوة واياك أن تقول واحزناه على الحزن واخاف أن لا أكون أخاف واحزناه على الأحزان فان هذه أشياء من دقائق مداخل ابليس والله سائلك عن بكائك واظهارك الخوف والحزن واظهارك انك لست بحزين واظهارك انك لا تخاف وما تظهر من الانكسار والتواضع واظهارك الهم بأمر الآخرة وذمك نفسك وماذا أردت بذلك كله ولابليس في هذه الخصال مذاهب تلتبس على كثير من الناس وهي تنسب الى خشوع النفاق فان كنت صادقا فيها فاحذر ابليس عندها وفي وقتها حذرا شديدا والله المستعان (وانظر) كيف يكون احتمالك اذا قال لك غيرك ما تقوله أنت لنفسك من الذم والوقيعة فيها حتى يتبين لك عند ذلك أصادق أنت في فعلك أم كاذب فاذا كان باطنك كظاهرك لم تبال كيف كان أمرك وقم على باطنك أشد من قيامك على ظاهرك فانه الموضع الذي فيه الله مطلع فنظفه وزينه لينظر الله اليه أشد ما تزين ظاهرك لنظر غيره فافهم ما أقول لك بعناية منك وقبول (واعلم) ان فرائض جوارحك انما تقوم بفرائض قلبك (واعلم) ان النية والصدق والاخلاص فريضة تقام بها الفرائض

وتبنى عليها الاعمال وترك الذنوب فريضة فكل امر فيه معصية فهو مردود
ومحال أن يتقرب الى الله بمعاصيه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
يناله التقوى منكم (واعلم) ان الله فرض الارادة له بالايمان والاعمال يراد
بهما وجهه فاصاب المؤمن الصادق بنيته الفريضتين جميعا الظاهرة
والباطنة (واعلم) انك ان عملت بما وصفت لك ثم عرضت عليك الدنيا بما
فيها على أن تظهر حسناتك أو تراءى بها ما فعلت (واعلم) ان المريد في ترك
الميتة يخاف من الله أن يشبع منها ويخاف منه أن ينال منها وهو مستغن عنها
ويخاف منه أن يدعها وهو محتاج اليها فهو يخاف من الله أن يعصيه
فيما أحله له ويخاف أن يشبع مما اباحه له فمن قام في هذا المقام من أهل
الدنيا فقد بلغ الغاية من الزهد فيها واقام الاشياء كلها التي في الدنيا
مقام الميتة فانما ينال منها البلغة عند الاضطرار اليها ويخاف من الله ان
ترك أخذ تلك البلغة في وقت الضرورة أن يعذب على تركها كما يخاف أن
يعذب على أخذ الحرام البين (واعلم) ان تمام الاشياء كلها انما هو بالقيام
بما أمرك الله به والانتهاء عما نهاك الله عنه (واعلم) انه ليس من عقلك أن
تأخذ ميتة فتحزن بها ولا ان فاتت حزنت عليها ولا ان وجدتها فرحت بها
لانك منها على مقت لها وتقذر منك لها فاذا خفت منها أن تنالها نافيت
لمخافة التي حلت بقلبك حلاوتها وهي الدنيا فتجتزئ منها بما اقام صلبك
وأديت به فرضك ودع ما سوى ذلك يكابده غيرك والذي تحتاج اليه من
الدنيا يسيرها وهو ما تستر به عورتك وتقيم به صلبك لاداء فرائضك وما
كان وراء ذلك فهو من الدنيا ومنتهى طالب الآخرة ترك الدنيا ومنتهى طالب
الدنيا جمع ما أحببت من الدنيا فاذا رأيت نفسك تأنس بقرب الدينار
والدرهم وتستوحش لفقدهما فاعلم انك محب للدنيا ومن كان محبا للدنيا
فهو قال للآخرة اه

(فصل في الصدق والعقل) واعلم ان الاصل الذي يحترز به مما تقدم
ذكره انما هو الصدق والعقل والصدق محله القلب واذا كان كذلك
فينبغي الاعتناء بشأنهما (وما) قاله الشيخ الامام ابن زروق رحمه الله في
ذلك فيه غنية عن غيره وبيان تام (قال) رحمه الله اعلم يا اخي علما يقينا لا شك

فيه ان الصادق لا يكذب أهله ولا يالوهم نصحا في ارتياده لهم فان أخاك من صدقك ونصحك وان خالف صدقه ونصحه هواك وان عدوك من كذبك وغشك وان وافق ذلك هواك (واعلم) يا أخي اني لما أطلت الفكرة وصححت في ذلك النظر علمت ان الله جل ثناؤه بارئ النسم وولي النعم ومالك الامم لم يخلقني واياك عبثا ولاهو تاركي واياك سدى وان لي ولك معادا نقف فيه بين يدي الملك الجبار للحكم بيننا والفصل فينا وانه لم يخلقني واياك حين خلقنا للهزل ولا للعب ولا للفناء دائما وانما خلقنا لبقاء الابد ودوام النعم في جواره وجوار ملائكته وانبيائه او في الشقاء الدائم لا الابد فالعاقل متيقظ لما خلق له مستعد لما هو صائر اليه فانتبه من رقدته وافاق من سكرته فعمل وجد وأبعد فزجر النفس عن دار الغرور الخاذلة الخادعة الزائلة التي قد وات بعدتها وفتنت بغرورها وشوقت بحطامها فلما عرفها العاقل الكيس حق معرفتها زهد فيها ورغب في دار البقاء والسرور وتقرب الى مالك الدار بجميع ما يحب مما يطيق التقرب به اليه ورتب ببابه واما المغتر بالدنيا المؤثر لهواه فيها فهو معتنقها أبها الميت عن قريب والمبعوث بعد موته الى دار الاقامة المسؤول عن اقباله وادباره في دار الدنيا الموقوف عن قليل بين يدي الملك الجبار الذي لا يجور هل أعددت لذلك الموقف حجة تدافع عنك أو اعددت للسؤال جوابا فان الله يقول ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر فاياك يا أخي والنزول بجملة المخدوعين (واعلم) ان السيد الكريم نعمه كثيرة لا تحصى وان عطاياه كثيرة لا تجازى وان مواهبه كثيرة لا تكافأ (واعلم) يا أخي اني لم ار نعمة متقدمة من الله عز وجل لخلقه افضل من نعمة العقل التي جعلها الله دلالة لخلقه على معرفته والوصول بها الى محض الايمان به والذي أطلعهم الله به على مكنون علمه حتى ورثوا البصائر ونفوا به خاطر الشك وكابدوا وساوس الشيطان ومعاريض فتنته واستضاءوا بنور العقول في طريق حيرتهم فتجنبوها وخرجوا من ظلم الشك واعتقدوا بها معرفة الله والايمان به والاخلاص والتوحيد وافردوا الله جل جلاله وتقدست اسماؤه بالربوبية والعظمة والكبرياء (واعلم) ان اهل اللب استدلوا به على خالق

رتب كوقف وزنا ومعنى اهـ

انفسهم وعلى خلق الخلق كلهم وانهم موسومون بسمة الفطرة وآثار الصنعة والنقص والزيادة مع تغيير الاحوال فاول ابتداء الله لهم أن وهب لهم العقول التي بها وصلوا الى الايمان وبالايمان وصلوا الى نور اليقين وبنور اليقين وصلوا الى خالص التفكر وبخالص التفكر وصلوا الى استقامة القلوب وباستقامة القلوب وصلوا الى الصدق في الاعمال واخلاصها لله تعالى فورثهم ذلك البصائر في قلوبهم فوضعت الحكمة في صدورهم وجرت ينابيعها على ألسنتهم فهيجهم وايقظن قلوبهم على غوامض الغيوب والارادة والاخلاص الذى ركب فيهم وأدركوا بصفاء يقينهم غائص الفهم وأدركوا بغائص فهمهم العلم المحجوب فعرفوا الله حق معرفته وتوكلوا عليه حق توكله وسلموا اليه الخلق والامر فصارت قلوبهم معادن اصفياء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة وينابيع للحكمة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول فى الملكوت وتلتذ فى حجب الغيوب وتخطر فى طرقات الجنات فالحمد لله الذى لا اله الا هو العظيم الذى من والانعم واغناه (واعلم) يا اخى ان من صدق الله أوصله الى الجولان فى ملكوت السموات بقلبه ثم يرجع اليه بطرف ماقد افاده السيد الكريم فصار قلبه وعاء لخير لا ينفد وعجائب فكر لا تنقضى ومعادن جواهر لا تفنى وبحور حكمة لا تنزح ابدا ومع ذلك ملكوا الجوارح والابدان (واعلم) يا اخى ان فى ابن آدم مضغة ان صلحت صلح سائر جسده وان فسدت فسد سائر جسده وهى القلب (واعلم) انه لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولسانه ومن اجل ذلك صار القلب واللسان ملكى البدن والجوارح والقلب هو المسلط على استخدامهم وذلك انه معدن العقل والعلم والعناية لجميع الخير والشر مستودع القلب (واعلم) يا اخى انى وجدت اللسان مترجما عن القلب ارادته وذخائر بصائره ووجدت الذكر جلاء اصداء القلوب وتيقظا من وسن الافئدة (واعلم) انى وجدت الشكر على من اختصه الله بنور العقل اكثر والحجة عليه آكد فمن ههنا الزم الحجة وانقطعت المعاذير مع الاعذار والانذار فلله الحجة البالغة علينا وعلى اهل العقول من خلقه وما اعرف ان احدا اتى الامن قبل تضييع الشكر لانه ليس من ولد آدم احد الا وهو

قوله بطرف كتف وزنا ومعنى اه

مختص بنعمة العقل الا قليل فنهم من حتى له من الشكر وحتى عليه ومنهم
من أعطى من العقل دون ذلك فشكر الله على قليل ما أعطى فزاده الله حتى
علا فى درجة العقل ومنهم من كفر النعمة فلم يأخذها بشكر فنقص عن درجة
العقل لأن العبد قد أعظم الله عليه النعمة فى العقل فينبغى أن يكون شكره
على قدر عظيم النعمة عليه (واعلم) ان العقل والهوى ضدان مركبان فى
العبد كتركيب الجوارح وهما يعتركان فى قلب ابن آدم فأيهما غلب استعلى
على صاحبه واستولى على العبد فكانت أعماله كلها بما استولى عليه فكان
له تبعا فشكر العبد اذا كان لله على نعمة عقله أن يتبع دلالة عليه وعقله
فيؤثر دلالاتهما وما يدعوان اليه على هوى نفسه (واعلم) ان الامر عظيم على
قدر ما ترى من غلبة الهوى علينا واستكان الدنيا من قلوب علمائنا وجهالنا
فلما كان ذلك منا كذلك عز وجود الصدق على كثرة وجوده معرفته ووصفه
وقل العمل به والقيام بحقه وقد فشا الكذب وكثر الرياء والتزين للدنيا
وسلوك أودية الهوى ونزول أودية الغفلة ولا يؤمن السبيل أن يركب
على تلك الغفلة فتتلف النفس وان الهوى قد قام مقام الحق يعمل به
ويقضى بقضائه ويحكم بحكمه وقام سوء الادب والمكر والخديعة مقام القبول
وقامت المداهنة مقام المداراة وقام الغش مقام النصح وقام الكذب
مقام الصدق وقام الرياء مقام الاخلاص وقام الشك مقام اليقين
وقامت التهمة مقام الثقة وقام الأمن مقام الخوف وقام الجزع مقام
الصبر وقام السخط مقام الرضى وقام الجهل مقام العلم وقامت الخيانة
مقام الامانة فصار من قلة الاكياس لا تعرف الحق ومن قلة أهل الصدق
لا يعرف أهل الكذب الا عند أهل الفهم والعقل والبصيرة فاعتدل
الناس فى قبح السريرة وقلة الاستقامة فى أمور الآخرة الا من عصم الله
فاصبحنا وقد حيل بيننا وبين النقص الذى نكرهه من أنفسنا وحيل بيننا
وبين أن ندخل فى الزيادة التى نحبها الانفساعة وبقلة قبح اسرارنا بقرينا فى
ميدان الجهل وغلب علينا سكر حب الدنيا فنحن نستبق فى هذين السبيلين
ونتنافس فى الاستكثار منهما فصح عندى أن من الجهل بامر الله
والاغترار به القيام على هذه الحالة والسلامة منها أيسر وأقرب رشدا وهو

ان يكون المرء في البلد الذي لا يعرف فيه مع التخاص الى خمول الذكر أيما كان وطول الصمت وقلة المخالطة للناس والاعتصام بالله والعض على الكسر اليابسة وما دون من اللباس مالم يكن مشهورا والتمسك بالقرآن والصبر على الشدائد وانتظار الفرج (واعلم) انى قد نظرت ببعث النفس والعناية بها فوجدت غفلتنا عظيمة وخطرنا عظيما والغفلة عن الخطر أعظم من الخطر لانه انما يعظم الخطر عند أولى العقول فكلما اعظم الخطر وعلمت انه عظيم وكنت من أهل البصيرة حركك عظيم الخطر فانتقلت من عظيم الغفلة الى حال التيقظ ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(فصل في ذكر الطمع وقبحه) وقال رحمه الله ينبغى لك يا أخى أن لا تأذن لقلبك في استصحاب ما يعسر عليك طلبه وتخاف اطفاء نور القلب من أجله وكن في تأليف ما بينك وبين الله محمود العاقبة واقطع أسباب الطمع فيستريح قلبك ويصير الى عز الاياس واماتة الطمع فيسد عليك سبيل الفقر ويسكن قلبك عن العناء ويسقط عنك بذلك الشغل بالمخلوقين واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الامل وقطعه واطلب راحة البدن باجماع القلب على عدم الشغل برؤية المخلوقين وتعرض لرقة القلب بدوام مجالسة أهل الذكر من اهل العقول والمعرفة وحسن الادب التاركين افضل الكلام فان مجالسة هؤلاء يصفو القلب ويرق ويقدح فيه النور وتجرى فيه ينابيع الحكمة وافتح باب دواعى الحزن الى قلبك واستفتح بابه بطول الفكر واستجلب الفكر بالتوحش من الناس فان أبوابهما في مواطن الخلوات وتحرز من ابليس بالخوف الصادق واستعن على ذلك بمخالفة هواك واياك والرجاء الكاذب فان التوسع فيه ينزلك بمنزلة المغترين من أهل المكر والاستدراج وذلك لان للرجاء طرقا تؤدى الى الامن والغفلة فاياك أن تتخذه مطية لسفرك وتخلص يا أخى الى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق مع كثير الرضى بذلك واستقلال كثير الطاعة واستجلب النعم بعظيم الشكر واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم واطلب لنفسك العز باماتة الطمع وادفع ذل الطمع بعز الاياس واستجلب عز الاياس ببعد الهمة واستعن على بعد الهمة بقصر الامل وبادره بانتهاز النعمة عند امكان

الفرصة خوف فوات الامكان ولا امكان كالايام الخالية مع صحة الابدان واحذر التسويف فان دونه ما يقطع بك عن بغيتك واياك يا أخي والتفريط عند امكان الفرصة فانه ميدان يجري باهله بالخسران واياك والثقة بغير المأمون فان للشر ضراوة كضراوة الذئاب ولا سلامة كسلامة القلب ولا عمل كمخالفة الهوى ولا مصيبة كمصيبة العقل ولا عدم كقلة اليقين ولا جهاد كجهاد النفس ولا غلبة كغلبة الهوى ولا قوة كرد الغضب ولا معصية كحب النفاق وان حب الدنيا من حب النفاق ولا طاعة كقصر الامل ولا ذل كالطمع وفقنا الله واياك لما اليه دعانا واعاننا واياك على اجتناب ما عنه نهانا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(فصل في التزين) وقال رحمه الله وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال العقول معادن الدين والعلم دلالة على أعمال الطاعات والمعرفة دلالة على آفات الاعمال والبصائر دلالة على اختيار عواقب الامور واختبار موارده وتصريف مصادرها (والتزين) اسم لثلاث معان فتزين بعلم ومتزين بجهل ومتزين بترك التزين وهو أعظمها فتنة وأحبها الى ابليس (واعلم) ان الاساس الذي ينبغي للمريد أن يبني عليه دينه معرفته نفسه وزمانه وأهل زمانه فاذا عرف عيوب نفسه وأراد ما يخذا ليسلم به من شر نفسه ان شاء الله تعالى فليبدأ بالخلوة وخمول نفسه فلعله حينئذ أن يدرك بذلك الحزن في القلب والخوف الذي يحتجزبه عما نهى الله عنه والشوق الذي يدرك به أمله من محبة الله والالم يزل متحيرا متلذذا متزينا بالكلام يأنس بمجالس الوحشة ويثق بغير المأمون ويطمئن لاهل الريب ويحتمل اهل الميل الى الدنيا ويغتر بأهل الحرص والرغبة ويتاسى بأهل الضعف ويستريح الى أهل الجهل ميلا منه الى هواه الى أن يفجأه الموت وحلول الندم (واذا) وجدت المريد المدعي للعمل والمعرفة يأنس بمن يعرف ولا يهرب عمن لا يعرف وينبسط ويمكن نفسه من الكلام بين ظهراني من يعرف فاتهم حاله اما أن لا يكون صادقا في ارادته أو يكون جاهلا بطريق سلامته أو مغلوبا على عقله وعلمه مستحوذا عليه هواه وما التوفيق الا بالله

العلي العظيم (واعلم) يا أخي علماً يقيناً لا شك فيه أنا لم نبن أساس الدين على طلب السلامة فيه من الخطاء ولا على حسن السيرة منا في الأخلاق والآداب ولكنا ابتنيناه على أساس الهوى وعلى ما خف محمله على قلوبنا واستخفته أنفسنا واستحلته ألسنتنا فأمضينا فيه أعمالنا طمعاً في الزيادة من التقوى بزعمنا أو دركا حسن السيرة منا في الأخلاق والآداب فنظرنا بعد ذلك فإذا قد رجعت علينا أعمال إيثار الهوى بالنقص من الزيادة في الدين وبقبح السيرة منا في الأخلاق والآداب بنظرنا الأمور الدنيا والآخرة فورثنا ذلك الخب والغش والمداهنة فصيرنا الغش والمداهنة مداراة وصيرنا الخب عقولا وآدابا ومروءات يحتمل بعضنا بعضاً على ذلك فأعقبنا ذلك تباغضاً في القلوب وتحاسداً وتقاطعاً وتدابراً فتحاببنا بالألسن مع الرؤية وتباغضنا بالقلوب مع فقد الرؤية نذم الدنيا بالألسن ونميل إليها بالقلوب وندافعها عنا في الظاهر بالقول ونجرها بالأيدي والأرجل في الباطن فأصبحنا مع قبح هذا الوصف وسماجته لا نستاهل به خروجاً عن النقص ولا دخولا في الزيادة فإنا لله وإنا إليه راجعون والله المستعان وأصبحنا لا نجد رجلا صادقاً فنتأسى به ولا خائفاً فنلزمه للزومه له ولا محزوناً يعقل الحزن فنبا كيه فقد صرنا نتلاهى بفضول الكلام ونأنس بمجالس الوحشة ونقتدي بغير القدوة مصرين على ذلك غير قلقين ولا تائبين منه ولا هاربين من مكر الاستدراج فنعوذ بالله من التولي عن الله والسهو عن الله والشغل بغير الله إن الله جل ذكره أوجب على نفسه للطاعة ثواباً أي ما وعد به سبحانه من التفضل والإحسان وعلى المعصية عقاباً فالثواب لا يجب للعبد على الله إلا من بعد تصحيح العمل وتخليصه من الآفات وتصحيح ذلك وتخليصه لا يتم إلا بالمعرفة والاعتزام واحتمال مؤنته وتصحيح العمل والاعتزام والاحتمال والصبر على العمل لا يكون إلا من بعد ثبات الخوف في القلب والخوف لا يوجد إلا من بعد ثبات اليقين في القلب وثبات اليقين لا يكون إلا من بعد صحة تركيب العقل في العبد فإذا صح تركيب العقل في العبد وثبت وقع الخوف مما قد أيقن به فثبات عزيمة الصبر من غير تكلف فاحتملت النفس حينئذ مؤنة العمل طمعاً في ثواب ما قد أيقنت به على فعل الطاعة ورهبة عقاب ما قد أيقنت

الكيس كالعقل وزنا ومعنى اه

به على فعل المعصية فتركت المعصية والشهوة هربا من عقوبتهما واحتملت
الطاعة بالاخلاص رجاء ثوابها فكلف الاحمق الكيس ولم يعذر على لزوم
الحمق وكلف الجاهل التعليم ولم يعذر على غلبة الهوى وكلف العامل
الصدق والاخلاص والتيقظ فى عمله ولم يعذر على الشهوات والغفلة وترك
الاخلاص فيه وكلف العاقل الصدق فى قوله ولم يعذر بالميل الى الكذب
وكلف الصادق المخلص الصبر عن ابتغاء تعجيل ثواب عمله فى الدنيا من
المخلوقين من حب الدنيا والتكرمة والتعظيم وعندها انقطع العمال
خاصة وحل بهم الجزع وتركوا عزيمة الصبر فى طلبهم تعجيل ثواب عملهم ولم
يؤخروا ثواب الاعمال ليوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وخدعتهم
الانفس الامارة بالسوء عند ستر سرائر اعمالهم حتى أبدوها للمخلوقين بالمعانى
والمعاريض وأظهروا الاعمال ليعرفوا بفضيلة العمل ليزدادوا عند الناس
فضيلة ورفعة فتعجلت أنفسهم ذخائر اعمالهم وحلاوة سرائرهم بحسن الثناء
والتكرمة والتعظيم ووطء الاعقاب والرياسة والتوسعة لهم فى المجالس
واغفلوا سؤال الله لهم فى عقدهم ان عملوا وماذا طلبوا فخسروا أنفسهم
واعمالهم وخسارة ماهنالك باقية وندامة ماهنالك طويلة لما وردوا على الله
فوجدوا اعظم ما كانوا يؤملون من ثواب سرائر أعمالهم التى عاجلوا بها
أنفسهم فى الدنيا فمنعوها هنالك لانهم قد كانوا تعجلوا ثوابها من المخلوقين
وخرجوا من خير اعمالهم صفر اليدين فانا لله وانا اليه راجعون ما أقبح
الفضيحة بالعالم العامل البصير الناقد العارف غب قلة الصبر وابتغاء تعجيل
الثواب والميل الى الدنيا وايثار شهواتها ولذاتها فينبغى للعاقل الحازم اللبيب
العالم العامل العارف البصير الناقد أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية
ولا ينبغى تعجيل الثواب ههنا وما التوفيق الا بالله العلى العظيم

(فصل فى الغيبة والنميمة) وقال رحمه الله اعلم ان مخرج الغيبة انما هو
من تزكية النفس والرضى عنها الا انك انما تنقصت غيرك بفضيلة وجدتها
عندك وانما اغتبته بما ترى انك منه برىء ولم تغتبه بشئ الا وما احتملت
فى نفسك من العيب أكثر وانما يقبله منك مثلك فلو عقلت ان فيك من
النقص اكثر لحجزك ذلك عن غيبته ولاستحييت أن تغتابه بما فيك اكثر

منه ولو علمت ان جرمك عظيم بغيبتك غيرك وظنك انك مبرء من العيوب لحزنك ذلك ولشغلك عن ذلك وكيف وانما يأتى الاموات الاموات ولو كانوا احياء اذن ما احتملوا ذلك منك ولتناهوا (واعلم) ان ميت الاموات احمد فى العاقبة من ميت الاحياء وتفسير ميت الاحياء اموات القلوب وهم احياء فى الدنيا فمن كانت هذه صفته كثرت أوزاره وعظمت بليته فاحذر يا أخى الغيبة كحذرك عظيم البلاء أن ينزل بك فان الغيبة اذا نزلت وثبتت فى القلب وأذن صاحبها لنفسه فى احتمالها لم ترض بسكناها حتى توسع لاخواتها وهى النميمة والبغى وسوء الظن والبهتان والكبر وما احتملها لبيب ولا رضى بها حكيم ولا استصحبها ولى لله قط فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل فى الاستدراج) وقال رحمه الله الاستدراج اسم لمعنيين فأحد المعنيين استدراج عقوبة للسيئة تنبيها على الانابة والمعنى الثانى استدراج لا انابة فيه ولا رجوع فنعوذ بالله من الاستدراج وانما يستدرج العبد على قدر بغيته فمنهم من يستدرج بالملك والسلطان وطاعة الناس له ومنهم من يستدرج بالدنو من الملوك والسلاطين والحظوة عندهم ومنهم من يستدرج بالتوسعة فى تجارته بالتوسعة فى المال ومنهم من يستدرج بالاهل والولد والغاشية والتبع ووطء الاعقاب ومنهم من يستدرج بعلمه بأن يكرم بسببه ويحمد ويعظم ويسمع قوله فيه ويستدرج بفضل حفظه من علمه ومنهم العابد يستدرج من طريق العجب فى عمله والقوة على ذلك فى بدنه ومنهم ذو البصيرة يستدرج بالزيادة فى بصيرته فجميع من ذكرنا من المستدرجين كلهم لا يخلو من الرياء والعجب وكل مزين له ما هو فيه لا يرى الا أنه على الطريق مقبول منه احسانه وقد عمى عن فتنة ما هو فيه من الاستدراج ومنهم من ينبه فينتبه فيرجع الى الانابة ويفزع الى الاستكانة ومنهم من يهمل فيهمل نفسه الى حضور أجله وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى فهذه فتنة الاستدراج فنعوذ بالله من ذلك والمستدرج مفتون فلا يعلم بفتنته مزين له عمله مستحسن ما هو فيه طالب للزيادة على ما هو عليه مقيم فاحذر فتنة الاستدراج واعلم

ان الاستدراج عقوبة للمصيبين شكر النعم

(فصل في اليقين) وقال رحمه الله اعلم ان للموقن علامة واضحة تعرفها من نفسك ومن غيرك وهي ان الموقن يعظم عنده الخطأ والزلل وان كان غير مؤاخذ به لغفلته عنها وركونه اليها بالشهوات وهجوم ابليس على قلبه وطمع نفسه فيما هو اعظم منها اذا عمل منها شيئاً ظن انه قد استوجب النار وانه مسلوب بها ما أنعم عليه به فاذا كان العبد كذلك كان موقناً وهو يعلم (ان قلت) ما بال أقوام عارفين يذنبون (قلت) ليعرفهم الله فضله عليهم واحسانه اليهم عند اساءتهم الى أنفسهم فتجدد عندهم النعم ويستقبلون الشكر فيصيرون بذلك الى أعلى درجاتهم انتهى

(فصل في العجب) وهذا راجع الى ما تقدم ذكره من الاستدراج أعني استدراج الملوك وغيرهم (لكن) بقي من الكلام على ذلك بقية يحتاج الى ذكرها في هذا الفصل (قال) رحمه الله فالعامة معجبون بما أوتوا من الاهل والولد والاموال والارباح والمساكن والعلماء معجبون بعلمهم وما بسط لهم فيه من الذكر والقراء معجبون بما نالوا من الثناء والتزمت بقراءتهم والعباد معجبون بما نالوا من القوة على اظهار الزهد والصلاة والصوم فليس من هذه الاصناف صنف الا وهو يحب التعظيم والمحمدة عند من هو دونه وعند من هو فوقه واصل ذلك كله من التجبر وهذه فنونه فاذا ثبت التجبر في قلب عبد ثبتت فنونه جميعا والتجبر أصل منه يتفرع جميع الشر من الغضب والطمع والرياء وحب التعظيم والرياسة والمنزلة والسمعة والتزين والطيش والعجلة وسوء الخلق والحرص والشره والمكر والخديعة والجريرة والغش والخلابة والكذب والغيبة والنميمة والحسد والقساوة والجفاء والشح وقلة الحياء مع فنون جميع الشر فنعوذ بالله من الشر كله

(فصل في التواضع) وقال رحمه الله اذا ثبت التواضع في القلب ثبت فيه جميع الخير من الرأفة والرقة والرحمة والاستكانة والقنوع والرضى والتوكل وحسن الظن وشدة الحياء وحسن الخلق ونفي الطمع وجهاد النفس وبذل المعروف وسلامة الصدر والتشاغل عن النفس والمبادرة

التزمت كالتلون وزنا ومعنى اهـ

الجريرة كسفينة الذنب والخلابة بوزن الخيانة الخديعة اهـ

فى العمل بالخير والبطاء عن الشر كل امرئ على قدر ما فيه من الهريكون فعله على قدر ذلك ويكون حذره على قدر ذلك (فان) كنت تسأل عن العجب الذى دخل أصحاب الاعمال من العباد فسأخبرك بفتنتهم وشدة بليتهم فتوقها واحذرها واستعن بالله فانه ليس شئ أعجب الى ابليس الخبيث من فتنة العابد لان فتنة أهل الدنيا مكشوفة بطلبهم الدنيا والناس قد عرفوهم بطلبها وفتنتها افنتهم من جمعها وهو يعلم أنه مفتون فيها واما فتنة العابد فهى أعظمها فتنة وأعظمها بلية وأعظمها اصرعا لانهم قد تركوا عبادة الدنيا وجدوا فى طلب الآخرة وكابدوا المفاوز والقفار وجاهدوا صعود العقاب وجاهدوا أنفسهم على ترك الدنيا امرفتهم بالنفس وماتدعو اليه وامرفتهم بالدنيا وماتدعوهم اليه وأقبلوا على طلب الآخرة وايثارها بالصدق منهم وحسن الارادة غير ان الله جل ذكره امتحن هذا الخلق فى كل أحوالهم فى تمسكهم بالدنيا وفى تركهم لها وفى طلبهم الآخرة وايثارهم اياها بالجد والاجتهاد وجعل فى كل نوع من ذلك مؤنة لاتدفع الا بالصبر و وعد ابليس وعداوة وعجزه له الى يوم القيامة بان أسكنه هو وذريته صدور بنى آدم يجرى منهم مجرى الدم وذلك ان أطاع منهم ولمن عصى ولاوليائه واعدائه فليس للعابد فى عبادته ان ينفى الشيطان عن قراره أو يزعجه عن المكان الذى أسكنه الله فيه ومكنه منه وهذه من المحن التى امتحن الله بها خلقه لينظر كيف يعملون غير ان العبد اذا تيقظ بقلبه خنس الخبيث عنه فلم يكن له شئ الا مع غفلته وطبع الله الخلق كلهم على الغفلة والتيقظ وأيد الله العابد بمكايدته ابليس فليس أحد أحوج الى صحة تركيب العقل فيه من هذا العابد الذى قد قصد خلافه وقوى على احتمال ترك الاسباب التى يصل بها ابليس الى ابن آدم من فنون الشهوات فهذ فى ذلك أجمع وخالفه خلافه ثم قرب من العقبة التى ان جاوزها كان منحدرا الى الجنة باذن الله فتجرد له ابليس وعلم أنه لم يبق عليه الاهذه الدرجة التى ان سلم منها نجا فلا يسلم فى مثل زمانك مع كثرة هذه الفتن والمحن الامن كان على مثل ما وصفت لك

(فصل فى النية والعبادة) وقال رحمه الله ينبغى للعبد أن يصحح نيته

العقاب بالكسر جمع عقبة اه

التى هى قوام عمله ويجمع لذلك قلبه وذهنه وعنايته ويقرر عمله فيما يأتى ويقصر فى عبادة ربه ويقصد معرفة ربه ومكايدة عدوه ومجاهدة نفسه واياسه اياها من عملها الطالب الثواب لأنها ان انقطعت عن عبادتها لم تبلغ درجة العفو واعظيم ما جنت من الاساءة ولو أن تلك العبادة والاحسان بازاء ذنب من ذنوبها الاستأهلت بذلك الذنب العقاب الا أن يغفر فكيف بجميع اساءتها مع قلة ما يستقبل من عماد التوبة والمراجعة ثم عملها على طاعة الله ما استطاعت فان عارضه ابليس بشئ أو رفعت نفسه رأسها اتذكر شيئا من احسانها سامنعها بما قد عرفه الله من قديم اساءتها ويذكرها عيوبها فتنقمع عند ذلك ويكون ذلك زاجرا لعدوه ان شاء الله تعالى عند ما يريد من خديعته ليوقعه فى العجب بالباطل فلو كان يجب عجب حقيقة من احتمال نفسه طاعة ربها بشاشة منها وسرور وزهد فيما كره الله لكان أولى الاشياء باليقين مع صدقها فى الطاعات الرجوع الى الشكر لان العمل بطاعة الله نعمة من الله على العامل فيما يسر له من العمل ومن غفل عن الشكر فى العمل كان جاهلا بربه جاهلا بالعمل جاهلا بالنعم ومن عقل الشكر وذكر نفسه احسان الله رجع الشيطان بعون الله صاغرا ناكصا على عقبه فالزم نفسك الندم وارجع الى ما عرفك ربك من معرفة نفسك وعدوك وارغب الى الله فى العصمة من شر نفسك وشر عدوك واسأله الكفاية فانه لم يلجأ اليه احد فى شئ من ذلك الا وجده قريبا مجيبا فاذا صار العبد الى هذه الدرجة أعطى هذه المعرفة فلا يكون له همة ولا بغية ولا مسئلة الا النقلة من ضيق الدنيا وغمها مخافة أن تعارضه فتنة من فتنها تحول بينه وبين معرفته ويرتجى ان يصير الى الآخرة ورجها اليأمن فيها على نفسه من روعات ابليس وجنوده وانا أوصيك أن تطيل النظر فى مرآة الفكرة مع كثرة الخلوات حتى يريك شين المعصية وقبحها فيدعوك ذلك النظر الى تركها

(فصل فى العلم) وقال رحمه الله اعلم أن لدواعى الخير علامات يستجاب بها دواعى الحزن والتفكر فهو بين ذلك مسرور لانه جعل ذلك فى الدنيا بغيته وأمله واذا أدرك أمله ووجد بغيته طاب عيشه كما ان طالب الدنيا اذا

هماد بالكسر بوزن سداد ما يسد به القارورة

ادركوا آمالهم من نعيمها وزهرتها احاط بهم السرور فكذلك طالب الآخرة
وهو بعد ذلك من نفسه وعدوه وزوجته وولده وأهل زمانه خائف وجل
لا يأمن من الشيطان الا مع استذكاره قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله
فهو حسبه فحينئذ يقوى قلبه ويستصغر كيد من كايده وهو مع ذلك معتصم
بربه واثق به فى طالب الآخرة فلا يغفل وليبن أمره على طالب السلامة من
الخطأ وعلى أساس الصدق فيما بينه وبين ربه ولا يخاف على قليل عمله اذا
خلصه لله من الآفات كلها أن لا ينميه الله له ويكثره ولا سيما اذا كنت فى زمان
قد كثرت فيه الشبهة والاختلاف فان تخلصك قليل عملك من بين ظهرانى
أهل الشبهة والاختلاف حتى تكون عاملا على حكم الكتاب والسنة عند
الله كثير فكن فى زمانك أشد تيقظا للتخلص الى معرفة ما كان عليه السلف
الماضون من اتباع حكم الكتاب والسنة (واعلم) ان المعرفة اذا استحكمت
فيك لم تدعك مع التقصير فى العمل بل تنقلك من درجة الى درجة حتى
تبلغك غايات ما عملت من الخير او يأتيك الموت وأنت طالب لغاياتها وكما
ان الارض لا تنبت بغير ماء فكذلك العمل لا يصلح بغير معرفة فكلما ازداد
العبد بالله معرفة ازداد يقينا وكلما ازداد يقينا ازداد لله خوفا وكلما ازداد لله
خوفا ازداد لربه طاعة وكلما ازداد لربه طاعة ازداد له حبا وكلما ازداد له حبا
ازداد اليه شوقا وكلما ازداد اليه شوقا ازداد للموت حبا (فاذا) كان كذلك كان
مغموما فى حالة سرور وذلك ان المغموم على الحقيقة لا يتأسى بأهل
السرور فى الدنيا ولا يجرى معهم فيما هم فيه وذلك ان المغموم جمع همومه
كلها فنصبها بين عينيه ثم جعلها هما واحدا فقصر به أجله وهجم به على
معاينة أحوال آخرته وأهوالها والمغموم بالحقيقة نبهه الغم على التسويف
فعمل للنقلة من دار الغموم الى دار السرور (وسأصف لك) حال المغمومين
ان شاء الله تعالى (اعلم) ان لله عبادا تدبروا فعرفوا فلما عرفوا أيقنوا فلما
أيقنوا خافوا فلما خافوا علموا فلما علموا صمتوا وعملوا فلما عملوا
أشفقوا فلما أشفقوا جاهدوا فلما جاهدوا رغبوا فلما رغبوا صبروا فلما
صبروا أبصروا وساوى أنفسهم فلما أبصروا ساوى أنفسهم قصدوا
بمجاهدتها بالقلوب فارتفعوا عن أعمال الجوارح الى تصحيح القلوب

فنقلوا

فنقلوا طباعهم عن الريب والدناءة وجانبوا في أحوالهم كلها ومعاملاتهم أحوال أهل المكر والخديعة والخب والزموا أنفسهم محجة الطريق في أفعالهم كلها ومنطقهم كله فاستقاموا باطنا من الاعمال التي لا تظهر للمخلوقين واراحوا أبدانهم من ظاهر الاعمال الا ما لزمهم من أداء الفرائض المحتومة فصارت اعمالهم سرا بين قلوبهم التي هي أرجح وزنا وأحد ذكرا عند الله وعلقوا قلوبهم بحب لقاء الله فصغرت الدنيا في أعينهم فاذا اقبلت عليهم خافوا وحزنوا خوفا من الاستدراج والمكر وان أدبرت عنهم سروا وفرحوا وداهنوا الايام مداهنة جميلة مستترين عن الاهل والولد والاخوان والجيران فهمتهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وفي الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم مغمومون يكاشرون الناس بوجوههم وقلوبهم باكية وصفاتهم أكثر من ان يحيط الواصف بها في الكتب والكلام في ذلك يكثر فهذه صفات المغمومين على الحقيقة المسرورين بالله جل ذكره الفرحين به المنقطعين اليه والحمد لله رب العالمين

قوله يكاشرون أي يضاحكون اه

(فصل في عيوب النفس) وقال رحمه الله اخواني انه من لم يعرف نفسه وعيوبها فهو من استقامة دينه على اعوجاج (واعلم) ان من حسن سيرة العارف بعيوب نفسه أن لا يبقى دينه على قبح ولا فساد واصل العلم الغريب يدرك بفطن العقول المرضيه وبنور الحكمة الشافيه وبمخالفة الاهواء وبفوائد المعرفة الشافيه وباصابة الحق في القول والعمل بالبصيرة ولا يبلغ هذه المراتب العالية الا من تقلد حب الآخرة دونها بما وراغبا فيها ومؤثرا لها على ما سواها وخلع عن قلبه حب الدنيا وزهد فيها بالحقيقة واستشعر التواضع وهجر الهوى فينبغي للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبتغي تعجيل الثواب ويحرك لعزيمة الصبر وبالله التوفيق

(فصل في الاشياء التي يستعان بها على معرفة عيوب النفس) وقال رحمه الله اعلم اني وجدت الذي يعين على معرفة عيوب النفس والعمل في مجاهدتها مخالفة الهوى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (يا أخي) انه ان يعدمك من عدوك خاطر الشر في القلب للمعصية فاذ نعمه عنك بحاكم العلم

من القلب للطاعة وانه ان يعدمك من نفسك سرعة القبول لموافقة الهوى فادرأه عنك بقلة المساعدة لخلاف الهوى وانه ان يعدمك من عدوك التثبط عن العمل فادفعه عنك بتعجيل المبادرة الى العمل وانه ان يعدمك من نفسك التشبث بالكسل فادفعه عنك باغتنام الصحة (واعلم) يا أخي ان القلب اذا تراكمت عليه اقذار الذنوب وأطفاس الشهوات عمي واسود ونكس وطفئ نوره فلم يبصر عيوب نفسه وابصر بعينه عيوب غيره فشغل به عن عيوب نفسه فليس شئ أولى بالمدعين للارادة من أن يتوسلوا الى الله عز وجل بطلبهم منه صلاح قلوبهم ليسلموا من شرور أنفسهم وغلبة أهوائهم واعلم ان القلب اذا لم يثبت فيه الحزن خرب كما أن البيت اذا لم يسكن خرب

التثبط التقاعد وقوله وأطفاس الذنوب عطف تفسير على ما قبله اه

(فصل في الحزن والخوف) وقال رحمه الله اعلم ان العلم والعمل بالعلم لا ينفع العبد الا باستقامة قلبه والا عاد العلم عليه فصار جهلا وعاد العمل فصار ضررا مع ان فساد قلوبنا هو الذي فرق بيننا وبين سلوك طريق الاستقامة والاتباع للقوم الذين يصلحون عند فساد الناس وهم الذين لم يتركوا من الفرائض شيئا الا أدوه لم يتركوا الصلاة والزكاة والحج والجهاد والصيام والغسل من الجنابة والطهور للصلاة كل ذلك واجب عليهم وهو شئ معروف لم يزد فيه ولم ينقص منه فما بال الفساد واقع علينا ونحن لم ننكر هذه الفرائض كما لم ينكروها وانما نعمل في الظاهر بأكثرها غير أن القلوب منا مائلة الى حب ما زهد القوم فيه والانفس منا قابلة لحب هواها مستثقلة لما في الحق من الصبر والمكروه (وسأعطيك) دواء لفساد قلبك ينفعك الله به اذا كانت لك حياة ان شاء الله تعالى اعلم يا أخي أن القوم صبروا على مكروه ما دلهم عليه الحق فصبروا في الغضب والرضى والشدة والرخاء والعسر واليسر والعافية والبلاء فكانت أهواؤهم تابعة للحق على ما أحبت الانفس وكرهت فكان الحق لهم قائدا والهوى لعقولهم تابعا فاستقامت منهم السيرة بلزومهم محجة الحق في مواطن غضبهم ورضاهم وطمعهم وتقواهم وكانوا اذا امتحنوا في هذه المواطن ظهر منهم قول الحق في مواطن غضبهم وهم له في ذلك الوقت ألزم وأشد تمسكا منهم في مواطن الرضى فان عارضهم طمع دنيا ظهر منهم التنزه والورع والتقوى والتأني وفقد

منهم الحرص والرغبة خوفا منهم وكان منهم كالطباع لم يتصنعوا فيه وطباعنا اليوم بخلاف ذلك كله وكانوا أخوف لله وله أحذر مخافة أن لا يقبل منهم عملا فلا تفرحن بكثرة العمل مع قلة الخوف واغتنم قليل العمل مع الخوف فان قليل حزن الآخرة الدائم في القلب ينفي كل سرور سررت به وألفته من سرور الدنيا وقليل سرور الدنيا في القلب ينفي عنك جميع حزن الآخرة والحزن لا يصل الى القلب الا مع تيقظه وتيقظه حياته وسرور الدنيا الغير الآخرة لا يصل الى القلب الا مع غفلته وغفلة القلب موته والحزن يوقظه ويستنبط له اليقظة من خالص عين اليقين وبخطرات غامض الفهم تكون خطرات اليقين وعلامة ثبات اليقين في قلب العبد استدامة الحزن فيه

(فصل في الزهد والخلوة) وقال رحمه الله تعالى اعلم اني لم أجد شيئا أبلغ في الزهد في الدنيا من ثبات حزن الآخرة في القلب وعلامة ثبات حزن الآخرة في القلب أنس العبد بالوحدة وموضع هياج الحزن السرور ومعدنه ومفتاحه العقل ومحال أن يكون محزونا مسرورا في حالة واحدة وجميع الطاعات توجد بالتكلف والحزن لا يوجد بالتكلف الا أن يصل الى القلب الذي يكون منه الحزن وذلك ان أهل الطاعة قدموا بين يدي الاعمال لطيف معرفة الاسباب التي بها يستديمون صالح الاعمال ويسهل عليهم مأخذها توطينا منهم لانفسهم استصحاب نيتهم الى انقضاء آجالهم فصيروا أعمالهم في الدنيا يوما واحدا وليلة واحدة وكلما مضت ليلة استأنفوا الثانية وطلبوا من أنفسهم حسن الصحبة ليومهم وليلتهم وكلما مضى عنهم يوم بحسن الصحبة منهم أو ليلة راقبوا أنفسهم فيها على جميع الطاعات وكان ذلك عندهم غنيمة وذكروا اليوم الماضي فسروا به فصبروا أنفسهم على اليوم المستقبل لخوف انقضاء الاجل فيه أو في ليلته وطرحوا شغل القلب بذكر غد واستعملوا أبدانهم وجوارحهم فيه وتفرغوا له فقصرت عنهم الآمال وقربت عندهم الآجال وتباعدت عنهم أسباب وساوس الدنيا وعظم شغل الآخرة في قلوبهم فنظروا اليها بعين صحيحة النظر نافذة البصر وتقربوا الى الله بالاعمال الزاكية فاستقامت لهم السيرة حين وجدوا حلاوة الطاعة وطاوعتهم الزيادة في التقوى فقرت بالخوف أعينهم

وتنعموا بالحزن في عباداتهم حتى نحلت أجسامهم وبليت أجسادهم وقل مع المخلوقين كلامهم وتلذذوا بمناجاة خالقهم فقلوبهم بملكوت السموات متعلقة وفكرهم بأهوال القيامة مقبلة مدبرة وأبدانهم بين المخلوقين عارية فعموا عن الدنيا وصموا عنها وعما فيها ووضح لهم أمر الآخرة حتى كأنهم اليها ينظرون والحمد لله رب العالمين (ثم) نظرت في ذلك فلم أر شيئا أقرب ولا أجمع لذلك كله من حبة الأنفس عن الفها وقطع مجاورة المخلوقين بمنع القلوب عن الأخبار التي بها تهيج القلوب من الاشتغال القواطع عن التفرغ للحزن أو البحث عن أمر الآخرة والترك للدنيا وما فيها فورثه ذلك حب الخلوات فأحبها ولزمها وأنس بها واستوحش من المخلوقين وذلك حين جرت عذوبة الخلوة في أعضائه كما يجري الماء في أصل الشجرة فأورقت أغصانها وأثمرت عيدانها ولزم خوف ما يجيء به يوم القيامة سويداء قلبه فهاج له من الخلوة فنون من أصول الزهد في الدنيا حتى انه لو اجتهد في فن منها على أن يستحكم له لعظمت عليه المؤنة واشتد عليه فيه الصلاح فاذا بلغ الله العبد هذه الدرجة حببت اليه الخلوة (فأول) ما يستفيد من حب الخلوة الاخلاص في العمل والصدق في القول فيما بينه وبين الله تعالى وفي حب الخلوة راحة القلب من غموم الدنيا وترك معاملة المخلوقين في الأخذ والعطاء ومخرج ذلك كله من صحة العقل فأسقط عن نفسه بالخلوة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومداهنة المخلوقين ويحبب اليه بالخلوة خمول النفس واخماد الذكر في الناس وهو طريق الصدق ومنه يكون الاخلاص ويحبب اليه بالخلوة الزهد في معرفة الناس والأنس بالله ويوهب له استثقال المخلوقين حتى يفر منهم فراره من الأسد وهو غير مفارق لجماعتهم (ويعطى) من حب الخلوة طول الصمت من غير تكلف وغلبة الهوى بالصبر ومن الصمت والصبر غلبة الهوى (ويعطى) من حب الخلوة الاشتغال بأمر نفسه وقلة اشتغال العبد بذكر غيره وطلب السلامة مما فيه الناس (ويعطى) بالخلوة كثرة الهموم والأحزان والفكر وهذه الخصال من أفضل العبادة ومخرجها من خالص الذكر (ويعطى) بالخلوة الأعمال التي تغيب عن أعين العباد وتظهر لرب العباد والبلاد وقليل ذلك كثير ومخرج ذلك من الصدق

ويعطى بالخلوة التيقظ من غفلة أهل الدنيا ومايذكره منها الخاص والعام (ويعطى) بالخلوة ترك الرياء والتزين وكل ذلك من دواعى الاخلاص وهو محض الصدق (ويعطى) بالخلوة ترك المراء وترك الخصومات والجدال وذلك ينفى الرياسة من القلب (ويعطى) بالخلوة قلة الخلف فى الوعد والتوقى من الكذب والايمان والحنث فيها ويخرج ذلك من الصدق (ويعطى) بالخلوة قلة الغضب والقوة على كظم الغيظ وترك الحقد والشحناء ومعاملة الخلق بسلامة الصدور (ويعطى) بالخلوة رقة القلب والرحمة وهما ينفيان الغلظة والقساوة وهما من دواعى الخوف وبالخوف الثابت فى القلب يخشع العبد ويبكى من خشية الله تعالى فى الليل والنهار وهى من غايات العبادة (ويعطى) بالخلوة تذكر نعم الله عليه واحسانه اليه وطلب الشكر والزيادة من الطاعة (ويعطى) بالخلوة وجود حلاوة أهل والنشاط فى الدعاء ويجرى ذلك من القلب مع تضرع واستكانة (ويعطى) بالخلوة القناعة والتوكل والرضى بالكفاف للعفاف والاستغناء عن المخلوقين (ويعطى) بالخلوة عزوب النفس عن الدنيا وشهواتها وفتنتها والشوق الى لقاء الله ويخرج ذلك من حسن الظن بالله وخوف التقصير فى العمل (ويعطى) بالخلوة حياة القلب وضياء نوره ونفاذ بصره فى عيوب الدنيا ومعرفته بالنقص والزيادة فى دينه (ويعطى) بالخلوة الانصاف للناس من نفسه (ويعطى) بالخلوة خوف ورود الفتن التى فيها ذهاب الدين والاشتياق الى الموت والانس بكلام رب العالمين وهو القرآن لما قد وجد من حلاوة المناجاة فى القرآن الذى جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين فاذا التبس عليك هذا الطريق واشتبهت عليك الامور فقف نفسك على الارادة من الترغيب والترهيب والتشويق الى ماندب الله اليه المؤمنين فانك ترجع بصيرا من حيرتك وعالما من جهالتك ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وانظر الى كل موطن يضطرك الى الصبر فاهرب منه فانك تعجز عن القيام به (واعلم) انه لايثبت لك قدم على محجة دين الله وفيك خوفان خوف الفقر وخوف الغنى والثروة فان ذلك مفتاح فقر الابد وخوفك من السقوط من أعين الناس هو الذى يسقطك من عين الله ويتسلك حظك منها فادرأ ذلك عنك واطلب الخلاص

وهى لذلك خوفين خوف أن مثلك لا يستأهل أن يبلغ ما يؤمل من الآخرة فان تفضل عليك ربك ببلوغ أملك فاتبعه الشكر واحضره خوفا شديدا لأنك لا تقوم بالشكر لما أنعم به عليك كما ينبغى فان لم تفعل ذلك خفت عليك أن تسلب النعمة فترجع الى أسوأ حالك فاذا ألزم العبد نفسه هذين الحالتين وتمسك بهما رجوت أن يؤمنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (وقد روى) عن بعض العلماء بالله أنه قال لست آمن على نفسى الفتنة وأن يحال بينى و بين الاسلام فهؤلاء يخافون هذا وهم الصفوة الذين اختارهم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم خافوا مع سابقتهم وطاعتهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهجم عليهم أقل مما أنت فيه من الفتنة فيحول ذلك بينهم و بين ما كانوا يعرفون من حلاوة الايمان فكيف بك يا مسكين ولا سابقة لك الا فى الشر ولا حلاوة عرفتها قديما من الاسلام الا حلاوة المعاصى وأنت بارك فى دولة الفتنة وزمان الشر تحب البقاء طمعا فى الزيادة وأنت مع ذلك لا تنقم عليها حبها انخدع عقلك وأنت لا تعلم انك مخدوع (واعلم) ان المطيع اذا كان غير عالم بما يلزمه من الطاعة فى عبادة ربه ولا عارف بمكايدة عدوه فانت على ابليس صرعته لانه ليس نوع من العبادة الا ولها ضد من الفتنة فمن لم يعرف الخير وضده من الشر ولا سيما فى العبادة خاصة ثم اجتهد خلاه ابليس واياها لما يعلم من قلة علمه بعبادته وما يجب عليه فيها ولم يتعرض له فى نفس عبادته بشئ و يقصد له جهة آفاتها التى تبطل عبادته من شهوة النفوس التى تسارع فى قبول ذلك فيتزين عنده ان ذلك خير من عندها وانه سيجزى ويثاب فيصدقها بما تلقى اليه من ذلك فتزهو النفس لرضى صاحبها عنها ويصدق ابليس ظنه به وبالخدع له فاذن قد صرع وخذل ولجأ الى نفسه عيله عن طريق الشكر و يظهر له من فتنة عدوه ما يستصغر به المخلوقين وتكون نفسه عنده أنه لا عدل لها زكاء وطيبا وهى أخبث الانفس وانتنها وأسقطها من عين الله تعالى فكلما سولت له نفسه من عمل احتمل فيه الاذى مع مساعدته اياها وشدة رضاه عنها من تحمل لبس الخشن وأكل الطعام الجشيم وطول السهر والصبر على ظاهر العبادة بما يفتتن به و يستميل به ابليس قلوب الجهال (ولقد)

الزكاء كالصلاح وزنا ومعنى والجشيم الغليظ فى الوزن والمعنى اه

قال

قال بعض الحكماء انى لا أعدّ كلامى فيما لا بدّ لى منه مصيبة واقعة أستعين بالله على السلامة منها وانى لا أعدّ صمتى عما يعنينى غنيمة واحداث نعمة ألتمس الشكر عليها اذ علمت ان من وراء كل كلمة رقيبا عتيدا وأنزل ما اضطررت اليه من القول مصيبة نازلة وما كفيت من الكلام غنيمة باردة (ويروى) عن بعض الحكماء أنه قال ان من شر كسب الدين والدنيا تنقيص العبد غيره والوقيعة فيه وهى الغيبة ويقال انها تفطر الصائم وتنقض الوضوء وتحبط الاعمال ويستوجب بها صاحبها المقت من الله تعالى والغيبة والنميمة مخرجهما من طريق البغى والنمام قاتل والمغتاب آكل ميتة والمباهى متكبر وهؤلاء الثلاثة أمرهم واحد بعضها مفتاح لبعض وذلك كله مجانب لاحوال المتقين

(فصل فى معرفة أصل الاشياء التى تتفرع منها فنون الخير) وقال رحمه الله سأل سائل حكيما فقال اخبرنى بأصل الاشياء التى منها تتفرع فنون الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليه الاعمال ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال له الحكيم اعلم ان أصل الاشياء التى تتفرع منها فنون الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليه الاعمال بعد اليقين بمعرفة النعم والقيام بأداء الشكر والعمل به وان يصح عندك أن جميع الخير مواهب من الله تعالى وتعلم أن جميع المعاصى كالطاعة وبة من الله تعالى وهى من طريق الخذلان وذلك من علامات السخط فاذا اعترفت بذلك كثرت حسناتك وقلت سيئاتك لانك اذا علمت أن الاحسان نعم ومواهب من الله تعالى ازددت فى الشكر واستقللت كثير شكرك عند صغير نعمه عليك لان الجبار العظيم من بها عليك وساقها اليك فقل عندك كثير الشكر وكبر عندك صغير النعم فجريت حينئذ فى ميدان الزيادة من عمل الخير وعلمت معرفة الرضى وطمعت فى العفو واذا علمت أن الاساءة التى اكتسبتها انما هى خذلان من الله وانها من طريق السخط فزعت الى التضرع فنزلت بساحته والى الاستكانة فصحبتها والى التواضع فاتخذته خدنا فاذا كان ذلك كذلك لجأت الى التوبة فاستجرت بها والبست جلباب الحياء مما سلف منك وشهد الله عليك به وشاهده منك من الاساءة مع ما تعرف من كثرة احسانه فلم تتعرض

بعد ذلك اشى مما يكره وعدت الى المعاصى فساد بتهمامنك ومن غيرك
فتشكره أن يعصيه أحد من خلقه كلهم بصغيرة أو كبيرة فراجعت
الاحسان مجتهدا وأنت مع ذلك عارف بالنعمة عليك فى التنبيه والرجوع
وان ذلك تفضل منه عليك فالقت أطايف الشكر بعد اقلاعك عن
الاساءة بشدة المضادة اياه معظم شكرك عند التحويل الى الاحسان بعد
الاساءة فاذا ذلك قد صرت فى جميع أحوالك شاكرا ذاكرا ولم يعزلك معرفة
الاحسان فشكرت حينئذ الشاكر المشكور الذى وعد على الشكر لزيادة
ووعده لاخلاف فيه وعرفت الاساءة من أين كان مخرجها فراجعت
الاحسان بالعتاب منك لنفسك وان زين الاساءة لك ردعاك اليها فهذا
الاصل الذى تتفرع منه فنون الخير وبه تغلق أبواب الشر ولا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم

(فصل فى كيفية تهوين سلوك الطريق والوصول اليه بعون الله تعالى)

وقال رحمه الله سئل رجل من أهل العلم فقيل له أوضح لنا المنزلة التى ينال
العباد بها القرب من ربهم ويقوون بها على معرفته ويلحقون بها رضوانه
والامر الذى يقربهم اليه ويقصر بهم عنه ايضاحا شافيا حتى يكون ذلك
عندنا بينا (فقال) سأوضح لك ذلك ان شاء الله تعالى فافهم قولى بفهم
لا يخالطه سهو وتذكر فيه بتذكر لا يخالطه غفلة واصبر عليه صبرا لا يخالطه
جزع فانك ان تفعل ذلك ينهج لك منهاج الطريق وتسلم من تقصير طريق
الهلكة والتوفيق بالله تعالى (اعلم) ان مبتدا الامور والذى لا ينتفع بشئ
الا به العقل الذى جعله الله جل ذكره زينة لخلقه ونورا لهم فبالعقل يعرف
العباد خالقهم وانهم مخلوقون وانه المدبر وهم المدبرون وهو الباقى وهم
الفانون فاستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه فى أرضه وسمائه وشمسه
وقمره وليله ونهاره وعلموا أن لهم ولهذا الخلق خالقا وأن لذلك كله مدبرا
وانه لم يزل ولا يزال وعرفوا به الحسن من القبيح وعلموا ان الظلمة فى الجهل
والنور فى العلم هذا ما دلهم عليه العقل (فقيل له) كيف يكتفى العباد
بالعقل دون غيره (فقال) ان العاقل دله عقله الذى جعله الله قوامه وزينته
على ان له ربا وعلم ان ربه لم يخلقه عبثا وأنه لم يخلق خلقه لعبا وعلم ان

لخالقه

لخالقه محبة وكراهية وان له طاعة ومعصية لم يجد عقله يدله الا على ذلك وعلم أنه لا يوصل اليه الا بالعلم وطلبه وانه لا ينتفع بعقله ان لم يطلب ذلك ويعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والادب وهو الذى لا قوام له الا به (فقيل له) صف لنا ما هذا العلم الذى لا ينبغى للعاقل الا طلبه ولا يجوز له التقصير بنفسه عنه (فقال) طلب العلم الذى جاءت به رسله وأنبياؤه عنه من أمره ونهيه ووعده ووعيده وملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره وبعثه وحسابه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته ومحبته وكراهيته (فقيل له) هل يكتفى العالم بما علم من ذلك أو يحتاج الى غيره (فقال) لا ينتفع العالم بما علم من ذلك دون الايمان به وان يقر ذلك فى قلبه حتى يعلم ان الله هو الحق وان ما سواه باطل وان أحدا لا يملك له نفعا لم يقدره الله له ولا ضرا لم يكتبه عليه (فقيل له) فهل يجب عليه بعد الايمان غير ذلك أو يكتفى به (فقال) نعم ان الله تبارك وتعالى أمر عباده بالطاعة والعبادة له والعمل بها ونهاهم عن معصيته وركوبها فمن آمن ولم يعمل كان متهاونا وتصديق الايمان العمل به (فقيل له) فكيف العلم وكيف العمل (فقال) أن تعمل بمحبة الله عز وجل وان خالف هواك وان تعمل بطاعة الله وان أسخطك وان تجتنب سخط الله وان سرك وان تدع كراهيته وان أعجبتك وان تؤثر ما هو له وان ساءك وان ترغب فيما رغبك وتزهد فيما زهدك وان تجعل القرآن امامك ودليلك (فقال له) السائل قد دللتنى على العمل فعرفت وعرفت فآمنت فلم يكن على فى ذلك كبير مؤنة ولا عظيم مشقة بل خفة وراحة مع ما استزدت به هداية وبصيرة ومعرفة فلما صرت الى العمل به لزمنى فى ذلك مؤنة شديدة وثقل كبير حتى حال بينى وبين كثير من لذيذ عيشتى ونعيم دنياى وحملنى على المكروه وصرفنى عن كثير من السرور فصف لى أمرا أقوى به على العمل فيما آمنت به فقد اشتدت على مؤنته وثقل على احتماله (فقال) الامور التى تقوى بها على العمل والادب الصبر الذى هو تمامه وقوامه فانك ان صبرت انتفعت بعملك وبلغت منه رضوان الله وقويت فيه على العمل وليس منزلة من منازل الخير الا وللصبر فيه عمل وبه تمامه فبالصبر قوى العباد على أداء الفرائض

والحلال والحرام وبالصبر قووا على اجتناب المحارم وبالصبر بلغوا الغاية من كرامة الله تعالى وثوابه فاذا صبرت على العمل انتفعت بالعلم والادب وانك ان لم تصبر لم تعمل وان لم تعمل لم تنتفع بالايمان بما علمت ومن لم ينتفع بالايمان لم ينفعه العمل ومن لم ينتفع بالعمل لم يغن عنه العقل فرأس امر العباد العقل ودليلهم العلم ونورهم الايمان وسائقهم العمل ومقربهم الصبر فمن لم تكن له قوة على الصبر ضعف ومن ضعف لم يعمل ومن لم يعمل لم يتم له امره ونوره وبقي في ظلمة ومن ذهب عنه النور عمي وحاد عن الطريق ومن لم يبصر فليتبع الدليل وهو القرآن ومن اتبع العلم الذي هو الحياة من الهول العظيم وعمل به وصبر عليه صار الى غاية العلم والادب (فقال له) قد بصرتني من فضل الصبر وقوته وعلمتني ما رغبني فيه وقواني على العمل به مع ثقله علي فصف لي امرا ازداد بالصبر تبصرا وفيه رغبة وعليه حرصا (فقال) صبرك على الطاعة وطلبك لها وهربك من المعصية وبأيتهما هو الذي يرغبك في الطاعة ويبين لك فضلها (قال) قد شرحت لي امر الصبر وفضله فزدني به تبصرا (فقال له) هذا الدليل والامام كتاب الله هو الذي يبين لك فضل الصبر ويرغبك في لزومه فان الله تبارك وتعالى وصف اعمال العباد وذكر ثوابهم فلم يذكر ثوابا يعدل ثواب الصبر فانه ذكر انهم يوفون اجورهم بغير حساب فهو الدليل على فضل الصبر مع ما ذكر من ثوابه في مواضع من كتابه (فقال له) صاحبه قد دلني العلم وكتاب ربي على ما ذكرت من فضل الصبر وثوابه فزادني بفضله تبصرا وازددت عليه حرصا وفيه رغبة وبه تمسكا وعليه اعتمادا مع شدة منه علي وثقل وصبر على خلاف ما اشتهي وحمل نفسي على ما اكره اطلب فيه الاجر والفضل وابتغاء العمل والادب فصف لي امرا يخف به علي مؤنة الصبر ويسهل علي لزومه ويخف علي احتماله وتذل صعوبته (فقال له) اراك للخير مريدا وللفضل طالبا وعليه حريصا وتحب ان تكون قد قويت على ما دلك عليه العلم بنفاذ من الصبر وقوة من العمل وذلك من علامات السعادة فان العبد كلما ازداد علما وفيه تفهما ازداد للخير طلبا وعليه حرصا نخفف عليه الثقيل وقرب عليه البعيد وانما في الدنيا ما يريد وانما الثقل والعسر مثال الدنيا في قلب العبد وهي مرصد ابليس وسلاحه

فاذا قطع عنه ذلك استنار القلب وخرجت الظلمة منه فلم يكن للشيطان به
احتمال قوة ولا له فيه نصيب ووصل من الامر الى ما يريد (فقال له) زدني ما
يسهل به على ثقل احتمال الصبر ويخففه على (فقال له) الامر الذي يسهل
عليك ثقل احتمال الصبر ويخففه عليك الرضى عن الله تبارك وتعالى بكل
ما صنع بك واختاره لك وساقه اليك (فقال له) صاحبه فأوضح لي كيف
يهون على مؤنة الصبر برضاي عن الله ويخفف على احتماله (فقال) ألست
تعلم انك انما انتسبت الى الرضى وسميته صبرا لأن الامر الذي نزل بك مكروه
عليك وان هواك ونفسك ينازعانك الى غيره فاحتجت الى الصبر فتدبرت
واعتبرت فصرت من ذلك الى موضع رضاه ثم يتجاوز بك الامر حتى تصير الى
موضع السرور حتى ترى لو صرف ذلك الامر عنك لصرت منه الى تقوية
نفسك وعلمت ان ما صرف عنك عقوبة لبعض ما أحدثت من ذنوبك أو
قصرت فيه من شكر ما نعم الله به عليك فصرت منه الى الدرجة الرفيعة
ومنازل أهل الرضى وانما توصل الى ذلك بالمعرفة بالله وبمعرفته بنظره اليك
فتعلم انك لا انظر لك من نفسك فترضى بما رضي به وترغب فيما رغبه وتزهد فيما
زهده والزهد من الرضى (قال) قد علمت فضل الرضى ووضح لي أمره فصف
لي كيف يهون على أمر الصبر في الزهد وكيف مأخذه فقد أراني مع ما أصير
اليه من الزهد مقيما على الصبر وازداد أيضا مع زهدي في الدنيا أمورا
أحتاج فيها الى الصبر مخالفة لهواي ورفضا الشهواتي وما تنازعني نفسي من
لذاتي فقد أراني ازددت ثقلا وضجرا (قال) أراك لا تقبل من الامور الا
أصلحها ولا ترضى لنفسك الا بأوضحها ولا تختار منها الا أرشدها وذلك من
الامور التي ارجو لك بها القوة والنجاح لحاجتك والظفر بطلبتك
وبلوغك أقصى الغاية من ارادتك فافهم قولي وتدبر نصحي فان الحجة في ذلك
واضحة والامر فيه بين ألست تعلم ان الدنيا كانت باقية في قلبك وان
حبها غالب عليك وان سرورها فرح لك وان مكروهها شديد عليك
فحملت نفسك على قطع ذلك مع حبك لها وايثارك لها ونزوعها منك مع طلبك
الفضل من احتمال الصبر وحملت نفسك على المكروه من أمر دنياك وصبرت
عليها الشدة منه عليك لان مكروهها عندك مكروه ولأن سرورها عندك

سرور فثقل عليك الصوم لقطعك الشهوة عن نفسك من الاكل والشرب وثقلت عليك الصلاة والاشتغال بها لما تسره اليك نفسك من اللهو والحديث فى الباطل وثقلت عليك الزكاة والصدقة لما تحب أن تصرفه فيه من لذاتك وثقل عليك التواضع لما ترى من تصغير شأنك ودناءة منزلتك عند أهل الدنيا وثقل عليك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لئلا يعاديك الناس أو ينقطع رجاؤك منهم أو يسمعونك ما تكره فيدخل عليك التنغيص فى سرورك وثقل عليك القنوع والرضى لعظيم موقع الدنيا من قلبك وحبك الاكثار منها وحرصك عليها وكراهيتك للموت ونعيم ما بعده مع أشياء كثيرة يطول وصفها وكل ذلك انما صار شدته عليك لحب الدنيا وانما ثقل عليك الصبر وملائمه وضيق الشيطان عليك المذاهب من أجل ذلك لان سلاحه الذى به يقوى وكيده الذى يصل به الى أهل الدنيا الرغبة فيها وطلبها فاذا أنت زهدت فى الدنيا ورفضتها ورغبت فى الآخرة وطلبتها سهل عليك الامر فآثرت الآخرة وطلبتها ورغبت فيها وادبرت عنك الدنيا وثقلها وتولت عنك هاربة ببلائها واتتك بمنافعها وصرفت عنك شرورها برغم منها وانقطع رجاء الشيطان وصغر كيده وولى وقل سلاحه فلا قوة له بك ونجوت بعصمة الله وتوفيقه من الضيق والتعسير والهلكة وصرت الى النعمة والسرور والراحة وخرج حب الدنيا من قلبك فلزمت الصيام وخف عليك لانه لم تكن نفسك تنشرح الى الاكل والشرب وغيرهما من الشهوات ولزمت الصلاة واشتغلت بها لان نفسك لم تكن تنازعك الى اللهو والخلوة الى حديث فى باطل وخفت عليك الزكاة والصدقة لانك أعددت ما قدمته امامك ولا تريد منه شيئا يبقى خلفك وخف عليك التواضع لان الاياس قد خرج من قلبك وهان عليك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الناس قد استووا عندك فلم ترج أحدا غير ربك ولم تخف شيئا غيره وخف عليك القنوع لانك رضيت من الدنيا باليسير ولم تنازعك نفسك الى غير البلاغ والكفاية وخف عليك الجهاد لان الدنيا قد أخرجتها من قلبك وكرهت البقاء فيها وأحببت الموت لما ترجو من النعيم والسرور والحياة الدائمة التى امامك فالزهد فى الدنيا راحة للقلب والبدن وهو جماع الخير وتمامه وليس

شئ من أعمال البر الا وله ضد من غيره فما قصر بك عنه فارفضه وازهد فيه يسلم لك عملك ويخف عليك ثقله (فقال) له صاحبه أوضحت فبينت وارشدت فهديت وكشفت فاريت فصف لى كيف الزهد وما حده والذى ينبغى لى العمل به فقد استبان لى فضله ووضح لى رشده (فقال له) صاحبه ان الزهد فى الدنيا واجب عليك وهو الورع لا يعوزك التقصير فيه ولا الرغبة عنه وهو اجتناب ما حرم الله عليك ونهاك عنه فهذا الامر لازم لك لا عذر لك فى التقصير عن الزهد والقرب الى ربك طالبا للفضل ونفيا لكل أمر قصر بك عنه من المسارعة فى طاعته والمسابقة الى رضوانه فهذا ما ينبغى لك العمل به وادارة صلاح نفسك عليه (فقال) أما ما حرم الله على ونهانى عنه فقد دلنى عليه العلم لانه صار لا ينبغى لى المقام عليه ولا العمل به فزهدت فيه ورفضته فصف لى الزهد الذى أرجو أن أنال به كرامة سيدى وان أبلغ من ذلك محبته وأن ادفع به عنى كيد الشيطان ومكره (فقال له) ذلك الزهد فى فضول الدنيا والرضى منها بيسيرها والاخذ منها بقدر البلاغ الى غيرها ورفض ما سوى ذلك من فضولها وامورها باخراج الناس من قلبك فلا تخف أحدا فى الله ولا ترجو أحدا من الناس ويستوى الناس عندك فلا ترج أحدا غير الله ولا تطلب الا فضله وتنصح فى الله فى السر والعلانية ولا تخف لوم أحد من الناس ولا عذله وتحب فى الله وتبغض فى الله ولا تشغل قلبك بشئ غيره وتلزم التواضع والتذلل لربك وتحمل ذكرك وتغيب اسمك ولا تريد بذلك تعظيم أحد من الناس غير الله تبارك وتعالى وتحب الموت وتكون ممثلا له بين عينيك لرجاء ما بعده وتزهد فى الحياة مخافة الفتنة والبلية فهذا أصل الزهد فاذا أنت وصلت الى ذلك نلت شرف الآخرة ونجوت بعون الله من بلية عاجلتك (فقال) له صاحبه لقد ذكرت لى من امر الزهد شيئا ضاق به ذرعى واشتد له غمى واعتصر له قلبى واستصعب به على أمرى وتفرق له رأيى واشتدت على المؤنة فيه وقد كان الصبر والاحتمال له ايسر على مؤنة منه واخف على حملان الزهد وخشيت أن لا أقوى على احتماله ولا تطيق نفسى العمل بكماله ولا تقدر على القيام بتمامه وان تملة نفسى وترفضه وترجع منه الى غيره مما فيه هلاكها وعطبها وقد

عرفت فضل الزهد وعظيم قدره فصف لي أمرا أتقوى به على الزهد ويخففه
علي (فقال) له صاحبه قد فهمت قولك ولقد صعب عليك الذلول واشتد
عليك اليسير وثقل عليك الخفيف وعميت عليك المداخل وما ألومك حيث
اشتد عليك من أمرك ماذكرت حين لم تعلم الامر الذي له في الدنيا زهدت
والذي به عليه قويت ولو علمته لهان عليك من أمرك الشديد وخف عليك
الثقيل وسهلت عليك موارده وسهلت عليك فيه المذاهب وخفت عليك
فيه المؤنة (فافهم) قولي بعقل وتدبره بحكم وخذ فيه بقوة وجد (واعلم) أن
العباد زهدوا في الدنيا ودعاهم الى الزهد فيها ورفضها خصال شتى بعضها
أرفع وأعلى درجة من بعض وكلها داعية الى الزهد فيها (فأول) درجات
الزهد أن الله تبارك وتعالى خلق العباد في الدنيا وجعل ما فيها زينة لها
وزهدهم فيها وخلق الآخرة ونعيمها وندبهم اليها ورغبهم فيها وأعلمهم انهم
من الدنيا مرتحلون وانهم الى الآخرة صائرون فرغب العباد في الباقي
وزهدهم في الفاني فآثر الآخرة واطلبها وازهد في الدنيا وارفضها لكيلا
ينتقص من حظك في الآخرة بما نلت من نعيم دنياك (وأما) المنزلة الثانية
من الزهد في الدنيا فان الله عز وجل خلق العباد في الدنيا فأوجب الموت
عليهم وأعلمهم انهم ميتون وضرب لهم فيها أجلا فلم يعلموا في أي الاوقات
والساعات تأتيهم منيتهم فتحول بينهم وبين دنياهم ونعيم عيشهم ومفارقة
أحبابهم فلما استقر الموت في قلوبهم أسهروا في الليل أعينهم واشتغلوا
بهمومهم عن أهليهم وأولادهم ودام حزنهم وبكاؤهم وزهدوا في الدنيا
وأهلها ونعيمها فصار الليل والنهار عندهم بمنزلة الضيفان وكان المقوي
لهم على الزهد في الدنيا ذكر الموت وقصر الامل فهذه الخصلة شريفة من
خصال الزهد في الدنيا (وأما) الخصلة الثالثة في الزهد فتصديق العبد
ربه فيما أخبره به من نعيم الآخرة وما خوفه به من عقاب النار وعذابها وما
حذره منه من الدنيا والاغترار بها فزهد فيها وأحب الموت مفارقتها
والتباعد عنها والخروج منها الى داره وقراره تبصرا منه بالدنيا وحالها
فهذه الخصلة من خصال الزهد أشرف مما قبلها (فقال) له صاحبه ما تركت
لي الى الدنيا والركون اليها سبيلا ولقد استبان لي من قولك البر والحق
ووضح لي من وصفك الصدق وقويت بحمد الله وتوفيقه على الزهد

فيها ورفضها فصف لي بصفتك الشافية ونعتك النافع دواء الداء واى تخبرني فيه عن الامر الذي يدلني على هذه الخصال ويقويني عليها (فقال) الامر الذي يدلك على هذه الخصال ويقويك عليها وينورها في قلبك هو اليقين الذي لا يخالطه شك والتصديق بربك الذي لا يخالطه لبس فانه من صدق به أيقن ومن أيقن أبصر ومن أبصر زهد والزهد في الدنيا شعبة من شعب اليقين وأفضل اليقين التوكل (قال) فصف لي اليقين لأعرفه (فقال) ان تعلم ان الله وحده لا شريك له وانه الحق المبين وانه كما وصف نفسه في قدرته وسلطانه وخلقه وان وعده حق وقوله صدق وكذا وعيده وكتبه ورسله حتى تقر بذلك في قلبك وتتبع كتاب ربك فهذا اليقين الذي لا يشك فيه (قال) صف لي التوكل لأعرفه (فقال) التوكل هو العمل بطاعته وتصديق اليقين دلالته فمن أيقن وعلم ان الله خالق الاشياء والمقتدر عليها والمالك لها والمنفرد بها توكل عليه في جميع اموره وقطع رجاءه عمن سواه من خلقه ولم يثق باحد ولم يأنس الا به فانقطع الى الله وتوكل عليه في جميع حالاته فهذه صفة العمل والتوكل ومأخذه (قال) ما الذي يدلني على الفكرة ويقويني عليها فاني كلما أردت الفكرة لم أصل اليها ولم أقدر عليها (فقال) أجل لا تصل الى ما تريد من الفكرة مع الاشتغال بغيرها فسبيل الوصول الى الفكرة الصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير في الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(فصل في السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز) فانظر رحمنا الله واياك الى ما قرره هذا السيد رحمه الله في كيفية السلوك والاخذ أولا بالصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير في الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول فلم يكتف رحمه الله بالخلوة ليس الا حتى ذكر الاعتزال مع الخلوة فلو كانت خلوة دون اعتزال لقل أن ينتفع له ولاجل ذلك احترز بقوله والاعتزال (فأين) هذا الحال من حالنا اليوم اذ ان الغالب على من ينسب

الى الخرقة فى هذا الزمان انما شأنه كثرة الاجتماع وحضور السماع والرقص فيه حتى كأن ذلك مشروط فى السلوك نسأل الله السلامة منه (فمن) اراد الخير فليعتزل عن هذه صفته والا فالفتح عليه بعيد اعنى الفتح الحقيقى الذى يقرب به من ربه عزوجل دون ادعاء والا فبعض هؤلاء يدعون الاحوال ويزعمون أنه يفتح عليهم فى حال رقصهم وتأخذهم الاحوال اذ ذاك ويخبرون بأشياء من أمر الغيب ولو وقع ذلك فى بعض الاحيان لكان مصادفة ثم انهم يولون و يعزلون فى تلك الاحوال ويخبرون بمنازل أصحابهم فيقولون مثلا فلان أحد السبعة وفلان أحد العشرة وفلان أحد السبعين وفلان أحد الثلاثمائة الى غير ذلك ولا شك انها أحوال نفسانية أو شيطانية لان الفتح من الله تعالى لا يكون مع ارتكاب المكروهات أو المحرمات (وهذا السماع) على ما يعملونه محرم (قال) الامام أبو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره لما ان تكلم على سورة الكهف فى قوله تعالى اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض هؤلاء قاموا وذكروا الله على هدايته شكرا لما أولاهم من نعمته ثم هاموا على وجوههم منقطعين الى ربهم وخائفين من قومهم وهذه سنة الله فى الرسل والانبياء والفضلاء الاولياء اين هذا من ضرب الارض بالاقدام والرقص بالاكمام خصوصا فى هذا الزمان عند سماع الاصوات الحسان من المرد والنسوان هيهات بينهما والله مثل ما بين السماء والارض (ثم) ان هذا حرام عند جماعة العلماء اه (وقد) تقرر فيما مر أول الكتاب ان الفقير المنقطع لا يتصرف الا فى واجب أو مندوب وان المكروه عند هذه الطائفة كالمحرم لا سبيل الى ذكره فضلا عن فعله (وقد) اختلف العلماء رحمة الله عليهم فى ضرب الطار على حدته هل يجوز أم لا (وكذلك) اختلفوا فى الشبابة على حدتها (وقاعدة) أهل الطريق الخروج من الخلاف فكيف يقدمون على شئ قد اتفق الناس على منعه ذلك محال فى حقهم (ثم) مع ارتكاب بعضهم ما ذكر يدعون الاحوال الرفيعة و يشيرون الى مقامات ومنازلات تستعظم فى الغالب على من هو متصف بالاقتداء والاتباع فكيف يحصل لاهل التخليط وارتكاب ما لا ينبغى ذلك محال (ومن) أشد ما فيه من القبح ما أحدثوه فى

السجود للشيخ حين قيام الفقير للرقص و بعده (وقد) نقل الشيخ الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله فى كتابه ماهذا لفظه (روى) ابن ماجه فى سننه والنسائى فى صحيحه عن ابى واقد قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا فقال يارسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فرأيت انك أولى بذلك فقال لا تفعل فانى لو أمرت أحدا يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها حتى لو سألها نفسها وهى على قتب لم تمنعه هذا لفظ النسائى وفى بعض طرق حديث معاذ ونهى عن السجود للبشر وأمرنا بالمصافحة (قلت) وهذا السجود المنهى عنه قد اتخذه جهال المتصوفة عادة فى سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم فترى الواحد منهم اذا أخذه الحال بزعمه يسجد للاقدام سواء كان للقبلة أو غيرها جهالة منه ضل سعيهم وخاب عملهم

* (فصل) * فانظر رحمنا الله واياك الى قصة معاذ المتقدمة وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم انك أولى بذلك يؤخذ منها من الفوائد النفيسة التحرز عن مخالطة أهل الكتاب والبعد منهم اذ أن النفوس تميل غالبا الى ما يكثر تردداه عليها (ومن) ههنا والله أعلم كثر التخليط على بعض الناس فى هذا الزمن لمجاورتهم ومخالطتهم لقبط النصارى مع قلة العلم والتعلم فى الغالب فأنست نفوسهم بعوائد من خالطوه فنشأ من ذلك الفساد وهو أنهم وضعوا تلك العوائد التى أنست بها نفوسهم موضع السنن حتى انك اذا قلت لبعضهم اليوم السنة كذا يكون جوابه لك على الفور عادة الناس كذا وطريقة المشايخ كذا فان طالبته بالدليل الشرعى لم يقدر على ذلك الا أنه يقول نشأت على هذا وكان والدى وجدى وشيخى وكل من أعرفه على هذا المنهاج ولا يمكن فى حقهم أن يرتكبوا الباطل أو يخالفوا السنة فيشنع على من يأمره بالسنة ويقول له ما أنت أعرف بالسنة ممن أدركتهم من هذا الجم الغفير (وقد) تقدم انكار بعض العلماء على الامام مالك رحمه الله فى أخذه بعمل علماء المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكيف يحتج هذا

المتمسكين بعمل أهل القرن السابع مع مخالطتهم لغير جنس المسلمين من القبط والاعاجم وغيرهما نعوذ بالله من الضلال (فخ) ان السماع المعروف عند العرب هو رفع الصوت بالشعر ليس الا فاذا فعل أحد ذلك قالوا اهل السماع وهو اليوم على ما يعهد ويعلم (ولاجل) هذا المعنى قال الامام الشيخ رزين رحمه الله ما أتى على بعض العلماء المتأخرين الا وضعهم الاسماء على غير مسميات وها هو ذا بين الاترى ان السماع كان عندهم على ما تقدم ذكره وهو اليوم على ما تعاينه وهما ضدان لا يجتمعان (ثم) انهم لم يكتفوا بما ارتكبوه حتى وقعوا في حق السلف الماضين رضي الله عنهم ونسبوا اليهم اللعب واللهو في كونهم يعتقدون ان السماع الذي يفعلونه اليوم هو الذي كان السلف رضوان الله عليهم يفعلونه ومعاذ الله أن يظن بهم هذا ومن وقع له ذلك فيتعين عليه أن يتوب ويرجع الى الله تعالى والا فهو هالك (ألاترى) ان الشيخ الامام السهروردي رحمه الله لما ان تكلم على السماع قال في أثناء كلامه ولا شك انك اذا خيلت بين عينيك جلوس هؤلاء للسماع وما يفعلونه فيه فان نفسك تنزه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم عن ذلك المجلس وعن حضوره اه ولقد أنصف فيما وصف وهذا هو الحق الذي يجب اعتقاده في حق السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين (وقد) قيل عن الجنيد رضي الله عنه أنه قال ان السماع لا يرجع مباحا الا بعشرة شروط وهو أن يكون في مكان لا يطلع عليهم غيرهم لانهم لا يطلع عليهم الا ذو محرم اعني أن يكون منهم وامكان واخوان قال الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله وأن يكون القوال هو الذي عندهم قال الشيخ الامام الجنيد رحمه الله وان يكون بغير اجرة وان لا يكون بين أحد ممن يحضره شنآن وان لا يحضره أحد من ابناء الدنيا وان لا يحضره شاب الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة وحيث كان مباحا بهذه الشروط فان اتفق اجتماعها كان السماع المعروف عند العرب وهو انشاد الشعر برفع الصوت كما تقدم (ولاجل) هذا المعنى ذكر الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله في كتابه عن بعض السلف رضي الله عنهم انهم كانوا يدخلون الى خلواتهم فمن عجزهم عن تمام المدة التي دخل عليها انزعج فضر

السماع ثم رجع الى خلوته نشيطا لان القوال كان يذكرهم في بواطنهم ثم مع ذلك ينشد لهم من درر الشعر ما يناسب حالهم وتقوى به قلوبهم على السير الى المقامات العلية والنهوض اليها وترك التراخي والتسويف والتشاغل عنها (ومثل ذلك) كانوا يفعلون اذا عجز أحدهم عن تمام المدة التي دخل عليها الى الخلوة خرج الى مجلس عالم فحضره ثم يرجع الى خلوته قويا لان حضور مجالس العلماء العاملين بعلمهم يحيي القلوب الميتة كما يحيي المطر الوابل النبات بل النظر اليهم تقتات به النفوس الابية وينشرح صدرها ويحدث لها عند تلك الرؤية انزعاج وقوة باعثة على ما تؤمله من الخير كيف لا وهم أمناء الله في أرضه وخلفاؤه في خلقه وقد جعلهم الله عز وجل رحمة وكهفا لمن يأوي اليهم ويستظل بظلهم نصبهم هداة للمهتدين ونورا للسالكين اللهم لا تحرمنا بركتهم ولا تخالف بنا عن سنتهم فانك ولي ذلك والقادر عليه (فاذا) تقرر هذا من حالهم وعلم فلا شك ان ما يفعل اليوم من هذا السماع الموجود بين الناس مخالف لجماعتهم اذ أنه احتوى على أشياء محرمات أو مكروهات أو هما معا وقد تقدمت الحكاية عن العلماء في ذلك اذ انهم جمعوا فيه بين الدف والشبابة والتصفيق (وقد) تقرر في الشرع أن التصفيق انما هو للنساء دون الرجال فهو ممنوع كما منعت الآلات المتقدم ذكرها (وبعضهم) ينسب جواز ذلك للشافعي رحمه الله (وقد) سئل الشيخ الامام أبو ابراهيم المزني رحمه الله وكان من كبار أصحاب الامام الشافعي رحمه الله فقيل له ما تقول في الرقص على الطار والشبابة فقال هذا لا يجوز في الدين فقالوا أما جوزه الامام الشافعي رضي الله عنه فانشد رحمه الله تعالى

حاشا الامام الشافعي النبيه * أن يرتقي غير معاني نبيه
أو يترك السنة في نسكه * أو يبتدع في الدين ما ليس فيه
أو يبتدع طارا وشبابة * لناسك في دينه يقتديه
الضرب بالطارات في ليله * والرقص والتصفيق فعل السفيه
هذا ابتداع وضلال في الورى * وليس في التنزيل ما يقتضيه
ولا حديث عن نبي الهدى * ولا صحابي ولا تابعيه
بل جاهل يلعب في دينه * قد ضيع العمر بلهو وتيه

وراح في اللهو على رسله * وليس يخشى الموت اذ يعتريه
ان ولي الله لا يرتضي * الا بما الله له يرتضيه
وليس يرضى الله لهو الورى * بل يمقت الله به فاعليه
بل بصيام وقيام في الدجى * وآخر الليل استغفر به
اياك تغتر بأفعال من * لا يعرف العلم ولا يبتغيه
قد اكلوا الدنيا بدينهم * وابدوا الامر على جاهليه
جهل وطيش فعلهم كله * وكل من دان به تزدريه
شبه نساء جمعوا مأتما * فقمن في الندب على ميتيه
والضرب في الصدر كما قد ترى * ليس لهم غير النسا من شبيه
انكر عليهم ان تكن قادرا * فهم رجال ابليس لا شك فيه
ولا تخف في الله من لائم * وفقك الله لما يرتضيه اه

(وقد تقدم) ان من ثبتت عدالته لا ينسب اليه الا ما يليق بحاله وبطريقته من الخصال الحميدة فمن ذكر عنه غير ما يناسبه كذب فيما ادعاه وانكر عليه ألا ترى ان المزني رحمه الله لما ان باشر الشافعي رحمه الله أنكر على من نسب اليه جواز السماع بما تقدم ذكره

(فصل) واشد من فعلهم السماع كون بعضهم يتعاطونه في المساجد وقد تقدم توقير السلف رضي الله عنهم للمساجد كيف لا يكون ذلك وقد كانوا يكرهون رفع الصوت فيه ذكرا كان أو غيره (وقد) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن رفع الصوت بالقراءة فيه (ومن ذلك) ما ورد من انشاد الضالة في المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام من نشد ضالة في المسجد فقولوا له لا ردها الله عليك (ومن ذلك) ما ورد من سأل في المسجد فاحرموه (وروى) أبو داود والترمذي والنسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشراء والبيع في المسجد وان تنشد فيه ضالة وأن ينشد فيه شعر ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة اه (وبعض) هؤلاء يفعلون السماع على ما هو عليه اليوم في المساجد ويرقصون فيها وعلى حصر الوقف التي فيها وكذلك يفعلون في الربط والمدارس (وقد) ذكر أن بعض الناس عمل فتوى وكان ذلك في سنة

احدى وستين وستمائة ومشى بها على الاربع مذاهب (ولفظها) ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدين وعلماء المسلمين وفقهم الله لطاعته وأعانهم على مرضاته فى جماعة من المسلمين وردوا الى بلد فقصدوا الى المسجد وشرعوا يصفقون ويغنون ويرقصون تارة بالكف وتارة بالدفوف والشبابة فهل يجوز ذلك فى المساجد شرعا أفتونا مأجورين يرحمكم الله تعالى (فقالت الشافعية) السماع لهو مكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله أعلم (وقالت المالكية) يجب على ولاة الامور زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله أعلم (وقالت الحنابلة) فاعل ذلك لا يصلى خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه وان كان حاكما وان عقد النكاح على يده فهو فاسد والله أعلم (وقالت الحنفية) الحصر التى يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل والارض التى يرقص عليها لا يصلى عليها حتى يحفر ترابها ويرمى والله أعلم (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره حين تكلم على قصة السامرى فى سورة طه سئل الامام أبو بكر الطرطوشى رحمه الله ما يقول سيدنا الفقيه فى مذهب الصوفية حرس الله مدته انه اجتمع جماعة من الرجال يكثرون من ذكر الله وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يوقعون أشعارا مع الطقطقة بالقضيب على شئ من الاديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يخر مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلونه هل الحضور معهم جائز أم لا أفتونا يرحمكم الله وهذا القول الذى يذكرونه

ياشيخ كف عن الذنوب * قبل التفرق والزلل

واعمل لنفسك صالحا * مادام ينفعك العمل

أما الشباب فقد مضى * ومشيب رأسك قد نزل

(فأجاب) بقوله يرحمكم الله مذهب هؤلاء بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (وأما) الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل (وأما القضيب) فأول من أحدثه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما كان يجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤسهم الطير من الوقار

(فينبغي) للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق انتهى (وقال) الشيخ الامام أبو بكر الطرطوشي أيضا رحمه الله في كتابه المسمى بكتاب النهي عن الاغاني وقد كان الناس فيما مضى يستتر احدهم بالمعصية اذا واقعها ثم يستغفر الله و يتوب اليه منها ثم كثر الجهل وقل العلم وتناقص الامر حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهارا ثم ازداد الامر ادبارا حتى بلغنا أن طائفة من اخواننا المسلمين وفقنا الله واياهم استزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب الاغاني واللهو وسماع الطقطقة واعتقدته من الدين الذي يقربهم الى الله تعالى وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت به سبيل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء وحملة الدين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (وقد) سئل مالك رحمه الله عما رخص فيه أهل المدينة من الغناء (فقال) انما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغناء واستماعه (وأما) أبو حنيفة رحمه الله فانه يكره الغناء ويجعله من الذنوب وكل ذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وابراهيم والشعبي لا اختلاف بينهم في ذلك ولا نعلم أيضا بين أهل البصرة خلافا في كراهية ذلك والمنع منه (وأما) الشافعي رضي الله عنه فقال في كتاب أدب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال (وأما) سماعه من المرأة التي ليست بمحرم له فان أصحاب الشافعي مجمعون على انه لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة قال الشافعي وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وغلظ القول فيه وقال هو دياثة فمن فعل ذلك كان ديوثا وكان الشافعي يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن (وأما) العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه فاسق وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة الجاهلية (وهذه) الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لانهم جعلوا الغناء دينا وطاعة ورأت اعلانه في المساجد والجوامع وقد كان أولى الناس بالاحتياط

لدينهم

لديهم هذه الطائفة فانهم متلبسون بالدين ومدّعون الورع والزهد حتى توافق بواطنهم ظواهرهم (وقد) قال الله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الآية قال الحسن ومجاهد والنخعى هو الغناء (وقال) ابن مسعود لهو الحديث الغناء والاستماع اليه (وقوله) تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك (قال) مجاهد بالغناء والمزامير واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال أكثر المفسرين كل راكب وماش فى معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله وشاركهم فى الاموال والاولاد قال قوم كل مال أصيب من حرام وأنفق فى حرام (قال) الطرطوشى رحمه الله ويجوز أن يقال مشاركته لنا فى الاموال والاولاد ما زينه لنا من الايمان ثم يزين لنا الحنث فيها فنطأ الفروج بعد الحنث ونكتسب الاموال بالايمان الكاذبة (وقال تعالى) أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون (قال) ابن عباس رضى الله عنهما سامدون هو الغناء بلغة حمير (وقال) مجاهد هو الغناء يقول أهل اليمن سمد فلان اذا غنى (وروى) أبو اسحاق بن شعبان فى كتابه الزاهى باسناده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن زاد الترمذى ولا تعلموهن وأكل اثمانهن حرام وفيهن نزلت ومن الناس من يشترى لهو الحديث زاد غيره والذى بعثنى بالحق ما رفع رجل عقيرته أى صوته بالغناء الا بعث الله عز وجل عند ذلك شيطانين يرتدفان على منكبيه لا يزالان يضربان بأرجلهما على صدره واشار النبى صلى الله عليه وسلم الى صدره حتى يكون هو الذى يسكت (وروى) جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كان ابليس اول من ناح واول من غنى (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يمسخ قوم من أمتى آخر الزمان قردة وخنازير قالوا يارسول الله مسلمون هم قال نعم يشهدون ان لا اله الا الله وانى رسول الله ويصلون ويصومون قالوا يارسول الله فما بالهم قال اتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا هذه الاشربة فباتوا على شرابهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسخوا (وروى) على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت أمتى خمس

عشرة خصلة حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وجفا أباه وبر صديقه وارتفعت الاصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا اه (وروى) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من أشراط الساعة أو القيامة اضاعة الصلوات واتباع الشهوات وتكون امراء خونة ووزراء فسقة (فقال) سلمان رضى الله عنه بأبى وأمى يارسول الله ان هذا كائن قال نعم ياسلمان عندها يكذب الصادق ويصدق الكاذب ويؤتمن الخائن ويخون المؤتمن ياسلمان عند ذلك يكون الكذب طرفا والزكاة مغرما ان أذل الناس يومئذ المؤمن يمشى بين أظهرهم بالمخافة يذوب قلبه فى جوفه كما يذوب الملح فى الماء مما ولا يستطيع أن يغير عندها ياسلمان يكون المطر قيظا والولد غيظا والفئ مغرما والمال دولا ياسلمان عند ذلك يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب ذوات الفروج السروج فعليهم من أمتى لعنة الله ياسلمان عند ذلك يجفو الرجل والديه ويبر صديقه ويحتقر السيئة قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عند ذلك تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتطول المنابر وتكثر الصفوف والقلوب متباغضة والالسن مختلفة دين أحدهم لعقة على لسانه ان أعطى شكر وان منع كفر قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية البكر ويخطب كما تخطب النساء قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عند ذلك تحلى ذكور أمتى بالذهب والفضة عند ذلك يأتى من المشرق والمغرب قوم يلون أمتى فويل لضعيفهم من قويهم وويل لهم من الله تعالى ياسلمان عند ذلك تحلى المصاحف بالذهب والفضة ويتخذون القرآن مزامير بأصواتهم وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم ياسلمان عند ذلك يكثر الربا ويظهر الزنا ويتهاون الناس بالدماء ولا يقام يومئذ بنصر الله ياسلمان تكثر القينات وتشارك المرأة زوجها فى التجارة عند ذلك يرفع الحجيج فلا حج تحج أمراء

الناس تنزهاولهوا وأواسطهم للتجارة وفراؤهم للرياء والسمعة وفقراؤهم للمسئلة (وروى) عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كسب المغني والمغنية حرام وكسب الزانية سحت وحق على الله أن لا يدخل الجنة لحما نبت من سحت (قال) عطاء بن أبي رباح رحمه الله رأيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه وجابر بن عمير يرتميان فلَّ أحدهما فجلس فقال الآخر أجاست سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول كل شيء ليس من ذكر الله تعالى فهو لهو وسهو إلا أربع خصال مشي الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته زوجته وتعليمه السباحة (قال) قتادة رحمه الله لما أهبط إبليس لعنه الله قال يارب لعنتني فما علمي قال السحر قال فما قراءتي قال الشعر قال فما كتابتي قال الوشم قال فما طعامي قال كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه قال فما شرابي قال كل مسكر قال فأين مسكني قال الاسواق قال فما صوتي قال المزامير قال فما مصائدي قال النساء (وروى) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ضرب الدف ولعب الطبل وصوت الزمارة (وروى) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كبر مقتا عند الله الاكل من غير جوع والنوم من غير سهر والضحك من غير عجب والرنة عند المصيبة والمزمار (وروى) أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما ولعن الله بيتا فيه دف أو طنبور وأوعود وأخشى عليهم العقوبة ساعة بعد ساعة (وروى) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لست من دد ولا الدد مني (قال) مالك رحمه الله الدد اللعب واللهو (وقال) الخليل بن أحمد في كتاب العين الدد النقر بالانامل في الارض فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم تبرأ ممن ينقر في الارض بالأنامل فما بالك بطقطقة القضيب (قال) الحسن رحمه الله ليس الدف من سنة المسلمين (وروى) عبد الله بن عمر قال سأل انسان القاسم بن محمد عن الغناء قال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر يا ابن أخي اذا ميز الله بين الحق والباطل من أيهما يحصل الغناء (وقال) الشعبي رحمه الله لعن الله المغني والمغنى له وقال الحكم بن عتيبة رحمه

الله حب السماع ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع (وقال) الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا (وقال) الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب (وكتب) عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن صوت المعازف واستماع الاغانى واللهو بهما ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب على الماء (وقال) يزيد بن الوليد يا بنى أمية اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا (وقال) ابن الكاتب اياك والغناء (وقال) المحاسبى فى رسالة الارشاد الغناء حرام كالميتة (وقال) أبو حصين رحمه الله اختصم الى شريح فى رجل كسر طنبورا فلم يقض فيه بشئ

•(فصل)• وأما من جهة الاستنباط فهو جاسوس القلب وسارق المروءة والعقول يتغلغل فى مكامن القلوب ويطلع على سرائر الافئدة ويدب الى بيت التخييل فيثير كل ما غرس فيها من الهوى والشهوة والسخافة والرعونة بينما ترى الرجل وعليه سمت الوقار وبهاء العقل وبهجة الايمان ووقار العلم كلامه حكمة وسكوته عبرة فاذا سمع اللهو نقص عقله وحياؤه وذهبت مروءته وبهاؤه فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه ويبدى من أسراره ما كان يكتمه وينتقل من بهاء السكوت الى كثرة الكلام والكذب والازدهاء والفرقعة بالاصابع ويميل رأسه ويهز منكبيه ويدق الارض برجليه وهكذا تفعل الخمرة اذا مالت بشاربها (وقد روى) ان اعرابية دخلت الحاضرة فسقيت نبيذا فلما خامرها وهمت قالت أويشرب هذا نساؤكم قالوا نعم قالت ائن صدقتم فما يعرف أحدكم من أبوه (وقال) محمد بن المنكدر رحمه الله اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة أسمعوهم تمجيدى وثنائى وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (وقال) بعض الزهاد الغناء يورث العناد فى قوم ويورث التكذيب فى قوم ويورث الفساد فى قوم (واحتج) بعضهم على اباحة الغناء بما روى عن عائشة

رضي الله عنها انها قالت دخل علي أبو بكر رضي الله عنه وعندي جاريتان من جوار الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث فقال ابو بكر رضي الله عنه أمزمار الشيطان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا (والجواب) عنه أن تعرف أولا حقيقة الغناء وذلك ان للفظ الغناء معنيين لغوي وعرفي فيحمل الحديث على اللغوي فقولها تغنيان أي ترفعان أصواتهما بانشاد الشعر ونحن لانذم انشاد الشعر ولا نحرمه وانما يصير الشعر غناء مذموما اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهي الشهوة الطبيعية وليس كل من رفع صوته بالغناء لحن والذوا الطرب فالممنوع والمكروه انما هو الالذيذ المطرب ولم ينقل من هذا الحديث أن صوتهما كان لذيذا مطربا وهذا هو سر المسئلة فافهمه وقد روى البخاري هذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت في آخره وليستا بمغنيتين فنفت الغناء عنهما والدليل على هذا انه ما نقل عنها بعد بلوغها الاذم الغناء والمعازف على ما بينا وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد وهو واحد فقهاء المدينة السبعة يذم الغناء وقد أخذ العلم عنها وتأدب بها (فان قيل) أليس قد أنشد الشعر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم (فالجواب) انا لا ننكر انشاد الشعر وانما ننكر اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهذا لا يمكن نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل) أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا (فالجواب) ان صعصعة بن صوحان وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذا الحديث فقال قوله ان من البيان سحرا هو الرجل يكون عليه الحق وهو الحن بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وأما قوله وان من الشعر حكما فهي هذه المواعظ والامثال التي يتعظ بها الناس وأما قوله وان من العلم جهلا فيتكلف العالم علم مالا يعلم فيجهل ذلك وأما قوله وان من القول عيالا فعرضك حديثك على من ليس من شأنه ولا يريده

(فصل) • وقد قال بعضهم نحن لا نسمع الغناء بالطبع الذي يشترك فيه

قوله عيالا بفتح العين المهملة وتخفيف التحتية ويروى عيلا بفتح فسكون اهـ

الخاص والعام واغناءهم بحق فتسمع بالله وفي الله ولا تتصف بهذه
الاحوال التي هي ممزوجة بحظوظ البشرية (قلنا) ان زعمت انك فارقت
طبع البشرية وصرت مطبوعا على العقل والبصيرة بمنزلة الملائكة فقد
كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيبك وما وصفك به من حب
الشهوات وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فارق الفه وادعى
العصمة فاجلدوه فانه مفتر كذاب وكان يجب أن لا تكون مجاهد النفس
ولا مخالف الهوى ولا يكون لك ثواب على ترك اللذات والشهوات وكان
يجب أن تكون أنت واصحابك تسجدون الليل والنهار لا تفترون
وتستغفرون لمن في الارض وكان يجب أن تبيح سماع العود والطنبور
وسائر الملاهي بهذا الطبع الذي لا يشاركك فيه أحد من الناس

(فصل) فان قيل أليس قد روى عن جماعة من الصالحين انهم سمعوه
(قلنا) ما بلغنا أن أحدا من السلف الصالح سمعه ولا فعله وهذه مصنفات
أئمة الدين وعلماء المسلمين مثل مصنف مالك بن أنس وصحيح البخاري ومسلم
وسنن أبي داود وكتاب النسائي رضي الله عنهم الى غيرها خالية من دعواكم
وهذه تصانيف فقهاء المسلمين الذين تدور عليهم الفتوى قديما وحديثا في
شرق البلاد وغربها فقد صنف المسلمون على مذهب مالك بن أنس
تصانيف لا تحصى وكذلك مصنفات علماء المسلمين على مذهب أبي حنيفة
والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين وكلها مشحونة بالذب
عن الغناء وتفسيق أهله فان كان فعله أحد من المتأخرين فقد أخطأ ولا
يلزمنا الاقتداء بقوله وترك الاقتداء بالائمة الراشدين (ومن ههنا) زل
من لا بصيرة له فحتج عليهم بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين ويحتجون علينا
بالمتأخرين سيما وكل من يرى هذا الرأي الفاسد خلي من الفقه عاطل من
العلم لا يعرف مأخذ الاحكام ولا يفصل الحلال من الحرام ولا يدرس العلم
ولا يصحب اهله ولا يقرأ مصنفاته ودواوينه (وقد) قال النبي صلى الله
عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (وقال) النبي صلى الله عليه
وسلم ما استرذل الله عبدا الا حظر عليه العلم (فمن) هجر اهل الفقه والحكمة
وانقضى عمره في مخالطة أهل اللهو والبطالة كيف يؤمن على هذه المسئلة

وغيرها

وغيرهما وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله (فيامن) رضى لدينه ودنياه وتوقى لآخرته وهواه باختيار مالك بن أنس وفتواه ان كنت على مذهبه وباختيار أبى حنيفة والشافعى واحمد بن حنبل ان كنت ترى رأيهم كيف هجرت اختيارهم فى هذه المسئلة وجعلت امامك فيها شهواتك وبلوغ اوطارك ولذاتك وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون

(فصل) وقد روى عن بعض شيوخ الصوفية قال رأيت فى المنام ان الحق أوقفنى بين يديه وقال يا أحمد حملت وصفى على ليلى وسعدى لولا انى نظرت اليك فى مقام واحد أردتنى خالصا لعذبتك قال فاقامنى من وراء حجاب الخوف فأرعدت وفزعت ماشاء الله ثم أقامنى من وراء حجاب الرضى فقلت ياسيدى لم أجد من يحملنى غيرك فطرحت نفسى عليك فقال صدقت من أين تجد من يحملك غيرى وأمر بى الى الجنة (وقال الجنيد) رحمه الله رأيت ابليس فى النوم فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشئ أوتنال منهم نصيبا فقال انه ليعسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئا الا فى وقتين وقت السماع وعند النظر فانى أنال منهم فتنة وأدخل عليهم به (وسئل) أبو على الروذبارى عن السماع وكان من شيوخ الصوفية فقال ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس (وقال الجنيد) اذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم ان فيه بقية من البطالة (وقال) أبو الحارث الاولاسى وكان من الصوفية رأيت ابليس فى المنام وكان على بعض سطوح أولاس وعن يمينه جماعة وعن يساره جماعة وعليهم ثياب نظيفة فقال لطائفة منهم قوموا وغنوا فقاموا وغنوا فاستفزعنى طيبه حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا بأطيب مايكون ثم قال يا أبا الحارث ما أصيب شيئا أدخل به عليكم الا هذا (وقال) الجريرى رأيت الجنيد رحمه الله فى النوم فقلت كيف حالك يا أبا القاسم فقال طاحت تلك الاشارات وبادت تلك العبارات ومانفعنا الا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات (فأين) هذا ممن جعل الله عماوصف الله به العلماء فقال ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا

(فصل) وقد استدل عظيم من شيوخهم على اباحة الغناء فقال ان الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمول اذا سمع الحداء (قال) وقد روى ان بعض ملوك العجم مات وخلف ابنا صغيرا فارادوا ان يبايعوه فقالوا كيف نصل الى عقله وذكائه فاتفقوا على ان ياتوا بقوال فان احسن الاصغاء علموا كياسته فلما اسمعوه القوال ضحك الرضيع فقبلوا الارض بين يديه وبايعوه (فالجواب) انظروا ياذوى الالباب كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة الى هذه السخافة وحسبك من مذهب امامهم فيه الانعام والصبيان فى المهد وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل وحسبك من عقول لا تقتدى باحبار المسلمين وعلمائهم وتقتدى بالابل فانه كان كل ما طربت به البهائم مندوبا او مباحا فانا نرى البهيمة تدور على امها او اختها او تركب بنتها فيلزم الاقتداء بالبهيمة فى مثل هذا

(فصل) فان سألوا عن معنى قراءة القرآن بالالحان (فالجواب) ان مالكا قال ولا تعجبنى القراءة بالالحان ولا احبه فى رمضان ولا غيره لانه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن فيقال فلان اقرأ من فلان (قال) وبلغنى ان الجوارى يعلمن ذلك كما يعلمن الغناء اين هذا من القراءة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بها (قال) ولا يعجبنى النبر والهمز يقول لا يرجع فى القرآن ولا يقطع بالالحان لان ذلك لا يتم الا بزيادة همزات فى القرآن والزيادة فى القرآن لا تجوز (وقيل) لمالك هل يقرأ الرجل فى الطرقات قال لا الا الشئ اليسير واما الذى يديم ذلك فلا يجوز قيل له فالرجل يخرج الى السوق ايقرأ فى نفسه ماشيا فقال اكره ان يقرأ فى السوق (وسئل) عن القراءة فى الحمام قال ليس موضع قراءة وان قرأ الانسان الآية فلا باس بذلك (قيل له) فارجل يخرج الى قريته فيقرأ ماشيا قال نعم (قال) سحنون لا باس ان يقرأ الراكب والمضطجع (وسئل) عن الرجل يختم القرآن فى ليلة قال ما اجود ذلك لمن اطاقه (قال مالك) ولم تكن القراءة فى المصحف فى المسجد من امر الناس القديم واول من احدثه الحجاج (قال) واكره ان يقرأ فى المصحف فى المسجد (فان) سألوا عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم

ما

ما اذن الله لشئ كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به (فالمعنى) ما استمع الله لشئ كاستماعه لنبي يجهر بالقرآن لان أصل الغناء رفع الصوت على ما بينا وبهذا فسره في آخر الخبر فقال يجهر به (قال مجاهد) في قوله تعالى واذنت لربها وحقت أي سمعت (قال) أبو عبيد وجماعة من العلماء لا يجوز لحن القرآن وانما معنى الحديث التحبير والتحزين (قال) عيسى الغفاري ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أشراط الساعة فقال بيع الحكم وقطيعة الرحم والاستخفاف بالدم وكثرة الشرط وان يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا بأفضلهم الا ليغنيهم غناء (قال) سألوا عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم (قال) معناه التحزين (قال) شعبة نهاني أيوب ان أحدث بهذا الحديث مخافة ان يتأول على غير وجهه (وهذا الجواب) مما رواه عبد الله بن مغفل انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح فقال لولا ان يجتمع الناس علينا لحكيت تلك القراءة وقد رجع (وان) سألوا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن (قال) سفيان بن عيينة معناه ليس منا من لم يستغن به يعني بالقرآن وهكذا فسره أبو عبيد فقال معنى الحديث لا ينبغي لحامل القرآن ان يرى أحدا من أهل الارض أغنى منه ولو ملك الدنيا كلها (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ورأى ان أحدا أعطي افضل مما أعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما (وقال) ابن مسعود نعم كنز الصعلوك آل عمران يقوم بها من آخر الليل (والدليل) على ان التغني بمعنى الاستغناء دون الصوت قول الاعشى

وكنت أمرأ زمنا بالعراق • عفيف المناخ طويل التغني

قال أبو عبيد يريد الاستغناء (والعرب) تقول تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا بمعنى استغنيت قال بعض العرب يعاتب أخاه

كلانا غني عن أخيه حياته • ونحن اذا متنا أشد تغانيا

(وقال) الكسائي مررت على عجوز من العرب قد اعتقلت شاة في بيتها وقلت لها ما تريدين بهذه الشاة قالت نتغنى بها يا ابن أخي اي بذلك نستغني (وقال) بعض الصالحين من تلذذ بألحان القرآن حرم فهم القرآن (وقال) أبو

هريرة انتم اقرأ السنة ونحن اقرأ قلوبا (وقال) ابن مسعود نحن قوم ثقلت علينا قراءة القرآن وخف علينا العمل به وسيجيء قوم يخف عليهم قراءة القرآن ويثقل عليهم العمل به (وقال) كعب الاحبار ايقرأن رجال القرآن هم احسن اصواتا من المعازف ومن حداة الابل لا ينظر الله اليهم يوم القيامة (وقد) امعن واجاد الشيخ الامام الحافظ الجليل أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في هذا الموضع وبينه أتم بيان واحسنه في كتاب التفسير له فمن أراده فليقف عليه هنالك اذ أن هذا الكتاب يضيق عما أتى به وما ذكرناه هو اشارة لاولي الالباب والله الموفق للصواب

*(فصل) ثم قال الطرطوشي رحمه الله ومما اشتهرت به هذه الطائفة اتباع الشهوات والتنافس في الوان الاطعمة (وقد) قال النبي صلى الله عليه وسلم ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس (قال) أبو جحيفة اكلت ثريدا بلحم سمين فتجشيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اكفف عنا جشاءك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة اكثرهم شبعا في الدنيا (وروى) أن فاطمة رضي الله عنها جاءت بكسرة خبز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال أما انه اول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام (وقال) يحيى بن معاذ لو أن الجوع يباع في الاسواق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة أن يشتروا غيره (وقال) الشافعي رحمه الله ماشبعت منذ خمسة عشر عاما الا شبعة فطرحتها لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة (وقال) سهل بن عبد الله التستري رحمه الله لما خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا جعل في الشبع القسوة والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة (وقال) بشر بن الحارث رحمه الله الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق (وقال) يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة (وسئل) الجنيد رحمه الله عن صفة الصوفية فقال طعامهم طعام المرضى ونومهم نوم الغرقى (وقال) يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله نعوذ

بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الاغنياء (وقال رجل) لبعض المشايخ رحمهم الله انى جائع فقال كذبت قال ومن أين علمت قال لان الجوع فى خزائنه الوثيقة لا يطلع عليها من يفشى سره ولا يعطاه من لا يشكره (وروى) ان بعض الفقراء اشتكى الى شيخه الجوع ثم ذهب فرأى درهما مطروحا مكتوبا عليه أما كان الله عالما بجوعك حتى قلت انى جائع (وقال) فتح الموصلى رحمه الله أوصانى ثلاثون شيخا عند فراقى لهم بترك عشرة الاحداث وقلة الاكل (ويروى) عن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على ابن عون فى الحبس واذا عمال بنى أمية مقيدون فى الحديد فحضر غداؤهم فجعل الخدم ينقلون الالوان فقالوا هلم يا أبا يحيى فقال ما أحب أن آكل مثل هذا الطعام وان يوضع فى رجلى مثل هذا الحديد (وقال) أبو هريرة رضى الله عنه خرج النبى صلى الله عليه وسلم فلقيه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ما أخرجكما فقالا الجوع فقال وأنا والذى بعثنى بالحق ما أخرجنى الا الذى أخرجكما قوموا فأتوا بيتا من الانصار واذا الرجل غائب فقالت امرأته مرحبا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت خرج يستعذب لنا من الماء واذا بالرجل وعليه قربة ماء فلما نظر الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أجد من الناس اليوم أكرم أضيافا منى فأتاهم بعذق من رطب وبسر وتمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اجتنيته فقال يا رسول الله تخيروا على أعينكم ثم أخذ المدية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فأكلوا وشربوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لتسئلن عن نعيم هذا اليوم وفى لفظ عن هذا النعيم

(فصل) ويقال ان هذه الطائفة تضيف الى ما هى فيه من البطالة استحضار المرد فى مجالسهم والنظر فى وجوههم ويمازحونهم بالحلى والمصبغات من الثياب وتزعم انها تقصد بذلك الاستدلال بالصنعة على الصانع (قال) الاستاذ القشيرى رحمه الله وهو من رؤساء طائفتهم قولا عظيما فى الرد عليهم وكشف فضائحهم من ابتلاه الله بشئ من ذلك فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف عورته وابدى سوأته فى العاجل وله عند الله سوء المنقلب فى الآجل (وروى) أبو داود فى السنن ان النبى صلى

الله عليه وسلم قال من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا خبب
اى أفسد وخدع وأصله من الخب وهو الخدع ويقال فلان خب هب
اذا كان فاسدا مفسدا (قال) الواسطى رحمه الله وهو من كبار الصوفية
اذا أراد الله هوان عبد ألقاه الى هؤلاء الانتان الجيف أولم تسمعوا الى قول
الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى
لهم (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه لا تتبع النظرة
النظرة فانما لك الاولى وليست لك الآخرة (وقال) بقية بن الوليد رحمه الله
قال بعض التابعين رضى الله عنه كانوا يكرهون ان يحدق الرجل النظر الى
الغلام الامرد الجميل الوجه (قال) ابن عباس رضى الله عنهما الشيطان من
الرجل ثلاثة منازل فى نظره وقلبه وذكره (وقال) عطاء رحمه الله كل نظرة
يهواها القلب لاخير فيها (وقال) سفيان الثورى رحمه الله لو ان رجلا
عبث بغلام بين أصابع رجليه يريد الشهوة لكان لواطا (وقال) الحسن بن
ذكوان رحمه الله لا تجالسوا أبناء الاغنياء فان لهم صورا كصور النساء
وهم أشد فتنة من العذارى (وقال) بعض التابعين ما أخاف على الشاب
الناسك فى عبادته من سبع ضارئ كخوفى عليه من الغلام الامرد يقعد اليه
(وقال) بعض التابعين رضى الله عنهم اللوطية على ثلاثة أصناف صنف
ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل (وروى) ان أحمد
ابن حنبل رحمه الله جاء اليه رجل ومعه ابن له حسن الوجه فقال لا تجئنى به
مرة أخرى فقيل له انه ابنه وهما مستوران فقال علمت ولكن على راى
أشياخنا (وكان) محمد بن الحسن صاحب يحيى بن معين لم يرفع رأسه الى
السماء اربعين سنة فجاءه غلام حدث ليجلس اليه فاجلسه من خلفه (فاما)
اتيان الذكور فهى الفاحشة العظمى وهو محرم مغلظ التحريم (قال) الله
تعالى أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم
(قال مالك) ويرجم الفاعل والمفعول به أحصنا أولم يحصنا وبه قال ربيعة
وأحمد بن حنبل واسحاق (وقال) الحسن البصرى وعطاء والنخعى وقتادة
والاوزاعى وأبو يوسف ومحمد هو كالزنا ان كان بكرا يجلد وان كان ثيبا يرجم
ولا فرق بين ان يفعله مع غلام أو امرأة اجنبية (والحجة) لمالك ان النبى صلى

الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به (وايضا) فان الله تعالى رجمهم بالحجارة قال تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل الآية (وروى) أن أبا بكر استشار الصحابة رضوان الله عليهم فى رجل كان ينكح كما تنكح المرأة فقال على بن ابى طالب رضى الله عنه أرى أن يحرق فكتب ابو بكر رضى الله عنه الى خالد بن الوليد رضى الله عنه فاحرقه بالنار (وروى) عنه أيضا أنه قال يرجم اللوطى (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما يرمى من شاهق جبل أعلى ما فى البلد منكسا ثم يتبع بالحجارة (ويروى) عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال يهدم عليه البيت (وقال) عثمان رضى الله عنه يقتل (وروى) ان قوم لوط كانت فيهم عشر خصال أهلكهم الله تعالى بها كانوا يتغوطون فى الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفى الانهار الجارية وفى شطوط الانهار وكانوا يحذفون الناس بالحصباء فيعورونهم واذا اجتمعوا فى المجالس اظهروا المنكر واخراج الريح منهم واللطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى وهى اللواط (قال) الله تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر والنادى المجالس والمحافل (ومن) ارتقى فى هذا الباب عن حالة الفسوق واشار الى ان ذلك من باب بلاء الزواج وأنه لا يضر فهذه وساوس الشيطان وادعاء العصمة وهو الكفر ونظير الشرك فاحذر مجالستهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وادخال الهجران بينك وبين الحق ثم يقال وهبك ايها المغرور قد بلغت رتبة الشهداء أليس قد شغلت ذلك القلب بمخلوق (وفى الحديث) يقول الله تعالى حرام على قلب سكنه حب غيرى ان اسكنه حبى (واما) قولهم انهم يستدلون بالصنعة على الصانع فنهاية فى سعاية الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم (قال) الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه (قال) ابن عباس رضى الله عنهما الهوى شر اله يعبد من دون الله (قال) الله تعالى فى باب الاعتبار أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت (وقال تعالى) اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن (وقال) جل وعلا

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس الآية (وقال) تعالى الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم الآية (وقال) تعالى وكأين من آية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فعدلوا عما امرهم الله به من الاعتبار
الى ما نهاهم عنه بقوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم
الآية

(فصل) واما الدف والرقص بالرجل وكشف الراس وتخريق الثياب
فلا يخفى على ذي لب انه لعب وسخف ونبذ للمروءة والوقار ولما كان عليه
الانبياء والصالحون (روى) اهل التفسير عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه قال كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وحياء وصبر
وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم يتواصون فيه بالتقوى
متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة
ويحفظون الغريب (قال) وكان النبي صلى الله عليه وسلم لين الجانب سهل
الخلق دائم البشر ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا فحاش
ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهي قد ترك نفسه من ثلاث المراء
والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره
ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه واذا تكلم اطرق جلساؤه
كأنما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده الحديث
ومن تكلم انصتوا له حتى يفرغ يعني يسكتون ويغضون ابصارهم
والطير لا يسقط الا على ساكن انتهى كلامه ولو لم يكن في السماع والرقص
شيء يذم الا انه اول من احدثه بنو اسرائيل حين اتخذوا العجل الها من دون
الله تعالى فجعلوا يغنون بين يديه ويصفقون ويرقصون فبقي حالهم كذلك
الى ان جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام ووقع من قصتهم ما قد ذكره الله
تعالى في كتابه فهم اصل لما ذكروا كان هذا اصله فينبغي بل يتعين على كل
عاقل ان يهرب منه ويولي الظهر عنه ان كان عاجزا عن تغييره واما ان كان
له قدرة على ذلك فيتعين عليه والله الموفق (وقد) قال عليه الصلاة والسلام
حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
قال الامام الطرطوشي رحمه الله هؤلاء زعموا ان قرة اعينهم في الغناء واللهو

قوله لا تؤبن بضم اوله وفتح ثالثه مخففا اي لا تذكر الا بخير اه

والنظار

والنظر في وجوه المرد

(فصل) وقال رحمه الله واما تمزيق الثياب فهو يجمع الى ما فيه من السخافة افساد المال (روى) ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال (وقال) عمرو بن العاص رضي الله عنه مر النبي صلى الله عليه وسلم بشاة ميتة اعطيتها مولاة لميمونة من الصدقة فقال هلا انتفعتم باهابها فقالوا انها ميتة قال انما حرم اكلها (قال) العلماء ويحجر على السفهاء وهم المبذرون لاموالهم وما في السفه اعظم من تمزيق الثياب (وقال) انس رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة واحدة منها من أديم احمر (وروى) ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انقطع شسع نعله فقال انا لله وانا اليه راجعون (ومن امثالهم) من اصلح ماله فقد صان الاكرمين دينه وعرضه وتمزيق الثياب داخل في قوله تعالى لابليس وشاركهم في الاموال والاولاد واذا كان الكسب خبيثا كان مآله الى مثله انتهى كلام الطرطوشي رحمه الله

(فصل) وقال الشيخ ابو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره في قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث سئل عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث فقال الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات (وعن) ابن عمر هو الغناء (وكذلك) قال عكرمة وميمون بن مهران ومكحول (وروى) شعبة وسفيان عن الحكم وحماد عن ابراهيم قال قال عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب (وقال) مجاهد وزاد ان لهو الحديث المعازف والغناء (وقال) القاسم ابن محمد الغناء باطل والباطل في النار (وقال) ابن القاسم سألت عنه مالكا فقال قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال أفحق هو (وروى) الترمذي وغيره من حديث انس وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صوتان ملعونان فاجران أنهى عنهما صوت مزمار ورنة شيطان عند نغمة وفرح ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب (وروى) جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن علي رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بكسر المزامير خرجه ابو طالب الغيلاني (وخرج) ابن بشران عن

عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل (روى) ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس الى قينة يسمع منها صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة (وقد) روى مرفوعا من حديث أبى موسى الاشعرى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين فقيل وما الروحانيون يارسول الله قال قراء اهل الجنة خرجه الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الاصول (ومن) رواية مكحول عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه (وهذه) الآثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذى يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذى يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع اذا كان فى شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف فى تحريمه لانه اللهو والغناء المذموم باتفاق فأما من سلم من ذلك فيجوز القليل منه فى أوقات الفرح كالعرس والعيد وعند النشاط على الاعمال الشاقة كما كان فى حفر الخندق (فأما) ما ابتدعه الصوفية اليوم من الادمان على سماع الاغانى بالآلات المطربة من الشبابة والطار والمعازف والاوتار فحرام (قال) ابن العربى فأما طبل الحرب فلا حرج فيه لانه يقيم النفوس ويرهب العدو (وذكر) أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى قال أما مالك بن أنس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه وقال اذا اشترى جارية ووجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة (قال النحاس) وهو ممنوع بالكتاب والسنة (قال الطبرى) وقد أجمع علماء الامصار على كراهة الغناء والمنع منه (قال) أبو الفرج بن الجوزى وقد قال القفال من اصحابنا لا تقبل شهادة المغنى والرقاص (قال) أبو عبد الله القرطبى رحمه الله واذ قد ثبت أن هذا الامر لا يجوز فأخذ الاجرة عليه لا يجوز (وقد) ادعى أبو عمر بن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على ذلك (وذكر) القرطبى أيضا فى سورة سبحان فى قوله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا قال استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه (قال) الامام أبو الوفاء بن عقيل قد نص القرآن على

الآنك بالمد وضم النون خالص الرصاص اهـ

النهى عن الرقص فقال ولا تمش فى الارض مرحا وذم المختال والراقص أشد والمرح الفرح أو اسناقسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما فى الطرب والسكر فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والطبل لاجتماعهما فما أقبح ذا الحية سيما اذا كان ذا شيبة يرقص و يصفق على توقيع الالحان والقضبان خصوصا اذا كانت أصوات نسوان و ولدان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم مآله الى احدى الدارين يشمس بالرقص شموس البهائم و يصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ فى عمرى ما بان لهم سن من التبسم فضلا عن الضحك مع ادمان مخالطتى لهم (وقال) أبو الفرج بن الجوزى ولقد حدثنى بعض المشايخ عن الغزالى انه قال حماقة لا تزول الا باللعب (وذكر) القرطبى أيضا فى قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال فى الآية ما يدل على تحريم المزامير والغناء واللهو لقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك على قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان أو فعله وما يستحسنه فواجب التنزه عنه اه

(فصل) وقد حكى عن امام هذه الطريقة وهو الشيخ الجنيد رحمه الله انه سئل لحضور السماع فأبى ثم سئل فأبى فقيل له ألست كنت تحضره قال مع من وممن وقد حكى عن غيره من الاكابر انه سئل لحضور السماع فأبى فقيل له أتنكر السماع قال ومثلى ينكره وقد فعله من هو خير منى ومنكم عبد الله بن جعفر الطيار وانما أنكر ما احدث فيه اه (وهذا) كما قد سبق من أن الغناء هو رفع الصوت بالشعر فحضره هذا السيد لما أن كان كذلك فلما ان حدث فيه ما حدث تركه (وهذا أيضا) موافق لكلام الجنيد فى قوله مع من وممن لما تقدم عنه رحمه الله ان القوال هو شيخ الجماعة الذى منه يستمدون وبه يقتدون ولا شك ان هذه الصفة بعيدة من سماع هذا الزمان لما احتوى عليه مما لا ينبغى كما هو مشاهد مرئى وقد وقعت الاشارة لبعضه (وهذا) مع ما فيه مما تقدم ذكره قل أن يسلم من حضور النساء فى المواضع المشرفة عليه من سطح أو غيره وسماعهن الاشعار المهيجة للفتنة والشهوات والملذوذات فان ذلك يحرك عليهن سيما كما تقدم من أن الغناء رقية الزنا وهن ناقصات عقل ودين سيما اذا انضاف الى ذلك ان يكون لهن طريق الى التوصل الى الرجال

أو الرجال اليهن فأعظم فتنة وبلية سيما اذا انضاف اليه أن يكون المغنى شابا حسن الصورة والصوت وسلك مسلك المغنيات فى تكسيرهم وسوء تقلباتهم فى تلك الحركات المذمومة مع ما هو عليه من الزينة بلباس الحرير والرفيع من غيره وبعضهم يبالغ فى أسباب الفتنة فيتقلد بالعنبر بين ثيابه لتشم رائحته منه ويجعل على رأسه فوطة من حرير لها حواش عريضة ملونة يصففها على جبهته ولهم فى استجلاب الفتن بمثل هذا أمور يطول ذكرها (ثم) العجب من هذا المسكين الذى عمل السماع لهم وجمعهم له كيف يطيب خاطره أو يسكن باطنه برؤية أهله لما ذكر اذ أن ذلك كله فتنة عظيمة قل من يسلم عند سماعها أو رؤيتها فانا لله وانا اليه راجعون أين غيرة الاسلام أين نجدة الرجال السادة الكرام أين الهمم العالية العفيفة عن الحرام أين اتباع السلف الاعلام (فتحصل) مما تقدم ذكره أن كل من حضر السماع من الرجال والشبان ومن اطلع عليه من النساء أو سمعهم افتتن وقل أن يرضى بما عنده من الحلال غالبا فتتشوق نفوسهم الى ارتكاب المحرمات فمنهم من يصل الى غرضه الخسيس وهى البلية العظمى ومنهم من لا يقدر على ذلك لقلة ذات يده أو غيره من العوائق المانعة له فيكون آثما فى قصده ولو وقف الامر على ما ذكر لرجيت لهم التوبة والاقلاع والاقالة مما وقعوا فيه لكن البلية العظمى ان كثيرا منهم يتدينون بذلك ويعتقدون به القربة الى الله عز وجل سيما ان عملوه بسبب المولد فهو أعظم فى الفتنة لانهم يعتقدون انهم فى أكبر الطاعات واظهار شعائر الدين (وتعطى) هذه القاعدة التى انتحلوها انهم أعرف بالشعائر من سلفهم نعوذ بالله من المحن والفتن ومن الابتداع وترك الاتباع (وبالجملة) ففتنته أكثر من أن تحصر وهذا مع ما فيه من اضاعة المال والرياء والسمعة لو قيل لاحدهم تصدق ببعض ما تنفقه فيه على المضطرين المحتاجين سرا لشح بذلك وبخل وما ذلك الا لوجوه (الوجه الاول) خبث الكسب غالبا لان المال الذى يحصل من وجه خبيث لا يخرج الا فى وجه خبيث مثله بذلك جرت الحكمة (الثانى) ايثار الشهوات والملذوذات (الثالث) الرياء والسمعة (الرابع) محبة الثناء والمحمدة والقيل والقال كما تقدم (الخامس) محبة النفوس فى الظهور

على

على الاقران (السادس) ان صدقة السر خالصة للرب عز وجل فلا يقدر عليها الا ذو حزم ومروءة واخلاص فالسعيد السعيد من تمسك بنور الشريعة وسلك منهاجها وشد يده عليها وترك كل ما احدثه المحدثون وعمل على خلاص مهجته واهله وولده ولا خلاص الا بالاتباع وترك الابتداع سلك الله بنا الطريق الارشد انه ولى ذلك والقادر عليه بمحمد وآله

•(فصل)• وقد تقدم فى أول الكتاب أن تصرف المكلف لم يبق الا فى قسمين وهما الوجوب والندب فاذا كان هذا فى حق غير الفقير المنقطع فما بالك بالفقير المنقطع المتوجه الى ربه الذى ترك الدنيا وشهواتها وملاذها وذاتها خلف ظهره فهو أولى وأوجب بالمطالبة بالاتباع وترك الابتداع أكثر من غيره (واذا) كان ذلك كذلك فالسماع اذا سلم مما تقدم ذكره لم يدخل فى باب الواجب والمندوب بدليل ما تقدم عن الجنيد رحمه الله حيث قال لا يصير السماع مباحا الا بعشرة شروط وقد تقدم أكثرها والفقير أولى بل أوجب أن يحتاط لنفسه ويتقى مواضع الريب ويسد عن نفسه أبواب المفاسد كلها فانه شبيه بالعالم فى الاقتداء به فصلاحه يتعدى لغيره وفساده كذلك فيتعين عليه أن يحفظ مهجته ومهجة غيره من المسلمين بالنهوض الى ما يجب عليه أو يندب اليه ويترك ما عدا ذلك ويعرض عنه والله المستعان

•(فصل)• وينبغى له أن يصون حرمة الخرقة التى ينتسب اليها بترك الوقوف على أبواب أبناء الدنيا ومخالطتهم والتعرف بهم وقد تقدم قبح ذلك فى حق العالم ففى حق الفقير أولى وأحرى اذ انه أقبل على طريق الآخرة وترك الدنيا وأهلها فوقوفه على ابواب من تقدم ذكرهم نقض من طريقه ومقصده بل ينقطع عنهم ظاهرا وباطنا أعنى انه لا ينقطع فى خلوته وقلبه متعلق بغير ما هو فيه فان تعلق خاطره بشئ من ذلك فهو منهم وان كان لم يدخل معهم فى الظاهر ولم يكثرهم (الاترى) انهم قد قالوا اذا رأيت الامير على باب الفقير فاتهم الفقير لانه ما جاء الا لنسبة حصلت فى الفقير من اجل ما يتعاطونه من امور الدنيا ولاجل ذلك جاء الامير لحصول الجنسية او كما قالوا (وقد) يكون الفقير لا يشعر بالوجه ذلك فى حقه (حتى) لقد حكى عن

بعضهم انه كان لا عرله خاطر في الدنيا ثم حصل له في بعض الايام التفات اليها واذا بجندى يدق الباب فدخل اليه وجلس يتحدث معه في الدنيا فرجع الشيخ الى نفسه وقال هذه عقوبة من الله من أين أتيت واذا هو قد ذكر الخاطر الذى مر به فتاب الى الله تعالى واقلع عنه واذا بالجندى قد قام وخرج من حينه (فهذه) كانت أحوالهم وسيرتهم الحسنة وهم قدوة لمن بعدهم ممن يتمسك بطريقهم اسأل الله ان لا يخالف بنا عن حالهم (ومع هذا) فلا ننكر الاجتماع بهم أعني اذا جاءوا الى الفقير راغبين فقد وردت السنة بحسن البشاشة عند اللقاء والاخذ مع المضطرين والمساكين فيما نزل بهم ولا شك ان احتياج أبناء الدنيا للمريد وخطره أعظم من احتياج غيرهم من الفقراء والمساكين الى المريد المنقطع الى ربه عز وجل لان الفقير المسكين أقرب الى ربه سبحانه وتعالى اذ هو في حالة الاضطرار والمسكنة عليه ظاهرة بخلاف أبناء الدنيا الان الغالب عليهم الشرود عن باب ربهم لاجل تعلقهم بمن هو فوقهم أو من هو مثلهم من أبناء الدنيا فيحتاج المريد اذا اتوا اليه أن يباسطهم لكى يتوصل بذلك الى موعظتهم وسياسة أخلاقهم ليسرق طباعهم بالرفق والتيسير وعدم التنفير قاصدا بذلك وقوفهم بباب ربهم وارشادهم اليه لا لغرض دنيوى لان نجاة هؤلاء من باب خرق العادة بخلاف الفقير والمسكين فاذا خلص واحد ممن هذه صفته فلا شك أنه من الجهاد وفي الجهاد من الفضيلة ما فيه فيحتاج ان يغتنم ما سيق اليه من هذا الخير العظيم و يشدد عليه بشرط أن يحفظ على مقامه الذى هو فيه من تدنيسه بالتشوف الى ما في أيديهم أو التعزز بعزهم الفانى أو الركون الى شئ من أحوالهم الزائلة فاذا سلم من ذلك فلا ينافى قضاء حوائج المضطرين من المسلمين على أيديهم لان له بذلك المنة عليهم لانه ساق اليهم خيرا عظيما ومعروفا جسيما لكن بشرط يشترط فيه وهو أن يريهم ان الحظ والمنفعة والحاجة الكبرى لهم في استقضاء حوائج المسلمين منهم بعد أن يحقق عندهم انهم مضطرون الى ذلك أكثر من أرباب الحاجات اليهم وان ذلك متعين عليهم من غير أمر لهم بذلك فكيف مع اطلاعه واطلاعهم وهذا باب كبير متسع فيكفى التنبيه عليه (وبالجملة) فالفقراء

السالكون ممن مضى منهم نفعنا الله بهم قد انقسموا في هذا الباب على ثلاثة أقسام (فمنهم) من كان لا يخالط احدا منهم بر جملته فان وقع لاحدهم شيء من ذلك استعمل الحيل في التخلص منه (كما حكى) عن سفيان الثوري انه لما ان تولى الخلافة من يعتقده ويرجع اليه هرب منه الى البلاد وسافر الى مواضع لا يعرف فيها فبقي الخليفة يسأل عنه ويبحث عن أمره الى ان اجتمع به بعض من يعرفه فتكلم معه في ان اجتماعه بالخليفة فيه خير كثير للمسلمين فكان جوابه أن قال يصلح ما يعلم فساده فاذا فرغ من ذلك اتيته وجلست معه وعلمته ما لم يعلمه أو كما قال (وقد حكى) عن بعضهم أنه اظهر التوله حين اتيان السلطان اليه بأن جعل على بابه احمالا من الخبز فوضعها وجلس هناك فلما ان رأى السلطان مقبلا أخذ رغيفا وجعل بعض فيه ويأكل بنهمة فجاء السلطان فسأل عنه فقيل له هو ذا فسلم عليه فرد عليه السلام فكلمه فأبى عن جوابه فسأله لم لا ترد على الجواب فقال أخاف أن تشغلني من أكلي أوان تأكل معي فيذهب هذا الخبز وأنا لا أشبع أو كما قال فرجع السلطان عنه وهذا باب السلامة ولا يعدل بالسلامة شيء (القسم الثاني) انهم يجتمعون بهم اذا أتوا اليهم بالشروط المتقدم ذكرها (القسم الثالث) الاتيان اليهم وفيه خطر من أجل مخالطتهم والوقوف على أبوابهم لقضاء حوائج المسلمين اذ ان ذلك جمع بين امرين متضادين أحدهما حسن وهو قضاء حوائج المسلمين والتفريج عنهم والثاني ضده وهو واهانة خرقة الفقير بالوقوف على أبواب من لا ينبغي (وقد) قال بعضهم ما أقبح ان يسئل عن العالم فيقال هو بباب الامير فاذا كان هذا القبح في حق العالم فما بالك به في المريد الذي خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة يطلبها وتوجه الى الله عز وجل بالانقطاع اليه ولو لم يكن فيه من القبح الا انا مأمورون بالتغيير عليهم في بعض أحوالهم والوقوف ببابهم ينافي ذلك (وقد كان) سيدي أبو محمد رحمه الله يختار الطريقة الوسطى لا شرقية ولا غربية لا يقف ببابهم ولا ينفر منهم بل يستقضي حوائج الضعفاء والمساكين منهم اذا أتوا اليه وأما من لم يأت منهم اليه فانه كان لا يرسل اليه أصلا ومن نزلت به ضرورة وأتى اليه يحيله على الصدقة والتوبة عما جنى

وأما الارسال اليهم فكان لا يرسل الا من يعرف ولا الى من لم يعرف فمن كان يعرفه منهم اذا جاء ذكر له ما اطلع عليه من ضرورات المسلمين فأزالها وهذا الذى درج عليه هو حال أكثر السلف أعنى الطريقة الوسطى المتقدم ذكرها والله الموفق هذا حاله مع زيارة من ينسب الى الدنيا (وبالجملة) فمن يأتى الى زيارة المريد ينقسمون على ثلاثة أقسام (الاول) اتيان أبناء الدنيا له (والثانى) زيارة المريدين والصلحاء (والثالث) زيارة من شاركه فى الخرقة من جهة شيخه او من جهة العالم الذى اهتدى بهديه (فالقسم الاول) قد تقدم ذكره (وأما) القسم الثانى فيتعين عليه أن يلقى من اتاه برحب وسعة صدر وأن يكثر التواضع لهم ويرى الفضل لهم عليه فيما فعلوه ويرى نفسه أنها مقصرة فى حقهم اذ انه قعد عن زيارتهم حتى احتاجوا الى زيارته فيعوض لهم عن ذلك كثرة الانس واظهار الود بشرط أن يكون ذلك منه باطنا كما فعله ظاهرا والمقصود أن يبالغ فى الادب معهم بتوقير كبيرهم واحترامه والتلطف بصغيرهم فى ارشاده وتهذيب أخلاقه وتهيئ أمره للسلوك والترقى وان استطاع أن لا يخرج عنه أحد من هذه الطائفة الا عن أكل فليفعل لانه قد ورد عن السلف رضى الله عنهم انهم كانوا لا ينصرفون الا عن ذواق فان لم يمكنه ذلك الا بتكلف مثل أخذ دين او ما يقاربه فالترك أولى به (وقد حكى) عن بعضهم انه جاءه أضياف فقدم لهم خبزا وملحا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم لكن يعوضهم عن ذلك امدادهم فى بواطنهم ان كان من أهل ذلك فان لم يكن من أهل الامداد فيدعو لهم بظاهر الغيب ولعل أن يكون فيهم وهو الغالب من هو أرفع منه قدرا وأعظم شانا فيكون دعاؤه اذ ذاك يعود عليه بركته (لما ورد) ان المرء اذا دعا لاخيه فى ظاهر الغيب فان الملك يقول له ولك مثل ذلك أو كما ورد (وقد) قال بعض السلف كل حاجة أحتاجها وأريد أن أدعو بها لنفسى ادعو بها الاخى فى ظاهر الغيب لانى اذا دعوت لنفسى كان الامر محتملا للقبول أو ضده واذا دعوت لاخى فى ظاهر الغيب فالملك يقول ولك مثل ذلك ودعاء الملك مستجاب (وقد حكى) عن بعضهم انه جاء الى زيارة أخيه فقال له المزور يا اخى اما كان لك شغل بالله عن زيارتى فقال له الزائر شغلى بالله اخرجنى الى زيارتك (وقد

حكى) عن بعضهم أيضا انه كان اذا سأله أحد من اخوانه فى حاجة يبكى ثم بعد ذلك يقضى حاجته فسئل عن موجب بكائه فقال أبكى اغفالى عن حاجة أخى حتى احتاج أن يبديها الى وهذا الذى ذكره جار على عادة غالب حال الناس (وبعض الاكابر) يعوض عن ذلك ماهو فى الايثار أكثر وأعم وله فى ذلك اقتداء حسن صحيح (كما) حكى لى من أثق به ان الفقيه الامام المعروف بابن الجيزى جاء الى زيارة الفقيه الامام المحدث المعروف بالظهير الترمذى وكان اذ ذاك منبسطا مع من حضره فلما أخبر بمجىء الفقيه ابن الجيزى الى زيارته انقبض عن ذلك وزال بسطه فدخل عليه وهو منقبض فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يزد عليه شيئا ولم يكن كلامه له الا جوابا فلما ان خرج رجع الى ما كان عليه من البسط مع من حضره فسئل عن موجب ذلك فقال استصغرت نفسى أن يكون مثل هذا السيد يزور مثلى فأردت أن أكافئه ببعض ما يستحقه فوجدت نفسى عاجزة عن مكافأته فآثرته بالاجر كله حتى يكون فى صحيفته دونى اسا ورد اذا التقى المسلمان فأكثرهما ثوابا أبشهما لصاحبه فآثرته بذلك أو كلاما هذا معناه (وهذا) له أصل فى الاتباع للسنة المطهرة وهو ما روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كنت اذا لقيت عليا ابتدأنى بالسلام فلقيته اليوم فلم يسلم على حتى ابتدأته بالسلام فقال له اجلس فجلس واذا بعلى بن أبى طالب قد جاء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم لم تبتدى أبا بكر اليوم بالسلام فقال يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم قصرا فى الجنة لم أر مثله فقلت لمن هذا القصر فقيل لمن يبتدى أخاه بالسلام فأردت أن أوثر اليوم أبا بكر على نفسى أو كما قال (وهذا) أعظم فى الاكرام وأبر فى الاحترام فمن كانت له استطاعة على مثل هذا الايثار فهو أولى به لكن يخاف على فاعل ذلك فى هذا الزمان أن ينفر الناس غالبا عن باب ربهم ويوقعهم فيما لا ينبغى فارتكاب الطريقة المتقدمة والحالة هذه أولى بل أوجب اللهم الا أن يقع ذلك مع من له رسوخ فى السلوك كما تقدم وصف من وقع له ذلك والله الموفق

(فصل) اعلم رحمنا الله واياك أن لقبول الدعاء مواضع عديدة ينبغى الاعتناء بها ليعرف المكلف أماكنها فيتعرض لها لقوله عليه الصلاة

والسلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله (فمن) جملة النفحات ما تقدم ذكره من دعاء المؤمن لاخيه فى ظهر الغيب (والثانى) المضطر وهو الاصل لعمومه قال الله تعالى أمّن يجيب المضطر اذا دعاه وهذا لفظ عام دون الاتصاف بصفة دون أخرى وكثير من يقع له الغلط والوهم فى هذا القسم فيرى انه مضطر فيدعو فلا يستجاب له فيقول أنى هذا فيقع له الجواب بلسان الحال قل هو من عند أنفسكم اذ انه لو حصلت له حالة الاضطرار ما ردّ وما خيب لان الله سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد (ومثال) ذلك فى الحس ما كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول مثله مثل من ركب فى السفينة فهو مضطر الى ريح يمشى بها او الى بحر هاد قليل الآفات لكنهم مطمئنون بسفينتهم را كنون اليها وفى هذا السكون من عدم الاضطرار ما فيه فلو جاء الريح العاصف وتحرك عليهم هول البحر لكان اضطرارهم أكثر من الاول لكنهم عندهم قوة فى أنفسهم بالسفينة التى هى سبب السلامة غالبا فلو انكسرت السفينة مثلا وبقى كل واحد منهم أو جماعة على لوح لاشتد اضطرارهم أكثر من الثانى لكنهم يرجون السلامة لما تحتهم من الالواح وذلك قدح فى حقيقة اضطرارهم فلو ذهبت الالواح وبقوا بعد ذلك فى لجج البحار لابر يرى ولا جهة تقصد ولا لوح يرام أن يصعد عليه فهذه الصفة هى حقيقة الاضطرار أو كما قال (فمن) اتصف بهذه الصفة وهو فى حالة الاتساع من أمره كان مضطرا حقيقة فلا يشك ولا يرتاب فى اجابته وما وقع الغلط الا فى صفة التحصيل لهذه الصفة الجميلة التى أخبرنا الله تعالى بها فى كتابه العزيز (الثالث) من مواطن الاجابة عند نزول الغيث (الرابع) عند الاذان (الخامس) عند اصطفاف الناس للصلاة (السادس) عند اصطفافهم للجهاد (السابع) الثلث الاخير من الليل فى كل ليلة الى طلوع الفجر (الثامن) الدعاء عند المحتضر فان الملائكة حضور يؤمّنون على دعاء الداعى (التاسع) الدعاء من الصائم عند افطاره (العاشر) الدعاء من المسافر عند سفره (الحادى عشر) وهو آكدها الساعة التى وردت فى يوم الجمعة وقد تقدم بيانها (الثانى عشر) يوم الاثنين وليلته وقد تقدم بيانه (الثالث عشر) ليلة القدر وهى أم الباب وخلاف العلماء فيها مشهور معروف (الرابع

عشر

عشر) الدعاء من الوالدين لولدهما (الخامس عشر) الدعاء عند حدوث الخشوع واقشعرار الجلد والخوف والقلق وغلبة الرجاء فان هذه المواطن كلها محل للاجابة (السادس عشر) وهو أعظمها وأولاها الدعاء باسم الله الاعظم وقد اختلف الناس في تعيينه اختلافا كثيرا حتى قال بعضهم ان ذلك راجع الى الاتصاف بحالة الاضطرار كما تقدم ومنهم من قال انه قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ومنهم من قال الله لا اله الا هو الحي القيوم والم الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم ومنهم من قال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ومنهم من قال آخر سورة الحشر الى غير ذلك وهو كثير (السابع عشر) يوم عرفة (الثامن عشر) شهر رمضان (التاسع عشر) في السجود (وبالجملة) فالدعاء له أركان واجنحة وأسباب واوقات فان صادف أركانه قوي وان صادف أجنحته طار في السماء وان صادف اسبابه نجح وان صادف أوقاته فاز (فمن) أركانه الاضطرار وقد تقدم (واجنحته) قوة الصدق مع المولى سبحانه وتعالى فيما يرجوه ويؤمله منه ويخافه (واسبابه) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (واوقاته) الاسحار (وما) تقدم ذكره انما هو فيمن هو على جادة التكليف (وأما) من هو في مقام الرضى أو ما يقاربه فقد يكون السؤال في حقه ذنبا يتعين عليه التوبة والاستغفار منه (كما) قد حكي عن بعض السلف أنه قال تجاسرت البارحة وسألت ربي المسامحة من النار كما حكى الشيخ الامام أبو طالب المكي رحمه الله عن بعضهم انه قال كل المقامات نلت منها شيئا الا هذا الرضى فاني ما نلت منه الا مقدار سم الخياط (ومع ذلك) لو اخرج أهل جهنم أجمعين وادخله جهنم وملأها بجسده وعذبه بعذابهم أجمعين لكان راضيا بذلك وقد تقدم ما جرى للكليم عليه الصلاة والسلام مع العابد (وبالجملة) فالامر راجع الى حال من وقع له ذلك وفي أي وقت يقع له ذلك وقد يكون في بعض الاحيان الرضى في حقه اولى وافضل بالنسبة الى حاله وما اختص به في وقته ذلك وقد يكون في وقت آخر الدعاء والتملق واظهار الفاقة والاضطرار والحاجة أولى وأفضل وكل ذلك مأخوذ من السنة المطهرة وعن السلف الماضين رضي الله عنهم اجمعين (ثم نرجع) الى ما

كما سبيله من أقسام الزائر والمزور (القسم الثالث) الاشتراك في الرضاعة في مجالس العلم ومجالس الشيوخ فمن جاءه من هذا القسم فهو من الخاصة به فان استطاع ان يكون لهم ارضا فليفعل اذ ان احترامهم احترام الشيخ الذي أخذ عنه (وآداب) المريد مع شيخه لا تنحصر ولا ترجع الى قانون ولا يقدر المريد أن يقوم بحقه في الغالب اذ ان حقيقة أمر الشيخ انه وجده في بحار الذنوب والغفلات فأخرجه من كل ذلك وادخله الجنة وهو أمر لا يقدر احد ان يجازي عليه الا الله تعالى

(فصل) وينبغي له أن يكون أهم الامور عنده وآكدها الخلوة عن الناس والانفراد بنفسه دونهم كما تقدم لان الخلوة سبب للفتح غالبا (وليحذر) أن يقبل ما تلقيه اليه نفسه أو الشيطان من محبة الاجتماع بالاخوان أو الميل اليهم أو الميل الى رؤيتهم فان النفس مجبولة غالبا على حب الراحة والبطالة وهي لا تجد لذلك سبيلا مع دؤوب الخلوة ولا تجد السبيل الى أن تسرقه أو تميل به عما هو بسبيله الا بسبب الاجتماع بالاخوان غالبا اذ بالاجتماع بهم تجد السبيل الى الزيادة والنقصان فيما يريده ويختاره وفيه من الخطر ما فيه أو عكسه وهو الداء الذي ليس له دواء في الغالب الا التوبة والاقلاع والتحلل وكان في غنية عن ذلك كله وهذه دسيسة قل من يشعر بها الا من نور الله بصيرته (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله في كتاب الدلالات له عن بعض شيوخه انه قال كنت اخلو لاسلم من ضرري للناس فصرت اخلو لاغنم فصرت اخلو لافهم فصرت اخلو لاعلم فصرت اخلو لاتنعم اه (فانظر) رحمنا الله واياك الى هذه المقامات الجليلة التي انتقل منها واليها واحدة بعد واحدة (فأولها) طلب سلامة الناس منه كما تقدم اذ ان طلب السلامة من الناس فيه تزكية للنفس ووقوع في حق اخوانه المسلمين فاذا خلا بنفسه لكي يسلم الناس من لسانه وبصره وسمعه وبطشه وسعيه وحسده الى غير ذلك مما يعتوره في خلطته لهم فيحصل بسبب ذلك في القسم الذي شهد له صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه بالاسلام حيث يقول عليه الصلاة والسلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقد تقدمت الاشارة الى ذلك كله (فلما) ان حصل هذا المقام الذي ترقى بعده

الى ماهو أسنى منه وهو حصول الغنيمة فهو فى أعمال الآخرة ينتهى اذ أن
الخلوة التى هو فيها أعانته على افتراس ذلك والنهوض اليه لعدم العائق
(ثم) بعد حصول هذا المقام السنى ترقى الى ماهو أسنى منه وهو الفهم عن
الله تعالى فى آياته وفى أحكامه وفى تدبيره فى خلقه واحسانه الى أوليائه
وقربه منهم وعلمه بحالهم اذ هو سبحانه وتعالى الكريم الذى من بذلك
وسهل الامر عليه فيه والفهم عن الله أعم من هذا كله وانما هو اشارة لما
عدا ماذكر (ثم) انتقل بعد هذا المقام السنى الى ماهو أسنى منه وهو العلم لانه
نتيجة الفهم اذ أنه اذا فهم علم وهذا العلم عام فى العلم بالله تعالى والعلم بأحكام
الله اذ أنه لا يوجد جاهل بأحكام الله عليه عالما بالله والعلم بالله ليس له حد
ينتهى اليه بخلاف العلوم الشرعية فان لها نهاية على ماقد علم (فلما) ان
حصل هذه الدرجة السنية انتقل منها الى ماهو أسنى منها وهو التنعم فى
خلوته والتلذذ بالطاعات التى بها اواها اذ أنه عبد قد خلعت عليه خلع القرب
فاتصف بالمقامات السنية التى لا يستحقها ولا بعضها الا بفضل المولى سبحانه
وتعالى وكرمه وامتنانه اذ لا فرق بينه وبين اخوانه من المسلمين فكونه خص
عليه دونهم هذا افضل عميم لا يقدر أن يقوم بشكر بعضه اللهم لا تحرمنا ذلك
فانك وليه والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (فاذا) حصل
فى هذه الدرجة انتفع بنفسه وانتفع به من عرفه ومن لم يعرفه (فاذا) حصل
فى هذا المقام السنى جاءته الالطاف تترى اذ أنه تشبه فيه بالملائكة الكرام
الذين لا يأكلون ولا يشربون وبذكر ربهم يتنعمون اذ أن الذكر لهم كالنفس
لنا ومن هذا حاله تكون العبادة له كالغذاء لان الغذاء جمع أشياء منها شهوة
النفس للاكل والشرب وقوام البدن والاعانة على فعل الطاعات (ومن)
حصل فى هذا المقام الذى تقدم ذكره فقد تم له النعيم (الا ترى) ان بعضهم
كان يأكل أكلة فى الشهر وبعضهم فى ثلاثة أشهر وبعضهم فى ستة
أشهر وبعضهم لا هذا ولا هذا كل ذلك راجع الى حال التنعم فى الخلوة كما
تقدم (ومن) هذا الباب انقطع كثير من المريدين لانهم لم يحكموا الآداب
فى الوصول الى هذا المقام فيريدون أن يتشبهوا بمن هو فيه فينقطعون وما
ذاك الا أن هذا غذاؤه بالتنعم الذى هو فيه وقد مضت حكمة الحكيم

سبحانه وتعالى ان هذا البدن لا قوام له الا بقوت فالقوت المعنوى الذى حصله هذا الذى تقدم ذكره أغناه عن القوت الحسى وهم لم يحكموه وتركوا القوت الحسى (وقد) قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله اعلم ان الله عز وجل قد تكفل لهذا الا بكل برزق لا قوام له الا به قال وهذا الرزق الذى تكفل به ليس من شرطه ان يكون محسوسا فتارة يكون محسوسا وتارة يكون معنويا او كما قال ولاجل الجهل بتحصيل هذا القوت المعنوى حصل لبعض من يتعانى كثرة المجاهدة أشياء رديئة مثل العربدة أو الجنون أو النشاف الى غير ذلك فمن تأدب بهذه الآداب المذكورة فى الخلوة يغلب الرجاء انه من الناجين والحمد لله رب العالمين (وقد) سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول انه قد كان دخل فى مجاهدة بنية أمد معلوم فلم تقدر نفسه على اتمام المدة وضاق ذرعه بذلك قال فأردت ان أفطر ثم حصلت لى عزيمة على ترك ذلك فلما ان شعرت نفسى بهذه العزيمة غشى عليها فرأيت فى تلك الغشوة كأن انسانا يطعمنى فأكلت حتى شبعت ثم سقانى فشربت حتى رويت ثم استفقت وأنا شبعان ريان فقمت أغتنم الطاعة مبتدرا بقوة ونشاط ففرغت المدة وأنا على ذلك الحال ثم بقيت بعد ذلك مدة أخرى كذلك ولو بقيت على ذلك بقية العمر رأيت انى لا أحتاج الى غذاء بعدها لكن رجعت الى الغذاء خوفا من على ترك السنة اذ ان السنة وردت بالغذاء (هذا الوجه) الذى ذكره رحمه الله (وفيه) وجه آخر وهو انه لو تمادى على ذلك الحال لاشتهر أمره وعرفه الناس بذلك وهذا فيه ما فيه (وبالجملة) فبركة الخلوة لا تنحصر ولا تقف على حد ينتهى اليه كل على قدر حاله ومرتبته وأقل فوائدها بل أعظمها وزبدتها ما يحدثه الله عز وجل عند ذلك من الخشوع وتصاغر النفس والاحتقار بها وذلتها والاطلاع على مسكنتها وقلة حيلتها وفقرها واضطرارها الى سيدها ومدبرها (وقد) سأل سفيان الثورى الاعمش رحمهما الله تعالى عن الخشوع فقال يا ثورى أنت تريد أن تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع سألت ابراهيم النخعى عن الخشوع فقال يا أعيمش تريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع باكل الجشيم ولا بلبس الخشن وتطاطئ الرأس لكن الخشوع ان ترى

قوله أو النشاف بالتشديد كشداد من يأخذ حرف الرغيف فيغمسه فى رأس القدر ويأكله دون أصحابه اه قاموس

الشريف والدنىء سواء وان تخشع لله فى كل فرض افترضه عليك اه (والغالب) ان هذا قل ان يحصل الا مع كثرة الخلوات فالخلوة نور ذلك كله وبهاؤه وعليها تقرر الاحوال السنيه والمراتب العليه فليشد عليها المريد يده ليحصل ما يترتب عليها من البركات والله الموفق للصواب

(فصل) وآكد ما عليه فى خلوته النظر فى الجهة التى يقتات منها فليحفظ على نفسه من الشبهات التى تطرأ عليه فيها اذ ان ذلك لا يخلو من وجوه (اما) ان يكون يعرف أصلها مثل ان يكون من كسب يده أو ميراث أو غيرهما من وجوه الحل فهذا قد لطف الله به اذ يسر له ذلك من وجه حل وانقطع بسببه الى الخلوات وبركاتها (واما) ان يكون ذلك من جهة ما يفتح الله تعالى به من الغيب فذلك على وجهين أحدهما ان يكون بغير واسطة والآخر بواسطة (فان كان) الاول فهو مثل القسم الذى قبله ملطوف به الا انه قد يخشى على بعض من يقع له ذلك من الدسائس الواردة على النفوس وهى كثيرة لا تنحصر (واما) القسم الثانى وهو ان يكون تيسير ذلك على يد مخلوق فهذا يحتاج الى تفصيل سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول ان ذلك ينقسم على أربعة أقسام (القسم الاول) يسر ويضر (القسم الثانى) عكسه لا يسر ولا يضر (القسم الثالث) يسر ولا يضر (القسم الرابع) عكسه يضر ولا يسر (فالقسم الاول) وهو الذى يسر ويضره والفتوح الذى يأتى من جهة فقير محتاج معتقد فان أخذ قبلته منه سر بذلك ويتضرر فى نفسه لاجل فقره فهذا ينبغى للمريد أن لا يرزاه فى شئ ويرده عليه بسياسة حتى لا ينكسر خاطره أو يقبله منه ويكافئه عليه بما تيسر وليحذر ان يشوش عليه بدفع العوض له بل يعوضه دون اشعار له بذلك (وأما القسم الثانى) وهو عكس الاول وهو الذى لا يسر ولا يضر فهو الفتوح الذى يأتى من عند من له جدة واتساع وهو مستور بلسان العلم وصاحبه ليس بمعتقد فان هو اخذه منه لم يسر بذلك ولم يضره أخذه منه فالمريد فى هذا القسم مخير ان شاء أخذ وان شاء ترك وذلك راجع الى حسب حاله فى الوقت ولو قدر على ان لا يأخذ منه شيئا لكان أولى به وأرفع لمقامه لان هذه الطائفة ينبغى أن تكون يدهم هى العليا (كما جاء) فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا

خير من اليد السفلى وقد فسره فى الحديث فقال اليد العليا هى المنفقة واليد السفلى هى السائلة (وقد) اختلف الناس فى هذا (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ان المراد بالعليا والسفلى السائلة والمسئولة فان كنت سائلا فى قبول معروفك فيدك سفلى وان كنت مسئولا فيدك هى العليا (وكان) رحمه الله يستدل على ذلك بما ورد ان المكلف لا يخرج صدقة حتى يفك فيها لحي سبعين شيطانا فاذا هم المكلف باعطاء صدقة واعتورته هذه الشياطين وغلبهم وأتاك بمعروفه فان أنت رددته عليه فقد أعنت الشياطين عليه وقد لا تسمح نفسه بعد ذلك ان يعطيها لغيرك فيحرم من هذا الخير العظيم وتجد الشياطين السبيل الى تقصير يده عن الصدقة وان أنت قبلت منه ذلك فقد أعنته عليهم ويئسوا منه فقد حصل لك بذلك الثواب الجزيل (واذا كان) كذلك فيد الآخذ هى العليا والحالة هذه (ثم) مع ما تقدم يحصل لآخذك المؤمن من الثواب فى الدار الآخرة ما يعجز عن وصفه (يشهد) لذلك ما حكى ان شابا جاء الى شيخ هذه الطائفة وامامها الجنيد رحمه الله تعالى فقال له أنا جائع فهل من يطعمنى فقام انسان ممن له اتساع فقال عندى فأخذ الشاب ومضى معه الى بيته وقدم له طعاما كان الشاب يشتهيه فمد يده فرفع لقمة وبقى بها فى يده لحظة فقال له صاحب المنزل كل فاللقمة اذا أكلتها عندى خير من الدنيا وما فيها فوضع الفقير اللقمة من يده وخرج ولم يأكل عنده شيئا وأتى الى الجنيد فقال مثل مقالته الاولى فقام فقير فقال عندى فذهب معه فقدم له خبزا وبصلا فأكل حتى شبع ثم رجع فجاء الاول الى الجنيد فاخبره بما جرى فقال له اجلس فلما ان جاء الشاب سأله الجنيد هل أكلت قال نعم قال له وما أكلت قال خبزا وبصلا فقال له وما قدم لك هذا قال له قدم لى طعاما محتقرا فقال له ما منعك من أكله فقال له كنت جائعا فرفعت اللقمة وأنا أتخير أى قصر آخذه فى الجنة فبينما أنا كذلك واذا هو قد قال اللقمة اذا أكلتها عندى خير من الدنيا وما فيها فاستحييت من الله تعالى ان آكل طعام رجل خسيس الهمة ليس له همة الا فى الدنيا فتركته ومضيت وأما هذا فنيته ان لو كانت له الدنيا بحذافيرها فهو يستقلها تقدمها أو كما قال (فهذه) الحكاية تشعرك بأن الآخذ من هذه الطائفة يده

هى العليا اذ انه فى حقيقة الامر يعطى ما يبقى ويأخذ ما يفنى فتأمل ذلك تجده صوابا وذلك محمول على انه مستور بلسان العلم وأما لسان الورع فهو أمر آخر وهو متعذر فى هذا الزمان غالبا فمن وقع له الحال على ذلك فالاولى له أنه لا يخالط الناس ويقيم فى البرارى والقفار أو يكون خرق الله تعالى له العادة لا يتكلم عليها (وأما القسم الثالث) وهو الذى يسر ولا يضر فهو الفتوح الذى يأتى على يد بعض الاخوان المعتقدين الذى يعرف سببهم وهم من أهل اليسار فان أخذت منهم دخل عليهم السرور بذلك ولا يتضررون به (فهذا) أحسن الاقسام كلها وأسلمها من الآفات المتوقعة (وأما القسم الرابع) وهو الذى يضر ولا يسر فهو ما كان من بعض الناس وهو متصف بوصفين أحدهما ان يكون محتاجا لما يعطيه والثانى عدم اعتقاد الدافع للمدفوع له فان أنت قبلت منه ما أتاك به تضرر بذلك لحاجته اليه ولا تدخل عليه سرور العدم اعتقاده لك (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله التزم فى نفسه طريقة غريبة قل من يقدر عليها من أصحابه وغيرهم الا من وفقه الله تعالى وقليل ماهم (وذلك) انه كان لا يقبل صدقة واجبة كانت أو تطوعا ولا يقبل شيئا من أرباب الخدم وان كان معتقدا وان قلت خدمته وان تحرز ما أمكنه ومن أهدى له من الاخوان المعتقدين فيختلف حاله فى ذلك فبعضهم يرد عليه ما أتى به وبعضهم يقبل منه ثم يعوض له عن ذلك بلطف وسياسة وما أتاه من جهة الاخوان المتسببين المعتقدين نظرا الى اكتسابهم فان كان مستورا بلسان العلم نظر فى حال صاحبه هل يدخل عليه سرور بالاخذ منه أم لا فان ظهر له منه انه سواء عنده أخذ منه أو رد عليه لم يأخذ منه شيئا وان ظهر له انه ينكسر خاطره عند الرد عليه ويجبر خاطره ويدخل عليه السرور حين الاخذ منه أخذ منه فمن اتصف بهذه الصفة فهو الذى يقبل منه (وهذه) طريقة غريبة عزيزة لا يقدر عليها الا من كان مثله أو يقاربه لا جرم انه كان هو وأهله ومن يلوذ به من شظف العيش بحيث المنتهى فلقد كان يأخذ بفلس ليمونا فيأتدم به غدوة وعشية هو وأهله وقد بقى أهله فى بعض الايام لا شئ عندهم يتقوتون به فأخذ ثوبا ودخل به الى البلد ليبيعه فلم يدفع أحد فيه شيئا لانه كان من زى المغاربة فرده وجاء الى المسجد ولم يدخل

البيت خشية من الاولاد أن ينقطع رجاؤهم من القوت اذذاك فيزيد قلقهم فجلس فى المسجد حتى صلى العشاء الآخرة رجاء ان يكون الاولاد قد ناموا فلما ان دخل عليهم وجدهم وهم مسرورون يكثرون من شرب الماء فسألهم عن ذلك فقالوا كأن كل واحد منا اكل خروفا وهم فى الشبع بحيث لا يحتاجون الى زيادة على ماهم فيه وبقى أمرهم كذلك مدة حتى فرج الله عنهم (وانواع) هذا كثيرة وهو باب لا يقدر عليه الا الافراد من الاولياء لانه وان صبر فى نفسه فالاهل والاولاد لا يصبرون فى الغالب فان وجد ذلك فهو من باب الكرامات (ولاجل) هذا المعنى قال سيدى أبومدين رحمه الله العارف من أخذ نفسه بالورع واطلق غيره فى ميدان العلم وماتقدم وصفه فهو من هذا القسم نفعنا الله بهم ورزقنا التصديق باحوالهم اذلم نكن أهلا للاقتداء بهم اللهم لا تحرمنا من بركاتهم عنك بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

(فصل) فى ذكر ما ابتلى به بعض من ينسب الى طريق القوم وغيرهم ممن تعلقت خواطرهم بفعل الكيمياء واستخراج ما فى الارض من الاموال المدفونة فيها وهى التى اصطلحوا على تسميتها بالمطالب والحذر مما يفعله بعض الناس فى هذا الزمان من تعانيهم استخراج ما فى الارض مما تقدم ذكره وهذا قبيح لوفعله بعض العوام فهو فى حق المريد اقبح واشنع اذانه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بكليته لا مطلب له سواها وتعلق خاطره بما تقدم ذكره يشهد بكذبه فى طريقه من دعواه الانقطاع الى الله تعالى والتوجه اليه مع ان من تعلق خاطره بهذا فالغالب عليه فيما يظهر الفقر المدقع والديون الكثيرة ومخالطة من لا يرضى حاله فى دينه ودنياه وذلك سبب كبير الى وقوع الناس فى عرض من اتصف بذلك بسبب تعاطيه ما يوقع الناس فيه فيكون شريكا لهم فى اثم وقيعتهم فيه وقد يؤول أمر فاعل ذلك الى الحبس والاهانة وغير ذلك مما هو معلوم من العوائد الجارية فى ذلك كله ولو لم يكن فيه من الذم الا ان من تعلق خاطره بذلك فهو متصف بحب الدنيا ومن أحب الدنيا فهو قال للآخرة اذ انهما ضرتان متنافرتان فمهما أقبل الانسان على احداهما أضر بالاخرى ولو لم يكن فيه من الذم

قوله المدقع بضم أوله وكسر ثالثه أى المهلك اهـ

الا

الا ما ورد من أحب الدنيا ينادى عليه يوم القيامة هذا أحب ما أبغض الله (وقد) تقدم فعل السلف رضى الله عنهم فى هربهم من الدنيا خيفة منهم على انفسهم منها ومن طاب شيئا مما تقدم ذكره فهو مستشرف لطامع وذلك مذموم يذهب بجمع خاطره واشتغاله عن أمر دينه ودنياه بل كانوا يعدون الدنيا اذا أقبلت عليهم عقوبة نزلت بهم وقد مضت حكاية أبى الدرداء رضى الله عنه فيما جرى له فى العطاء الذى أتاه وعلى هذا درج فعل السلف والخلف رضى الله عنهم (وقد) حكى فى الاسرائيليات ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر فى سياحته ومعه الحواريون بموضع فيه ذهب كثير فنظر عيسى عليه الصلاة والسلام اليه وقال لمن معه من الحواريين انظروا الى هذا القاتول ومر فى سياحته فتخلف ثلاثة منهم وقالوا الى اين هذا المقصود او كما قالوا فقسموا ذلك اثلاثا فجلس اثنان يحرسان ذلك وارسلوا ثالثهما الى البلد ليأتى بالدواب والاعدال وما يأكلونه فلما ان مضى لذلك تحدث الاثنان فيما بينهما فقالا لو كان هذا المال بيننا لكان اولى ثم قالا وكيف الحيلة فاتفقا على انه اذا جاء يقومان اليه ويقتلانه ويبقى المال بينهما نصفين وقال الثالث الذى ذهب الى قضاء الحاجة مثل قولهما فقال لو كان ذلك المال كله لى لكان اولى ثم قال وكيف الحيلة فخطر له ان يجعل سما فى الغذاء الذى يأتى به فيأكلانه فيموتا فيأخذ المال كله لنفسه ففعل فلما ان اقبل على صاحبيه وثبا اليه فقتلاه ثم اكلا ما اتى به من الغذاء فماتا فبقى الثلاثة هنالك مطروحين فلما ان رجع عيسى عليه الصلاة والسلام من سياحته ومر بهم فوجدهم هنالك طرحى فقال للحواريين الم اقل لكم هذا القاتول (وقد) تقدم قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (ولاشك) ان من اتصف بما تقدم ذكره يربو على المستشرف فترتفع البركة منه فطالب المريد وغيره لهذه الاشياء على تقدير حصولها يذهب البركة منها والمقصود حصول البركة وانها اذا عدمت من الشئ لو كان ملء الارض ما اغنى صاحبه لعدمها منه (وقد) حكى الامام الجليل الحافظ ابونعيم الاصفهانى رحمه الله فى كتاب الحلية له فى ترجمة طاوس بن

كيسان رحمه الله باسناده الى ابن طاوس عن ابيه قال كان رجل له اربع
بنين فمرض فقال احدهم اما ان تمرضوه وليس لكم في ميراثه شئ واما ان
امرضه وليس لي في ميراثه شئ قالوا مرضه وليس لك في ميراثه شئ قال فمرضه
حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئا قال فأتى في النوم فقيل له ائت مكان كذا
وكذا فخذ منه مائة دينار فقال في نومه افيها بركة قالوا لا فلما اصبح ذكر ذلك
لامرأته فقالت امرأته خذها فان من بركتها ان نكتسي بها ونعيش منها
فأبى فلما امسى اتى في النوم فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة
دنانير فقال افيها بركة قالوا لا فلما ان اصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل
مقالتها الاولى فابى ان يأخذها فاتى في الليلة الثالثة فقيل له ائت مكان كذا
وكذا فخذ منه دينارا قال افيه بركة قالوا نعم فذهب فاخذ الدينار ثم خرج به
الى السوق فاذا هو برجل يحمل حوتين فقال بكم هما قال بدينار قال
فاخذهما منه بدينار ثم انطلق بهما الى بيته فلما دخل بيته شق بطنهما فوجد
في بطن كل واحدة منهما درة لم ير الناس مثلها قال فبعث الملك يطلب درة
ليشتريها فلم توجد الا عنده فباعها بوقر ثلاثين بغلا ذهبا فلما رآها الملك قال
ما تصلح هذه الا باختها فاطلبوا اختها وان اضعفتم قال فجاؤه فقالوا اعندك
اختها ونعطيك ضعف ما اعطيناك قال وتفعلون قالوا نعم قال فاعطاهم
اياها بضعف ما اخذوا به الاولى والله سبحانه وتعالى اعلم (فانظر) رحمنا الله
واياك الى هذه البركة ما اعظمها اين هذا من المائة دينار التي عرضت
عليه اولا (فالحاصل) من هذا ان البركة كامنة في امتثال السنة حيث كانت
لان من فعل مثل هذا فالاستشراف منه بعيد واذا عدم الاستشراف
حلت البركة (ولاجل) هذا المعنى تجد كثيرا من اهل هذا الشان الغالب
عليهم شظف العيش وقلة ذات اليد ثم انهم مع ذلك لا يسبقهم غيرهم في امر
الآخرة وما ذاك الا لوجود البركة الحاصلة معهم فيما يقتاتونه من امر الدنيا
لعدم استشرافهم لدنياهم واهتمامهم بأمر دينهم والوقوف بباب ربهم
والتضرع اليه ولزوم الامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه والنزول
بساحة كرمه (وقد) سمعت سيدي اباعبدالله الفاسي رحمه الله يقول انه
كان بمدينة فاس وكان يصحب بعض الفقراء فرآه مرة وهو يبكي ويتضرع

ويسأل الله تعالى أن يرفع عنه ما نزل به فسألته عن موجب ذلك فأبى عن اجابتى فبقى كذلك أياما ثم سرى عنه فرجع الى حاله الاول قال فسألته عن موجب بكائه وسروره فقال انى كنت أجمع بين الماء والاحجار فى الاستنجاء فابتليت بانى اذا أخذت حجرا استجمر به أجده ذهبا فارمى به وآخذ غيره فاجده كذلك ثم كذلك فضاق ذرعى من ذلك الذى نزل بى فبقيت أتضرع الى الله تعالى فى دفعه حتى أزاله عنى فصرت آخذ الحجر فاجده حجرا كما هو (وقد حكى لى) رحمه الله أيضا عن نفسه انه كان بمدينة فاس قال فكنت أخرج من البلد فارى عند السور صندوقا مفتوحا مملوا ذهبا قال فكنت أولى وجهى عنه فلما ان كان فى بعض الايام التفت اليه واذا بيد من الهواء لطمت وجهى فردته الى الناحية الاخرى فتبت الى الله تعالى ان لا ألتفت اليه بعد (وقد حكى) عن بعضهم انه كان لا يبيت على معلوم حتى يخرجه عنه وهو مع ذلك يرى فى المنام كل ليلة قائلا يقول له انك بخيل ويكرر ذلك عليه مرارا فلما ان كان ليلة وقيل له ما قيل آلى على نفسه انه اذا فتح له من الغد شئ يعطيه أول من يلقاه كائنا ما كان فلما ان كان من الغد فتح له بخمسمائة دينار فاول من لقيه من الغد شاب وهو عند مزين يحلق له رأسه فاعطاه الصرة فقال له الشاب لا حاجة لى بها عندى قوت يومى فقال له اعطها فى أجرة المزين فقال له المزين قد دخلت على هذا العمل لله تعالى فلا آخذ عنه عوضا فقال له خذها لك دون أجرة فقال له لا حاجة لى بها فقال له هى خمسمائة دينار فقال له المزين اما قد قيل لك انك بخيل فوجد فى نفسه وجدا شديدا وأخذ الصرة فرمى بها فى الفرات (فاذا قيل) اثل هذا بخيل فما بالك بمن ينسب الى الطريق ويطلب الطالب ثم يزعم انه على الطريق المستقيم هيهات هيهات ليس الامر لآرائنا ولا لما اصطلحنا عليه من عوائدنا ولا لما يخطر من الهواجس فى أنفسنا بل المشى على الطريق المستقيم الذى وقع من السلف الماضين وقد مضى ذكر بعض أحوالهم (وليس) لقائل أن يقول ان ما ذكرتموه لا يليق بهذا الزمان لغلبة البخل فيه وقلة البركات بخلاف زمان السلف الماضين (اذ) أن الزمانين سواء بالنسبة الى الانقطاع الى الله تعالى والنزول بساحة كرمه مع ان ما تقدم ذكره عن الشيخ ابى

عبد الله الفاسي في هذا الزمان ووقع مثله كثيرا من غيره وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (ولا شك) أن من اتصف بما تقدم ذكره أعظم من المتشرف فترتفع البركة عنه من باب أولى (ثم) انظر رحمنا الله واياك الى مخالفة السنة ما أكثر قبحها وبشاعتها (ألا ترى) الى ما وقع بسبب ما تقدم ذكره فقد جر ذلك الى تسليط بعض الناس على هدم كثير من بيوت المسلمين ومساجدهم بسبب حفرهم على ذلك فمن كانت له شوكة فعله جهارا سواء كان مسجدا أو غيره من املاك المسلمين ومن لم تكن له شوكة عمل الحيل الكثيرة على ذلك حتى تخرب وتهدم وهذا ضرر عظيم حتى صار بعض أهل الاديان الباطلة اذا أراد أن يخرب مسجدا أو دارا لمسلم بينه وبينه عداوة كتب في ورقة ان موضع كذا فيه كذا وكذا ويكتب تاريخها قديما ويبخرها حتى تبقى كأنها ورقة عتيقة ثم يعلقها في موضع من يعلم انه يفعل ذلك بسبب قدرته عليه اما بيده الباطشة او كثرة التحيل فكان ذلك سببا لتخريب مساجد المسلمين ودورهم (يدلك) على ذلك ان أكثر اليهود والنصارى قل ان تحفر لهم دارا أو كنيسة أو بيعة والكل في بلد واحد وموضع واحد (ثم) ان بعض أهل الاديان اذا عجزوا عن تخريب المساجد والدور تسلطوا على تعب المسلمين في أبدانهم وخسارتهم في أموالهم فيكتبون أوراقا في ذروة الجبل الفلاني من الناحية الفلانية منه كذا وكذا اذا حفرت فيه كذا وكذا او قست كذا وكذا تجد فيه كذا وكذا وفي ورقة أخرى الغار الفلاني في جهة كذا وكذا منه تحفر قدر كذا وكذا فتجد كذا وكذا الى غير ذلك وهو كثير وكل هذا باطل (ثم) على تقدير أن يكون شيء من ذلك صحيحا فعليه المهالك الكثيرة لان من فعل ذلك انما هو من الامم الماضية فلم يضعوا شيئا الا وقد احاطوه بمهالك عظيمة وقل ان يصل احد الى ذلك الا بعطبه وعطب غيره (ثم) ان ما يوجد من ذلك في الارض فلا يخلو اما ان يكون في فيافي الارض من ارض العرب فذلك فيه الخمس يصرف في وجوهه وباقيه لواجده سواء كان ذلك ذهبا او فضة او لؤلؤا او نحاسا او حديدا او رصاصا كل ذلك سواء فيه الخمس والذي يؤخذ منه

الخمس ثلاثة هذا واحد منها والثانى الندرة توجد فى المعدن بغير مؤنة أو بمؤنة يسيرة والثالث الغنيمة (وأما) ما يوجد فى غير أرض العرب فلا يخلو ذلك من وجهين أحدهما أن يكون ذلك الموضع أخذ عنوة والثانى أن يكون أخذ صلحا فان كان عنوة فهو لتلك الجيوش الذين فتحوا ذلك الموضع ثم لاولادهم ثم لاولاد أولادهم وذلك موجود فى الغالب اذ أن أولاد الصحابة موجودون بين أظهرنا فى هذا الزمان وان كان صلحا فما يوجد فى ذلك الموضع فهو لاهل الصلح فان عدموا فلاولادهم ثم لاولاد أولادهم وهم أيضا موجودون وهلم جرا وللمسئلة فروع موجودة فى كتب الفقهاء (فالحاصل) من هذا ان واجده ليس له فيه شئ الا التعب واشتغال ذمته بشئ كانت عنه فى غنى وقد يكون ذلك سبب هلاكه واذا كان ذلك كذلك فالعاقل اللبيب يتعين عليه الفرار من هذا وما شاكله اذ أن غنيمة المسلم انما هى براءة ذمته ومن اشتغلت ذمته قل أن يتخلص فالسعيد من لجأ الى الله تعالى فى اعانته على ذلك فانه الكريم المنان اللطيف الرحمن

(فصل) وأما الاشتغال بتحصيل علم الكيمياء فهو من الباطل البين والغش المتعدى ضرره لاهل زمانه ومن بعدهم وذلك ان من فعلها فقد خلط على الناس أموالهم وبخسها عليهم اذ أنهم مختلفون فى فعلها (فمنهم) من يعملها ولا علم عنده انها تتغير بعد زمان وذلك الزمان يختلف بحسب القلة والكثرة (وكثير منهم) من يعلم انها تتغير ويغش الناس بها فيشغلون ذمتهم بأموالهم وكل ذلك حرام سحت (ومنهم) من يزعم انها لا تتغير وهو بعيد ولو قدرنا عدم تغييرها فذلك لا يجوز أيضا لان الذهب المعدنى والفضة المعدنية ينفعان لامراض ولهما خاصية فى الادوية وغيرهما يعود بالضرر على المريض فيزيده مرضا أو يموت بسببه لانه لابد أن يكون فى غير المعدنى عقاقير قد يسقم بعضها وقد يقتل بعضها فعلى هذا فكل من تعاطى شيئا من ذلك فقد شغل ذمته بأموال الناس ودمائهم (وقد) سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول ان صرفها لا يجوز حتى يبين انها من عمل يده وليست بمعدنية وهذا الذى قاله رحمه الله من اجازة ذلك بعد البيان لا يسوغ فى هذا الزمان

بسبب انه ان بين هو فمن صارت اليه فالغالب انه لا يبين والاحتراز من هذا متعذر (هذا وجه) (ووجه ثان) وهو انه ان بين انها من صنعة يده تمزق عرضه والغالب أنه يؤول الى سفك دمه واذا كان كذلك فلا يعدل بالسلامة شئ (فاذا) سلم من الاتصاف بطلب المطالب والكيمياء فليحذر من خالطه من يتعاطى ذلك أو يشار اليه بشئ ما فان ذلك سبب لاستشراق نفسه بسبب سماعه منهم ما يخوضون فيه وذلك يذهب بهما عزة الفقر وعزة الاياس اذ لا بد ان خالطهم ان يشغف بشئ ما من حالهم ولو قل وذلك شغل للقلب عما هو فيه من التوجه والاقبال على المولى الكريم فيتعين على من تعلق بالارادة الهرب الكلي ممن يشار اليه بشئ من ذلك لان حال المريد نظيف جدا والنظيف أقل شئ يقابله من الوسخ يؤثر فيه (الا ترى) ان الثوب المصبوغ في الغالب لا يؤثر فيه ما وقع فيه بخلاف الثوب الرفيع الابيض النظيف فان أقل شئ من ذلك يدنسه (ولهذا المعنى) يقال في صفتهم قلت ذنوبهم لمعرفتهم من أين أصيبوا وكثرت ذنوب غيرهم فلم يعرفوا من أين أصيبوا (والكيميا) على الحقيقة انما هي الرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والنزول بساحة كرمه وطلب العبد منه ما يحتاج اليه من ضروراته لانه عز وجل كما ورد في الحديث يستحي أن يرد يدي سائله صفرا (وقد) قال عروة بن الزبير رضي الله عنه اني لأدعو الله في صلاتي حوائجي كلها حتى الملح لعجيني وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى سلني حتى الملح لعجينك فوعزتي وجلالي ائن منعتك فلا أحد يعطيك اياه أو كما قال (وقد) روى الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسعه اذا انقطع (فسبيل) العبد طلب حوائجه من ربه عز وجل فان جاع يقول يا رب أنا جائع وكذلك ان عطش أو تعرى الى غير ذلك من حوائجه كلها في جلب النفع ودفع الضرر (قال) الله تعالى في محكم كتابه العزيز أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض (وقال تعالى) ومن أصدق من الله حديثا (وقال) ومن أصدق من الله قيلا (فالعاقل) اللبيب من شمر ساعديه وتوكل في الحقيقة على ربه وأناب اليه (فاذا) حصل للمريد هذا الحال فلو عرضت

عليه الدنيا بحذافيرها ما قبلها ولا أقبل عليها لما حصل عنده من الاستغناء
بربه عز وجل وحسن نظره له اذ أن مفاتيح هداياه لا تنحصر ولا ترجع الى
قانون معلوم لانه عز وجل لا يأخذه حصر ولا يقال فى حقه أين ولا كيف
فكذلك ماستره سبحانه وتعالى عن عبده من عطاياه الجمة وهداياه التى
لا حصر لها (وقد حكى) عن بعضهم انه اصابته ضرورة وجوع شديد فتضرع
الى الله سبحانه وتعالى فى خلوته وطلب منه العطاء فسمع هاتفا وهو يقول
أتريد طعاما أو فضة فقال بل فضة واذا بصرة بين يديه فيها اربعمائة درهم
(وقد حكى) عن بعضهم انه كان اذا طلب منه شئ أدخل يده فى جيبه وأخرج
ماطلب منه وكان أصحابه ينظرون الى جيبه ويقطعون بأنه لا شئ فيه ثم انه
مع ذلك اذا طلب منه شئ فى الحال أدخل يده فى جيبه فأخرج منه ماطلب
منه فسئل عن ذلك فأخبر ان الخضر يأتيه بكل مايطلب منه (وقد سمعت)
سيدى أبا محمد رحمه الله يحكى أنه كان يصحبه رجل من أهل الخير والصلاح
يعرف بأبى عبد الله بن الطفيل وكان صاحب عائلة وفقر وكان الناس فى
سنة شديدة وغلاء فجاء ليلة بعد أن صلى العشاء الآخرة فى جماعة الى بيته
فوجد أولاده يبكون فقال لامهم م يبكون فقالت من الجوع قال فتركتهم
على تلك الحالة وطلعت على سطح البيت ومرغت خدى على الارض وقلت
يارب هؤلاء يبكون الىّ وأنا أبكى اليك اعطنا شيئا نأكله قال فاذا سحابة
قد طلعت فجاءت فعمت الدار فامطرت قولا على الدار وحدها قال فنزلت
الى الاولاد وأخبرتهم فطلعوا فأكلوا حتى شبعوا ثم بقى عندهم ما كانوا منه
الى ان دخل القمح الجديد (وقد تقدمت) حكاية سيدى الشيخ أبى محمد
رحمه الله فى انه بقى فى وقت لا يحتاج الى أكل ولا شرب قال ولو بقيت كذلك
لم احتج الى شئ طول حياتى لكن رجعت الى الاكل من طريق الامتثال
للسنة لا غير (فمن) رجع الى الله تعالى فطرق الفتح له متعددة فى كل زمان
وأوان (ولا حجة) ان يقول ان هذا زمان وذاك زمان (لانّ) المعطى فيهما
واحد لا يتغير ولا يزول (والعجب) ممن يتوكل على الله فى نجاته من النار
وجوازه على الصراط وشربه من الحوض ودخوله الجنة الى غير ذلك ولا
يتوكل عليه فى كسيرات يقيم بها صلبه وفى ثوب يستر به عورته (ولاجل)

هذا المعنى كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول لو كان الايمان بسوق يباع فيه لما ساوى ايمان أحدكم كسيرة فيسئل عن ذلك فيقول كل واحد منا يتوكل على الله تعالى أن ينجيه من جميع أهوال يوم القيامة بسبب ايمانه ويقول فضل الله أعظم ورحمته أوسع ثم ان الايمان الذى أعده لخلاصه من تلك الاهوال ماخلصه للتوكل على الله تعالى فى كسيرات يقيم بها صلبه ويقول لابد من السبب فلو انقطع عنه السبب أيس وضجر وشكا وبكى فاذا لم يخلص ايمانه فى هذا النزر اليسير فكيف يخلصه مما بين يديه من الاهوال ففضل الله أعظم ورحمته أوسع فى هذا النزر اليسير من باب أولى وأوجب لقوله عليه الصلاة والسلام ان تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب لكن المولى سبحانه وتعالى يبتلى خلقه لينظر كيف يعملون ليقع الجزاء وفاقا كما قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فالسعيد من كان فرحا مسرورا بربه وبحكمه وبارادته ماقتا الأحوال نفسه ورأيه وتدبيره اللهم لاتحرمنا ذلك عندك انك على كل شئ قدير وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم

*(فصل فى دخول المريد الخلوة) وينبغى للمريد أن لايدخل الخلوة بنفسه لان الخطر فى ذلك عظيم لما يخشى عليه من القواطع الرديئة مثل ما تقدم ذكره من حصول عربدة أو جنون أو فعل نشاف أو غير ذلك من المهالك لان الخطر فيها كثير متعدد (وقد قال) لقمان عليه السلام فى وصيته لولده يا بنى عليك بذوى التجارب اه لان من جرب قد دخل فى الخاضة وعرفها وعرف موضع السلامة فيها وموضع العطب فعلم ما يتجنب منها ومايحذر وماينبغى ان يفعل ومايستعان به

(فصل) وآكد ماعليه فى خلوته التعلق بربه والسكون اليه وانقطاع رجائه عمن هو مخلوق مثله (ومن) كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل ابن محمد بن الفضل الاصبهانى رحمه الله ولقد قال شقيق البلخى رحمه الله من أراد أن يعرف معرفته بالله فلينظر الى ماوعده الله ووعده الناس بأيهما قلبه أوثق (وقال) اتق الاغنياء فانك متى عقدت قلبك معهم وطمعت فيهم فقد اتخذتهم ربا من دون الله (وقال) اذا أردت ان تكون فى راحة فكل

ما أصبت والبس ما وجدت وارض بما قضى الله عليك (وقال) من دار حول
الشهوات فانه يدور بدرجاته في الجنة أبدا كلها في الدنيا (وقال) يحيى بن معاذ
الرازي العبادة حرفة وحوانيتها الخلوة ورأس مالها الاجتهاد بالسنة وربحها
الجنة (وقال) الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص (وقال) اجتنب
صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين والقراء المداهنين
والمتصوفة الجاهلين (وقال) الزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة والجوع
(وقال) على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يخافك
الخلق وعلى قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق (وقال) أبو حفص عمر
النيسابوري لو أن رجلا ارتكب كل خطيئة ما خلا الشرك بالله وخرج
من الدنيا سليم القلب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر له قيل
يا أبا حفص هل لهذا في القرآن من دليل قال بلى قوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاتباعه محبة أصحابه لاجله وقال أبو القاسم
الحكيم السمرقندي كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مغتر بالثناء
عليه وكم من مفتون بالستر عليه (وقال) أبو تراب النخشبي رحمه الله الفقير
قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل (وقال) حقيقة الغنى أن
تستغني عمن هو مثلك (وقال) الذي منع الصادقين الشكوى الى غير
الله الخوف من الله (وكتب) أبو الابيض كتابا الى بعض اخوانه سلام عليك
ورحمة الله وبركاته واني أحمد الله الذي لا اله الا هو أما بعد فانك لم تكلف من
الدنيا الا نفسا واحدة فان أنت أصلحتها لم يضرك فساد غيرها وان أنت
أفسدتها لم ينفعك صلاح غيرها واعلم انك لن تسلم من الدنيا حتى لا تبالي
من أكلها من أحمر وأسود (وقال) شقيق بن أدهم البلخي رحمه الله تعرف
تقوى الرجل في ثلاثة أشياء في أخذه ومنعه وكلامه (وقال) دخل الفساد
في الخلق من ستة أشياء أولها ضعف النية في عمل الآخرة والثاني
صارت أبدانهم رهينة بشهواتهم والثالث غلبة طول الامل على قرب
أجلهم والرابع اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وراء ظهورهم والخامس آثروا رضى المخلوقين فيما يشتهون على رضى
خالقهم فيما يكرهون والسادس جعلوا أدلات السلف دينا ومناقب

الأدلات بوزن الاحوال ومعناها اه

لانفسهم (وقال) حاتم الاصم الزم خدمة مولاك تأتيك الدنيا راغمة والجنة راغبة اه (وينبغى) أن يكون دخول المريد الخلوة على يد شيخ متمكن فى العلمين علم الحال وعلم السنة ان أمكنه ذلك ولا يدخل بنفسه كما تقدم (واذا) كان ذلك كذلك فالشيخ لا يخلو حاله من أحد أمرين (اما) أن يكون عنده من المكاشفات وخرق العادات ما يغذيه المريد فى خلوته فان كان كذلك فهو الكبريت الاحمر الذى لا يفوقه غيره والسلامة بل الغنيمة موجودة على يده متيسرة لانه يعرف مزاج المريد وقدر ما يحمل من المجاهدات وقدر ما يشق عليه منها وقدر ما يخاف عليه ومن سعادة المريد ان وجد من هذه صفته (واما) ان يكون الشيخ ليس من أهل المكاشفات ولا ظهور خرق العادات فلا بد أن يكون عنده العلم حاصلا بالتجربة لانه قد جرب ذلك واطلع على المفاسد والمصالح وما يليق بالمريد فى خلوته وما يقع له من جهة العادات (والحذر) الحذر أن يدخل بنفسه خيفة من مواضع العطب (واعنى) بدخول الخلوة هنا ما يستعمله المريد من المجاهدات وأما لو خلا بنفسه دون مجاهدة فلا يحتاج هذا الى شيخ يسلكه بل لسان العلم قائم عليه مطلوب به فى الخلاء والملأ لا فرق اذ ذاك فى حقه مع انه اذا اتبع لسان العلم فى هذا الزمان فى خلوته وجلوته فهو ولى وقته لاجل حال الزمان فما أسعده ان قدر على ذلك وهذه الطريقة هى طريقة السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين أعنى ترك دخول الخلوة على نظام معلوم (الاترى) ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يربى أصحابه تحت ظلال السيوف وفى الاسواق يحترفون وفى الحوائط يعملون (وانما) حدثت الخلوات على يد المريدين بعد انقراضهم رضى الله عنهم (وكان) سيدى أبو محمد بن أبى جمرة وسيدى أبو محمد المرجانى رحمهما الله يقولان انما جعلت الخلوة للبنات الابكار اه (وانما) جعلت للمريدين لما ان كثرت الفتن والمخالفات فاحتاج المريدون اذ ذاك الى الفرار لاجل صلاح دينهم وقلوبهم وخواطرهم وليس لهم السبيل الى ذلك الا بدخول الخلوات والفلوات (والمقصود) أن لا يدخل الخلوة المعهودة عند السالكين الا بعد المعرفة بمصالحها ومفاسدها والدسائس التى تطرأ عليه فيها (فان) كان على يد شيخ فيشترط فى الشيخ أن

يكون عارفا بحال المريد وما يتقلب فيه من الاطوار وما يليق بحاله كما تقدم لان الشيخ له مراتب عديدة وكذلك المريد مثله (والخص من ذلك) ما سمعت سيدى أبا محمد يقوله نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب له ولا تباعه ونظر الاعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له ولاتباعه اه (أما قوله) نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك (فمثاله) النظر الى الدنيا وزينتها بعين التمنى والاشتهاء فذلك يوجب الحرص والحسد والتقاطع والتدابر وهو عين الهلاك (قال) الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وكذلك أيضا النظر الى أهل المعاصى لانك اذا نظرت اليهم فان كنت على معصية فبالنظر لمن يفعل ما هو أكبر منها يهون عليك ما أنت فيه من المخالفة ويصغر فى عينك ذنبك فيكون ذلك سببا الى الزيادة فى المعصية وهذا هو عين الهلاك نعوذ بالله من ذلك (وأما قوله) ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة (فمثاله) المبتدى ينظر الى أهل النهايات فيريد أن يتشبه بهم فى تعبدهم وتصرفهم مرة واحدة فانه لا يستطيع ذلك ومن تناهى فى ذلك الشان لم يكن أخذه لذلك مرة واحدة وانما هم يأخذون الشئ اليسير ويقتصرون عليه ثم يزيدون على ذلك قليلا قليلا حتى يحصل لهم من العلم والتعبد أوفر نصيب وتستغرق أوقاتهم فى ذلك وهم لم يشعروا به ولم يتعبوا فيه لرفقهم وسياستهم (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ما كان الرفق فى شئ الا زانه وما كان الخرق فى شئ الا شانه (وقال) عليه الصلاة والسلام علموا وارفقوا (اللهم) الا من ندر من الفضلاء فدخل فى ذلك مرة واحدة فذلك محمود وما ندر لا حكم به نعم اذا وقع للمرء هذا الحال فلا ينبغى له التشبث بما قد ذكر وانما الكلام فيمن بقى مع نفسه فشأنه ما تقدم عن أحوال من تقدم ذكرهم كيف كان كسبهم ولما اكتسبوه وان لم يفعل ذلك تحير فى طريقه وحير من لاذ به هذا هو عين الحيرة نعوذ بالله من ذلك (وأما) قوله ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة (فمثاله) الرجل العالم ينظر لمن هو أعلم منه فيعمل

على أن يصل الى ما وصل اليه فيجتهد فى طلب العلم والرجل الصالح ينظر الى من هو أصلح منه فيجتهد فى التعبد ويزيد فى عمله على ما تقدم بالرفق والسياسة حتى يلحق بمن نظر اليه (ولهذا) المعنى الذى أشار الشيخ اليه قال عليه الصلاة والسلام خصلتان من كانتا فيه كتب عند الله شاكرا صابرا أن ينظر فى الدين الى من هو أعلى منه فيقتدى به وأن ينظر فى الدنيا الى من هو أقل منه فيحمد الله الذى فضله عليه هذا هو السهو والرحمة اللهم من علينا بذلك ولا تجعل حظنا منه الكلام بمحمد وآله (وأما قوله) ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب له ولاتباعه (فمثاله) من كان من أهل الفضل والخير وأقامه الله فى مقام من مقامات أهل النهايات اذا جاءه أحد ممن يريد أن يرجع الى الله ويتوب بريد من حينه أن يحمله على المقام الذى هو فيه من غير سياسة تقع له قبل ذلك ولا تدريج هذا هو التعب مع نفسه لاشك فيه لانه يريد أن يحمل الناس على طريقه وهم لا يساعدونه على ذلك ومن تبعه فى التعب أكثر لانهم يدعون الى مقام لا طاقة لهم به ولا يقدرون عليه (ولاجل) هذا المعنى كان كثير من أهل السبق والخير اقتصر خيرهم على أنفسهم ولم ينتفع بهم من لازمهم وخدمتهم أعنى فى الاقتداء وأما البركة فلابد من حصولها غالبا بالحديث الوارد هم القوم لا يشقى بهم جليسهم نسأل الله أن لا يحرمنا من بركاتهم بمنه (وأما) قوله ونظر الاعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له ولاتباعه (فمثاله) الرجل الصالح المتمكن فى طريقه اذا جاءه أحد ممن يريد التوبة والرجوع أخذه باللطف والرحمة وأقبل عليه وساس حاله برأيه السديد وتدبيره الرشيد فينظر له من جنسه على لسان العلم ما يصلحه وما هو العون له على ما أراد ثم يرقيه بعد ذلك شيئا فشيئا حتى قد يبلغ فى أقل زمان الى الرتبة العليا بحسن تدبير هذا السيد وسياسته اياه (وصاحب) هذا الحال هو أعظم من تقدم وأفضلهم وهو الجارى على السنة لان الله عز وجل لم ينزل الفروض أولا مرة واحدة ولا أمر بالقتال أولا وانما أمر أولا بالتوحيد لا غير وأمر نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بسياسة الناس واللطف بهم فقال تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ثم لما ان ظاهر المشركون على المؤمنين أمر عز

وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بالخروج من مكة الى المدينة ولم يأمره بالقتال ثم لما ان كثر المؤمنون وظهرت الكلمة نزلت الفروض شيئا فشيئا فلما ان تقررامهم الدين وتقوى أهل الاسلام فعند ذلك أمر عز وجل بالجهاد باللسان قبل الامر بالقتال فقال عز وجل أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن فلما أن تقوى الامر أ كثر من ذلك أمر عز وجل بقتال الاقربين من الكفار فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فلما ان تقوى الامر وظهر أمر الله عز وجل بالقتال مطلقا فقال عز وجل وقاتلوا المشركين كافة ثم ان الفروض لم تتم الا فى حجة الوداع قال تعالى فيها اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى (فهو) سبحانه وتعالى العالم بعباده وبما يصلحهم فلو كان أمرهم وخاطبهم أولا بالقتال وبجملة الفروض فيه مصلحة ومنفعة لهم لأمر بذلك أولا الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (وصاحب) الحال الذى أشار الشيخ رحمه الله اليه أخيرا مضى على هذا الاسلوب فانتفع بنفسه واستراح وانتفع الناس به ووجدوا الراحة فى ذلك على يديه وهذا هو الاصل وعليه العمل (وقد) قال عليه الصلاة والسلام خاطبوا الناس على قدر عقولهم فليس من دخل فى التعبد وتمرن فيه وكثرت المجاهدة لديه كمن ابتدأ الدخول (ولاجل) هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام فى السوداء حين سألها أين الله فقالت فى السماء فقال لصاحبها أعتقها فانها مؤمنة فقنع عليه الصلاة والسلام منها بالاقرار بأن الله واحد موجود وذلك ينفى ما كانوا يعتقدون من أن الاصنام هى الآلهة فى الارض فاله السماء واله الارض هو الله الواحد الأحد الموجود لا أنه سبحانه وتعالى حل فى السماء تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا اذ أن السماء مخلوقة له ولا يحل الصانع فى صنعته ومعاذ بن جبل رضى الله عنه الذى كانت هجرته قديمة وتمكن من العلم ومن فعل الخير حين سأله عليه السلام كيف أصبحت فقال معاذ أصبحت مؤمنا حقا فقال له عليه الصلاة والسلام لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فلم يكتف من معاذ باللفظ الاول حتى سأله عن حقيقة ايمانه وقنع من السوداء بما قد ذكرت لاجل ما بينهما من العلم وأنواع التعبد والله الموفق للصواب

(فصل) وينبغي للمريد اذا اجتمع له في زمانه أو بلده مشايخ يرجو بركتهم وهو بعد لم يسكن الى أحد منهم فينبغي له أن ينظر الى حاله بعد انفصاله عن كل واحد منهم فمن حصل له بالاجتماع به منهم علم أو انابة أو رجوع فليشدّ يده عليه وان كان غير ذلك فلا حاجة تدعو الى العودة اذ أن خطاه تبقى لغير فائدة (سمعت) سيدي أبا محمد رحمه الله يعيب هذا ويقول لا ينبغي للمريد أن يتردد الا لموضع تحصل له فيه فائدة أو فوائد ولا يكون مثل بهيمة السانية لا تزال تمشي طول يومها وهي لم تبرح من موضعها اذ ذاك (ولا ينبغي) أن يسيء الظن بمن لم يحصل له منه شيء اذ أن ذلك محتمل لوجهين الاول أن يكون المزور من الاكابر والفضلاء لكن أصحابه معلومون معروفون خيره مقصور عليهم لا يتعداهم فاذا لم يجد المريد زيادة عند زيارته فيعلم انه ليس له عنده نصيب فتركه ذلك به أولى وقد يكون آخر خيره مقصور على نفسه لا يتعدى لغيره ووجه ثالث يفصل فيه بين أن يكون المريد من أهل التمييز لما تقدم ذكره فان كان كذلك فحكمه ما سبق وان لم يكن في تلك الدرجة فالمواظبة على رؤيتهم واغتنام بركتهم به أولى ما لم يعارضه أمر شرعي من ارتكاب بدعة أو رؤيتها أو شيء من المكروهات او يحصل له بسبب ذلك بطالة أوقاته عما هو بصدده ويكفيه من ذلك زيارتهم في وقت دون وقت كما تقدم في زيارة طالب العلم لهم (وبالجملة) فأحوالهم في هذا المعنى لا تنضبط والقليل النادر منهم من يكون خيره عاما لسائر الناس (فالحاصل) من هذا أن المريد له اتساع في حسن الظن بهم وفي ارتباطه على شخص واحد يعوّل عليه في اموره ويحذر من تقضي اوقاته لغير فائدة (قال) سيدي ابو مدين رحمه الله عمرك نفس واحد فاحرص ان يكون لك لا عليك اه لان الفكر فيما مضى هو من باب ندب الاطلال كما تقدم والفكر فيما يأتي ادّعاء من النفوس تحصيل الاعمال وهو لا يعرف ما يبرز من العلم المكنون والتقديرات المغيبات عنا وهي كثيرة

السانية كالدائرة هي الدابة التي يسقى عليها اه

(فصل) وينبغي للمريد أن يكون أشد الناس نظرا الى نعم الله تعالى عليه والى الطافه به واحسانه اليه قال الله عز وجل في كتابه العزيز لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد (بيان ذلك) ان المريد

يصبح عليه الصباح فينهض الى صلاة الصبح في وقتها في جماعة ويذكر ما قدّر له ثم يجلس بعد ذلك في مجلس علم فيفهم بعضه أو كله ثم يأتي الى من يعتقده فيتكلم معه في مسائل من الخير ثم يصلي الصلوات الخمس في جماعة وان فتح له في شئ من أوراد الليل أو أوراد الصوم فتح على فتح فان قيدها هذه الاشياء بالشكر زادت أو تمادت وان رأى وهو الغالب أنه في نفسه لاشئ وانه لم يفتح عليه بشئ فهذا يخاف عليه لقوله تعالى ولئن كفرتم انّ عذابي لشديد والكفر عام ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام في أمر النساء انهن أكثر أهل النار قيل بم يارسول الله قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان وقد بوب البخاري رحمه الله لهذا المعنى فقال باب كفر دون كفر (وكثير) من الناس من يغفل عن هذه النعم فلا يقيدها بالشكر كما تقدم لاجل انه يستقلها فتذهب عنه فليحذر من هذا كل جهده (ولا) يظن ظانّ أن قول من قال ان الصديقين لا يكونون في يومهم على ما كان عليه حالهم بالامس بل يزدادون في اليوم الثاني ترقيا ومن ذلك قول عائشة رضي الله عنها كل يوم لا اتخذ فيه برا أو قالت لا ازداد فيه علما لابورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم اه (لان) المؤمن اذا جاءه اليوم الثاني فلابدّ له فيه من أداء الفرائض وتوابعها وما يتلقاه من الامر والنهي والترغيب والترهيب والتحذير فيتبع ذلك ويعمل على خلاص مهجته في يومه وذلك ترق لاشك فيه (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه مالك رحمه الله في موطائه ان أخوين مات أحدهما قبل صاحبه بأربعين يوما فاثنى الصحابة على الاول فسأل عليه الصلاة والسلام عن الثاني فقالوا لا بأس به فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم ما بلغت به صلاته انما مثل الصلاة كمثل نهر غمر عذب بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبقى من درنه شيئا قالوا لا فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم ما بلغت به صلاته انتهى (وقد) قال بعض الشيوخ ان الدوام على الحال زيادة فيه فاذا أصبح المريد وامتثل ما كلفه فهو زيادة في حقه ثم كذلك الى حين أجله فحينئذ تطوى صحيفة عمله فلا زيادة بعدها فان حصل للمريد زيادة على ما تقدم ذكره فتح على فتح والا فالطريق حاصل

قوله غمر بفتح فسكون اى كثير اه

له والحمد لله فليحذر أن يكفر هذه النعم بترك النظر الى من من عليه بها
واحسن اليه فيها

(فصل) وينبغي للمريد أن يكون عارفا بالخواطر حسنها وسيئها اما أن
يميز ذلك بنفسه او يكون على يد شيخ عارف بها اذ أن الخواطر والهواجس
والهواتف لا تنحصر أعدادها ولا يمكن حصرها لكثرتها وتشعبها فاشكل
عليه اكثر ما يقع منها وتلبس الامر عليه فان وقف مع ما يقع له من ذلك قل
أن يتخلص ويذهب عليه اكثر زمانه بغير عمل لان اللعين اذا لم يقدر على
المريد من جهة الترك أتاه من وجوه أخر لا تنحصر فاذا كان مميزا للخواطر
وغيرها انسدت هذه الثلمة الكبرى (والخواطر) أربعة رباني وملكي
ونفساني وشيطاني (سمعت) سيدي أبا محمد رحمه الله يقول الرباني أولها
وهو مثل لمحة البرق لا يثبت والنفساني يعقبه مثل المصلي مع السابق فسائر
ذلك الا وقد استقر هذا في محله وحدث وتقول وتشهى ولاجل هذا المعنى وقع
الخلاف عند بعض من ينتسب الى شيء من هذا المعنى وما ذاك الا من عدم ما تقدم
ذكره فيخبرون بأشياء قل أن تقع في الغالب وان وقعت فبالمصادفة لان
ذلك من جهة اخبارهم واما المحققون المميزون للخاطر الاول فقل أن يخبروا
بشيء الا ويقع كما اخبروا به لان ما كان من عند الله فهو واحد لا يختلف قال
تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (وهذه الخواطر)
ليست خاصة بالشيوخ والمريدين بل هي موجودة فيهم وفي غيرهم لكن
التمييز يختص به من يختص ومع ذلك فمن تحقق بهذه الخواطر فلا بد له أن
يزنها على لسان العلم فما وافق أمضاه والا تركه لان التكاشف لا يقع الا من
جهة الشرع المنقول وغير ذلك لا يعول عليه الا على سبيل التبع والتأنيس
(وأما) الخاطر الملكي فهو كل خاطر يأمر بطاعة أو بخير ما اذا كان سالما
من الوصول الى ما لا ينبغي أو يتوقع معه ترك أو بطالة وقت فان كان كذلك
فليس من الملكي في شيء (وأما) الخاطر الرابع وهو أرذلها وهو الخاطر
الشيطاني فهو لا يأمر بخير أصلا الا أن يكون ذلك الخير يؤدي الى الشر
ويقع الفرق بين الخاطر النفساني والشيطاني بان الشيطان لا يريد الا
الوقوع في المخالفة كيف كانت ومن حيث كانت فان عجز من هذه المعصية

تركها وأتى الى معصية أخرى فهو ينتقل من حال الى حال اذ مقصوده انما هو المخالفة من حيث هي كائنة ما كانت (والخاطر النفساني) هو الذى يلزم أمرا واحدا لا يفارقه فان أنت رددته عليه ألح به عليك وقال لا بد من وقوعه ويمنيك بالتوبة والاستغفار بعده ويعدك بالغرور وانك اذا نلت ما ألقته اليك تفعل أنت ما تحب أن توقعه من الطاعات فيحتاج المريد الى التشمير الى معرفة هذه الخواطر حين نزولها به وما يترتب عليه من الاحكام فيها فان لم يكن عارفا بها ولم يكن تحت نظر شيخ يرجع اليه عند اشتباه الامور عليه فيأخذ معه فيها والا فلسان العلم عليه قائم وهو المرجوع اليه عند الاختلاف وهو طريق السلامة التى لا شك فيها والعطب فى غيرها موجود غالبا الا لمن عرف الحكم عليه فى ذلك والله الموفق

• (فصل) • جامع لبعض آداب السلوك ولبعض الآثار عن السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ومع) ما تقدم ذكره فلا بد له من الخلوات اذ انه بسببها يدرك المكلف ما هو فيه من الخطر ومن النعم ومن تحف المولى سبحانه وتعالى ويتبين له بها أشياء كثيرة مما مضى عليه سلفه (ألا ترى) الى بركة هذه الحكم التى ينطقهم الله بها اذ ان ذلك ليس فى قوتهم ولا من قدرتهم الا ببركة توجههم واقبال المولى سبحانه وتعالى عليهم وأعظم ما يتوصلون به الى هذا المعنى التزام الخلوات كما تقدم (فانظر) رحمنا الله واياك الى ما نقله الامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصفهانى رحمه الله فى كتاب سير السلف له عن أبى حازم رحمه الله ونفع به وأعاد علينا من بركاته أنه قال قد رضيت من أحدكم أن يتقى على دينه كما يتقى على دنياه (وقال) شيئان هما خير الدنيا والآخرة اذا عملت بهما أتكفل لك بالجنة ولا أطول عليك قيل وما هما قال تحمل ما تكره اذا أحبه الله وتترك ما تحب اذا كرهه الله (وقال) أيضا قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك (وقال) رجل له انك متشدد فقال مالى لا أتشدد وقد رصدنى أربعة عشر عدوا أما أربعة فشيطان يفتننى ومؤمن يحسدنى وكافر يقاتلنى ومنافق يبغضنى وأما العشرة فالجوع والعطش والعرى والحر والبرد والهرم والمرض والفقر والموت والنار ولا أطيقهن الا بسلاح ولا أجد لهن سلاحا أقوى من التقوى (وقيل) له ما مالك فقال ثقتى بالله

واياسى مما فى أيدى الناس (وقال) مارايت يقينا الاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من شئ نحن عليه (وقال) ينبغى للمؤمن أن يكون أشد حفظا للسانه منه لموضع قدميه (وقال) أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفا على نفسه وأرجاه لكل مسلم اه (وقال) بعضهم ان لم يكن فى المبتدى خمس خصال والا فلا ترجه عقل حسن واتباع للسنة وصحبة الاكابر ومن أين يأكل وحفظ لسانه وصيانته أو كما قال (ومن) كتاب سير السلف أيضا وقد قال أبو سفيان اذا رأيت العالم لا يتورع فى علمه فليس لك ان تأخذ عنه شيئا (وكان) يقول وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تنفتح ووضعوا عليها مفاتيح الآخرة فانفتحت (وقال) رجل للجنيد من أصحب قال من تقدر أن تطلعه على ما يعلمه الله منك (وسئل) مرة أخرى من أصحب قال من يقدر أن ينسى ماله ويقضى ما عليه (وقال) قد مشى رجال باليقين على الماء ومات على العطش افضل منهم يقينا (وقال) من عرف الله لا يسر الابه (وقال) لو اقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته اكثر مما ناله (وقال) من نظر الى ولى من اولياء الله بقلبه واكرمه اكرمه الله على رؤس الاشهاد (وقال) ذو النون المصرى رحمه الله من علامات المحب لله متابعة حبيب الله فى اخلاقه وافعاله وأوامره وسننه (وقال) من نظر الى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها فقيرة عند هيبته (وقال) رويم رحمه الله لا تزال الصوفية بخير ما تنافروا فاذا اصطلحوا هلكوا (وقال) ابن خفيف رحمه الله قلت لرويم أوصنى فقال أقل ما فى هذا الامر بذل الروح فان امكنك الدخول فيه مع هذا والا فلا تشتغل بترهات الصوفية اه (وقد) قيل ان لقمان عليه السلام كان عبدا أسود نوبيا وكان لبنى فلان فقيل له ما بلغ بك ما ترى فقال تقوى الله وطول الصمت وترك ما لا يعنينى (ومن) كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين للقاضى ابى الوليد الباجى رحمه الله قال وروى عن ابى الدرداء انه قال لولا ثلاث ما احببت ان اعيش يوما الظمأ لله بالهواجر والسجود فى جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون خيار الكلام كما تنتقى أطايب الثمر (وروى) عن بلال بن سعد انه قال زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر (وقال) بعض الحكماء جاهد

الترهات بضم التاء وتشديد الراء المفتوحة المواضع المتشعبة فى الطريق الجادة اه

نفسك

نفسك بأصناف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات فليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر عند الاذى (وقال) عيسى عليه السلام طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته (وقال) الفربرى اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ فيه لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر (وقال) كعب الاحبار رحمه الله والذى نفسى بيده لان أبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعى على خدى احب الى من ان أتصدق بجبل من ذهب (وقال) وهب بن منبه فقد زكريا ابنه يحيى عليهما السلام فوجده بعد ثلاث مضطجعا على قبر وهو يبكى فقال له ما هذا يابنى فقال أخبرتنى ان جبريل أخبرك ان بين الجنة والنار مفازة لا يطفئ حرها الا الدموع فقال ابك يابنى (وقال) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما الآن أدمع دمعة من خشية الله احب الى من أن أتصدق بالف دينار (وقال) ابراهيم بن أدهم ان للذنوب ضعفا فى القوة وظلمة فى القلب وان للحسنات قوة فى البدن ونورا فى القلب (وقيل) لسفيان الثورى رحمه الله لو دعوت الله عز وجل فقال ترك الذنوب هو الدعاء وأنشدوا

خلقت من التراب فصرت حيا * وعلمت الفصيح من الخطاب
وعدت الى التراب فطلت فيه * كأنى ما برحت من التراب
خلقت من التراب بغير ذنب * وأرجع بالذنوب الى التراب

(ولقى) حكيم حكيما فقال له انى لأحبك فى الله فقال لو علمت منى ما أعلم من نفسى لأبغضتنى فى الله فقال له الاول لو أعلم منك ما تعلم من نفسك لكان لى فيما أعلم من نفسى شغل عن بغضك (وكان) الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل ارزاقنا وننتظر آجالنا (وقيل)

الفربرى بكسر ففتح فسكون نسبة لبلد ببخارى اه

للغيرة كيف أصبحت يا أبا محمد فقال اصبحنا معترفين بالنعم موقرين بالذنوب يتحبب الينا بنا وهو غني عنا ونتباغض اليه ونحن اليه فقراء (وقد) قيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى من أين عيشك فقال نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع (وقيل) لمحمد بن واسع رحمه الله كيف أصبحت فقال أصبحت طويلا أملي قصيرا أجلي سيئا عملي اه كلام الباجي رحمه الله (ومن كتاب) سير السلف أيضا وقال بشر بن الحارث رحمه الله سمعت منصورا يقول لما خلق الله آدم قال اني جاعل لبصرك طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك ان تنظر اليه فاطبقه واني جاعل لفيك طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك أن تنطق به فاطبقه واني جاعل لفرجك سترا فلا تكشفه على ما لا يحل لك اه (وقد) قال بعضهم الاصحاب ثلاثة صاحبك وصاحب صاحبك وعدو عدوك والاعداء ثلاثة عدوك وعدو صاحبك وصاحب عدوك (ومن) كتاب الباجي أيضا رحمه الله وروى عن بعض العلماء انه قال انما يدخل الله الجنة من يرجوها وانما يجنب الله النار من يخشاها وانما يرحم الله من يرحم (وقال) لقمان لابنه يابني خف الله خوفا لا تيأس فيه من رحمته وارجه رجاء لا تأمن فيه من عقابه فقال يا أبتاه وكيف وانما لي قلب واحد فقال يابني ان المؤمن لو شق قلبه لوجد فيه نور رجاء ونور خوف لو وزنا لم يمل أحدهما بصاحبه (وقال) عبد الله بن دينار قال لقمان لابنه يابني كيف يأمن النار من هو واردها وكيف يطمئن الى الدنيا من هو مفارقها وكيف يغفل من لا يغفل عنه يابني لا شك في الموت فانك كما تنام كذلك تموت ولا شك في البعث فانك كما تستيقظ كذلك تبعث يابني ان الانسان اثلاثة فثلثه لله وثلثه لنفسه وثلثه للدود والتراب فاما ما كان لله فروحه وأما ما كان لنفسه فعمله خيرا كان أوشرا وأما ما كان للدود والتراب فجسده (وقال) سفيان الثوري ما أمن أحد على دينه الا سلبه (وقال) أبو حنيفة أكثر ما يسلب الناس الايمان عند الموت (وقال) ابليس لعنه الله اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلبه بغيرها اذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه (وقال) ابن القاسم قال مالك بلغني ان عيسى ابن مريم قال له رجل من أصحابه انك تمشي على الماء

فقال

فقال له عيسى وأنت ان كنت لم تخطئ خطيئة مشيت على الماء فقال له الرجل ما أخطأت خطيئة قط فقال له عيسى فامش على الماء فمشى ذاهبا وراجعا حتى اذا كان في بعض البحر واذا هو قد غرق فدعا عيسى ابن مريم ربه فأخرج الرجل فقال له مالك ذهبت ورجعت ثم غرقت أليس زعمت انك لم تخطئ خطيئة قط قال ما أخطأت خطيئة قط الا انى وقع فى نفسى انى مثلك (وروى) عن عاصم قال أم أبو عبيدة بن الجراح قوما مرة فلما انصرف قال مازال بى الشيطان آنفا حتى رأيت ان لى فضلا على من خلفى لا أؤم أبدا (ويروى) عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال ما كانت الدنيا هم رجل قط الا لزم قلبه أربع خصال فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضى مداه وشغل لا ينفد لأواه وأمل لا ينقطع منتهاه (وقال) الاصمعى قيل لبعض الصالحين كيف حالك قال حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمنه (وقال) بعض الحكماء ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ يعدل الحياة فالغنى وان كان شئ يعدل الموت فالفقر اهـ كلام الباجى رحمه الله (ويروى) عن على بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد فى كل يوم وليلة ألف سجدة وكان يسمى السجاد وقد أنشد بعضهم

وغير تقى يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوى الناس وهو عليل

(وقال) الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله من أراد أن يحبه الله عز وجل وان تدعو له الملائكة ويحشر فى زمرة النبيين ويعظم قدره عند الاولياء فليطع الله فيما أمره به ونهاه عنه وليلزم المنهاج الاول (وروى) ان الله تعالى أوحى الى نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام هب لى من قلبك الخشوع ومن عينيك الدموع ثم ادعنى أستجب لك فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى (ومن) كتاب سير السلف أيضا وقال محمد بن أسلم الطوسى لخادمه يا أبا عبد الله ان معى فى قميصى من يشهد على فكيف أكتسب الذنوب انما يعمل الذنوب جاهل ينظر فلا يرى أحدا فيقول ليس يرانى أحد أذهب لأذنب أما أنا فكيف يمكننى ذلك وقد علمت ان داخل قميصى من يشهد على ثم قال يا أبا عبد الله مالى ولهذا الخلق كنت فى صلب أبى وحدى ثم صرت فى بطن أمى وحدى ثم دخلت الدنيا وحدى ثم تقبض روحى

قوله لأواه اى شدته وقصر للسجع اهـ

قوله السجاد هو واحد ثلاثة والثانى على زين العابدين والثالث محمد بن طلحة بن عبد الله التيمى اهـ

وحدي وأدخل قبري وحدي ويأتيني منكر ونكير فيسألاني وحدي فان صرت الى خير كنت وحدي وان صرت الى شر كنت وحدي ثم اقف بين يدي الله تعالى وحدي فان بعثت الى الجنة بعثت وحدي وان بعثت الى النار بعثت وحدي فمالي وللناس ثم فكر ساعة ووقعت عليه الرعدة حتى خشي ان يسقط ثم رجعت اليه نفسه ثم قال يا أبا عبد الله اصل الاسلام في هذه الفرائض وهذه الفرائض في حرفين ما قال الله ورسوله افعل ففعله فريضة ينبغي ان يفعل وما قال الله ورسوله لا تفعل فتركه فريضة ينبغي أن ينتهى عنه اه

(فصل) وينبغي للمريد أن يتفقد حاله في الاجتماع باخوانه ولا يواظب على الخلوة ويترك التبرك بهم وبسماع فوائدهم مع التحفظ عليهم وعلى نفسه جهده (قال) الشيخ الامام أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله في كتاب آداب الصحبة له الصحبة على وجوه لكل وجه منها آداب ولوازم (فالصحبة) مع الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه ودوام ذكره وتلاوة كتابه ومراقبة الاسرار أن يختلج فيها الا مرضاه والرضى بقضائه والصبر على بلائه والرحمة والشفقة على خلقه وما نحوه وشحوه من هذه الاخلاق الشريفة (والصحبة) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته واجتناب البدع وتعظيم أصحابه وأهل بيته وأزواجه وذريته ومجانبة مخالفته فيما دق وجل وما يجري مجراه (والصحبة) مع اصحابه واهل بيته بالترحم عليهم وتقديم من قدموه وحسن القول فيهم وقبول قولهم في الاحكام والسنن فان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقال عليه الصلاة والسلام اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي (والصحبة) مع اولياء الله تعالى بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون به عن انفسهم وعن مشايخهم لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من اهان لي وليا فقد آذني بالمحاربة (والصحبة) مع السلطان بالطاعة الا ان يأمر بمعصية او بمخالفة سنة فاذا امر بمثل هذا فلا سمع له ولا طاعة والدعاء له بظاهر الغيب ليصلحه الله ويصلح على يديه والنصيحة له في جميع اموره والصلاة والجهاد معه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

قوله الثقلين تثنية ثقل بفتحتين فيهما وهو كل ذي خطر نفيس اه

الدين

الدين النصيحة قالوالمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم (والصحبة) مع الوالدين ببرهما بالنفس والمال وخدمتهما في حياتهما وانجاز وعدهما والدعاء لهما في كل الاوقات ماداما في الحياة وحفظ عهدهما بعد الممات وانجاز عداتهما واكرام أصدقائهما فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من ابر البران يصل الرجل أهل ود ابيه وعن أبي اسيد مالك بن ربيعة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يارسول الله هل بقي علي من بر أبوي شئ أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما واثبات عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما (والصحبة) مع الاهل والولد بالمداراة وحسن الخلق وسعة الصدر وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنة والادب وحملهم على الطاعات قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية وقال عليه الصلاة والسلام رحم الله والدا أعان ولده على بره بالافضال عليه والصفح عن عثراتهم والغض عن مساويهم مالم تكن اثما أو معصية (والصحبة) مع الاخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر المحاسن وستر القبائح واستكثار قليل برهم اليك واستصغار ما منك اليهم وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغي والاذى وما يكرهون من جميع الوجوه وترك ما يعتذر منه (والصحبة) مع العلماء بملازمة اكرامهم وقبول قولهم والرجوع اليهم في المهمات والنوازل وتعظيم ما عظم الله من محلهم حيث جعلهم خلفاء نبيه عليه الصلاة والسلام وورثته فانه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال العلماء ورثة الانبياء (والصحبة) مع الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث واظهار السرور والسكون عند أمره ونهيه ورؤية فضله واعتقاد المنة له حيث اكرمه بدخول منزله وتناول طعامه وقال بعضهم

• من دعانا فأبينا • فله الفضل علينا • فاذا نحن أتينا • رجع الفضل الينا

• (فصل في آداب صحبة الاعضاء) • اعلم ان لكل جارحة من الجوارح آدابا تختص بها (فآداب البصر) أن ينظر الى أخيه نظر مودة ومحبة يعرفها

هو منك ومن حضر المجلس ويكون نظره الى محاسنه والى حسن شئ يبدو منه وأن لا يصرف عنه بصره فى وقت اقباله عليه وكلامه معه (وآداب السمع) أن يستمع الى حديثه سماع مشتهٍ لما يسمعه متلذذ به وكذلك اذا كان لا تصرف بصرك عنه ولا تقطع حديثه بسبب من الاسباب فان اضطرك الوقت الى شئ من ذلك استعذرته فيه واظهرت له عذرك (وآداب اللسان ان تكلم اخوانك بما يحبون فتختار وقت نشاطهم لسماع ما تكلمهم به وتبذل لهم نصيحتك وتدلهم على ما فيه صلاحهم وتسقط من كلامك ما تعلم ان أخاك يكرهه من حديث أو لفظ أو غيرهما ولا ترفع عليه صوتك ولا تخاطبه بما لا يفهم منك وتكلمه بقدر فهمه (وآداب اليدين) أن يكونا مبسوطتين لاخوانه بالبر والمعونة لا يقبضهما عنهم وعن الافضال عليهم (وآداب الرجلين) أن يماشى اخوانه فلا يتقدمهم بل يكون تبعا لهم فان قربوه تقرب اليهم بقدر ما يعلم من رغباتهم ثم يرجع الى موضعه ولا يقعد عن حقوق اخوانه معولا على الثقة بهم لان الفضيل بن عياض قال ترك حقوق الاخوان مذلة اه

(فصل) اعلم وفقنا الله واياك أن هذه الآداب المذكورة انما هى آداب الظواهر وهى عنوان على آداب السرائر (الا ترى) الى ما روى فى الاثر عنه عليه الصلاة والسلام انه رأى رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال عليه الصلاة والسلام لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (واذا) كان ذلك كذلك فراعاة الباطن أوجب من مراعاة الظاهر لان الظاهر للخلق والباطن للخالق وما كان للخالق فهو أوجب فلو جمع بينهما فهو الكمال والسعادة لمن اتصف بهما (وصفة) اخلاص الباطن التحقق بالتوكل على المولى سبحانه وتعالى والخوف منه والرجاء فيه والاتصاف بالصبر وسلامة الصدر وحسن ظنه بربه وحسن ظنه باخوانه المؤمنين والاهتمام بامورهم فاذا فعل ما تقدم ذكره قوى الرجاء ان يكون من الموقنين

(فصل) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله الاخوان أربعة أخ كالدواء وأخ كالغذاء وأخ كالداء وأخ كالدفلى (فالاول) معدوم (والثانى) مفقود (والثالث) موجود (والرابع) مشهود اه (أما الاول)

الذى

الذى هو كالدواء فهو مثل المشايخ الذين أهلهم الله تعالى لتربية المريدين وكالصلحاء والعلماء فهم قدوة للمقتدين ومجالستهم تشفى الاسقام ظاهرا وباطنا (وقد) كان المريدون قبل هذا الزمان يدخلون الى خلواتهم فان حصل لهم عجز او كسل خرجوا الى مجالس واحد من هؤلاء الشيوخ فتنتعش قواهم بسماع كلامه ورؤيتهم له ويمدهم بهمته فيتغذون بذلك ويرجعون الى خلواتهم انشط ما كانوا أولا فهم دواء للخلق أجمعين وانت ترى تعذر هذا الزمان غالبا من هذه صفته (وأما) الذى هو كالغذاء فهو مثل الاخ فى الله تعالى المشفق الودود الحنون الذى يؤلمه ما يؤلمك ويسره ما يسرك ويجوع نفسه لجوعك ويتعرى لعريك ويكابد ما نزل بك أكثر من مكابدة ما نزل به وانت ترى فقده فى هذا الزمان لكن بين الفقد والعدم فرق وهو ان المعدوم لا يوجد البتة والمفقود قد يوجد فى موضع ما (سمعت) سيدى ابا محمد رحمه الله يقول مراتب الاخوان ثلاثة لا رابع لها (فالاول) أن يكون أخوك عندك مثل أبيك وهو اعلاهم (والثانى) أن يكون مثل اخيك الشقيق وهو أوسطهم (والثالث) أن يكون عندك مثل عبدك وهو اقل الاخوان مرتبة فان عجزت عن ذلك فلا أخوة اذ ذاك اه اعنى الاخوة الخاصة بالفقراء وأما اخوة الاسلام فهى حاصلة (فأما) الاخ الذى يكون عندك مثل أبيك فهو حال المريد مع شيخه اذ انه ليس للولد مع ابيه حديث فى شئ لقوله عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لابيك فحال المريد مع شيخه من باب اولى اذ ان المريد ليس له تصرف ولا اختيار فى كل ما يحاوله الا برضى شيخه واذنه (وأما) الذى عندك كاخيك الشقيق فهو حال المريد مع اخوانه وهو اقل رتبة من الاول لان الاخ الشقيق يقاسم أخاه فى جميع الاشياء فان أخذ الاخ دينارا أو درهما او ثوبا او غير ذلك أخذ الاخ مثله فكذلك حال المريد مع اخوانه بهذه الصفة ان لبس ثوبا كسا اخاه مثله وان أكل طعاما أطعم أخاه منه او مثله الى غير ذلك (المرتبة الثالثة) وهى أقل الدرجات فى الاخوة وهى ان يكون عندك مثل عبدك اعنى ان العبد يجب عليك ان تقوم بضرورته من غذائه وكسوته وما يحتاج اليه من ضروراته فى صلاح دينه ودنياه وكذلك المريد مع أخيه اذ انه لا يشبع المكاف وعبده جائع

وجدت اليه فما خرج اليه الا بعد أن تحقق قضاء حاجته فيه (فينبغي) أن تكون المؤاخاة على هذا الاسلوب فان رأيت أخاك قد غرق فتأخذ بيده وتنجيه من المهالك فان لم تكن لك قدرة فلا تدعيها اذ أن من ادّعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان (وأما القسم الثالث) من التقسيم الاول للامام الشيخ الصقلي رحمه الله وهو قوله والثالث موجود فلا شك انك اذا خالطت كثيرا من الناس في هذا الزمان أو عاشرتهم بملابسة تجد من كثير منهم الاذية البالغة اما في دينك أو دنياك أو عرضك وهذا هو الداء الذي لا شك فيه فان أنت خالطته وجدت ما ذكره رحمه الله (وأما القسم الرابع) الذي قال عنه انه مشهود فلا شك في مباشرة ذلك في هذا الزمان (ألا ترى) انك اذا تكلمت مع أحد منهم في صلاح دينه في شئ ما قابلك بانزعاج وخلق سئ وأقل جوابه أن يقول لك ما حقرت في الناس الا أنا حتى تأمرني وتنهاني أو يتسلط عليك ببذاءة لسانه ويتطرّ لك عورات يظهرها أو حسنات يخفيها او يردّها سيآت وهذا فيه من المرارة بحيث المنتهى كما هي الدفلى اذا تناولت منها شيئا وقد يفضي ذلك الى العدم اذ قيل انها سم فيتعين عليك أن تفر من هذه صفته فالعاقل اللبيب من شمر عن ساعديه وبالغ في الفحص عن القسمين الاوّلين فيا سعادته ان ظفر باحدهما كما قيل

وإذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وأين ذاك الواحد

فان عدمهما فيتعين عليه الخلوة والاعتزال ان أراد السلامة اذ أن الاجتماع بالناس انما يحتاجه المريد للزيادة لا للنقص فاذا علم انه ما يحصل له فيه الا النقص فليحذر منه جهده ويستعين بربه مع سلامة صدره لهم وحسن ظنه بهم ✱ وما والله المستعان

✱ (فصل) ✱ من كلام بعضهم بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى (وينبغي) للمريد أن يكون نظره للخلق بعين الرحمة والشفقة والتودّد وذلك يقع منه على وجوه (فاذا) نظر اليهم بالرحمة فسبيله العلم بفقرهم (واذا) أحسن الظن بهم فسبيله طلب السلامة لهم بالميل الى حزب الفائزين (واذا) احتمل الاذى منهم فسبيله الرحمة لهم (واذا) جازى على السيئة بالحسنة فسبيله التخلق بالاخلاق المحمودة (واذا) راعى حق كل ذي حق وان صغر فسبيله التخلق باخلاق

ورجعت اليه فما خرج اليه الا بعد أن تحقق قضاء حاجته فيه (فينبغي) أن تكون المؤاخاة على هذا الاسلوب فان رأيت أخاك قد غرق فتأخذ بيده وتنجيه من المهالك فان لم تكن لك قدرة فلا تدعيها اذ أن من ادعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان (وأما القسم الثالث) من التقسيم الاول للامام الشيخ الصقلي رحمه الله وهو قوله والثالث موجود فلا شك انك اذا خالطت كثيرا من الناس في هذا الزمان أو عاشرتهم بملابسة ما تجد من كثير منهم الاذية البالغة اما في دينك أو دنياك أو عرضك وهذا هو الداء الذي لاشك فيه فان أنت خالطته وجدت ما ذكره رحمه الله (وأما القسم الرابع) الذي قال عنه انه مشهود فلاشك في مباشرة ذلك في هذا الزمان (الاترى) انك اذا تكلمت مع أحد منهم في صلاح دينه في شيء ما قابلك بانزعاج وخلق سيء وأقل جوابه أن يقول لك ما حقرت في الناس الا أنا حتى تأمرني وتنهاني أو يتسلط عليك ببذاءة لسانه وينظر لك عورات يظهرها أو حسنات يخفيها أو يردها سيآت وهذا فيه من المرارة بحيث المنتهى كما هي الدفلي اذا تناولت منها شيئا وقد يفضي ذلك الى العدم اذ قيل انها سم فيتعين عليك أن تفر من هذه صفته فالعاقل اللبيب من شمر عن ساعديه وبالغ في الفحص عن القسمين الاولين فباسعادته ان ظفر باحدهما كما قيل

واذا صفا لك من زمانك واحد ✽ فهو المراد وأين ذاك الواحد

فان عدمهما فيتعين عليه الخلوة والاعتزال ان أراد السلامة اذ أن الاجتماع بالناس انما يحتاجه المريد للزيادة لا للنقص فاذا علم انه ما يحصل له فيه الا النقص فليحذر منه جهده ويستعين بربه مع سلامة صدره لهم وحسن ظنه بهم جميعهم والله المستعان

✽ (فصل) ✽ من كلام بعضهم بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى (وينبغي) للمريد أن يكون نظره للخلق بعين الرحمة والشفقة والتودد وذلك يقع منه على وجوه (فاذا) نظر اليهم بالرحمة فسبيله العلم بفقرهم (واذا) أحسن الظن بهم فسبيله طلب السلامة لهم بالميل الى حزب الفائزين (واذا) احتمل الاذى منهم فسبيله الرحمة لهم (واذا) جازى على السيئة بالحسنة فسبيله التخلق بالاخلاق المحمودة (واذا) راعى حق كل ذي حق وان صغر فسبيله التخلق باخلاق

الشاكرين (واذا) تناسى الشر جملة فسبيله تطهير القلب من دنس هواجس النفوس في حق اخوانه المسلمين (واذا) عاملهم بالسخاء فسبيله البعد من صفة البخل والتشبه باهل الفضل واليقين بالخلف ويحذر من أن يطلب الخلف الفاني اذ أن كل ما جاءه من الدنيا فهو ذاهب فان (واذا) عاملهم برفع الاذى عنهم جملة فسبيله عدم الفراغ والاشتغال بوظائف التكاليف (واذا) عاملهم برؤية الحسن منهم في كل شئ والتعامى عن القبيح في كل شئ فسبيله الغيرة في مشاهدة المحاسن والاشتغال عن القبائح بعيوب النفس مع حسن الظن بهم في بعض الاوقات (واذا) تواضع لله فسبيله اجلال الربوبية واظهار العبودية (واذا) تواضع للخلق فيكون ذلك منه دون غاوت واغنا فعله لاعتقاد الاثرة لهم عليه (واذا) أظهر ذلك لهم في بعض المواضع فسبيله احتقار النفس ورؤية عيوبها وحسن الظن بالمؤمنين (واذا) ترك العجب وهو أن لا يرى لنفسه شيئا حسنا فسبيله العلم بأنه لا فاعل للاشياء الا الله سبحانه وتعالى فيلزم نفسه الافتقار اليه جل وعلا (واذا) أخلص العمل لله بأن لا يريد بصالح عمله سوى الله تعالى فسبيله الخوف الشديد من حبط الاعمال مخافة توقع الرياء فيقدر الخلق في خزب العدم فانهم لا يملكون له شيئا (واذا) استشعر اطلاع الحق عليه فسبيله ترك الفراغ وهو انه لا يمر عليه وقت الا وهو مشغول بالله تعالى فيحصل له بسبب ذلك الربح او جبر رأس المال (واذا) ترك المباح فسبيله عمارة الوقت بالواجبات والمندوبات (واذا) أحب المساكين وخدمهم واماط الاذى عنهم وادخل السرور عليهم بارفادهم والعون لهم واظهار البشر واحتمال الجفاء والاختلاط بهم والتلطف في نصح من زل منهم فسبيله طلب حط الاوزار والظفر بمحبة الملك الغفار (واذا) ترك المزاح جملة فسبيله الاهتمام بسالف الذنوب (واذا) راعى الفرض بطلب أدائه كما وجب فسبيله طلب التقرب الى الله عز وجل (واذا) احسن لكل مخلوق يجوز الاحسان اليه فسبيله طلب الاتصاف بالمحامد (واذا) ترك الشهوات فسبيله العلم بعاقبتها ومآلها وطلب الرقى عن الارضيات (واذا) قلل الطعام بحيث لا يدخل عليه به ضرر فسبيله التحقق للعبادة والتهيؤ للفهم عن الله تعالى

الاثرة بالضم المكرمة اهـ

والاقبال على المعرفة به سبحانه وتعالى (واذا) لبس الدون من الثياب مع
مجانبة الشهرة واقتصر على الضرورة فسبيله خوف الحساب (واذا)
ترك التنعم بلاذ الطيبات فسبيله التشبه بأولياء الله (واذا) ترك الهمز
والاحتقار بالخلق فسبيله طلب التبرى من صفة الجاهلين (واذا) ترك
الفرح بأمور الدنيا والآخرة فسبيله الجهل بالعاقبة وعدم المبالاة
بالدنيا (واذا) ترك الحزن على مافات فسبيله شغل الوقت بالخدمة والايمان
بالقدر (واذا) واصل الاحزان خوفا من السابقة والخاتمة فسبيله طلب
التقرب من الله تعالى بانكسار القلب وجمع الهم واذا جمع همومه عليه
فسبيله الفرار من تفرقة القلب فى شعاب الغفلة (واذا) فوض أموره لله
تعالى بطارح نفسه بين يديه دون اقتراح عليه فسبيله استعمال الأدب مع
جلال الربوبية (واذا) توكل على الله ثقته بالمضمون فسبيله شغل الوقت
بالتكاليف (واذا) ترك رؤية الاسباب حتى استوى عنده وجودها وعدمها
فسبيله افراد الحق بالخلق والتبرى من الشرك الخفى والجلى كالخبز لا يشبع
والماء لا يروى والثوب لا يدفئ وكذلك الامور العادية كلها (واذا) ترك
التملق لغير العلماء فسبيله العلم بأنه لا يملك الضر والنفع الا الله سبحانه وتعالى
وذلك بخلاف التملق للعلماء وهو التواضع والتذلل لهم (واذا) افتقر الى الله
تعالى فى حركاته وسكناته فسبيله اظهار صفة العبودية (واذا) غاب عن
الخلق بباطنه ولم يسع اليهم بظاهره فسبيله سد باب الانس بالمخلوق (واذا)
ترك الاقبال على أحاديث العامة وترك التشوف لها بصون قلبه عنها
وعمارته بذكر الحق فسبيله سد باب المحنة واطفاء نار الفتنة وخوف
خسران الآخرة (واذا) كانت نفس المريد متطلعة لأحاديث الناس لم
يفلح أبدا (واذا) علم ان استفتاح باب الخير كله وسد باب الشر كله فى
نفس أداء المفروضات اذ هى معيار القلب وبها تتبين الزيادة والنقص
ولا يتوصل الى ذلك الا ببذل الجهد وجمع النفس ومحض الصدق وشدة
الخوف ومواصلة الحزن حتى اذا استطعت أن تموت حين تفتتح الصلاة فمت
فسبيل ذلك كله قربك من الله (واذا) اردت أن تعرف منزلة قربك عنده
فلازمه الجد بحيث لا يكون لغير الحق فيك موضع وسبيله مراقبة

الحق واجلال الربوبية (واذا) أردت عزة النفس وصيانتها عن سؤال المخلوقين دقت الحاجة أو جلت فسبيله طلب كل حاجة من الله تعالى أدبا مع الربوبية (ومن) آكد ما يحتاج اليه المريد فى ذلك ان لا ينزل نفسه فى صورة مرشد ولا مرص ولا متكلم بالحكمة ولا بالمسائل الفقهية ولكن ليشغله من نفسه شاغل بسبب طلبه العلم اه (ومن) كتاب سير السلف قال ابراهيم الخواص دواء القلوب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين (وقال أيضا) التاجر برأس مال غيره مفلس اه (ومن كلام) يحيى بن رزق رحمه الله ياهذا اهلا جرك عقلك عن ان تبوح بسرك الى أحد من الخلق اوان تشكو حالك فى دين أودنيا اليهم أو تتكلم بما لا يعنيك أوتجيب الى أمر لا تحقق رشده ولا تأمن ضرره ياهذا اجعل ربك موضع شكواك وقلبك خزانة سرك والزم مراقبة مولاك فى كل حال يرد عليك فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت شرا فاتقرفيه اليه وانظر الى الخلق هيا كل مصرفة واسبابا مسخرة ولا تشكر أحدا منهم على فضل الله الا على قدر ما اباحته الشريعة وحسبك من ذلك ان تقول جزاك الله خيرا وترى الفضل كله من مولاك فاشكره بكليتك فهو أهل لذلك حقيقة وشكر سواه مجاز كما ان فعل غيره مجاز لان الافعال كلها صادرة عن المولى الكريم وحده لا شريك له

(فصل) فان كان المريد له تعلق بالاولاد فينبغى ان لا يهمه شأنهم ولينظر الى ماسبق فيهم من القدر ويعلم ان الملك لا يضيق عن رزقهم وان ما كتب لهم ان يفوتهم وما كتب عليهم لن يفوتوه وان وجوده وعدمه فى حقهم سيان اذ انه لا يملك لهم شيئا ثم انهم ان كانوا لله أولياء فان يفعل الله معهم الا خيرا وان كانوا غير ذلك فلا حيلة له فى دفع المضار عنهم وليقل قد استودعتهم من لا تخيب لديه الودائع فليطرح الهم فيهم جملة واحدة ان عقل وليظن بمولاه خيرا والسلام

(فصل) فان ابتلى المريد عند الاجتماع بالناس وخلطتهم بالاذية والجفاء منهم فيتعين عليه ان ينظر فى أمرهم ويرجع الى حاله ويفتش خبايا نفسه فى الذى قبل فيه فقد يكون حقا فان وجده فى نفسه علم اذ ذاك

ان من قال فيه ما قال انما هو نذير جاءه من عند ربه ليتوب أو يوقع به النكال فيحتاج الى المبادرة الى التوبة والرجوع ويرى الاحسان والفضل ان قال فيه ما قال (وان لم) يجد ما قيل عنه فيه فيحتاج الى ثلاثة أشياء (أحدها) ان يمتثل السنة بالدعاء الوارد فى ذلك حيث يقول عليه الصلاة والسلام من رأى منكم مبتلى فليقل الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا ولا شك ان الابتلاء فى الدين أعظم من الابتلاء فى البدن سيما اذا انضاف الى ذلك تعاطى حق الغير به فهو أعظم فى الابتلاء هذا وجه (الوجه الثانى) انه يتعين عليه الشكر من وجهين (أحدهما) أن يشكر الله تعالى على سلامته مما قيل فيه (الثانى) وهو الوجه الثالث انه يتعين عليه الشكر فى ان الله تعالى سلمه مما وقع أخوه فيه اذ لو كان الامر بالعكس لكان بلا مرية اذ الغالب فيه عدم السلامة أسأل الله العافية بمنه وقد تقدم ذلك (ومن) كتاب يحيى بن درزق رحمه الله من ساءه الذم وأعجبه المدح فذلك ذكر الصورة خشى العزيمة (وقال) لو قال لى قائل ان من لم يأخذ بحظه من الفقر لم يجد طعم الايمان لخالفته ولو أخبرنى مخبر ان تسعة أعشار العافية فى الخمول والغنى عن الناس لصدقته (وقال) حمل النفس على الصبر فى مواطن الامتحان حيلة حسنة فى الخلاص وان أبطأ (وقال) من وطن نفسه على ان الدنيا دار نصب وتعب لم ينكر ما نزل به منها ما دام فيها وأخذ من الراحة بحظه ومن توهمها منزل راحة لم يقدر الراحة قدرها اذا أتته وكان تعبه فيها مضاعفا (وقال) تقديم صدق اللجا الى الله عز وجل فى مبادى الحاجات عنوان على نجح غاياتها وقال افتكر فى الموت تهن عليك المصائب (وقال) ما رأيت أفقه من النفس يعنى فى شهواتها وملذوذاتها ولا أجرأ من الانسان ولا أشد تقلبا من القلب ولا أعدم من الاخوان ولا أقل من الاخلاص ولا أكثر من الامل (وقال) الصمت وغض البصر مفتاحان لابواب القلوب (وقال) من أحب ان لا تكون له منزلة عند الناس تربع فى بحبوحة العافية (وقال) ليس الا دنيا وآخرة فان أردت الجمع بينهما رمت محالا وذهبتا عنك معا فاختر لنفسك (وقال) الضرورات تدعو الى شر كثير وفى الصبر على المكروه خير كثير (وقال) يحسن بالمؤمن ان يكون

البحبوحة بضم البائين وسط الدار اه

ثوبه مرقعا ونعله باليا ومسكنه خلقا ففى ذلك أعظم تذكرة وأكبر شاهد على الغنى وأحث باعث على ترك الطمأنينة الى الدنيا ومن كان يستعمل الجديد من كل شئ قلت عبرته وكان حب العاجلة أغلب على عقله (وقال) اطمع فى رحمة الله عز وجل على أى حال كنت من التفريط ولا تأمن مكره على أى حال كنت من الاجتهاد واياك واليأس من مولاك فانه قطع للسبب بينك وبينه واحذر الامانى فانها اغترار به واعلم ان الكافر لو علم سعة رحمة الله ما يئس وان المؤمن لو علم كنه عقاب الله لمات خوفا والسلام (وقال) اذا كان الماضى لا يرجع والقدر لا يتبدل فاطراح الهم سعادة معجلة (وقال) خمس يؤلمك غمها فى الدنيا وهى فى الآخرة أشد ايلاما الا أن ينالك عفو الله عز وجل فاستقال منها أو استكثر المزاح وكثرة الكلام والتعرف بالناس وافشاء سرك اليهم والشكوى بحالك الى الخالق (وقال) لقد رابنى ما أراه من كد الخلق للدنيا وقصر همتهم عليها فى ايمانهم ولقد رابنى ما أراه من مكالبتهم عليها وفرط جنوحهم اليها فى عقولهم والعجب منهم وهم على هذا الحال انك ان نطقت لهم بالحقيقة سخروا منك وان سكت عنهم اتهموك وان مازجتهم فى دين أو دنيا اهلكوك وان تركتهم لم يتركوك فلا راحة معهم ولا سلامة دونهم حسبى الله ثم حسبى الله منهم (وقال) رجلان اكره رؤيتهما واحب الفرار منهما اليائس من فلاحهما غالبا طالب كيمياء وطالب ملك (وقال) رحمه الله من تسامى الى رتب لا يقتضيها حاله ولا حليته وآثره واه وأمنيته عاش دهره فى تعب ونصب ولم يبلغ الغاية التى يسعى اليها ومن تقاعد عن الرتب التى يمكنه بلوغها عاش مهينا ملوما ومن توسط بين الحالين فتناول منها ما كان لمصالحه استحق اسم النبل وكان عيشه هنيئا وقلبه لله تعالى خاشعا (وقال) أنا الآن اصدق قول من قال مكالمة الجاهل سجن للعقل (وقال) الراحة فى الدنيا لأحد ثلاثة فقير صالح أو غنى عاقل أو أحمق مبخوت (وقال) يا هذا ان كان العجب من الناس مرة فالعجب منك العمرة فقد بان لك بالتجربة المتبينة والدلائل البينة ان مكالمة الناس غنم وانداءه والصمت عنهم سلامه ثم لا يصرفك ذلك عن الهذر معهم والخوض فى أحاديثهم وكلهم مقهورون لطباع أنفسهم سامعون من حالهم

النبل بالضم الفضل وبابه ظرف اه

مبصرون بعيون رؤسهم الا من رحم ربك وقليل ماهم فما يصفى اليك منهم
غالبا الا متهم او مكذب أو غير محصل فاصحبهم بصمت ولا يكون كلامك لهم
الا جوابا بما لا ادرك فيه عليك فى دين أو دنيا فان أنت صبرت على اذاهم
كفيتهم واياك أن تنتصر لنفسك فتوكل اليها وسلم الامر الى مولاك وافتقر
اليه تجده والسلام (وقال) الالتفات الى الناس تعب فى العاجل وندامة
فى الآجل لان عامتهم مابين جاف متعسف أو بطر متكلف فليس التأثر
بالاول بأسوأ من الاغترار بالثانى فالرأى أن يعدا جميعا فى حزب العدم حتى
لاتأثير للاضطرار اليهم ولا للجفاء مع امتثال الامر والنهى فيهم واعتقاد
الرحمة والصلة لكل مسلم والذى يعين على ذلك بتوفيق الله تعالى الاقبال
على مايعنيك والصبر فى طريق الحق فانك اذا وافقت الشريعة ولاحظت
الحقيقة لم تبال عن خالف رأيك من الخليقة (وقال) من تفكر فى سالف
ونظر فى المعاد هان عليه جفاء الخلق ولم يغتر بلطفهم (وقال) رحمه الله الزم
الصمت عند محاضرة من تكرهه وتكلم مع من لك فى كلامه فائدة (وقال)
من علم ان له ربا يفعل مايريد خاف وحزن ولم يفتر ومن علم ان له ربا ضمن
العباده أرزاقهم لم يشغله طلب المضمون عما كلف ومن علم ان له ربا من انقطع
اليه كفاه توكل بالحقيقة عليه ومن علم ان له ربا لا فاعل للموجودات الا هو
اقتصر فى كل مرام اليه ومن علم ان له ربا رقيبا على كل شئ استحى منه حق
الحياء (وقال) من نظر الى الدنيا بعين البصيرة فرأى تقلبها بأهلها
وانزعاجهم عنها لم يطمئن اليها ومن نظر الى الآخرة بعين البصيرة فتخيل
نعيمها وعذابها وأيقن انه وافد عليها عمل لها (وقال) الزم الفضل واترك
الفضول واغتنم وقتك تفز بخير الدنيا والآخرة فبملازمة الفضل تنال
الشرف وبترك الفضول تنال السلامة وباغتنام الوقت تنال الربح وفى هذه
الثلاثة مجموع خير الدنيا والآخرة (وقال) ليس الا عيش الدنيا أو عيش
الآخرة ولن يجتمعا (فالاول) مادته الارضيات وهو عيش النفس
(والثانى) مادته العلويات وهو عيش الروح وقد علمت المبدأ والغاية فاختر
ايهما شئت والسلام (وقال) ياهذا الاخذ بالاحتياط نجاة ولا خير فى صحبة
غير الله (وقال) ما احقك بالنوح على نفسك ما أولاك بالقاء التراب على

راسك • ما أغفلك عما حل بك • أنسيت عطائك • أم أمنت عقاب ربك بادر يا مسكين واحذر سد الباب وقطع الاسباب • واستنزل بكف الضراعة رحمة مولاك العزيز الوهاب (وقال) اذا سافرت فالتزم فى الطريق مع أهل الرفقة الصمت ولا تتكلم معهم الا جوابا يسيرا من القول لفظة أو نحوها فان سئلت من أين فقل من أرض الله فان قيل لك ما شغلك فقل أبتغى فضل الله فان قيل لك ما اسمك فقل عبد الله • فان تصاحبت لهم فحسن واذا دخلت بلدا فلا تصحب فيه أحدا صحبة توجب عليك حقا واحسم التعارف البتة وافتقر الى الله فى حوائجك فانه لا يضيعك ان شاء الله فانه ليس زمان صحبة ولا مصادقة وانما هو زمان الوحشة والغربة والفرار من الناس مبلغ الوسع (وقال) خلقان لا أرضاهما للفتى بطر الغنى ومذلة الفقير فاذا اغتنيت فلا تكن بطرا واذا افتقرت فتنه على الدهر (وقال) رحمه الله الدنيا دار بلاء والبلاء لفظ مشترك تحته أنواع من التعب والمشقات كفرقة الاحباب وذهاب المال • وأذى الناس • والاسقام • والجوع • والعطش والقمل والذباب • والعقارب • والحيات • والسباع • وفقد الوطن • والبرد • والحر • والعرى • والشهوات كشهوة البطن والفرج الى غيره ذا مما لا يكاد ينحصر فما وقع منه فلا تنكر وقوعه فى محله ولا تستغربه وانما المستغرب فيها المسرات لانها ليست بدارها ولا تقابل شيئا من البلاء الا بالصبر وتوطين النفس عليها متى وقع منها شئ والاستعانة بالله تعالى فى زيادة البصيرة والامداد بالمعرفة (وقال) من تفكر فى أمسه وغده غنم ما فى يديه من يومه (وقال) بالله المستعان والدعاء اليه عنوان النجح • والقرآن حبل العصمه • والسنة طريق السلامه والفكرة مفتاح الرشد • والهمم مثيرات العزم • والتبصر ثمرة الصدق والظفر نتيجة الصبر • والاستغاثة درج الوصول • والتضرع أمارة الخلاص والصدر مظنة الاجابه • والالحاح مقدمة المحبه • والتواضع سلم الشرف والحياء خلق الايمان • والزهد شعار التقوى • والتوكل حرفة المعرفه والتفويض علم السعاده • والخوف اثر الجد • والرجاء افادة الجهد • ورحمة الخلق دليل الطهارة • واحتمال الاذى عين الفتوه • والجزاء على الاساءة بالاحسان خلق النبوه • وتلاوة القرآن بالحضور عيش الروح • ومخالفة

الهوى قتل النفس * وذكر الله رأس مال العابدين * من ترك الشهوات قرع الباب * ومن ترك الحظوظ رفع الحجاب * قيام الليل بستان العارفين * الاحوال مبلغ القوم * من رأى لنفسه فضلا على شئ من خلق الله تعالى حتى الكلاب فهو أحد الفراعنة * السلو عن المتروك على قدر المعرفة بالمطلوب * من هانت عليه نفسه فهي على غيره اهون * ومن صحب التسويف أداه الى الفوت ومن فاته ولاه غرق في بحر اليأس * الدنيا حلاوتها غرور * ولذاتها قذر قال الشاعر

نخير لباسها نفثات دود * وخير شرابها قئ الذباب
واشهى ما ينال المرء فيها * مبال في مبال مستطاب
وعن قرب يعود الكل تربا * بلا شك يكون ولا ارتياب

(وقال) كنت قد رأيت في كتب بعض الحكماء ان اربعة لا ينبغي للعاقل ان يأمنها فطلبتها في حفظي فلم اجد منها سوى واحدة وهي المرأة وان ابدت الود واظهرت النصح (ولا) يبعد عندي ان يكون الثاني السلطان وان أبدى التقريب والمصافاة (وأن) يكون الثالث المال وان كان جما وافرا (وأن) يكون الرابع الزمان وان كان مطاوعا مسالما (فرب) مخدوع بهذه الاربعة نخانته أوثق ما كان بها وأسلمته أميل ما كان اليها (وقال) الراحة كلها في الرضا باختيار الحق لك * والتعب كله في اختيارك لنفسك ومدافعة الايام شيمة الكرام * واغتنام الوقت بالمبادرة الى العمل * واطراح الامل سعادة * وانتظار الفرج بالصبر عبادة (وقال) يا هذا اذا رأيت انسانا لم تلزمك الضرورة اليه ففر منه فرارك من الاسد أو أشد وان قدر اجتماعك معه مفاجأة فاقتصر في الكلام معه واعتذر له بشغل واتركه بسلام اما تذكر ان نعيمك في الدنيا قديما وحديثا انما جاءك من معرفة الناس

(فصل) * وينبغي للمريد ان تكون اوقاته مضبوطة لكل وقت منها عمل يخصه من الاوراد فلا يقتصر في الورد على ما سبق من الصلاة والصوم بل كل افعال المريد ورد (قد) كان السلف رضوان الله عليهم يقولون جوابا لمن طلب الاجتماع باحد من اخوانه ويكون نائما هو في ورد النوم فالنوم وما شاكله هو من جملة الاوراد التي يتقرب بها الى ربه عز وجل (واذا

كان كذلك فيكون وقت النوم معلوما كما ان وقت ورده بالليل يكون
معلوما وكذلك اجتماعه باخوانه يكون معلوما وكذلك الحديث مع أهله
وخاصته يكون معلوما كل ذلك ورده من الاوراد اذ ان أوقاته مستغرقة في
طاعة ربه عز وجل فلا يأتي الى شئ ما أبيح له فعله أو ندب اليه الا بنية التقرب
الى الله تعالى وهذا هو حقيقة الورد اعني التقرب الى الله تعالى وهذا على
جادة الاجتهاد والفراغ من الصحة والسلامة من العوائق والعوارض أو من
حال برد يكون سببا لترك شئ من ذلك الا ترى ان المندوب في حق المريد
الذي يتعين عليه أنه اذا حصل له بكاء او تضرع أو خشية يستمر في ذلك ولا
يقطعه اذ أن المقصود اعناه وحصول مثل هذه الاشياء فاذا حصلت للمريد
فقد حصل على فريسته فليشد يده عليها و يغتنمها لئلا تنفلت منه فقل أن
يجدها ولاجل هذا المعنى قال الاستاذ ابو سليمان الداراني رحمه الله اذا لذت
لك القراءة فلا تركع ولا تسجد واذا لذ لك الركوع فلا تقرأ ولا تسجد
واذا لذ لك السجود فلا تقرأ ولا تركع الامر الذي يفتح عليك فيه فالزمه
أرأيت انسانا يطلب شيئا فاذا وجده تركه (وقد) تقدم هذا المعنى قبل ولا
يقتصر في هذا على الصلاة ليس الا بل هو عام في كل امر اراده فلو حصل له شئ
من هذا في الاجتماع بالاخوان فلا ينتقل منه أيضا بل هذا آكد لاجتماع
بركة الاخوان وهي متعددة بخلاف ما لو كان وحده وان كانت الخلوة فيها
الفضيلة العظمى كما تقدم لكن في الاجتماع بالاخوان الخير المتعدي حسا
لاستمداد بعضهم من بعض والمقصود ان تكون أوقاته وحركاته وسكناته
وأنفاسه في الخلاء والملاء مضبوطة بالاتباع في كل ذلك (وينبغي) أن يقتصر
في أوراده على القليل مثل ما تقدم في أوراد المتعلم سواء بسواء فان حصل له
شغل أو شئ من العوائق فلابد من اقامتها ليسارتها لان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا عمل عملا أثبته وقد تقدم ذلك في المتعلم (وينبغي) له أن
يكون أشد الناس حرصا على عمل السر لما تقدم ان عمل السر يفضل
الجهر بسبعين درجة وما هو بهذه المثابة فيتأكد تحصيله على ما ينبغي
(واذا) كان كذلك فلا يخلو حاله من أحد امرين (اما) أن يكون في بيته
وحده او مع غيره (فان) كان وحده فقد حصل له عمل السر من غير كلفة

وان

(وان) كان مع غيره أعنى من الاهل وماشابههم (فلا) يخلو اماان يكون فيهم من يرجوان يقتدى به أم لا (فان) كان كذلك فاظهاره اولى وقد تقدم انه لايخرجه ذلك من عمل السر معهم (ثم) الامر فى ذلك بحسب حال الوقت اذأن من الاهل أوالاخوان من اذارأى شيئا من أعمال البر يواظب عليها من يعتقده بادرت نفسه الى فعل ذلك أوشئ منه (وهذا) فيه خير كثير (لما ورد) لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خيرلك من حمر النعم (فان) علم أنه ليس فيهم من يقع ذلك منه فالسر أولى به (وقد) تقدم فى المتعلم انه ان وجد الخلوة عن أهله كان به أولى (فالمريد) بهذا المعنى أولى بل أوجب لان المريد لايزال فى عمل السر فى غالب أوقاته فيعود عليه آثار ذلك وبركته حتى يصل الى عمل سر فيما بينه وبين ربه عزوجل لا يطلع عليه الحفظة (وقد) ذكر الامام أبوطالب المكى رحمه الله فى كتابه عن بعضهم انه ظهرت له الحفظة وناشدوه الله تعالى أن يدخل عليهم سرورا بحسنة من حسناته يظهرها لهم ليسروا بها الاان الحفظة يفرحون بحسنة العبد حين يعملها أكثرمن فرح العبد بها يوم القيامة حين يرى ثوابها وماذاك الا أن رسل الملك لا يريدون أن يرجعوا اليه الابما يعلمون أنه يحبه بخلاف العكس فانهم يكرهونه لكراهية الملك له (وهذا) الذى حكاه رحمه الله ظاهره مشكل لأن الفرائض لابدمن اظهارها وهى أكبر الاعمال وازكاها (لما ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام عن ربه لن يتقرب الى المتقربون بأحب من اداء ما افترضت عليهم الحديث بكماله والحفظة يشاهدون ذلك ويكتبونه (فيتعين) أن يحمل ماذكره على الاوراد التى هى من أعمال القلوب وهى الفكر والنظر والاعتبار اذأن الله عزوجل تجلى لخلقه وظهر بآياته وبطن بذاته فهو الظاهر بمادل عليه من مصنوعاته الباطن بذاته فلايقال أين ولا كيف ولا متى لانه خالق الزمان والمكان الى غيرذلك من صفاته الجليلة (واذا) كان ذلك كذلك فمن كان فى حال التجلى فهومستغرق الاوقات حتى لا يرى غيرما هوفيه لكثرة ماهوفيه من النعيم اذ التجلى ليس شئ من النعم أعلى منه فى الدنيا والآخرة (ولا) يعكر على ماتقدم ذكره من قول الحفظة ماوردان الملك اذانوى الحسنة خرجت على فمه رائحة عطرة واذانوى

السيئة خرجت على فمه رائحة منتنة لان هذا قد نوى بقلبه مانواه وعمل من أعمال القلب دلت عليه الرائحة الصادرة عنه بخلاف ما نحن بسبيله اذ التجلى ليس من عمل العبد ولا من حيلته بل هو فيض من المولى سبحانه وتعالى وتفضل منه وامتنان على من خصه واختاره من خلقه فى كل زمان وأوان فينبغى للمريد ان كانت له همة سنية أن يعمل على تحصيل هذا المقام السنى لان المولى سبحانه وتعالى كريم منان وهذه الامة والحمد لله فيها البركة الشاملة لخيرهم ومقامهم الخاص بهم لا يزول ولا يحول الى أن يأتى أمر الله تعالى (واذا) كان الامر كذلك فلا يقطع المريد اياسه من الوصول الى عالم السنى ولا ينظر فى ذلك لنفسه ولا لحيلته وقوته واجتهاده لانه مهما نظر الى ذلك قطع به بل ينظر الى فضل المولى سبحانه وتعالى ونعمه المترادفة عليه وليحذر ان يكون بمعنى الطبع لا يرى النعم الا فى المأكول والمشروب والسعة فى الرزق لان هذا ليس من حال المريد فى شئ بل هو من حال أبناء الدنيا والله عز وجل من كرمه واحسانه وفضله وامتنانه يعطى لكل قاصد ماقصده وقد تقدم ان المريد غنيمته مافاته من الدنيا (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول المريد لا يحتاج لشئ من الاشياء فقلت له أليس يحتاج الى الاكل والشرب واللباس فقال نعم لكن طعام المريد الجوع وكسوته العرى فهو يجد ذلك فى كل موضع يحل فيه واذا كان كذلك فلا يحتاج الى أحد (والمقصود والحاصل) انهم قد طرحوا أمور الدنيا خلف ظهورهم وأقبلوا بكليتهم على ربهم وأسندوا أمورهم اليه وتوكلوا بالحقيقة عليه فانعم عليهم وقربهم واجتباهم وحباهم وتجلى لهم بصفاته الجليلة الجميلة اسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم فانه ولى ذلك والقادر عليه (وما) تقدم ذكره من أن المريد يقتصر على الاعمال المتقدم ذكرها انما ذلك فى حال بدايته ثم يأخذ نفسه بالتدريج والترقى فى الزيادة قليلا قليلا حتى يستغرق أوقاته فى أنواع العبادات وهو لم يجد لذلك مشقة ولا تعبا فى الغالب وقد تقدم ذلك لكن المريد فى بدايته أمره يمشى على ماسبق من أوراد المتعلم وامانهايته فلا حد لها لانهم قالوا أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وكلامهم ضرورة فلا ينام

المريد الا غاية وقد تقدمت حكاية بعضهم في السنة التي أخذته وهو جالس في صلاة حين صلى ركعتي الاشراق فتركه عنه وقال أعوذ بالله من عين لا تشبع من النوم ومن كان قومه على هذه الصفة فلا يمكنه أن يتهيأ له حالة النوم ولا الأذكار المذكورة عنده اذ حال المريد لا ينضبط بقانون معلوم لكثرة اجتهاده وتحصيله واهتمامه في أعماله من أن تنحصر (لكن) يحافظ على السنة ويشدد عليها وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله يعجبه ما حكى عن بعضهم انه كان اذا جاء الى فراشه دخل على جنبه الايمن ثم يرجع على الايسر ثم يرجع على الايمن ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ركعتين ثم يقول اللهم انك تعلم ان خوف نارك منعني الكرى فيقوم حتى يصبح فكان يعجبه منه محافظته على السنة حتى في الفراش وان كان يعلم انه لا يتأتى منه النوم فاذا كان المريد على هذا الحال أعني محافظته على السنة في كل أحواله فهو المقصود الاعظم لا يفوته غيره نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمنه انه الكريم الوهاب بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

(فصل في قدوم المريد من السفر ودخوله الرباط) اعلم وفقنا الله واياك ان آكد ما على المريد اتباع السنة واتباع السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين فيشد على ذلك يده وليحذر ان يميل أو يغتر بما قد أحدثه بعض الناس من أفعال لم تكن ان مضى وقد تقدم ان الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع وان هذه الطائفة أكثر الناس اتباعا للسنة المطهرة وما فاقوا على غيرهم الا بذلك لانهم اختصوا بثلاثة اسماء فقراء ومريدين وصوفية فالفقير من افتقر في كل أحواله الى ربه عز وجل وسكن بقلبه اليه وان كانت الخواطر تدافعه فهو لا يلتفت اليها ويفتقر الى ربه ويتوكل عليه والمريد من أراد ربه دون كل شيء سواه وكان غاية طلبه ومناه وسلم من لدغات الخواطر ومجاهدتها لارادته لربه وايثاره على ما سواه والصوفي من صفى باطنه وجمع سره على ربه وشاهد عيانا جميل صنعه فأسند الامور كلها اليه فهم الذين قربهم الله واجتباهم وخلع عليهم خلع احسانه وبحضرته السنية ارتضاهم (واذا) كان الامر كذلك فهذا مقام خاص بهم والثوب النظيف أقل شيء يدنسه (وقد) تقدمت حكاية سيدي الشيخ

الجليل أبي علي بن السماط رحمه الله في دخوله المسجد حين قدم رجله اليسرى فمشى عليه لان هذه الطائفة شعارها الاتباع وترك الابتداع فان وقع لهم شئ ما من مخالفة السنة رأوه أمرا عظيما فاقلعوا عنه في وقتهم وجددوا التوبة مع الله تعالى ورأوا أن ذلك بسبب ذنب تقدم فيخافون عقوبته فتضرعوا الى الله وابتهلوا اليه مع وجود التوبة النصوح منهم (واذا) كان الامر كذلك فيتعين على المريد أن لا يسامح نفسه في شئ مما يخالف الاتباع ولو قاله من قاله (فليحذر) من البدع التي قررها بعض الناس (وقد) اختلفوا فيها على ثلاثة أنحاء (فمنهم) من استحبها وأنكر على من تركها وهذه طريقة أكثر أهل المشرق (وذهب) بعضهم الى أن من فعلها ومن لم يفعلها سيان لا عتب على تاركها ولا حرج على فاعلها (وذهبت) الطائفة الثالثة وهم المحققون المتبعون للسنة وللسلف الصالح من الامة رضي الله عنهم أجمعين الى التصريح بأن ذلك بدعة ممن فعلها أو استحسنه وقال لا حرج على فاعله لمخالفته للسنة المطهرة (وقد) كان سيدي أبو الحسن الزيات رحمه الله يقول من أعجب الاشياء صوفي سني يعني بذلك والله أعلم ما نحن بسبيله من العوائد المحدثة التي ليس لها أصل في الشرع ترجع اليه (فمن ذلك) ما ذهب اليه بعضهم من أن المريد اذا ورد البلد وقصد دخول الرباط وهو المسمى في عرف العجم الخانقاه فالرباط مأخوذ من الربط لان ساكنه مرابط فيه وهذا الاسم أولى به ألا ترى انهم يحبون رؤية القيد في النوم ويكرهون الغل فهذا منه (واهم) فيما أحدثوه اصطلاح لا ينبغي أن يعرج عليه (لكن) لما أن كثر وقوعه والقول به والانكار الشديد على من ترك شيأ منه واتبع السنة المطهرة تعين الكلام فيه على من تعين عليه وهو أنه اذا قصد دخول الرباط كما تقدم يشمر كمه ويبتدي في ذلك باليمين وهذا اذا أراد دخول الرباط أو يتناول شيأ طاهرا وأما ان أراد أن يدخل الخلاء فانه يبتدي بتشمير كم الايسر ويبالغون في هذه الاشياء ويسمونها آدابا (حتى) انه قد حكي عن بعض من توغل في هذا الشان انه خدم شيخه سنين متطاولة فلما ان كان في بعض الايام أراد أن يدخل الخلاء فشمر كمه الايمن قبل الايسر فقال له شيخه أين تريد فاستفاق لخطائه على زعمهم فقال

الى بغداد مسافرا اليها فانظر رحمنا الله واياك الى تبديل الخاطر المجهل بمخالفة سنة واحدة كيف وقع بها هذا في أمرين عظيمين أحدهما تعب السفر الطويل وترك جمع الخاطر في الحضر وبركته والثاني اخبار شيخه بالبس في باطنه وطائفة الصوفية برآء من ذلك كله (ثم) اذا شمر أكمامه يشد وسطه بشئ و يأخذ الكاز بيده اليمنى والابريق بيده اليسرى ويجعل السجادة على كتفه الايسر مطوية وهذا فيه ما فيه لان اتخاذ السجادة من البدع التي أحدثت فكيف يتخذها الفقير (وقد) كان كثير من السلف رضوان الله عليهم لا يحول بين وجوههم وبين الارض حائل لا حصير ولا غيره وما ذاك الا لاتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا ترى) ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شكوا اليه ما يجدونه من ألم السجود على الارض لم يشكهم ومعنى ذلك انه لم يزل شكواهم الا ترى الى ما ورد مسح الحصباء مسحة واحدة وتركها خير من حمر النعم ولا يرد على هذا حديث الخمرة لان ذلك محمول على شدة الالم الذي يوجد في ذلك الوقت بخلاف الالم الذي تحمله البشرة فلا يرخص فيه والخمرة هي شئ مضفور من الخوص قدر ما يضع المصلي عليه الوجه واليدين اذا سجد وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يسجد ولا يحول بين وجهه وبين الارض شئ لاتباعه السنة وتواضعه (وهذه الطائفة) أولى الناس بالاتباع والتواضع وهو الآن داخل الى الرباط وهو موضع طاهر لا يدخله في الغالب الا من هو محتفظ على دينه فلا حاجة تدعو الى السجادة وانما هي عوائد أنتحلت ووقع الاستئناس بها والعوائد كلها مطروحة لان السنة هي الحاكمة على الناس كلهم فضلا عن المريد (ثم) يأمرونه اذا دخل الرباط أن لا يسلم على أحد ولا يسلم عليه أحد واعتلوا لذلك بأن المريد لا يذكر الله تعالى الا وهو على وضوء والسلام اسم من أسماء الله تعالى فاذا سلم على أحد أو سلم عليه أحد فقد يكون على غير وضوء فيحتاج الى ذكر اسم الله تعالى وهو على تلك الحالة أو يترك رد السلام وهو واجب فأمروه بترك السلام لاجل هذا وهذا أيضا مخالف للسنة اذ أن السنة مضت على أن المكلف يسلم على من عرف ومن لم يعرف فكيف باخوانه وما تقدم من ذكر تعليلهم لذلك فليس بأبين لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه

لم يمنع من ذكر الله في حال من الاحوال الا في حال موضع الخلاء فانه يكره
ولا بأس بذكر الله تعالى هنالك عند الارتياع وما يشبهه وليس بمكروه
والسنة عند القاء المؤمن لاخيه السلام لا بعد جلوسه واستئناسه (ثم)
يأمرونه عند ارادة دخوله الرباط أن يقعد عند الباب ثم يخرج اليه من في
الرباط من الشبان أو بعضهم فيؤذونه بالشتم ويقلون الادب عليه ويخرقون
حرمته ويكسرون الابريق الذي معه ويفعلون ذلك به مرة بعد أخرى حتى
ييأسوا من غضبه ويقولون فعلهم ذلك بأن يقفوا على حسن خلقه وحمله
للاذى اذ أن هذه الطائفة لا تنتصر لنفسها وهم أشد الناس كظما للغيظ
وعفوا عن الناس وهذا التعليل ليس بالبين لان الوارد اذا علم أنه اذا
انزعج لذلك وغضب لا يدخلونه الرباط فانه يصبر اذ ذاك على أذيتهم لاجل
ما يرجوه من حاجته وان كان سيئ الخلق اعني أن يكون فانه يستعمل
عنده في هذا الموطن والحالة هذه (ثم) يخرج اليه الخادم فيأخذ السجادة
من كتفه وهو ساكت لا يسلم أحدهما على الآخر ويدخل الخادم والوارد
يتبعه حتى اذا حصل في وسط الرباط وقف الوارد ينتظر أين يفرش الخادم
السجادة فيعرف موضعها وهذا فيه ما فيه الا ترى أن السنة في السلام عند
اللقاء انما هو التأنيس بالبشاشة وما أشبهها من الاكرام للضيف والتودد
نقيض ما طالبوه به وأما كسر الابريق فلا خفاء انه اضاعة مال وهو محرم
وكذلك شققه نوضعوا الشتم وخرق الحرمة واضاعة المال موضع الاكرام
والاحترام والضيافة ثم سرى هذا الامر الى عامة المسلمين اذ أن هذه
الطائفة قلوب الناس بهم متعلقة لحسن ظنهم بهم ولكونهم منسوبين الى
اتباع السنة والزهد في الدنيا وتركها والاقبال على العبادة والدار الآخرة
ويرون انهم محفوظون لا يخالفون ولا يبتدعون فاذا صدر منهم شيء من هذا
اقتدى بهم غيرهم في فعله فتجد كثيرا من الناس في هذا الزمان يقعد الرجل
وأولاده كل واحد منهم يشتم صاحبه ويشتمون الآباء والاجداد ويلعنون
أنفسهم والوالدان ينظران اليهم (وقد ورد) في الحديث المؤمن لا يكون لعانا
(ومن) كتاب السنن لابي داود رحمه الله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا

على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم (ومنه) عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها (ومنه) عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار (ومنه) عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء (ومن البخارى) رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه (وهم اليوم) قد جاوزوا الحد فى ذلك يشتم بعضهم بعضا دون أجنبي بينهم يكفهم قد كفوا الاجنبي أمرهم ولا يتقون لذلك ولا يرجعون عنه (ولو) قدرنا ان أحدا نبههم على ما فيه من شدة القبح المجمع على منعه فمنهم من يعتذر منه ومنهم من يقول ان هذا بسط لا حقيقة وكل ذلك سببه السريان من الخاصة الى العامة فانا لله وانا اليه راجعون على مخالفة السنن وارتكاب البدع (الاترى) ان من السنة اكرام الضيف بتيسير ما حضر والاقبال عليه وما تقدم من فعلهم عكس هذا الامر سواء بسواء (ثم) ان الخادم اذا فرش السجادة يجعل فمها الى الجانب الايسر ويعللون ذلك بانه اذا جاء أحد يريد أن يجلس معه فيجلسه لناحية اليمين ليكون ذلك أسهل عليه فى فرشها اذ ذاك ويعللونه بوجه آخر وهو أن القادم فى جهة اليسار فينبغى أن يكون فمها لتلك الجهة تفاؤلا بالفتح وهذا ليس من التفاؤل فى شئ لان التفاؤل الشرعى انما هو ما كان من غير قصد وما ذكروه كله محتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم والسجادة مكروهة فى الشرع ابتداء الا من ضرورة كما تقدم فكيف تفاصيلها فمن باب أولى وأحرى (ثم) انه مع ذلك يطوى طرفها من جهة القبلة من ناحية المشرق فاذا علم الوارد موضع السجادة ذهب الى موضع قضاء الحاجة كانت

له حاجة أولم تكن كان على وضوء أولم يكن فيأخذ الابريق فيدخل به الى الخلاء ثم يخرج الى موضع الوضوء والابريق بيده فيضعه فى موضعه الذى أخذه منه ويجعل بزبوزه الى جهة القبلة وعاؤه وكذلك فى كل موضع يضعون الابريق فيه انما يكون مستقبل القبلة وهذا أيضا يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم (وهذه) الآداب الشرعية مثل استقبال القبلة وغيرها انما المخاطب بها المكلفون والابريق لا يتوجه عليه خطاب ولا أمر الشرع فيه بشئ والتزام هذه الاشياء فيه ضيق وحرج (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ماتركته لكم فهو عفو (واذا) كان الامر كذلك فلا حرج فى وضع الابريق على أى صفة كانت وكذلك فى بسط السجادة وغيرها فما وافق السنة امتثلناه على الرأس والعين ومالم يرد فيه شئ فقد وسعه الله علينا فلا نضيق على أنفسنا باصطلاح من ليس بمعصوم (ثم) يتوضأ فاذا فرغ منه مشى بتؤدة الى موضع السجادة وهو مع ذلك لا يكلم أحدا ولا يكلمه أحد لا بسلام ولا غيره فاذا جاء الى السجادة قدم رجله اليمنى فوضعها على طية السجادة ثم قدم رجله اليسرى فوضعها الى جانبها على الطرف المطوى كله وثم يقدم رجله اليمنى فى وسط السجادة ثم الرجل اليسرى ثم يزيل تلك الطية بيده أو بقدمه ويسمون هذه الطية قفل السجادة حتى لا يفتح ذلك غيره وهذا كله من محدثات الامور التى ليس لها أصل فى الشرع الشريف فتعين اطراحها وترك المبالاة بها (ثم) يصلى ركعتين والصلاة بهذا الوضوء فيها مافيها لان هذا الوضوء ان كان لاجل دخول الرباط ليس الا فلاشك انه لا يستباح به الصلاة كما قال علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن توضأ للاكل والشرب أو دخول السوق فلا يؤدى به عبادة يشترط الوضوء فيها وان توضأ لدخول الرباط وللحدث فيجرى فيه الخلاف الذى بين العلماء اذا أشرك فى النية هل يجزيه أم لا وأقل مافيه مما لا ينبغى ان هذا الفعل كله انما هو لاجل رؤية الناس له وانهم لا يتركونه يدخل الرباط الا على هذه الصفة فقد خرج الوضوء بهذا عن أن يكون لله وحده بل الشائبة فيه ظاهرة بينة والمريد لا يسامح نفسه فى شئ من هذا كله فينبغى له ان يتوضأ بعد ذلك لاستباحة الصلاة ويتوب من عمله لاجل رؤية

الناس ثم انه اذا سلم من صلاة الركعتين المتقدمتي الذكر أتى اليه بعض أهل
الرباط فسلموا عليه و بسطوا له الانس و يقوم هو اليهم و يعانقهم وهذا الذى
فعلوه من سلامهم عليه و بسطهم له هو السنة عند اللقاء فاخرجوه عن
موضعه المشروع الى موضع غير مشروع فيه وأما قيامه لهم فليس من
السنة فى شئ لان القيام المشروع انما هو قيام الحاضر للغائب حين قدومه
عليه واما المعانقة ففيها الاختلاف بين العلماء ومذهب مالك رحمه الله
كراهتها (ثم) انهم يتكلمون عند ذلك بالكلام المعتاد بينهم الذى لا يخلو فى
الغالب من التنميق والتزكية وترفيع بعضهم لبعض باشياء الغالب عدم
بعضها الا من وفق الله تعالى وقليل ماهم (واحتجوا) على استصحاب هذه
الاصطلاحات واستحسانها وامر الفقراء بها بان مشايخهم قد قرروا لهم ذلك
ليكون تحفظهم عليها علامة ودلالة على تحفظهم على بواطنهم عما يقع فيها
فتكون آداب الظاهر دلالة على حصول آداب الباطن وهذه الطائفة
يحسنون الظن بمشايخهم وقد امروهم بذلك فلا عتب عليهم فى فعله بل هم فى
عبادة وخير وهذا الذى قالوه ليس بالبين لانه لو جاز للعلماء مثل هذا لكان
ذلك كله ذريعة الى نسخ الشريعة بالآراء وغيرها فكل من ظهر له شئ أو
استحسن شيئا جعله اصطلاحا ولابد ويرجع اليه ولا قائل به من المسلمين
وهذا الدين والحمد لله قد حفظه الله تعالى من الزيادة فيه والنقص منه (ولا
حجة) فى كون الفقراء يحسنون ظنهم بمشايخهم لان تحسين الظن بهم له مجال
متسع ماداموا على الاتباع للسنة والسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين
فحينئذ يرجع اليهم ويسكن الى قولهم وأما غير ذلك فاتباع السنة أولى وأرجى
وأنجح بل أوجب مع سلامة الصدر لمن قال ما قال اذ انه لم يقصد الا خيرا
ولكن المريد يتعين عليه أن يكون ميزان الشرع فى يده فمن وفى
واعتدل فهو غنيمة ومن نقص فلا ضرورة تدعو الى الاقتداء به فيما خالف
فيه السنة اذ انه لا يتبع أحد فى الغلط (وانظر) الى قوله عليه الصلاة
والسلام فى حديث الورود على الحوض فيقال انهم قد بدلوا بعدك
فأقول فسحقا فسحقا أى فبعدا فبعدا (واذا) كان كذلك فقد وقع
البعد بسبب التبديل ولفظ التبديل يقع على القليل والكثير واذا كان

الامر كذلك فلا ضرورة تدعو الى الوقوع فى مثل هذا الاحتمال والمقصود ان تكون السنة واتباع السلف رضى الله عنهم هما الاصل عنده فلا يعرج على غيرهما ولو قال من قال (ولاجل) هذا المعنى قال بعضهم ان المريد يعرف حين دخوله وماذاك الا ان المريد محافظ على السنة فاذا استأذن ووقف بالباب حتى يؤذن له ثم دخل وقدم رجله اليمنى وأخر اليسرى ثم سلم السلام الشرعى علم انه مريد لامتثاله هذه السنن الثلاث الاترى الى ما حكى عن بعضهم انه جاءه مريد لزيارته فقدم اليه شيئا للاكل فتناول المريد اللقمة باليسار فقال له المزور من شيخك يابنى فقال له ياسيدى الناحية اليمنى توجعنى فقال له كل رضى الله عنك وعمن رباك وقد تقدمت هذه الحكاية لان السنة فى ابتداء الاكل ان يكون بناحية اليمين فلما ان رآه خالف هذه السنة عرض له بقوله من شيخك لينبهه بذلك على ما وقع فيه من مخالفة السنة فكان فى المريد من اليقظة والحضور ما فهم به مراده فأجابه فهكذا تكون المحافظة على السنة والاتباع وفقنا الله لذلك بمنه (وقد تقدم) فى لباس العالم وتصرفه ما فيه غنية عن اعادته فى حق المريد لكن المريد يكون أشد حرصا على الاتباع لانقطاعه الى الله وتبتله اليه وقد تقدم ما فى تلك الثياب المذكورة من السرف فكذلك ما يشبهها أعنى من الوسع فى الثوب الذى لا ضرورة تدعو اليه وان كان ثوب المريد قصيرا فى الغالب لكنه احتوى على شيئين قبيحين مخالفة السنة ووجود السرف فيه أعنى فى الوسع الخارق الذى يفعله بعضهم

(فصل) واعلم ان طريقة الصوفية نظيفة وأقل شئ يدنس النظيف لاجرم انه قد كثر التدليس والتخليط وظاهر وسبب ذلك ان كل طريقة ادعاها الانسان فضحته شواهد الامتحان الاهذه الطريقة فانه لا يفتضح فيها غالبا وذلك لوجهين احدهما ان طريقتهم مبنى على الفتوة والستر والعفو والصفح والتجاوز والاغضاء عن العيوب وكل من ادعى شيئا يخالف طريقهم ستروا عليه وجروا عليه أذيال الفتوة والثانى ان كثيرا ممن تظاهر به فى هذا الزمان أقل ما يقع منه ان يقول لك حدثنى ويقوم فى حيته كثيرمن الناس فتتداعى الفتن وتكثر الى غير ذلك من الحظوظ التى تعتورهم وهى كثيرة ولاجل ذلك سكت من سكت من أهل الصدق والاتباع فطن

من لاعلم عنده بحالهم السيئ ان سكوتهم رضا منهم بشئ مما رأوه أو سمعوه الا ترى انهم اذا وجدوا من يقبل الحق منهم ألقوا اليه ما يخاصمون به محبته من هذه الثمرات وسروا به وأقبلوا عليه لا لحظ دنيوى بل يفعلون ذلك فرحا منهم بهداية شارد عن باب ربه عز وجل مضطرا الى من يوصله اليه (وقد ورد) فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى رضى الله عنه لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم فاذا وجد أحدهم السبيل الى شئ من هذا بادر اليه وان كان ضده تغافل وتناسى لاجل ما تقدم (وقد تقدم) ان اللعين بكيدته وشيطنته يتتبع السنن واحدة بعد واحدة يريد بذلك ان يبدل مكان كل سنة ضدها (الا ترى) أنه لما ان وجد المريد أكثر لباسه على ما ينبغى من القصر وغيره أدخل عليه دسيسة قل من يشعر بها وهى وسع الثوب الخارج عن العادة وفيه شيئان مما لا ينبغى وهما اضاعة المال وهو محرم ومخالفة السنة وكفى بهما وقنع بذلك من بعضهم ودس زيادة على ذلك وبدل ما هو أكبر من هذا وأكثر لكثير من العرب فى طول ثيابهم حتى صارت اذا مشوا تجر على الارض وهذا محرم فى حق الرجال متأكد فعله فى حق النساء وبدل للنساء ضد ذلك وقد تقدم بيانه وزاد فى ثياب بعض من ينسب الى العلم قريبا مما سبق فى ثياب العرب (فالحاصل) انه حرم كل طائفة من الاتباع وأوقعهم فى ضده ومع ذلك قل من يستيقظ لما ألقاه اليهم من هذه الدسائس بل تلقوها بالاقبال عليها لما ألقى اليهم من التعليل لكل واحدة لان من عادته الذميمة تعليل ما يلقيه اليهم وتحسينه لهم ليكون ذلك أدعى الى القبول منه والحرص على فعله فانا لله وانا اليه راجعون على ما حصل من الغفلات عمن لا يغفل عنا ولا ينسانا وفى التلويح ما يغنى عن التصريح والله المستعان بمنه وكرمه

(فصل فى ذكر بعض المتشبهين بالمشايخ وأهل الارادة) وهذا باب متسع متشعب قل ان تنحصر مفاسده أو يتعين ما وقع منه لكثرته (لكن) نشير الى شئ منه ليستدل به على ما عداه والله المستعان (فمن ذلك) ان كثيرا من الناس يدعى الدين والصلاح وأنه من أهل الوصول ويأتى بحكايات من تقدم من الاكابر ويطرزها بكلامه وهو مع ذلك يشير الى نفسه بلسان حاله

وان عنده من ذلك طرفا (وبعضهم) يزعم انه حصل له من ذلك الامر حاصل ومنهم من له القدرة على تصنيف الحكايات والمرائى التى يختلقها من تلقاء نفسه سيما والعياذ بالله تعالى ما ابتلى به بعضهم من تحريه ودعواه رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام وانه أقبل عليه وخاطبه وأمره ونهاه بل بعضهم يدعى رؤيته عليه الصلاة والسلام وهو فى اليقظة وهذا باب ضيق وقل من يقع له ذلك الامر الا من كان على صفة عزيز وجودها فى هذا الزمان بل عدمت غالبا مع اننا لا ننكر من يقع له هذا من الاكابر الذين حفظهم الله تعالى فى ظواهرهم وبواطنهم (وقد) أنكر بعض علماء الظاهر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فى اليقظة وعلل ذلك بأن قال العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبي صلى الله عليه وسلم فى دار البقاء والرائى فى دار الفناء (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يحل هذا الاشكال ويقول ما قاله هذا القائل صحيح ولكن يرده ما ورد ان الله تعالى يوقف هذه الطائفة بين يديه و يقول عز وجل أوليائى لم أزوعنكم الدنيا لهوانكم على ولكن زويتها عنكم لتستوفوا اليوم نصيبكم عندى اذهبوا فانظروا الصفوف فمن سلم عليكم من اجلى أو زاركم من اجلى او اطعمكم لقمة من اجلى فخذوا بيده وادخلوه الجنة فيأتون الى المحشر وهم يمرون أذيال الفخر فيقول أهل المحشر يا ربنا ما بال هؤلاء دوننا فيقول الله عز وجل أنتم متم فى الدنيا مرة واحدة وهؤلاء كان الواحد منهم يموت فى اليوم سبعين مرة او كما قال (وقال) سيدى أبو مدين رحمه الله من مات رأى الحق ومن لم يمت لم ير الحق فاذا كان المرء اذا مات موتة واحدة رأى الحق فما بالك بسبعين مرة فى كل يوم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فذهب الاشكال والحمد لله وظهر الصواب والله المؤمل فى الثواب (ومنهم) من يشير الى نفسه بالكرامات وخرق العادات وهو عرى منها بالاتصاف بضدها (ومنهم) من يدعى رؤية المشايخ واقيهم وهو مع ذلك لم يجتمع بهم ولا رآهم ومنهم من يدعى صحبة بعض الشيوخ والاهتداء بهديهم وهو لم يجتمع بهم ولا هو على طريقهم بل رأى بعض من صحب الشيوخ وحكى عنهم فحكى ذلك من نفسه (ومنهم) من يدعى رؤية الخضر ثم ان بعضهم يؤكد ذلك بالايمين ليكون أدعى للقبول منه حتى لقد قال بعض من

ينسب اليه شئ من هذا ان الخضر يأتيه في كل يوم ويقف على بابه أو دكانه ويحدثه معه وهو يبيع ويشترى وذلك كله تقول وافتعال لا أصل له ولا فرع مع ان هذا لا ينكر اذا وقع من أهله في محله (ومنهم) من اذا أراد أن يأتي شيئا مما يخطر له قدم قبله الاستشهاد بكتاب الله تعالى فيقول قال الله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ثم يصاف عند ذلك انه رأى ورأى وانه خوطب في سره والغالب أنك تجد كثيرا من العوام لغلبة الجهل عليهم بأهل الحق والخير والصلاح والاتباع اذا موه عليهم أحد من أهل التمويه بما انقادوا اليه وقالوا به واتبعوه ونزلوه المنزلة التي يدعيها اسأل الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه (وبالجملة) فأحوالهم الرديئة لا تنحصر وفيما وقع التنبيه به كفاية ومقنع هذا حال المستترين منهم (وأما غيرهم) فقد خرقوا السياج وليس العجب منهم بل العجب ممن يعتقدهم أو يميل اليهم مع ما هم فيه من مخالفة الشرع الشريف مثل ما يفعل بعضهم من انه يظهر للناس الزهد في الدنيا وترك المبالاة بها حتى انه يجلس مكشوف العورة وقد تقدم ذلك (ومنهم) من يدخل النار على زعمه ولا يحترق بمرءى من الناس وذلك انه لو كان صحيحا لكان بدعة ومنكرا اذ أن من شرط المعجزة اظهارها والتحدى بها ومن شرط الكرامة عكس ذلك فاذا اظهرها للناس فقد خرجت عن باب الكرامة (اللهم) الا ان تقع ضرورة شرعية محوجة الى اظهارها (مثل) ما حكى عن بعضهم انه كان في مركب موسوقة قمحا فهاج البحر عليهم وكان القمح لبعض الظلمة السلاطين على الخلق في وقته فسمع النواتي وهم يقولون ان هذا القمح مكيل علينا فان نقص منه شئ أخذنا الظالم به فالرأى ان نرمى الركاب في البحر ويبقى القمح فلما ان سمعهم قال لهم ارموا القمح في البحر وانا الضامن له فأشهدوا عليه ورموا القمح حتى لم يبق الا القليل فسكن البحر فلما ان وصلوا الى البلد طالبوه بما التزمه فأمرهم ان يأتوا بالكيالين فجاءوا بهم فقال اكالوا ما بقى من القمح فكالوه فوفى ما عليهم أعنى ما كان على النواتي مسطورا ثم رد رأسه الى أصحابه وقال لهم والله ما حملني الا حقن الدماء هؤلاء المسلمين (فما) كان مثل هذا فهو والذى يظهرونه للضرورة الشرعية مع ان لدخول النار أدوية تستعمل حتى لا تعدو على من

السياج كـكتاب ما يحاط به اهـ

دخلها أمر استعمل ثلاث الادوية (لكن) لو حضر أحد من أهل السنة ودخلا معا الاحترق صاحب البدعة والزعبلة وخرج المحق سالما (وقد) وقع ذلك في حكايات يطول تتبعها منها الحكاية المسندة في مصباح الظلام للشيخ الامام الجليل أبي عبد الله بن النعمان رحمه الله وماجرى للسني والبدعي في دخولهما النار فخرج السني ولم يحترق وبقي البدعي حممة اهـ (وقد) كان بعض من ينسب الى المشيخة يدخل أصحابه النار ولا يحترقون فقال لي سيدي أبو عبد الله القاسي رحمه الله والله لولا أني أخاف من سيدي الشيخ ان يطردني لاخذت الشيخ نفسه ودخلت أنا واياه النار حتى ننظر من يحترق منا (وقد) كان ببلاد المغرب من زمن قريب رجل يدعي الولاية وخرق العادة وكان اذا ورد عليه الفقراء والاضياف يعمل لهم فطيرا ويفته في قصعة ويؤتى بها اليه فيتصبب يده عليها فيخرج من بين أصابعه عسل نحل فيأتيه ويطعمه من هناك حتى يكفيهم ثم يرسل يده فينقطع فسمع به بعض الاكابر فوقته فجاء اليه فلما أن جلس عنده قال له نريد أن تطعمنا من هذه البسيسة التي تطعم الناس منها فقال نعم فأمر بالفطير على العادة فأحضر فمد يده ليسيل العسل على العادة فلم يخرج شيء فقال له وأين ماتدعيه فقال انقطع الآن فقال لو كان حقا ماانقطع لان الباطل اذا حضره الحق زهق ثم عزره ووبخه بالكلام وقال له كنت تطعم المسلمين أبوال الشياطين وأخرجه عن ذلك الحال وتوبه عنه (ومنهم) من يظهر الكرامة بامساك الثعابين والانس بها وهذا فيه مافيه من مخالفة الشرع الشريف والتمويه على الامة بالاحقيقة له اذ أن مثل ذلك يفعله كثير من الناس لمعيشتهم فكيف يعد كرامة (ومن) ذلك أيضا مايفعلونه من أكلهم الثعابين بالحياة بمرءى من الناس وذلك محرم أن لو كان صحيحا الا ان أكلها لايجوز الا بعد تذكيتها عند من يرى أكلها وهم يأكلونها من غير تذكية بل يؤذبون على كل أكلة من أكلاتهم تاديبا بليغا رادعا ثم ان كان ذلك من غير حقيقة فهو من صنعة النارنجيات والسيمياء وماشاكلها وليس من باب الكرامة في شيء (وكنت) أعهد مثل هذه الاشياء ببلاد المغرب تفعل على أبوابها ويتضاحك الناس عليها في لهوهم ولعبهم ويستغنون بسببها وهم في هذه البلاد في بعض الاماكن

يعدونها من الكرامات و يعتقدونهم بسببها (ومنهم) طائفة استنت سنة سيئة وهم الذين يحلقون لحاهم وذلك مخالفة للسنة وارتكاب للبدعة لغير ضرورة شرعية وأما اذا كان للضرورة مثل التداوي وغيره فجائز (ومنهم) من يفعل عكس ذلك فلا يأخذون شيئا من شعور أبدانهم و يعللون ذلك بانه من حسن الصحبة وذلك قبيح شنيع لانه يشبه فعل الرهبان وفيه المثلة والاستقذار وقد نهينا عن ذلك كله (ومنهم) من يلبس الليف والاشياء التي لا تستر عند الركوع والسجود مثل الشعر وغيره وهذا ايضا من المثلة والشهرة والبدعة وكشف العورة وترك الصلاة اذ أنه لا يجوز كشف العورة في الصلاة ولا غيرها (وأشنع) من هذا كله وأقبح ما اتخذه بعضهم من لبس الحديد فيتخذ سوارين في يديه كما تتخذهما المرأة من الفضة والذهب (وبعضهم) يجعل في عنقه طوقا من حديد كالغل بل هو نفسه ويعلقون في آذانهم حلقا من حديد (وبعضهم) يجعل على ذكره طوقا من حديد كالقفل ويزعمون ان شيوخهم حين يأخذون عليهم العهد يفعلونه بهم و يأمرونهم أن يلبسوه لمن اقتدى بهم و يقولون ان ذلك قفل على محل المعاصي حتى لا ترتكب ولا خفاء في تحريم هذا وشناعته وقبحه وانه لا مدخل له في الشرع الشريف (ثم) مع ادعائهم ان ذلك قفل على محل المعاصي يأتون بنقيض ما زعموا وهو أن فيهم شبانا لهم صور حسان وهم مقيمون معهم مساء وصباحا ويخلو بعضهم مع بعض دون نكير (وقد) قال بعض السلف رضي الله عنهم لأن أوتمن على سبعين عذراء أحب الي من ان أوتمن على شاب (وبعضهم) يتخذ حديدا كالعمود يمشي به في يده (وقد ورد) ان الحديد حلية أهل النار (وقد ورد) من تشبه بقوم فهو منهم فيقعون في هذا الخطر العظيم بسبب الجهل والجهول بالجهول كل ذلك سببه مخالفة السنة المطهرة (وأشد) من هذا كله ان أكثرهم يدعي أنه على الحق والصواب وان طريقته هي المثلى (ومنهم) قوم تنزهوا عن هذه الرذائل وعابوا على فاعلها ثم انهم يقعون في أشياء من ذلك نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه عنها وهي عندهم كأنها من شعار الولاية (فمن ذلك) اتخاذ بعضهم الأعلام على رأسه وهو لا يخلو اما أن يكون وليا لله تعالى على ما يزعم أم لا فان كان

وايضا فالولى لله تعالى لو قدر أن يدفن نفسه أو يكون أرضا يمشي عليه لفعل
حتى لا يكون مع الناس بالسواء فكيف ينشر الأعلام على رأسه وهذا من
باب الشهرة والدعوى وأهل الايمان برآء من ذلك كله (ألا ترى) الى قول
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتميم الداري رضي الله عنه لما أن سأله أن يعظ
الناس ويذكرهم فقال له أنت تريد أن تقول أنا تميم الداري فاعرفوني
(فكل) من أراد الظهور فليس من أهل الطريق في شيء بل هو عكس
حالهم ولو لم يكن فيه الا انه بدعة ممن فعله فكيف باجتماع هذه المفاسد التي
وقعت بسبب الاعلام اذ انهم يجتمعون رجالا وشبانا فاذا أشرفوا على بلد
ذكروا الله تعالى جهرا يرفعون بذلك أصواتهم ولا يقصدون به الذكر
ليس الا بل الاعلام لاهل تلك البلدة ومن قاربها بورود الشيخ والفقراء
الذين معه حتى يخرجوا الى تلقيهم فاذا سمعوا ذكرهم خرجوا اليهم رجالا
ونساء واختلطوا بهم فصاروا مجتمعين رجالا ونساء وشبانا وهذا فيه ما فيه
من مخالفة الشرع الشريف وقد تقدم غير مرة ان المرأة لا تخرج من بيتها الا
لضرورة شرعية ومع ذلك فتكون اذا خرجت خرجت على الصفة المتقدم
ذكرها من الستر والمشي مع الجدران ولا تتكلم الا لضرورة شرعية وهن
اذا خرجن للقائهم خرجن منكشفات في الغالب وان تستر بعضهن فبعض
تستر يرفعن أصواتهن بالزغاليط ويسمع لهن اذ ذاك ضجيج وذلك كله بمرأى
من الشيخ وعلمه بهم فما أقبح هذا وأبعده ممن ينتمي الى طريق أهل الدين
والصلاح فكيف بمن يزعم انه يدعو الناس الى الله تعالى فانا لله وانا اليه
راجعون على انعكاس الامور (وبعضهم) يزيد على ذلك فعلا قبيحا وفيه
اضاعة المال وهو وقود الشمع نهارا حين يتلقونه ويقصدون بذلك القربة
الى الله تعالى وهيهات هيهات التقرب الى الله تعالى لا يكون الا بامتثال
أوامره لا بالوقوع في نواهيه بل هو نفس البعد والقلا أسأل الله العافية من
ذلك كله بمنه (ثم) مع ذلك ينزل على أهل تلك البلدة بالجمع الذي معه ومفاسده
قل أن تنحصر فمن ذلك انه يضر بحال كثير منهم بسبب تكلفهم لهم أشياء من
الاطعمة تليق بهم ويتفاخرون بذلك وبعضهم يعيب على من أتى بطعام
لا يختارونه وليت هذه الضيافة لو كانت عن طيب نفس لكنهم يقسطون

قوله الزغاليط قال في شفاء الغليل زغلط اذا صوّت بلسانه بغير حروف كما تفعله نساء العرب ولمحمد بن سعيد بارو
سماع غناء الطير للدوح مرقص * ومن طرب بالزهر منه ينقط
وللناس في عرس الربيع مسرة * وللخلق حتى الفرفيه زغلط
وفي شرح القاموس ان زغردة النساء في الافراح من زغردة البعير اه وأما الزغاريت أو الزراغيت فهو لحن اه ومعنى زغردة
البعير هديره الذي يردده في جوفه اه

ما ينفقونه في ثلاث الضيافة على الرؤس من غني وفقير ومضطر ومحتاج وأكثرهم يتداينون بسببها وبعضهم يعجز عن شيء يعطيه وعمن يداينه فيهرب قبل وصول الشيخ الى البلد فيتسلطون على بيته وهو غائب فيأخذون ماوجدوا من دجاج أوداجن وبعض من يعجز عن الهروب يتحمل مع كبراء أهل البلد بما يوجبون عليه مالا قدرة له به وتفاصيل أحوالهم في هذا المعنى تطول (وقد) قال عليه الصلاة والسلام أنا وأمتي برآء من التكلف ولو لم يكن من التكلف لهم الا علف دوابهم لكان فيه من المحرم مافيه (ثم) مع ذلك لم يقتصروا على هذا التكلف العظيم حتى أضافوا اليه ما يأخذونه من الهدايا ويسمون ذلك بالفتوح للشيخ ولاصحابه كل على قدر حاله سيما صاحب المنزل الذي نزلوا عنده فهذه الوظائف أعني الضيافة والعلف والفتوح للشيخ وجماعته لا بد له منها حتما ثم انهم لم يقتصروا على ذلك الاخذ للشيخ وحده حتى يأخذ والخادم السجادة وقد تقدم ان السجادة في نفسها بدعة فكيف يتخذ لها خادم ثم يأخذون لخادم الابريق ثم لخادم السماط ثم لخادم العكاز ثم لخادم الدابة أو الفرس ثم المزمرون الذين معه (ثم) مع هذه الاحوال الرديئة يرقص بعضهم مع بعض نساء ورجالا وشبانا (ثم) انهم لم يقتصروا على هذه المفاسد حتى آخى بعضهم بين الرجال والنساء من غير نكير ولا استخفاء في ذلك (ثم) انهم لم يقتصروا على هذا الفعل القبيح حتى يقعد بعض النساء يلبسن بعض الرجال و يزعمون انها أخته من الشيخ وقد آخته فلا تحتجب عنه اذ أنها صارت من ذوي المحارم على زعمهم وكتب العلماء والحمد لله بين أيدينا وليس فيها شيء مما ذكروه بل افتعال منهم وتقول باطل فمن استحله منهم فقد خرج عن الدين ومن لم يستحله منهم فقد ارتكب أمرا عظيما يجب عليه أن يتوب ويقلع عما هو بسبيله من المخالفة والضلالة (فاذا) علم هذا من أحوال بعضهم فأي فرق والحالة هذه بينهم وبين الظلمة المتسلطين على الخلق بأخذ المال والاذية بل قد يوجد بعض الولاة يتحاشا عن مثل هذه الرذائل ويتنزه منصبه عنها فلا يأكل الامن اقطاعه مع ان الوالي مأمور بالاقتداء بالفقراء المتبعين فصار الامر بالعكس اذ انه يتعين على من اتصف بشيء مما تقدم ذكره في أمر من انتسب الى الفقراء أن يقتدي بالوالي في هذا الفعل

الحسن (وزاد بعضهم) على هذا شيئا قبيحا وهو استهتار فى الدين وزندقة
فيقولون المال مال الله ونحن عبيد الله فلا فرق بيننا وبين صاحب المال
لانا شركاؤه فيه وهذا منهم حل ونقض للشريعة المطهرة وقد أبى الله ذلك
ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال الله تعالى فى كتابه العزيز ويأبى
الله الا أن يتم نوره فالشريعة والحمد لله مصونة عن الزيادة فيها والنقص منها
فلا تزال على صفة الكمال حتى يأتى امر الله (ثم العجب) ممن يدعى المشيخة منهم
والهداية لطريق القوم كيف يعطى الاجازات للفقراء من تحت يده بالمشيخة
ولو سالته عن فرائض الوضوء او سننه أو فضائله وكذلك فى الغسل أو فى
التيمم أو فى الصلاة لجهل ذلك غالبا (وقد) قال بعض العلماء اذا صلى
المكلف وهو لا يعرف المفروض من المسنون فلا تصح صلاته وكذلك
لو سالته عن مفسدات الصلاة لما علمها وكذلك لو سالته عن حكم السهو
اذا طرأ عليه فى صلاته لما علمه (فاذا) كان هذا حاله فى أمر وضوئه وصلاته
اللذين بهما قوام دينه وصلاحه فما بالك به فى غيرهما (وقد تقدم) ان
من لم يأتمنه الله عز وجل على أدب من آداب الشريعة فيبعد أن يؤتمن على
سر من اسرار الله تعالى (فاذا) كان هذا حال الشيخ فى جهله بمبادى أمر دينه
فكيف بمن يصحبه أم كيف بمن يجيزه اذ الغالب ممن يبقى الى مثل هذا
انه لا يباشر العلماء اذ لو باشرهم لانكر عليهم ماهم فيه فكيف يصحبهم او
يتبعهم على ان هذه الاجازة والحالة هذه لا أصل لها فى الدين ومع كونها
لا اصل لها فالاجازة التى يعطونها شبيهة بالظلم ألا ترى انهم لا يعطونها فى
الغالب لمن سألها حتى يعطى على ذلك عطاء جزيلا بحسب حالهما ويسمون
ذلك بشكران الدخول فى طريق القوم فيعطى الشيخ مايليق به ولخدام
الشيخ المتقدم ذكرهم مايليق بدرجاتهم وكذلك الاكابر أصحاب الشيخ
المذكور ولا بد من آلة يطلبونها منه للسماع كل على قدر حاله ويختلطون
كما تقدم (ثم) مع هذا الحال لا يقتصرون على كتب الاجازات لمن طعن فى
السن ولمن له ثبوت فى العقل من الكهول بل يعطونها للشبان المردان
ولهم صور حسان فيتسلطون بسبب ذلك على الكشف على حريم المسلمين فى
بعض الاحيان والاماكن بسبب الاختلاط بهم من أجل الاجازات التى

بايديهم هذا حالهم مع من سأل الاجازة منهم (واما) من لم يسألها فهو على قسمين اما ان يكون له وجاهة أو جدة أو احدهما أو يعلمون من حاله انه يميل الى شيء من أحوالهم واما أن يكون عاريا عن الوجاهة والجدة وهو مع ذلك متشوف للاجازة كالاول (فاما الاول) فيعملون عليه الحيل في ربطه عليهم وسكونه الى قولهم والرجوع اليهم فاذا ظفروا منه بذلك كلفوه التكاليف التي تضر بحاله وحال عياله غالبا (واذا) كان كذلك فلا فرق اذن بين من هذا حاله وبين الظلمة الآن الظلمة يفعلون ذلك بالعنف والقهر وهؤلاء يفعلون مثله بالحيل والخديعة (واما) ان كان فقيرا لا مال له ولا وجاهة فانهم يستخدمونه المدة الطويلة ليحصل لهم من تكلف الناس والتسلط عليهم والالحاح عليهم بالمسألة على الغني منهم والفقير حتى يحصل لهم ما يرضيهم كالاول وهذا أمر ليس من أخلاق المسلمين في شيء اذ ان من أخلاقهم المناصحة بينهم والشفقة ورحمة بعضهم مع بعض نسأل الله السلامة من بلائه بمنه وكرمه

(فصل) ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادي أمر دينهم كما تقدم فكيف بالانتساب الى المشيخة (وقد) قال أهل التحقيق من أهل الطريق ان الفقير لا يكون فقيرا حتى يكون قلبه كأنه في كفه يعني من قوة معاينته له ونظره اليه فيعرف الزيادة فيه من النقص بديهة (هذا) حال الفقير المنفرد بنفسه دون ان يصل الى اقتداء الغير به (واما) الشيخ فلا بد له من زيادة على ذلك وهي ان تكون قلوب أصحابه كأنها في كفه وكذلك أحوالهم في تصرفاتهم وخواطرهم فيعلم ما يزيد فيها وما ينقص منها فيربيهم على ما يتحقق من حال كل واحد وينبههم على ذلك بحيث لا يشعر أحد من جلسائه بل الشخص نفسه قد لا يشعر بذلك في بعض الاحيان ولهم في معرفة هذه الامور وتصرف لا يعرفه غيرهم فان كان الشيخ عاجزا عن هذه الرتبة أعني أنه لا يعرف ما زاد في حال أصحابه وما نقص في غيبته فلا يدعي المشيخة ولا الهداية بل اخوان مجتمعون يتذاكرون في مسائل الدين ومناقب أهل الاحوال السنية فلعل بركة ذلك وبركة اجتماعهم تعود عليهم دون ان يدعي أحد منهم حالا أو مقالا هذا حال القوم مع

وجود الاخلاص منهم والصدق والتصديق والركون الى مولاهم فى دقيق الامور وجليلها والتزام الوقوف ببابه سبحانه وتعالى ومع هذه المقامات العليه والاحوال السنيه لايدعون لانفسهم حالا ولا مقالا بل يقول اكثرهم الى الآن ما أحسن ان أتوب حتى قال قائلهم

يظنون بى خيرا ومابى من خير * ولكننى عبد ظلوم كما تدرى
سترت عيوبى كلها عن عيونهم * والبستنى ثوبا جميلا من الستر
فصاروا يحبونى ولست أنا الذى * احبوا ولكن شبهونى بالغير
فلا تفضحنى فى القيامة بينهم * ولا تخزنى يارب فى موقف الحشر

(وقد) قال بعض السلف الصالح رضى الله عنه لولده لما ان رأى منه شيئا لا يعجبه يابنى أما تعرف قدرك فقال وما قدرى فقال له أمك اشتريتها بأربعمائة درهم وأبوك لا أكثر الله مثله فى الاسلام (هذا) مقالهم مع وجود الاحوال السنية منهم فما بالك بمن هو على العكس ثم مع ذلك يعطى الاجازات وتنصب بين يديه الاعلام والرايات فانا لله وانا اليه راجعون (وبعضهم) يدعى الوله ويرتكب بسبب ذلك محرمات فيركب على جريدة قد صور لها وجها وعينين وانفا وفما ويأخذ بيده شيئا كأنه سوط ويركب تلك الجريدة ويمسكها بسير أو خيط كأنه لجام لها ويضربها ويجرى (وبعضهم) يعلق فيها جرسا فاذا مشى يسمع له صوت قوى فيجتمع عليه النساء والرجال والشبان غالبا وقد يدخلونه بيوتهم ولا يختفى منه أحد كأنه امرأة من جملة نسائهم ويعيبون على من استتر منه ويقولون هذا موله (وهذا) أشد قبحا من الاول لانه قد ينفرد وحده فيجد السبيل الى ما تسوّله له نفسه من الرذائل بخلاف من تقدم ذكرهم (فكيف) يدعى الولاية مع ارتكاب نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول من صور صورة عذب حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا (ولا فرق) بين من صوّرها واستعملها ورضى بها وما العجب من هذا بل العجب ممن تلبس بشئ من العلم وهو مع ذلك يعتقد من هذا حاله ويصوّب فعله بان يقول هذا ولى الله وانما هو يخرب على نفسه وتخريب هذه الطائفة انما يكون عالم يعارضهم فيه أمر ولا نهى وهذا قد عارضه النهى الصريح كما تقدم (ولو لم يكن) الجريدة صورة لاحتمل التقريب

وغيره

وغيره (هذا) ان كانت اوقات الصلوات عليه محفوظة وكذلك فى سائر التكاليف الشرعية وهو يظهر اوله فيما عدا ذلك فهذا محتمل مع أنه لاضرورة دعت الى الدخول فى هذا الاحتمال اذ أن الله عز وجل لم يضيق على المكلف اذ العلماء والاولياء محفوظون فى ظواهرهم وبواطنهم موجودون والحمد لله لا تخلو منهم الارض الى أن تقوم الساعة باخبار صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه

(فصل) ثم ان مع هذا كله لم يكتفوا بهذه المفاسد حتى ضموا اليها مفسدة أخرى وهى أخذ بعضهم العهد على من يريد الدخول فى الطريق من رجل أو امرأة أو شاب ليكونوا من خواصه واتباعه (وبعضهم) يحلقون شعر راس من يتوب على أيديهم حين يأخذون عليهم العهد وهذا جهل منهم بالعهد وماهيته وكيفيته وحلق شعر الراس لغير ضرورة شرعية من البدع وقد كان فى عهد السلف رضى الله عنهم من شعار أهل البدع وعلامة عليهم هذا اذا كان الحلق لأجل الدخول فى الطريق وأما حلقه لكثرة الدواب أو غيرها فهو جائز غير مكروه

(فصل) ومن هذا الباب أيضا ما يفعله بعضهم من تعليق السبحة فى عنقه (وقد تقدم) قول عمر رضى الله عنه لتميم الدارى رضى الله عنه أنت تريد أن تقول أنا تميم الدارى فاعرفونى وما كان مراده الا أن يذكر الناس بالاحكام الشرعية المأمور باظهارها واشاعتها واظهار السبحة والتزين بها لامدخل لها فى ذلك بل للشهرة والبدعة لغير ضرورة شرعية (وقريب) من هذا ما يفعله بعض من ينتسب الى العلم فيتخذ السبحة فى يده كاتخاذ المرأة السوار فى يدها ويلازمها وهو مع ذلك يتحدث مع الناس فى مسائل العلم وغيرها ويرفع يده ويحركها فى ذراعه وبعضهم يمسكها فى يده ظاهرة للناس ينقلها واحدة واحدة كأنه يعد ما يذكر عليها وهو يتكلم مع الناس فى القيل والقال وما جرى لفلان وما جرى على فلان ومعلوم أنه ليس له الا لسان واحد فعده على السبحة على هذا باطل اذ أنه ليس له لسان آخر حتى يكون بهذا اللسان يذكر واللسان الآخر يتكلم به فيما يختار فلم يبق الا أن يكون اتخاذها على هذه الصفة من الشهرة والرياء والبدعة (ثم) العجب ممن يعد

على السيئة حقيقة ويحصر ما حصله من الحسنات ولا يعد ما اجترحه من
السيئات (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا
فأرشد عليه الصلاة والسلام الى محاسبة المرء لنفسه فيما يتصرف فيه
باعتقاده وجوارحه ويعرض ذلك كله على السنة المطهرة فما وافق من ذلك
حمد الله عز وجل واثنى عليه وبقى خائفا وجلا خشية من دسائس وقعت له
لم يشعر بها وما لم يوافق احتسب المصيبة فى ذلك ورجع الى الله تعالى بالتوبة
والاقلاع وامل بركة التوبة محو الحوبة ويجبر بذلك ما وقع له من الخلل
(وهذه الطائفة) اصل عملها التحفظ من السيئات والهواجس والخواطر
ثم بعد ذلك يأخذ فى كسب الحسنات (وقد) قالوا ان ترك السيئات
اوجب من فعل الحسنات (لما) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام
اتق المحارم تكن اعبد الناس (وقد) حكى عن بعضهم انه بكى اربعين
سنة فسئل عن سبب بكائه فقال استضافنى اخ لى فقدمت له سمكا فأكل
ثم اخذت ترابا من حائط جارلى فغسل به يديه فانا ابكى على ذلك التراب
الذى اخذته منذ اربعين سنة (وحكى) عن آخر مثله فسئل عن ذلك فقال لى
طالع لى طلوع فرقيته فاسترحت فانا ابكى عليه لعدم رضاى بما فعله الله بى
او كما قال (واحوالهم) فى هذا المعنى قل ان تنحصر فاذا كان هذا حالهم فى مثل
ما وصفناه عنهم فما بالك عن عمل الاثقال واى اثقال ثم يحصر الحسنات
ولا يفكر فى ضدها فانا لله وانا اليه راجعون (ثم) ان بعضهم يحتج بأنها حركة
ومذكرة فوا سوأتاه ان لم يكن التحريك والتذكير من القلب فيما بين
العبد وبين الرب سبحانه وتعالى (وقد) تقدم ما ورد فى الحديث ان عمل
السر يفضل عمل الجهر بسبعين ضعفا (هذا) وهو عمل فما بالك باظهار
شئ ليس بعمل وان كانت صورته صورة عمل وما زال الناس يخفون أعمالهم
مع وجود الاخلاص العظيم منهم وهم مع ذلك خائفون وجلون من دخول
الدسائس عليهم فاين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون (وبالجملة)
ففعل ذلك فيه من الشهرة ما فيه (وقد) تقدم ان التاجر ينبغى له ان يكون
عارفا بمحاولة ما يتجر فيه فلا يترك ماله فيه يعون ضعفا ويأخذ ماله فيه
شئ واحد هذا مع السلامة من الاوصاف المتقدم ذكرها فكيف به

مع وجودها (ثم) انه مع ذلك يحرم نفسه فضل الذكر وعود بركته على اعضائه وجوارحه فلو كان يسبح ويعد على أنامله لكان نور ذلك الذكر وبركته فى أنامله (وقد ورد) ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على بعض أزواجه فرأى نورا فى طاق فقال ما هذا النور الذى فى الطاق فقالت يا رسول الله سبحتى التى كنت أسبح عليها جعلتها هناك أو كما قالت فقال عليه الصلاة والسلام هلا كان ذلك النور فى أناملك فهذا ارشاد منه عليه الصلاة والسلام الى الافضل والأولى والأرجح وقاعدة المريد أن لا يرجع الى عمل مفضول وهو قادر على ما هو أفضل منه وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله اذا قرأ فى الختمة يجعلها على ركبتيه معا ويمسكها بيده اليسرى وجميع أصابع يده اليمنى تمر على الحروف التى يتلوها ويتعمد ذلك ويعلله بأن يقول حتى يحصل لكل عضو حظه من العبادة لكى يكثر الثواب بذلك فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل) ومنهم من بالغ فى أخذ العهد الى حد لا شك فى تحريمه وابطاله فيقول انه اذا أخذ العهد على من يأخذه عليه ان المأخوذ عليه لم يبق له تصرف فى ماله ولا زوجته ولا نفسه بل التصرف فى ذلك كله للشيخ فان أراد أن يطلق عليه لزمه وان أخذ ماله لزمه الى غير ذلك (ثم) انهم مع هذه الشروط التى يشترطونها لو تصرف الشيخ فى شئ من ذلك لكان سببا للقطيعة والترك وليس هذا من صفة القوم ولا مما أثور عنهم (ومنهم) من يأخذ العهد على أن ينتمى لفلان من المشايخ دون غيره حتى كأن الطريق الى الله تعالى على عدد المشايخ فينتسبون اليهم كما ينتسب أهل المذاهب الى مذاهبهم فاذا انتسبوا الى ذلك فالطريق المحمدى أين هو وحصل بسبب ما تقدم بينهم تعصبات وشنآن كثير حتى صاروا أحزابا ووقع بعضهم فى حق غير شيخه الذى ينتمى اليه أعاذنا الله من بلائه بمنه والطريق المحمدى غير هذا كله (ولذلك) كان سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله يقول طريق القوم واحدة (وكان) سيدى أبو محمد بن أبى جمرة رحمه الله يقول سنة الاحباب واحدة يعنى أن مشربهم واحد وهو الاتباع وترك الابتداع (ولا) يظن ظان ان ما تقدم ذكره فيه انكار لاخذ العهد من أهله لاهله بشرطه

المعتبر عندهم اذ انه عليه درج السلف الصالح نفعنا الله بهم ولا ننكر أيضا الانتماء الى المشايخ بشرطه وهو أن يكون عند المريد شيخه وغير شيخه بالسواء بالنسبة الى الاتباع وترك الابتداع ويكون ايثاره لشيخه بسبب انه كان وصوله الى الله تعالى على يديه فيرى له ذلك فبهذا الاعتبار يقع التفضيل لشيخه والاختصاص به دون غيره (وقد ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله يأبى أن يأخذ العهد على أحد فسألته ما الموجب لذلك أهو بدعة قال لا ولكن عبد الله يعنى نفسه ليس كغيره فأخاف ان أخذت العهد على أحد فقد لا يوفى بما أخذ عليه من العهد فيقع له التشويش وأكون السبب فى ذلك فاتركهم رحمة بهم وشفقة عليهم وأعوض عنه الدعاء لهم بظاهر الغيب بالاستقامة أو كما قال (والحاصل) من اخذ العهد وأن يأخذ الشيخ العهد على المريد بانه لا يراه الله حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره وهذا هو زبدته وأصله وبقيت تفاريعه على هذا الاصل قل أن تتناهى وهى الامانة التى عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال علماؤنا رحمة الله عليهم ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وذلك راجع الى الغالب منهم والا فكثير من وفى والحمد لله وكثير من دخل فى جاه من وفى (ولاجل) هذا المعنى بقى كثير من المحققين ينتمون الى المشايخ ليكونوا فى حرمتهم (واليه) الاشارة بقوله فى الحديث اخبارا عن رب العزة عز وجل حيث يقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم (فكما) لا يشقى بهم جليسهم كذلك لا يشقى بهم معتقدهم ولا محبهم (وقد) خرج الترمذى عن أنس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى قيام الساعة قال فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فلما قضى صلاته قال أين السائل عن قيام الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله فقال ما أعددت لها فقال يا رسول الله ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم الا انى أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت فما رأيت فرح المسلمين بعد الاسلام

كفرحهم

كفرهم بهذا الحديث (ولا) يظن ظان ان هذا معارض لقوله عليه الصلاة والسلام للسائل حين سأله مرافقته في الجنة فقال له عليه الصلاة والسلام أوغير ذلك فقال هو ذاك يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعني على نفسك بكثرة السجود (لأن) هذا طالب منصبا عظيما فارشده عليه الصلاة والسلام الى الاسباب الموصلة اليه لقوله عليه السلام أقرب ما يكون العبد في الصلاة وأقرب ما يكون في الصلاة اذا كان ساجدا فارشده عليه الصلاة والسلام لذلك وطالب المعية تشمله الدار وهي واحدة وان كانت المنازل تتفاوت فيها ولكن قد جعلت السعادة لمن نالها (لقوله) عليه الصلاة والسلام لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا ومافيها (فاذا) حصل له ذلك سلم من أهوال الدنيا والآخرة ومن العناء والتنغيص (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا حين يأخذ العهد على من يريد أن يدخل في طريقه فيكلفه أن يعترف بين يديه بكل مافعله من الذنوب وفي هذا من مخالفة الشرع مافيه (وقد ورد) ان الله عز وجل يقول يوم القيامة لبعض من فعل الذنوب أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم (وقد ورد) كل الناس معافى الا المجاهرون (فاذا) جاء احد ان تقدم ذكره ليتوب على يديه أرقعه الشيخ باعترافه في هذه المهالك فكان عدم التوبة به أولى والحالة هذه (وفي هذا) تشبه بالقسيسين لان من عادتهم الذميمة اذا جاءهم أحد ليتوب على أيديهم يطالبونه بان يحصي لهم ذنوبه ذنبا ذنبا ثم بعد ذلك يقبلون عليه (وقد) قيل ان التشبه بالكرام فلاح وعكسه عكسه فانا لله وانا اليه راجعون على تخليط امور الدين بما ليس منه ولا فيه (ومنهم) من ارتكب بدعة شنيعة آلت الى ترك الصلاة وتركها فيه اختلاف بين العلماء هل هو ارتداد أو ارتكاب كبيرة من فعله (وذلك) ان بعضهم يلبدون شعور رؤسهم والغالب ان الجنابة تصيبهم فاذا اغتسلوا لم يمكنهم ان يوصلوا الماء الى البشرة وليس ثم عذر شرعي يجيز المسح على حائل عند من يقول به فصلاتهم على هذا باطلة (ثم ضموا) الى هذه المفسدة مفسدة أخرى أعظم منها وهو أنهم معتقدون انهم على الخير والصواب وعلى طريق السلوك والهداية نسأل الله السلامة منه من بلائه (ومنهم) من يتعاني اتخاذ الحروز الكثيرة

وجعلها فى عنقه كالقلادة للمرأة (ومنهم) من يجعلها على صفة أخرى يتوشح
بها وهذا اشهرة ممن فعله وشوه ظاهر وان كان يدعى انه فعل ذلك للتبرك
والتحفظ من العين ومن مردة الجن فله طريق غير هذا بان يعلق ذلك عليه
من تحت ثوبه بحيث لا يشعر به ولا يظهر وأما على هذه الصفة المذكورة
فيمنع لمخالفته للسنة وللسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ومنهم) من
يأخذ سبحة كبيرة ويعلقها فى عنقه أو يتوشح بها ومع ذلك هو مشتغل بالقيل
والقال والتحدث فى أمور الغيب اظهارا منه انه يكاشفها ويخبر بوقوعها
(ومنهم) من يعوض عنها خيطا من صوف على صفات وصبغ فيتقلدون
به وذلك كله من الشهرة والشوه والبدعة والخروج عن الاتباع للسلف
الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا شنيعا رذلا
يأباه الله ورسوله والمؤمنون وهو ان يكون مع الناس فى الجامع ينتظرون
الصلاة فاذا اقامت الصلاة وقام الناس اليها قام هو فى جملتهم فاذا ركعوا
وسجدوا بقى واقفا ينظر اليهم لا يحرم ولا يركع ولا يسجد ثم يتمادى على ذلك
حتى يفرغ الناس من صلاتهم (وأقبح) من هذا وأرذل من يعتقد من هذه
حاله ويرى انه ممن يتبرك به وأنه من الواصلين ويتأول بانه يصلى فى مواضع
أخر وانما هذا منه تخريب على نفسه حتى لا يشعر ولا يعتقدوا وباهم هذا
من السخافة والحمق ومخالفة الشريعة المطهرة وعدم الغيرة فى الدين
واصطلاحهم على الرضا بترك هذه الشعيرة العظمى التى هى عماد الدين
ورأسه واول أركانه بعد كلمتى التوحيد اذ ان من رأى ولم ينكر كمن فعل ولا
ضرورة تدعو الى التغريب لان من مشى على لسان العلم واتبع الحق والسنة
المحمدية واقتفى آثار السلف الماضين رضى الله عنهم سيما ان أنكر عليهم
ماهم فيه من عوائدهم الذميمة المخالفة للسنة فالغالب من حال أهل هذا
الزمان النفور منه لانهم يزعمون انه قد ضيق عليهم وهو انما ترك العوائد
والابتداع واتبع السنة المحمدية وتمسك بها وعادة النفوس فى الغالب
النفور من الحكم عليها (وقد) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا حق ما
أبقيت لى حبيبا (وقد) كان السلف رضى الله عنهم على عكس هذا الحال
من اتبع السنة أحبوه واعتقدوه وعظموه ووقروه واحترموه ومن كان على

غير

غير ذلك تركوه واهملوه ومقتوه وأبغضوه وحتى كان من يريد الرفعة عندهم والتعظيم ممن لا خير فيه يظهر الاتباع حتى يعتقدوه على ذلك (وأما اليوم) فيعتقدون ويحترمون من يفعل العوائد المحدثة ويمشي عليها ولا ينكر على أحد ما هو فيه فمن أراد التجريب في هذا الزمان فليتبع السنة المطهرة فانهم ينفرون عنه ولا يعتقدونه غالبا لانكاره ما هم فيه حتى قد ينفر عنه أبواه وأهله وأقاربه لمخالفته ما هم عليه (ثم) ان المجرب لا يخلو حاله من أحد أمرين اما ان يعتقد حل ذلك أم لا فان اعتقد حله فهو كافر واما ان فعله مع اعتقاد تحريمه فهو فاسق على ما قاله العلماء وأما المكروه فقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان المداومة على المكروه يفسق فاعله (ثم) انهم يتغالون في اعتقادهم فيقولون هذا بدل هذا قطب الى غير ذلك وهذا اللفظ لا يحسن ان يطلق على من اتبع السنة وبذل جهده في الاتباع فكيف يطلق على من تلبس بشئ من المحرمات أو المكروهات أو هما معا (ثم) ان المتبع من الناس في اعتقاده على قسمين (فمنهم) من يحمل جميع أفعاله وأقواله كلها على سبيل الورع فاي شئ فعله أو قاله أو اشار اليه من اتباع الامر واجتناب النهي مثل ان يقول هذا موضع لا أدخله لاجل انه مغصوب أو استعمل المسلمون فيه الغصب أو غير ذلك فيقولون هذا من باب الورع هذا ليس بمتبع وقد دخله فلان وفلان ويحتجون بمن لا يحتج به وان كان في بعضهم أهلية للاحتجاج به فقد تكون له أعذار في ارتكاب ذلك في خاصة نفسه ولا يلزمه ان يبين عذره فيما وقع منه (وقد) قال مالك رحمه الله ما كل الاعذار تبدى (واذا) كان كذلك فلا يجوز أن يقتدى به في هذا وماشا كله اذ أن اتباع لسان العلم هو المتعين على الناس عموما وخصوصا (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول اني لا أتكلم بالورع في هذا الزمان والناس يحملون ما أتكلم به على سبيل الورع وليس كذلك فصار لسان العلم عندهم ورعا وترتبت على هذا مفسدة عظيمة وهي انهم ينسبون كثيرا من الشريعة الى الورع فيتركون بسبب ذلك الاتباع وباب الورع ضيق لا يدخله الا الافذاذ اذ ليس هذا زمان الورع غالبا وما يتعللون به من ذكر الورع انما هو من تسويل النفس والهوى والشيطان ليثبط عن بركة الاتباع (والقسم الثاني وهو غير المعتقد

يقول هذا يابس متشدد مربوط بشبر بكلامه وحاله الى ان غيره على الباطل
وهو على الحق والطريق المستقيم (وكلامهم) هذا يرده ما ورد في الحديث
من قوله عليه الصلاة والسلام بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا
فطوبى للغرباء من أمتي قيل يارسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين
يصلحون اذا فسد الناس وفي رواية الذين يصلحون ما أفسد الناس من
بعدي من سنتي (وروى) أبوداود في سننه عن علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف بكم اذا فسق فتيانكم
وطغى نساؤكم قالوا يارسول الله وان ذلك لكائن قال نعم وأشد كيف بكم اذا
لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا يارسول الله وان ذلك لكائن قال
نعم وأشد كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا اه والاحاديث
في هذا المعنى كثيرة والله الموفق

(فصل) ثم أن غالب حالهم ان اعتقادهم يدور بين أمرين (فمنهم) من
يكون اعتقاده شهوة فيعتقده مدة ثم ينقل عن اعتقاده (ومنهم) من يدوم
اعتقاده لكن يزيد في اعتقاده ويتغالى فيه فيقول هذا بدل هذا قطب كما
تقدم وكذلك يقولون في حق غيره فيتناقض قولهم اذ أن القطب انما هو
واحد وهو أعز من ان يجتمع به الا الواحد من الافراد ومع ذلك قل من
يعرفه لان صفته كما قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله في كتاب
الانوار له والله سبحانه وتعالى يدير القطب في الآفاق الاربعة من أركان
الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء وقد سترت أحوال الغوث وهو
القطب عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه غير أنه يرى عالما جاهلا
أبله فطنا تاركا آخذا قريبا بعيدا سهلا عسرا آمنا حذرا اه (ومنهم) من اذا
حصل لهم اعتقاد في شيخ بعينه نقص غيره أو فضله على غيره ويقع بسبب ذلك
شنآن بين أصحابهم ومن ينتمون اليهم حتى انهم ليرجعون أحزابا ويهجر
بعضهم بعضا لعدم تسليم كل واحد منهما لصاحبه كما تقدم (وقد) حدثني
بعض الفقراء ممن كان يحضر مجلس سيدي أبي محمد المرجاني رحمه الله أنه
كان يسمعه وهو يعظم سيدي أبا محمد بن أبي جمرة رحمه الله فكان هذا الفقير
يقول في نفسه ما هذا الا رجل كبير القدر مثل هذا السيد يعظمه قال

فضيت يوما اليه حتى أراه فدخلت الى المسجد وهو يتكلم فى الدرس
والقارئ يقرأ عليه فرأيت عبارته دون عبارة سيدى أبى محمد المرجانى رحمه
الله فتعجبت وقلت فى نفسى أمثل هذا يكون أفضل من سيدى أبى محمد
المرجانى فاستبعدت ذلك فرد الشيخ رحمه الله رأسه الى ونظر لى ثم رجع
يتكلم فيما كان بسبيله فقال فى أثناء كلامه ينبغى للفقير اذا دخل على
الشيوخ ان لا يفضل من تلقاء نفسه شيخا على غيره يا مسكين هذا الذى
تفضله لو سألته عمن فضلته عليه كان جوابه ان يقول هو بركتى وهو كذا وكذا
ارجو من الله تعالى ان ينفعنى به الى غير ذلك فرب ساكت أفضل من ناطق
فيجىء أحدكم يفضل من يخطر له بما يخطر له أجاءك أحد من عند الله تعالى
وأخبرك ان فلانا عنده أفضل من فلان فهذا من قلة الأدب والاحترام
فتب الى الله تعالى وارجع اليه ما كفى أن أحدكم يحرم العمل حتى يحرم
الاعتقاد ما هذا الحال قال فبقيت أتوب وأستغفر الله لعله يسكت فاسكت
الا بعد حين أو كما قال (واذا كان) ذلك كذلك فلا ينبغى ان يفضل بين شيخين
الا باحد أمرين بأن يكون أحدهما أكثر اتباعا للسنة المطهرة من الآخر
أو يكون الذى يفضل أعلى مقاما منهما فيكشف عليهما لان من هو فى مقام
يكشف على من هو دونه ولا يكشف على من هو فوقه لان النبى صلى الله
عليه وسلم كشف على مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يكشف على
مقامه الخاص أحد منهم (ولا) يرد على هذا كون المريد يعظم شيخه
ويؤثره على غيره ممن هو فى وقته لان تعظيمه له انما هو من جهة ان الله
تعالى قد قسم له على يديه رزقا حسنا كما تقدم والنبى صلى الله عليه وسلم
يقول من رزق فى شئ فليلزمه وقال فى حديث آخر جبلت القلوب على
حب من أحسن اليها ولا شك ان الاحسان بما يبقى هو أفضل وأعلى من
الاحسان بما يفنى وحقيقة المريد مع شيخه ان الشيخ وجده غريقا فى بحر
التلف فأنقذه وخلصه منه وأوقفه بباب ربه سبحانه وتعالى ولا احسان
أعظم من هذا الاحسان ووجه آخر وهو محبة المريد لطاعة ربه عز وجل
فلما أن رأى عند شيخه ما يحبه التزمه لمحبوبه الذى وجده عنده (وقد) كان
بعض الناس يخدم بعض أبناء الدنيا ويحبه ويؤثره بالخدمة له فعذله بعض

الناس على التزام خدمته له وهو لا يعطيه شيئا فكان جوابه أن قال محبوبي عنده (وقيل) لا آخر أيضا وقد رأوه واقفا بباب عدوه فعذلوه في ذلك فأخبر بما تقدم وهو أن محبوبه عنده والمريد بنيته وخاطره وكليته راغب في طاعة ربه عز وجل متسبب في الوصول اليه فاذا رأى من هو مثله أو أرفع منه قد أحكم الطريق وعرفها أحبه والتزمه وأنس به لما حصل عنده من المحاسن الجميلة (فالحاصل) من هذا انه يعظمه لما خلع الله عز وجل عليه من الخلع السنية الشاهدة له بالقرب من المولى سبحانه وتعالى (ومنهم) من يظهر له شئ من الكرامات فيغتر بها فيتلف حاله بسببها (ومنهم) من يسلم بواسطة أحد من الاولياء كما جرى لبعض المريدين بمدينة فاس انه بات ليلة في زاوية خارج البلد فطلع على سطح الزاوية في ليلة مقمرة فأعجبه ضوء القمر فخطر له ان يجرب نفسه في الطيران هل يقدر عليه ام لا فجرب نفسه فطار في الهواء فدخل البلد من اعلى سورها وهو طائر فقال اي موضع اقصده فوقع له ان يأتي الى زيارة بعض الاكابر من المشايخ في وقته فأتى الى باب داره ونزل فدق الباب فخرج اليه الشيخ فقال له من انت فقال فلان فقال له ما وجدت شيئا تأتيني به الا بهذه الكرامة والله لا كلمتك بعدها ابدا فأدبه بذلك وكان سبب اجتماعه على ربه عز وجل وسلامته أو كما جرى (ومثل) هذا ما حكي عن بعض المريدين انه كان يحضر مجلس شيخه ثم انقطع فسأل الشيخ عنه فقالوا له هو في عافية فارسل خلفه فحضر فسأله ما الموجب لانقطاعك فقال يا سيدي كنت اجيء لكي أصل والآن قد وصلت فلا حاجة تدعو الى الحضور فسأله عن كيفية وصوله فأخبره انه في كل ليلة يصلي ورده في الجنة فقال له الشيخ يا بني والله ما دخلتها ابدا فلعلك ان تتفضل علي فتأخذني معك لعلي ان ادخلها كما دخلتها انت قال نعم فبات الشيخ عند المريد فلما ان كان بعد العشاء جاء طائر فنزل عند الباب فقال المريد للشيخ هذا الطائر الذي يحملني في كل ليلة على ظهره الى الجنة فركب الشيخ والمريد على ظهر الطائر فطار بهما ساعة ثم نزل بهما في موضع كثير الشجر فقام المريد ليصلي وقعد الشيخ فقال له المريد يا سيدي اما تقوم الليلة فقال الشيخ يا بني الجنة هذه وليس في الجنة صلاة فبقي المريد يصلي والشيخ قاعد فلما ان طلع الفجر

جاء الطائر ونزل فقال المريد للشيخ قم بنا نرجع الى موضعنا فقال له الشيخ اجلس ما رأيت أحدا يدخل الجنة ويخرج منها فجعل الطائر يضرب بأجنحته ويصيح حتى أراهم ان الارض تتحرك بهم فبقي المريد يقول للشيخ قم بنا لئلا يجري علينا منه شيء فقال له الشيخ هذا يضحك عليك يريد أن يخرجك من الجنة فاستفتح الشيخ يقرأ القرآن فذهب الطائر وبقيا كذلك الى أن تبين الضوء واذا هما على مزبلة والعذرة والنجاسات حولهما فصفع الشيخ المريد وقال له هذه هي الجنة التي أوصلك الشيطان اليها قم فاحضر مع اخوانك أو كما جرى (وحكاياتهم) في هذا المعنى قل ان تنحصر (والحاصل) منه ان الشيطان لا يترك أحدا ولا ييأس منه الا بعد خروج روحه وأما قبل ذلك فيضرب عليه بخيله ورجله ويستعمل حيله كلها وقد تقدم بعض هذا (واذا كان) ذلك كذلك فيتعين على المريد أن لا يدعي حالا ولا مقاما خيفة أن يفسد على نفسه ما من به عليه ان كان حقيقة أو يكون من الشيطان ابتداء (وكثير) من الناس في هذا الزمان ممن ليس له رسوخ في الطريق بل بعضهم منغمس في الجهل ويدعي أنه من الشيوخ الواصلين الى الله وليس له ذوق في طريق القوم بالكلية بل عكسه أسأل الله السلامة بمنه (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا شنيعا في مطالبة بعضهم لبعض وقيام المستغفر مكشوف الرأس زمنا طويلا وربما كان معتل الدماغ فتأخذه نزلة سيما ان كان في وقت البرد وقد يؤول الامر من ذلك الى الموت أو الى أمراض خطرة قد تطول عليه المدة بالعلل (ثم ان بعضهم) زاد على ذلك أن يفعله بمشهد من الناس عامة وذلك مخالف لطريق القوم لانهم اذا كانت مطالبة بعضهم لبعض فانما يكون ذلك فيما بينهم مستترين لا يخالطهم غيرهم لانهم كما قيل لا يطلع عليهم الا ذو محرم ومحرمهم من كان منهم أعني من أصحاب الخرقة دون غيرهم (ويزيد) بعضهم حل الاقدام ويقف طويلا بها ينتظر اقبالهم عليه (وبعضهم) يبالغ في هذا المعنى فيأمر بكشف رأس الجاني على زعمه وضربه بالجماجم والجريد وغيرهما وهذا قبيح وشناعة أن ينسب هذا لمن يدعي الطريق وطريق القوم غير هذه الطريقة اذ أنها مبنية على الصفح والتجاوز والاغضاء ما لم يكن في أمر الدين فان كان في أمر الدين فيكفي فيه الهجران لا غير

الجماجم جمع جمجم وهو المداس معرب اه

وفيه مقنع للجانى والجالى عليه وغيرهذا ليس من السنة فى شئ (ومن طريقهم) انهم اذا وقع أحدمنهم فى مخالفة يطالبونه بالتوبة والاقلاع عما وقع فيه (ثم زاد) بعضهم على ذلك اعتقادهم انه من طريق القوم الصادقين (وقد) تقدم كيفية مايفعله الصادق منهم مع اخوانه اذا اطلع على شئ من المكروه الذى وقعوا فيه وأنه يتوجه الى الله تعالى فى انقاذ من وقع منه ذلك (وينبغى) أن تكون المطالبة للشيخ آكد من المطالبة للمريد لان بغفلة الشيخ عنه جرى عليه ماجرى فلو كان الشيخ يلحظه لما قدر على ذلك فى الغالب (الا ترى) الى ماجرى لسيدى أبى على بن السماط شيخ سيدى أبى محمد المرجانى رحمهما الله تعالى ان بعض أصحابه جاء اليه وطلب منه اذنا أن يتزوج فأبى عليه ثم جاءه ثانيا فابى عليه ثم ثالثا كذلك فقال أزنى قال اذهب فذهب المريد فأخذ امرأة وجاء بها الى بيته واغلق الباب واذا بالحائط قد انشق ودخل عليه الشيخ فخرج هاربا يسيح فى البرية بحال أخذه لا يعرف أين يذهب ثم رجع اليه عقله بعد ذلك فقال من أين أصابنى المرض من هنالك أتداوى فرجع الى موضع الشيخ فدخل وسلم عليه فقال له الشيخ رحمه الله اقدرت على شئ تفعله أتظن انك لنفسك (بل) كثير منهم لا يتحملون أن يروا من يتقى اليوم فى ذرة مما لا ينبغى (ألا ترى) الى ما حكى عن بعضهم انه راى بعض أصحابه فى الصف الاول يوم الجمعة فقال له مالى اراك ههنا فقال له لاجل فضيلة الصف الاول والقرب من الخطيب فقال له اما تعلم ان البعد من هؤلاء القوم أقرب الى الله تعالى من القرب منهم اه (وما) ذاك الا لمشاهدة ما الشرع يأمر بتغييره عليه (واقل) ما يمكن فى التغيير أن لا يرى شيئا يخالف السنة حتى يتعين عليه التغيير بالقلب اذ أن اصعب ما فى التغيير التغيير بالقلب لان الغالب على القلب تدنيسه بما يشاهد ويرى ويسمع فقل ان يتأثر مع مداومة هذا الحال عليه فالتغيير بالقلب وان كان دون المرتبتين اللتين قبله فهو اصعب منهما بهذا الاعتبار فتأمله (وما) ذاك الا لتأنيس القلوب غالبا بالعوائد المستمرة (الا ترى) الى ما حكى عن بعضهم انه قال اول بدعة رأيت بات الدم وقد تقدم ذلك (وقد ورد) ولو البدع ماهو ركم وكذلك ورد من لم يزل المنكر فليزل عنه (فكيف) يقبل المكاف على شئ

من ذلك أو يصغى اليه وأما ان فاجأه ذلك وعجز عن التغيير فالتخلص منه أقرب وأيسر (الماورد) فمن لم يقدر على التغيير أن يقول اللهم ان هذا منكر ثلاثا اه ثم ليمض لسبيله ويعرض عنه

(فصل في مكاتبة الفقير لاخيه) وينبغي له أن يجتنب ما اعتاده بعض الناس في مكاتبة بعضهم لبعض بالالفاظ التي احتوت على التزكية والتعظيم والكذب والتمويق والقوافي والسجع والعبارات القلقة والتكلف اذان ذلك لايجوز (الاترى) ان كتب السلف رضي الله عنهم بعضهم الى بعض على منهاج غير هذا (فمن ذلك) كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى من يكاتبه من ولاته من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح الى خالد بن الوليد الى عمرو بن العاص وكتبهم له من أبي عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فوصفوه بالصفة الملازمة له (فان قيل) قد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم (فالجواب) ماقاله القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في سراج المريدين له ان معنى كتب النبي عليه الصلاة والسلام الى هرقل عظيم الروم أي الذي يعظمه الروم وتعظيم الروم له بالمال ولكنه موجود حقيقة فلذلك وصفه النبي صلى الله عليه وسلم به اه (وعلى هذا) درج السلف والخلف رضي الله عنهم (وتعظيم) هذه الطائفة انما هو بالقلوب لا بالقلاقة من الالسن كما هو الحال في هذا الزمان فهذه بعض نبذ يستدل بها على ماعداها (وأما) طريق كثير من الفقراء المسافرين أعني غير المحققين منهم فلهم اصطلاحات وعوائد قل ان تجد للاتباع فيها سبيلا (فمن ذلك) ما كانوا يوجبونه على من يريدون أخذ ثيابه وغيرها من مطالبات كثيرة يسمونها شغل الفقراء وليس هذا الحال خاصا بهم وذلك كله ممنوع في الشرع الشريف (لقوله) عليه الصلاة والسلام لايحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه وهم يأخذون ذلك بغير طيب نفس من صاحبه حتى انهم ليكلفون من كان فقيرا الى المسئلة بالالحاح وتكليف الناس كما تقدم من فعلهم في الضيافات والاجازات وأحوالهم في هذا المعنى قل ان تنحصر وفيما ذكر تنبيه على ماعداه والله الموفق

(فصل في صرف همم المريد كلها الى الآخرة وأمورها) وينبغي له أن يكون أهم الامور عليه وآكدها عنده أمور الآخرة اذ انه مصيره اليها فيتعين عليه ايثارها ولا يمايغير ذلك الامن طريق الامتثال لان غير أمر الآخرة منقطع زائل وماهو كذلك فأمره أقرب وأيسر من الدائم الذى لا ينقطع (ألاترى) الى حال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف كان على ما وصف الواصف متواصل الاحزان (وقد) كان الحسن البصري رضي الله عنه قد غلب عليه هذا المعنى حتى كأنه يقدّم للقتل على مانقل عنه (وكان) يقول العجب ممن يملأ فاه بالضحك وهو لا يعلم في أي ديوان اسمه هل في الجنة أوفي النار (وقد) سأل رجل احمد بن حنبل رحمه الله ان يعظه فقال له الامام احمد ان كان الله قد تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله حقا فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كان سؤال منكر ونكير حقا فالانس لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمانينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شئ بقضائه وقدره فالحزن لماذا (وقد قالت) رابعة العدوية لرجل رأته مهموما ان كان همك من أمر الآخرة فزادك الله هما وان كان من أمر الدنيا ففرّج الله همك (وقد) أنشد بعضهم في هذا المعنى فقال

لا تجزعن اذا ما الامر ضقت به * ذرعا ونم وتوسد خالي البال
مابين غمضة عين وانتباهتها * يغير الله من حال الى حال

(فصل) هذا ماتيسر من الكلام على آداب المريد وينبغي ان نختمه بذكر شئ من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذكر آثاره وأحواله ولكي يكون سلما للمريد في اتباعه عليه الصلاة والسلام في تصرفاته وحركاته وسكناته واشاراته (فمن ذلك) ماذكره الباجي رحمه الله في كتابه المسمى بسنن الصالحين وسنن العابدين قال مالك ان رجلين كانا جالسين يتحدثان وكعب الاحبار قريب منهما فقال أحدهما لصاحبه اني رأيت في المنام كأن الناس جمعوا ليوم القيامة فرأيت النبيين لهم نوران نوران ولاتباعهم نور نور قال ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم مامن شعرة في جسده

ولا راسه الا وفيها نوران ورايت اتباعه لهم نوران نوران فقال له كعب اتق الله وانظر ماذا تحدث به فقال انما هي رؤيا رأيتها فقال كعب والذى نفسى بيده انه فى كتاب الله المنزل لكما ذكرت (ومنه) ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكى بأبى أنت وامى يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبى أنت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبى أنت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك فى أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم بأبى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون ان يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول بأبى انت وامى يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذاك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبى انت وامى يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فما ذاك بأعجب من البراق حين سريت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بأبى أنت وامى يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله تعالى احياء الموتى فما ذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مسمومة فقالت لا تأكلنى فانى مسمومة بأبى انت وامى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا عن آخرنا ولقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون بأبى انت وامى يا رسول الله لقد اتبعك فى أحداث سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا فى كبر سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بأبى انت وامى يا رسول الله لولم تجالس الا كفؤا لك ما جالستنا ولولم تنكح الا كفؤا لك

ما شبعت الدنيا ولولم أقرأ كل الا كفؤا لك ما آكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك (ومن كتاب) التفسير للطبرى رحمه الله كان النبى صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف وينتعل المخصوف ولا يتأنف من ملبس يلبس ما وجده مرة شملة ومرة بردة حبرة ومرة جبة صوف (وكان) يلبس النعال السبتية ويتوضأ فيها وكان لنعليه قبالان وأول من عقد عقدا واحدا عثمان وكان أحب اللباس اليه الحبرة وهى برود اليمن فيها حمرة وبياض (وكان) أحب اللباس اليه القميص وكان اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة كان أو قميصا ورداء ويقول اللهم لك الحمد كما ألبستنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (وكان) يعجبه الثياب الخضر (وكان) يلبس الكساء الصوف وحده فيصلى فيه وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه ويصلى فيه (وكان) يلبس القلانس تحت العمائم ويلبسها دون العمائم ويلبس العمائم دونها ويلبس القلانس ذات الآذان فى الحرب وربما نزع قلنسوته وجعلها سترة بين يديه وصلى اليها وربما مشى بلا قلنسوة ولا عمامة ولا رداء راجلا يعود المرضى كذلك فى أقصى المدينة (وكان) يعتم ويسدل طرف عمامته بين كتفيه (وعن على) رضى الله عنه انه قال عممنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة وسدل طرفها بين كتفى وقال ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين (وكان) يلبس يوم الجمعة برده الاحمر ويعتم (وكان) يلبس خاتما من فضة فصه منه نقشه محمد رسول الله فى خنصره الايمن وربما لبسه فى الايسر ويجعل فصه مما يلى بطن كفه (وكان) صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة (وكان) يقول ان الله تعالى جعل لذتى فى الدنيا النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة (وكان) يتطيب بالغالية وبالمسك حتى يرى وبيصه فى مفارقه ويتبخر بالعود ويطرح فيه الكافور (وكان) يعرف فى الليلة المظلمة بطيب ريحه (وكان) صلى الله عليه وسلم يكتحل بالاثمد فى كل ليلة ثلاثا فى كل عين وربما اكتحل ثلاثا فى اليمنى واثنتين فى اليسرى وربما اكتحل وهو صائم (وكان) يقول عليكم بالاثمد فانه يجلوا البصر وينبت الشعر (وكان) يكثر دهن

راسه

الحبرة كعنبة اه

الوبيص البريق وزنا ومعنى اه

راسه ولحيته (وكان) يترجل غبا (وكان) ينظر فى المرآة وربما نظر فى الماء فى ركوة فى حجرة عائشة وسوى جمته (وكان) لاتفارقه قارورة الدهن فى سفره والمكحلة والمرآة والمشط والمقراض والسواك والخيوط والابرة فيخيط ثيابه ويخصف نعله (وكان) يستاك بالاراك وكان اذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك ويستاك فى الليلة ثلاث مرات قبل النوم وبعده عند القيام ولورده عند الخروج لصلاة الصبح (وكان) صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين وبين الكتفين واحتجم وهو محرم بمكة على ظاهر القدم (وكان) يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين (وكان) صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا دخل يوما على أم سليم وقد مات نغر لابنها من بنى أبى طلحة فقال له يا أبا عمير ما فعل النغير وجاءته امرأة فقالت يارسول الله احملنى على جمل فقال أحملك على ولد الناقة وجاءته امرأة فقالت يارسول الله ان زوجى مريض فقال لعل زوجك الذى فى عينيه بياض فرجعت المرأة وفتحت عينى زوجها لتنظر اليهما فقال مالك فقالت أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى عينيك بياضا فقال ويحك وهل أحد الا وفى عينيه بياض وجاءته أخرى فقالت يارسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة وهى تبكى فقال صلى الله عليه وسلم أخبروها انها لاتدخلها وهى عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا (وقالت) عائشة رضى الله عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى ثم ضرب كتفى وقال هذه بتلك (وجاء) صلى الله عليه وسلم الى السوق من وراء ظهر رجل اسمه زاهر وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فوضع يده على عينيه وما كان يعرف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال من يشترى هذا العبد فجعل يمسح ظهره برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اذن والله تجدنى كاسدا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لكنك عند ربك لست كاسدا (ورأى) رسول الله صلى الله عليه وسلم حسينا مع صبية فى الطريق فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم وطفق الحسين يفر هاربا ههنا وههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه فجعل احدى

قوله نغر بوزن صرد طائر كالعصفور احمر المنقار اهـ

يديه تحت ذقنه والاخرى فوق رأسه (وكان) صلى الله عليه وسلم يدخل على عائشة والجوارى يلعبن عندها فاذا رأينه تفرقن فيسيرهن اليها (وقال) لها يوما وهى تلعب بلعبتها ما هذه يا عائشة فقالت خيل سليمان بن داود فضحك وطلب الباب فابتدرته واعتنقته فقال مالك يا حميرا فقالت بأبى أنت وأمى يا رسول الله ادع الله ان يغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر فرفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه فقال اللهم اغفر لعائشة بنت أبى بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا ولا تكسب بعدها خطيئة ولا اثما ثم قال صلى الله عليه وسلم أفرحت يا عائشة فقالت اى والذى بعثك بالحق فقال أما والذى بعثنى بالحق ما خصصتك بها من بين امتى وانها لصلاتى لامتى بالليل والنهار فيمن مضى منهم ومن بقى ومن هو آت الى يوم القيامة وأنا أدعو لهم والملائكة يؤمنون على دعاءى (وكان) عليه الصلاة والسلام يكرم ضيفه ويبسط رداءه له كرامة وجاءته ظئره التى أرضعته يوما فبسط لها رداءه وقال مرحبا بامى وأجلسها عليه (وكان) أكثر الناس تبسما وأحسنهم بشرا مع انه كان متواصل الاحزان دائم الفكرة لا يمضى له وقت فى غير عمل لله أو فيما لا بد له أو لاهله أو لامته منه وما خير بين شيئين الا اختار أيسرهما الا ان يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه (وكان) يخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم فى مهنة أهله ويقطع اللحم معهن ويركب الفرس والبغل والحمار ويردف خلفه عبده أو غيره ويمسح وجه فرسه بطرف كمه أو بطرف ردائه (وكان) يتوكأ على العصا وقال التوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء (ورعى الغنم) وقال ما من نبى الا وقد رعاها (وعق) صلى الله عليه وسلم عن نفسه بعد ما جاءته النبوة (وكان) لا يدع العقيقة عن المولود من أهله ويأمر بحلق راسه يوم السابع وان يتصدق عنه بزنة شعره فضة (وكان) يحب الفال ويكره الطيرة ويقول ما منا الا من يجد فى نفسه ولكن الله يذهبه بالتوكل (وكان) اذا جاءه ما يحب قال الحمد لله رب العالمين واذا جاءه ما يكره قال الحمد لله على كل حال (واذا) رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين (وروى فيه) الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا (واذا) عطس خفض صوته واستتر بيده أو بثوبه

وجد الله (وكان) صلى الله عليه وسلم أكثر جلوسه مستقبل القبلة (واذا) جلس في المجلس احتبى بيديه (وكان) يكثر الذكر ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة (وكان) ينام أول الليل ثم يقوم من السحر ثم يوتر ثم يأتي فراشه فاذا سمع الاذان وثب قائما فان كان جنبا أفاض عليه الماء والا توضأ وخرج الى الصلاة (وكان) يصلي في سبحته قائما وربما صلى قاعدا قالت عائشة لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان اكثر صلاته جالسا (وكان) يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء وهو في الصلاة (وكان) يصوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء وقلما يفطر يوم الجمعة وأكثر صيامه في شعبان (وكان) صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظارا للوحي (واذا) نام نفخ ولا يغط غطيطا (وكان) اذا رأى في منامه ما يروعه قال هو والله ربي لا شريك له (واذا) أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده الايمن وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك (وكان) يقول اللهم باسمك أموت وأحيا (واذا) استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور (وكان) صلى الله عليه وسلم اذا تكلم يبين كلامه حتى يحفظه من جلس اليه ويعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه (ويخزن) لسانه ولا يتكلم في غير حاجة (ويتكلم) بجوامع الكلم فصلا لا فضول ولا تقصيرا (وكان) يتمثل بشيء من الشعر وكان يتمثل بقول بعضهم ويأتيك بالاخبار من لم تزود (وكان) صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم وربما ضحك من شيء معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة (وما عاب) صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وان لم يشتهه تركه (وكان) لا يأكل متكئا ولا على خوان يأكل الهدية ويكافئ عليها ولا يأكل الصدقة ولا يتأنف في مأكل يأكل ما وجد ان وجد تمرا أكله وان وجد خبزا أكله وان وجد لبنا اكتفى به (ولم) يأكل خبزا مرققا حتى مات صلى الله عليه وسلم (قال أبو هريرة) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا توقد في بيت من بيوته نار وكان قوتهم التمر والماء (وكان) يعصب على بطنه الحجر من الجوع هذا وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الارض فأبى ان يقبلها واختار الآخرة (وأكل) صلى

السبحة بضم فسكون النافلة

الثفل بالضم كالقفل اه

الله عليه وسلم الخبز بالخل وقال نعم الادام الخل (واكل) لحم الدجاج (وكان)
يحب الدباء ويأكله ويعجبه الذراع من الشاة وقال ان اطيب اللحم لحم الظهر
(وقال) كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة (وكان) يعجبه الثفل
يعني مابقي من الطعام (وكان) يأكل باصابعه الثلاث ويلعقهن (واكل)
صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر وقال هذا ادم هذا (واكل) صلى الله
عليه وسلم البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد (وكان) يحب الحلوا
والعسل (وكان) صلى الله عليه وسلم يشرب قاعدا وربما شرب قائما ويتنفس
ثلاثا واذا فضلت منه فضلة واراد ان يسقيها ابدأ بمن عن يمينه (وشرب) صلى
الله عليه وسلم لبنا وقال من اطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا
خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه (وقال)
صلى الله عليه وسلم ليس شئ يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن اه (زاد)
الباجي رحمه الله وكان عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم كما وصفه الله
تعالى (كان) أحلم الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم تمس يده قط امرأة
الا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه أسخى الناس
لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو
الى منزله حتى يعطيه من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه
فقط من ايسر ما يجد من الشعير والتمر ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالى
لا يسئل شيئا الا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى يحتاج قبل
انقضاء العام أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد يجيب دعوة
العبد والحر ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن وتستتبعه الأمة والمسكين
فيتبعهما حيث دعواه لا يغضب لنفسه ويغضب لربه منديله باطن قدمه
يشهد الجنائز أشد الناس تواضعا واسكتهم من غير كبر وابلغهم من
غير عي لا يهوله شئ من امر الدنيا يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين
ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم يصل ذوى
رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يجفو على أحد يقبل معذرة
المعتذر يخرج الى بساتين اصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب
ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله تعالى دعاء مستويا فقد جمع الله

تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو امي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا (قال) الباجي رحمه الله وذكر العتبي قال كنت عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي ثم انشأ الاعرابي يقول

يا خير من دفنت في الارض أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف قال العتبي فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي يا عتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله قد غفر له (ومن) كتاب الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن ويعلم من يعمل بهن قال أبو هريرة أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا فقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب (ومنه) عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (ومنه) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتي قيل يا رسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون ما افسد الناس من بعدي من سنتي

قد تم بحمد الله الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث
اوله الكلام على الميت وما يتعلق به وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين